



# شرح نهج البلاغة

لِشَارِحِ مُحَقِّقٍ

مِنْ أَعْلَمِ الْمُؤَرِّثِينَ الْبَاقِيُونَ

تَحْقِيقٌ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِطَّارِيِّ



# شرح فتح البلاء

شرح محقق

مزيان الأمل القرني الثامن



محققون

الشيخ ميرزا عبد العطاء الله

عنوان قراردادی	: نهج البلاغه. شرح
عنوان و نام پدیدآور	: شرح نهج البلاغه / لشارح محقق من اعلام القرن الثامن: تحقیق عزیزالله العطاردی.
مشخصات نشر	: تهران: عطارد: بنیاد نهج البلاغه، ۱۳۹۱.
مشخصات ظاهری	: ۵۳۰ ص. : نمونه.
فروست	: مرکز فرهنگی خراسان: ۱۶۵.
شابک	: 978-600-6427-36-2
وضعیت فهرست‌نویسی	: فیبا
یادداشت	: عربی.
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه‌ها
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- کلمات قصار
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- نامه‌ها
موضوع	: علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- نهج البلاغه. -- نقد و تفسیر
شناسه افزوده	: عطاردی قوچانی، عزیزالله، ۱۳۰۷ -
شناسه افزوده	: بنیاد نهج البلاغه
رده‌بندی کنگره	: BP ۳۸ / ۰۲ / ع ۶ ۱۳۹۱
رده‌بندی دیوبی	: ۲۹۷ / ۹۵۱۵
شماره کتابشناسی ملی	: ۲۹۷۵۸۰۵



آسارسات عطارد

مرکز فرهنگی خراسان

۱۶۵

اسم کتاب: شرح نهج البلاغه

الشارح: من اعلام القرن الثامن

المحقق: الشيخ عزیزالله العطاردی

الناشر: نشر عطارد و بنیاد نهج البلاغه

الطبعة الثانية: ۱۳۹۱ • العدد: ۲۰۰۰

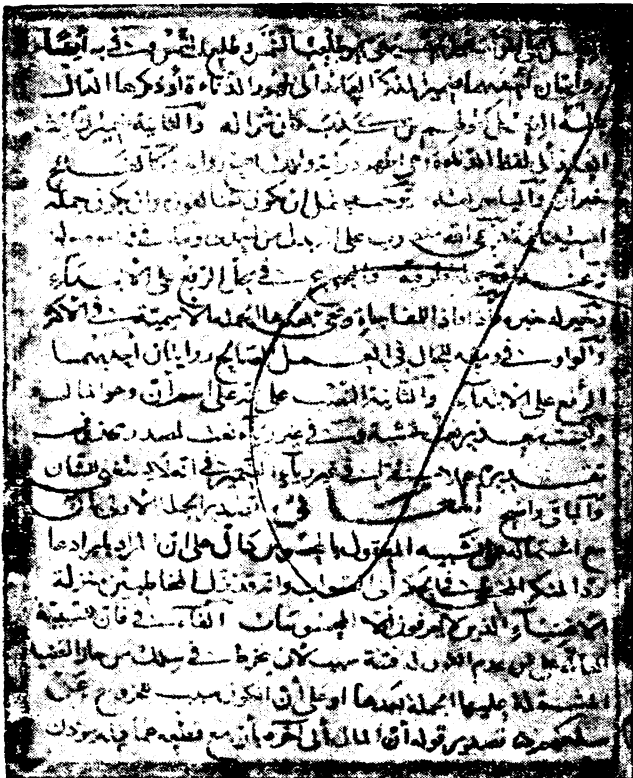
المطبعة: افست • الثمن: ۱۵۰۰۰ تومان

☐ مرکز پخش: تجریش، خیابان دربند، نبش خیابان جعفرآباد، پلاک ۱۶۴

تلفن: ۲۲۷۵۷۰۱۹ - تلفکس: ۲۲۷۵۷۰۳۹

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

شابک: ۲-۳۶-۶۴۲۷-۶۰۰-۹۷۸-۹۷۸-۶۰۰-۶۴۲۷-۳۶-۲ ISBN: 978-600-6427-36-2



صورة قنوجرافية من نسخة الاستاد الدكتور اصغر المهدي استاذ  
جامعة طهران .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المحقق

الحمد لله الذي هدانا الى مناهج الايمان والاسلام، وأرشدنا إلى معالم الحلال والحرام، وبيّن لنا السنن والأحكام، والصلوة والسلام على نبينا نبي الرحمة وعلى آله أهل البلاغة والفصاحة.

أما بعد: فإنّ كتاب نهج البلاغة مجموع انتخبه الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي المعروف بالسيد الرضي رضوان الله عليه، من كلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وجعله على ثلاثة ابواب:  
الرسائل — الخطب — والحكم في الآداب والمواعظ.

هذا الكتاب الشريف أشرف الكتب بعد كلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وآله، وهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، وأفضل الكلام وأفصحه وأنفعه وأرفعه، وهذا واضح لمن تأمل في الكتاب وتفكر في ألفاظه ومعانيه.

نهج البلاغة: كتاب جامع للمعارف الالهية والاسرار النبوية والأحكام الاسلامية والقواعد السياسية، يستفيد منه الحكيم الالهي والفقهاء الرباني والواعظ الصمداني والمصلح السياسي، وفيه آداب الحرب وتنظيم العساكر والجيوش. وردت فيه مواعظ شافية للمتعظين وآداب للعارفين وترغيب للعابدين وتحذير للمنافقين،

وتخويف للامراء والسلاطين، وارشادهم للقسط في الحكم، وبسط العدل للمسلمين، وكظم الغيظ والنفوس عن المجرمين.

من نظر في نهج البلاغة وتعمق في خطبه ورسائله، يرى نفسه مع خطيب وأمير الهي، تارة يتكلم في التوحيد، ويبحث عن اسرار الكائنات، ويكشف غوامض المسائل، ويشرح مكنون العلم، وتارة يتكلم عن النبوة وصفات الانبياء عليهم السلام والاولياء، وأخرى يتكلم عن العباد والزهاد وصفات المتقين، وأونة عن فنون الحرب والجهاد مع الاعداء في الغزوات، ومقارعة الابطال ومصارعة الشجعان، وحيناً يعظ الناس ويحذّرهم من الدنيا وزينتها، ويرغبهم بالآخرة ونعيمها.

### كلمات العلماء حول النهج

قال الراوندي: كنت قديماً شرحت الخطبة الاولى من نهج البلاغة بالإطناب، وكشفت بيان جميع ما فيه من أنواع العلوم التي أومأ اليها بالاسهاب، وهو كلام عند أهل الفطنة والنظر دون كلام الله وكلام رسوله وفوق كلام البشر. واضح مناره مشرقة آثاره، ولا يستبعد في هذا الدهر أن يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس إتما من الفاظه الغرائب او معانيه العجائب، فعزمت على شرح جميع الكتاب مستعيناً بالله على وجه الصواب، وان استخرج مكنونه واستكشف مخزونه.

قال الكيذري: نهج البلاغة نطفة من بحار علومه الغزيرة، ودرّة من جواهر اصدافه الجمة الغفيرة، وقطرة من قطرات غيثة المدرار، وكوكب من كواكب فلكه الدوّار، ولعمري إنّه الكتاب الذي لا يدانيه في كمال الفضل كتاب، وطالب مثله في الكتب كالعنزي لا يرجى لها اياب، وهو محجر عيون العلم، وفي خلال الكتب كالبدارين في النجوم، الفاظه علوية علوية، ومعانيه قدسية نبوية، وهو عديم المثل

والنظير.

قال ابن ابي الحديد: وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأئمة ففاضت ثم فاضت، قال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الإفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب.

قال في اعلام نهج البلاغة:

لله درك يانهج البلاغة من	نهج نجما من مهاوي الغي سالكه
أودعت زهر نجوم ضل منكرها	وحاد عن جد غيا مسالكه
لأنت درويش الله ناظمه	لأنت نصر ويا الله سابقه

قال الشيخ عبد الحسين الاميني - رضوان الله عليه -: نهج البلاغة كان يهتم بحفظه حملة العلم والحديث في العصور المتقدمة حتى اليوم، ويتبركون بذلك كحفظ القرآن الشريف، وعد من حفظته في قرب عهد المؤلف القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني، فإنه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه، وكذا حفظه ابو عبد الله الفارقي المتوفى سنة ٥٦٤.

قال الشيخ آغا بزرك الطهراني - قدس الله سره -: نهج البلاغة هو كالشمس الطالعة في رابعة النهار في الظهور وعلو الشأن والقدر وارتفاع المحل، قد جعلت رؤيتها لجميع الناس مرأى واحداً لا تخفى على احد، فيقبح من العاقل البصير سؤال ما هي الشمس الطالعة، وهي ما يقتبس من اشراق نورها كافة الكائنات في البر والبحر.

كذلك النهج قد طبقت شهرته الشرق والغرب، ونثر خبره في اوساط الخافقين، ويتنور من تعليمات النهج جميع افراد البشر، لصدوره عن باب معدن الوحي الالهي، فهو تلو القرآن الكريم في التبليغ والتعليم، وفيه دواء كل عليل

وسقيم، ودستور للعمل بموجبات سعادة الدنيا وسيادة دار النعيم، وقد قيل فيه:

نهج البلاغة نهج العلم والعمل فاسلكه ياساح تبليغ غاية الامل

قال السيد عبدالزهرء الحسيني: كنت مولعاً بكتاب نهج البلاغة منذ حداثة سنتي، أجعله سمير وحدتي وأنيس وحشتي، أستظهر فصولاً من خطبه، وأحفظ قطعاً من رسائله، وألتقط درراً من حكمه، وكان هذا الولع يتضاعف كلما اتسعت مداركي وتضاعفت معلوماتي، ومن أجل ذلك انخبت عن كل ما يتعلق به وما كتب حوله.

قال صبحي صالح: لا بد لدارس نهج البلاغة أن يلمّ بهذه الوقائع التاريخية ولو من خلال لمحة خاطفة عجل، ليعرف السرّي غروب شمس الخلافة الراشدة بين المسلمين الأولين، الذين استروحوا شذا النبوة ونعموا بظلالها الوارفة، واستناروا بما يلوح من أضوائها الباقية.

لا بد لدارس النهج أن يلمّ بهذه الحقائق، ليرى رأي العين كيف تحولت هذه الخلافة الراشدة الى ملك عضوض، وكيف اشعلت من أجلها الحروب الطاحنة، واثخنّت الامة في سبيلها بالجراح الدامية، واصيب مقتلها بمصرع إمام الهدى علي كرم الله وجهه.

ثم لا بد لدارس النهج أن يكون لنفسه صورة حقيقية عن تلك الحقبة من تاريخ المسلمين، ليستنبط البواعث النفسية التي حملت علياً على الاكثار في خطبه من النقد والتعريض والعتاب والتقريع والتذمّر والشكوى، فقد عاندته الايام، وعجت خلافته عجيجاً بالأحداث الجريرة، وخابت آماله في تحقيق الإصلاح.

قال الهادي كاشف الغطاء: إنّ نهج البلاغة من كلام مولانا أمير المؤمنين وامام الموحدين؛ باب مدينة العلم علي بن ابي طالب عليه السلام، من اعظم الكتب الإسلامية شأناً وارفعتها قدراً، وأجمعها محاسن وأعلاها منازل، نور لمن استضاء به، ونجاة لمن تمسك بعراه، وبرهان لمن اعتمده، ولب لمن تدبّره، أقواله فصل



وأحكامه عدل، حاجة العالم والمتعلم، وبغية الراغب والزاهد، وبلغة السائس والمسوس، ومنية المحارب والمسلم، والجندي والقائد.

فيه من الكلام في التوحيد والعدل ومكارم الشيم ومحاسن الاخلاق، والترغيب والترهيب والوعظ والتحذير وحقوق الراعي والرعية واصول المدنية الحققة، وما ينفع الغلظة ويزيل العلة، لم تعرف المباحث الكلامية إلا منه، ولم يكن إلا عيالاً عليه، فهو قدوة فطاحلها وامام افضلها.

قال محمد محي الدين: نهج البلاغة هو الكتاب الذي جمع بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها، وتبيّأت به للنظر فيه اسباب الفصاحة، ودنا منه قطافها، اذ كان من كلام أفصح الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم منطقاً، وأشدهم اقتداراً، وأبرعهم حجة، وأملكهم للغة.

يدبرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه، والخطيب الذي يملأ القلب سحر لسانه، والعالم الذي تبيّأ له من خلاط الرسول وكتابة الوحي والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حدثته ما لم يتبيّأ لأحد سواه.

قال الاستاذ امتياز علي خان العرشي: يعد كتاب نهج البلاغة من خطب سيدنا علي بن ابي طالب ورسائله وحكمه، ومما يضاعف الكتاب أهمية أنّ علي بن ابي طالب كان على بلاغته المبتكرة أحد الخلفاء الراشدين او اماماً معصوماً عند طائفة من المسلمين.

قال الشيخ محمد عبده: فقد اوفى لي حكم القدر بالإطلاع على كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمد، أصبته على تغيير حال وتبديل بال، وتزاحم أشغال وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية وحيلة للتخيلية، فتصفّحت بعض صفحاته وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات ومواضع متفرقات، فكان يجتّل لي في كل مقام أنّ حروباً شبت، وغارات شتت، وأنّ للبلاغة دولة، وللصفاحة صولة، وأنّ للاوهام عرامة، وللريب عارة، وأنّ جحافل الخطابة وكتّاب الدراية في عقود

النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الابليج والقويم الامليج.  
 إن مدبر تلك الدولة وباصل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب،  
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع، أحس  
 بتغير المشاهد وتحول المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواحاً  
 عالية في حلل من العبارات الزاهية.

وطوراً كانت تنكشف لي الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة، وأرواح  
 في اشباه النور ومخالب النور، قد تحفرت للوثاب، ثم انقضت للاختلاف. فحلت  
 القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها، واغتالت فاسد الالهواء وباطل  
 الآراء.

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً، لا يشبه خلقاً جسدياً، فصل عن  
 الموكب الالهي واتصل بالروح الانساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسما به إلى  
 الملكوت الاعلى، ونما به إلى مشهد النور الاجلي، وسكن به الى عمّار جانب  
 التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التليس.

وآنات كأني أسمع خطيباً ينادي بأعلياء الحكمة، وأولياء أمر الأمة،  
 يعترفهم مواضع مواقع الصواب، ويبرهم مواقع الارتياب، يحذّرههم مزالق  
 الاضطراب، ويرشدهم الى دقائق السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم  
 الى منصفات الرئاسة، ويسعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير.

ذلك الكتاب الجليل، هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله  
 من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، جمع متفرقة  
 وسماه هذا الاسم: نهج البلاغة، ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه، وليس  
 في وسعي ان أصف هذا الكتاب بازيد مما دل عليه اسمه، ولا أن آتي بشيء في  
 بيان مزيتته فوق ما أتى به صاحب الاختيار.

اقول: كلمات الباحثين عن نهج البلاغة في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

### موضوعات نهج البلاغة

إن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر في خطبه ورسائله وعهوده ما تحتاجه الأمة الإسلامية في أمر دينهم ودنياهم، وما يرشدهم إلى السعادة الأبدية، ويهديهم إلى الفوز في الدنيا والآخرة، ويحذّرهم عن ارتكاب الذنوب والآثام، ويحذّرهم عن المعاصي والشهوات والحرام.

جاء في الخطب والرسائل، ابواب التوحيد، والنبوة وصفات الانبياء والتعليم والارشاد، والنصح والنقد والتعريض، والتفريع والزهد في الدنيا، وتعريف صفات الاولياء والاشقياء والمنافقين، والجهاد مع الكفار، وآداب الحروب، والانذار والتخويف والتحذير من الفتن.

ثم المناظرة والسياسات والابتهال والدعاء والشكوى والتضرع والوصف والدقة، والمناقب والفضائل والبلدان وخصوصياتها والوصايا والمواعظ، والترغيب والترهيب والعدل والاحسان والترحم والشفقة.

ثم الخراج والاموال والجنود والعساكر وحقوق الرعية وحقوق الراعي، وحقوق الفقراء على الاغنياء، وحقوق أهل البيت، والوصية والوراثة والهجرة والوحي والعلم والعلماء، والطاوس والنملة والخفاش والبعوض، والصحابة والصلوة والحج والاسلام والتقوى.

### اجازات نهج البلاغة

قد روى كتاب النهج عدة من العلماء عن السيد الرضي - رضوان الله عليه -، وكان المؤلف يقرأه على تلامذته، ونحن نذكر هنا أسماء الرواة الذين جاء ذكرهم في شروح نهج البلاغة ومعاجم الشيوخ ورجال الحديث:

١- السيدة النقية بنت السيد الشريف المرتضى، عن عمها الشريف

الرضي، قال عبدالرحيم البغدادي المعروف بابن الاخوة: قالت بنت المرتضى: قرأ عليّ عمّي نهج البلاغة.

٢- أبو منصور العكبري: قرأ نهج البلاغة على السيد الرضي وروى عنه، قال الراوندي: أخبرنا أبو نصر الغاري، عن أبي منصور العكبري، عن الرضي.

٣- عبدالكريم بن محمد الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي: احد رواة نهج البلاغة، قال: قرأ عليّ السيد الرضي النهج وسمعته منه، قال الراوندي: أخبرنا ابن الاخوة، عن أبي الفضل النافلي، عنه، عن السيد الرضي.

٤- محمد بن علي الحلواني: روى كتاب النهج عن الرضي، قال الراوندي: أخبرنا السيد أبو الصمصام ذوالفقار بن محمد بن معبد الحسيني، عن الحلواني، عن الشريف الرضي.

٥- شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: روى نهج البلاغة عن الشريف الرضي، قال الراوندي: أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن محسن الحلبي، عن الطوسي، عن الرضي<sup>(١)</sup>.

٦- محمد بن همام البغدادي: من تلامذة السيد الرضي، روى نهج البلاغة عن استاذه، روى أبو الحسن علي بن زيد البيهقي بطريقه عنه.

٧- جعفر بن محمد الطرشتي الرازي: الفقيه المحدث، روى نهج البلاغة عن السيد الرضي. روى البيهقي عن أبيه، عن الحسن بن يعقوب، عن جعفر بن محمد، عن الشريف الرضي. قال أبو الحسن البيهقي في شرحه على النهج: وقد رأيت اجازة الشيخ جعفر بخطه عند أبي، وخط الشيخ جعفر شاهدي<sup>(٢)</sup>.

٨- محمد بن علي بن أحمد بن بندار: روى عنه أبو عبد الله الحسين كتاب النهج في سنة ٤٩٩.

(١) شرح الراوندي.

(٢) معارج نهج البلاغة.

شرح نهج البلاغة ..... ١٣

٩- علي بن فضل الله الحسيني: روى عنه كتاب النهج علي بن محمد بن حسين المتطبب في سنة ٥٨٩.

١٠- نجيب الدين يحيى بن احمد الحلبي: روى عنه السيد عزالدين حسن بن علي المعروف بابن ابرز سنة ٧٤١.

١١- الحسن بن يوسف جمال الدين المعروف بالعلامة الحلبي: أجاز رواية النهج في سنة ٧٢٣، وهو من شراح النهج.

١٢- فخرالدين محمد بن الحسن الحلبي: روى عنه ابن مظاهر نهج البلاغة في سنة ٧٤١.

١٣- محمد بن الحسين بن أبي الرضا العلوي: روى عنه جمال الدين بن أبي المعالي كتاب نهج البلاغة في سنة ٧٣٠.

١٤- محمد بن مكي الشهيد الاول: روى عنه ابن نجدة كتاب نهج البلاغة في سنة ٧٧٠.

١٥- علي بن محمد البياضي مؤلف الصراط المستقيم: روى عنه ناصر بن ابراهيم الاحساوي كتاب نهج البلاغة في سنة ٨٥٢.

١٦- الشيخ علي الكركي المحقق: روى عنه المولى حسين الاسترآبادي والشيخ ابراهيم كتاب النهج في سنة ٩٠٧.

١٧- الشيخ الشهيد زين الدين العاملي: روى عنه الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي كتاب نهج البلاغة في سنة ٩٤١.

١٨- الشيخ حسن بن زين الدين العاملي: روى عنه تلامذته كتاب النهج.

١٩- الشيخ محمد تقي المجلسي: روى عنه ولده المجلسي محمد باقر كتاب نهج البلاغة في سنة ١٠٦٢.

٢٠- الشيخ صالح بن عبدالكريم: روى عنه محمد هادي الشولستاني

كتاب النهج في سنة ١٠٨٠.

٢١— احمد بن نعمة الله بن خاتون: روى عنه المولى عبدالله التستري المتوفى

سنة ٩٨٨<sup>(١)</sup>.

### شبهات حول النهج:

وردت شبهات حول نهج البلاغة ومطاويه من قبل جماعة من العلماء قديماً وحديثاً، وهذه الشبهات صدرت منهم عن عصبية وعدم الاطلاع على حقيقة الأمر، ونحن نذكر هنا كلمات المخالفين وعقائدهم حول النهج:

أول من فتح باب الاعتراض وشك في انتساب خطب النهج الى أميرالمؤمنين عليه السلام هو ابن خلكان في كتاب وفيات الاعيان، واخطأ أيضاً في نسبة الكتاب الى السيد المرتضى، وتبعه في ذلك الذهبي وابن حجر وغيرهما.

قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هل هو جمعه أم جمع اخيه الرضي؟ وقد قيل: انه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه، والله اعلم.

هذا كلام ابن خلكان، فيعلم منه بالصرحة انه ما رأى النهج وكذا ساير مؤلفات السيد الرضي، لأن من عرف حياة السيد الرضي وآثاره علم أن نهج البلاغة من تأليفاته لا تأليف اخيه المرتضى، لان السيد الرضي في موارد كثيرة من نهج البلاغة يقول في ترجمة بعض الكلمات: قال الرضي كذا، وهذا واضح لمن يعرف نهج البلاغة.

يظهر من كلام ابن خلكان أنه لم يقطع بان نهج البلاغة لم يكن من كلام علي، وإنما نسبه الى قيل، ومعلوم ان هذا ليس معتقده، وفي آخر كلامه خلّص نفسه

وقال: والله اعلم، يعني هذا الكتاب مورد اختلاف والله يعلم حقيقة الامر.  
قال الذهبي: علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى المعتزلي صاحب التصانيف؛ مات سنة ٤٣٠ عن ثمانين سنة، وهو المهتم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بانه مكذوب على أمير المؤمنين رضي الله عنه.

يظهر أيضا من كلمات الذهبي انه لم يراجع نهج البلاغة، والآ لم ينسبه الى السيد المرتضى، والعجب من الذهبي كيف اتهم المرتضى رضوان الله عليه، وكذا أخاه الرضي في كلام ابن حجر يكون متهماً بوضع نهج البلاغة، ونسبته الى الامام امير المؤمنين عليه السلام، ولو طالعا نهج البلاغة وتعمقا فيه لما صدر منهما هذا الافتراء على الشريفين المرتضى والرضي. وهما رضوان الله عليهما في مقام عالٍ من القداسة والديانة والعلم والفضيلة.

نعم ان الذهبي رأى في نهج البلاغة بعض الكلمات التي ألقاها أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه، مثل الخطبة الششقية وأمثالها، ورأى ان هذه الألفاظ مخالفة لما يعتقد، فلهذه حل على السيد المرتضى رضوان الله عليه بأنه وضع هذه الخطبة ونسبها الى أمير المؤمنين، ونحن نذكر هنا اسناد الخطبة الششقية في الكتب التي آلفت قبل الرضي مؤلف نهج البلاغة:

١- ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي: المتوفى سنة ٢٨٣، ذكر هذه الخطبة في كتاب الغارات.

٢- عبدالله بن محمود الكعبي البلخي المعتزلي: المتوفى سنة ٣١٩، ذكر الخطبة في كتابه.

٣- أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي البصري المعتزلي: المتوفى سنة ٣٠٣، روى هذه الخطبة.

٤- محمد بن عبد الرحمان أبو جعفر بن قبة الرازي المتكلم الشيعي؛ تلميذ

أي القاسم البلخي: روى في كتابه الخطبة الشقشقية.

٥- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي المشهور بالشيخ الصدوق: المتوفى سنة ٣٨١، روى هذه الخطبة في كتابه: معاني الاخبار وعلل الشرايع.  
٦- أبو عبدالله محمد بن محمد بن نعمان استاذ السيد الرضي: روى هذه الخطبة في كتاب الإرشاد.

٧- قال ابن أبي الحديد في شرحه على النهج: حدّثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبدالله بن احمد المعروف بابن الخشاب، وكان صاحب دعابة وهزل، قال: فقلت له: أتقول أنها منحولة؟ فقال: لا والله، واني لأعلم أنها كلامه كما أعلم أنك مصدّق.

قال: فقلت له: إنّ كثيراً من الناس يقولون إنّها من كلام الرضي - رحمه الله تعالى -، فقال: أنّي للرضي ولغير الرضيّ هذا النفس وهذا الاسلوب، قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفتنه في الكلام المنشور، وما يقع مع هذا الكلام في خلّ ولا خمر.

ثم قال: والله وقفت على هذه الخطبة في كتب صتّفت قبل أن يخلق النقيب ابواحمد والد الرضي.

قال الاستاذ العرشي: إنّ أكثر الخطب عرضة للنقد والإيراد في نهج البلاغة هي الخطبة المعروفة بالشقشقية، ذكر فيها أمير المؤمنين تاريخ الخلافة، وشكا بأنّ أولي الأمر أعرضوا عنه مع أنّه أحقّ الناس بالخلافة.

لكنّه اصطبر على هذا العدوان، حتى اصّر عليه الناس مرّة رابعة بأن يتحمّل أعباء الخلافة، بيد أنّه خالفه بعض الناس بعد البيعة، ونشبت الحرب بين المسلمين، فلولم يكن أنصاره، ولولم يأمر الله بنصرة المظلوم، لطوى كشحه عن الخلافة.



فظهر بما نقلناه أنّ هذه الخطبة نقلها الحفاظ والمحدثون في كتبهم قبل أن يولد الرضي، وكذلك سائر الخطب والرسائل، ومن أراد الاطلاع فليراجع مصادر نهج للعلامة السيد عبدالزهراء الحسيني، واستناد نهج للاستاذ امتياز علي العرشي الهندي - رحمه الله -.

### علم الغيب في نهج البلاغة:

قال المعترض: إن في نهج البلاغة كلمات تدلّ على أنّ صاحبه يعلم الغيب، ويخبر عن الحوادث قبل وقوعها، كغرق البصرة وخرابها، وظهور الأتراك والمغول، وغلبة معاوية وبني أمية على البلاد، وولاية الحجاج الثقفي على العراق، وغيرها.

علم الغيب والإخبار عن الحوادث الآتية مختصّ بالله تعالى، ولا يعلم الغيب الآهوا، ولما كان في نهج البلاغة عبارات تتضمن علم الغيب، فعلوم أنّ هذا الكتاب مصنوع منسوب الى الإمام علي بن أبي طالب.

فتقول في جواب المعترض: قد جاء في القرآن العظيم، في موارد كثيرة ذكر الغيب، قال الله تعالى: الذين يؤمنون بالغيب، وقال: عالم الغيب، وقال: عالم الغيب والشهادة، وقال: أعنده علم الغيب فهو يرى، وقال: والله غيب السموات والارض، وقال: وعنده مفاتيح الغيب، وغيرها من الآيات الشريفة.

قال في سورة الجن: ولا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول، يظهر من هذه الآية الشريفة أن الله تعالى يطلع رسوله على الغيب، هذا عيسى بن مريم سلام الله عليه كما جاء في القرآن يقول: وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم، أليس هذا علم الغيب؟

قال نبينا محمد صلى الله عليه وآله لبنته فاطمة: أنتِ اول من تلحق بي، وقال: امتي يختلفون بعدي، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: تقاتل من بعدي

الناكثين والمارقين والقاسطين، وقال لعمار بن ياسر: تقتلك الفشة الباغية وآخر شراك ضياح من لبن، وكذا أخبر بشهادة الحسين عليه السلام.

الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان مع النبي صلى الله عليه وآله في صغره وكبره، قال: إنَّ النبي عَلَّمَنِي أَلْفَ بابٍ مِنَ العِلْمِ، وَقَالَ رسولُ اللَّهِ: انا مدينة العلم وعليّ بابها، وقال أمير المؤمنين: ان النبي دعاني عند موته واخبرني عن الحوادث التي تظهر في امته، ولذلك يقول: سلوني قبل ان تفقدوني، فظهر بما ذكرنا بطلان قول المعترض.

### السجع في نهج البلاغة

قال المعترض: إنَّ في النهج اصطلاحات أدبية وكلمات مستحدثة، ما كانت العرب تعرفها في عصر الامام علي بن أبي طالب، وإنَّما ظهرت هذه الاصطلاحات في العصر العباسي، عند اختلاط العرب بسائر الملل.

هذه الشبهة صدرت منه بدافع العصبية العمياء والجهل المتراكم، ولوأنه راجع القرآن المجيد وخطب النبي صلى الله عليه وآله ما تكلم بهذه الكلمات، نعم التعصب والعناد يورد الانسان موارد الهلكة، ويخرجه عن طريق الحق والصواب.

قال رسول الله في كلماته: إنَّ الأعمار تفتني، والأجسام تبلى، والأيام تطوى، والليل والنهار يتطاردان تطارد البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، وأيضاً قال: إنَّ لكلّ شيء حساباً، ولكلّ حسنة ثواباً، ولكلّ سيئة عقاباً، وإنَّ على كلّ شيء رقيباً.

قال قس بن ساعدة الانصاري: أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وساء ذات ابراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرسة، وارض مدحاة، وأنهار مجرأة. هذا مختصر من الكثير التي رويت في كتب الاخبار والسيرة، فظهر فساد قول المعترض وبطلان رأيه في النهج.

### الإصطلاحات في نهج البلاغة:

قال المعترض: إن في نهج البلاغة اصطلاحات فلسفية واصولية وكلامية، وهذه الاصطلاحات ظهرت في القرن الثاني، ولم يعرفها الناس في عصر علي، وما كانت هذه الألفاظ مصطلحة، حتى يتكلم بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. هذه الشبهة وردت عن المستشرقين والمتجددين المقلدين عنهم، وهؤلاء قوم لا يعرفون الإسلام، ولا يعرفون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولو بحثوا في حياة الامام علي وسيرته لما وقعوا في الاشتباه، ولم يتكلموا بالباطل، ولم يقولوا غير الحق، فضلوا عن سواء السبيل.

أما جواب المعترض فنقول: هذا القرآن المجيد جاء فيه لفظ الحكيم والحكمة، قال الله: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وقال: ولقد آتينا لقمان الحكمة، وقال: ان الله عليم حكيم، وصف الله تعالى بالعلم والحكمة، أليس هذه اللفظة من اصطلاحات الفلاسفة؟

والجواب الثاني: ان أمير المؤمنين عليه السلام كان مبتكراً في العلوم والمعارف الاسلامية، وهو الذي ابتكر علم النحو وعلم اصوله، ولم تعرف العرب علم النحو، وهو الذي اخترع تاريخ الاسلام، واسس الدفاتر وديوان الخراج والأموال، وعلم منه الناس القضاء والاحكام وغيرها.

### التقسيمات في نهج البلاغة:

قال المعترض: إن في النهج تقسيمات لبعض الفضائل والرذائل، مثلاً جاء في النهج: الناس على أربعة اصناف، أو قال: من اعطي اربعاً لم يحرم اربعاً، وقال: الناس ثلاثة، وقال يا بني احفظ عني اربعاً واربعة، وكذا قال: الايمان على اربع دعائم، والصبر على اربع شعب، وغيرها.

هذه الشبهة أيضاً قد وردت من قبل المستشرقين، وتبعهم في ذلك جماعة من المتجددين الذين لا بصيرة لهم في معارف الدين، ويقولون إنّ هذه التقسيمات ما كانت مصطلحة في زمن علي، وما يعرفها العرب، وأنها ظهرت في القرن الثاني والثالث.

هذه الشبهة غير واردة، وبطلانها واضح لمن تأمل في الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله، قال رسول الله: ستة أشياء حسنة ولكنها من ستة أحسن، وقال: ثلاث كفارات وثلاث درجات وثلاث منجيات وثلاث مهلكات.

قال أيضاً: معشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال؛ ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، وقال: أخلاء ابن آدم ثلاث؛ واحد يتبعه الى قبض روحه، والثاني الى قبره، والثالث الى محشره. ومن راجع خصال الشيخ الصدوق يجد فيه أمثال هذه الروايات.

فأثبتت هذه الروايات لرسول الله صلى الله عليه وآله في التقسيمات، وكذلك ثبت للامام امير المؤمنين سلام الله عليه، لانه كان مع رسول الله واخذ منه العلوم والمعارف الالهية، وباب مدينة علمه، فليس في هذا الباب شك لمن تدبر في حياته وسيرته.

### الطاووس في نهج البلاغة:

قال المعترض: إنّ في نهج البلاغة جاء ذكر الطاووس ووصفه وخصوصياته، لاشك أنّ الطاووس ما كان يعيش في الحجاز، فمن اين رأى علي بن أبي طالب عليه السلام الطاووس حتى يصفه بهذه الصفات، ويعرفه بهذه الدقة في خلقته ولونه ولقاحه وسائر ما يختص به، كأنه عاش مع الطاووس أياماً كثيرة.

هذه الشبهة أيضاً كسائر الشبهات واهية، تدلّ على جهل قائلها، نحن نسأل من المعترض ونقول: جاء في القرآن العظيم ذكر الفيل، اكان يعيش هذا

الحيوان في الحجاز أو يعرفه العرب حتى يذكر في القرآن؟ قال الله تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

نعم جاء ابرهة ملك الحبشة لغزو مكة واهلها، وكان في مقدمة جيشه فيل عظيم، ورآه اهل مكة فصار عندهم عام الفيل مبدءاً للتاريخ وأرخوا الحوادث من هذه السنة وقالوا: ولد فلان بعد عام الفيل، او وقعت حرب في ناحية كذا بعد عام الفيل.

أليس في وسعنا أن نقول في جواب المعترض: من اين تقول أنّ الامام علي بن أبي طالب لم يره هذا الحيوان في مدة عمره؟ أنّ امير المؤمنين عليه السلام سافر الى اليمن والعراق وكذا بعض بلاد الحجاز ورأى فيها هذا الحيوان، ويمكن أيضاً أن يكون الطاووس عند بعض أهل مكة والمدينة.

لأنّ الطاووس طائر جميل ظريف، يحبّه الناس لظرافته وألوانه ومشيه، ويحفظونه في منازلهم وحدائقهم، قال ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة: يمكن ان رأى أمير المؤمنين عليه السلام الطاووس في العراق، لأن الهدايا توصل اليه من البلدان المختلفة.

ثم ان ذكر الطاووس جاء في الشعر، ولو أنّ العرب لم تره كيف ورد ذكره في أشعارهم، وهذا رؤبة بن العجاج الشاعر المعروف يقول:

كما استوى بيض النعام الاملاس      مثل الدمى تصويرهن اطواس

### الزهد في نهج البلاغة:

قال المعترض: أنّ في النهج جاءت كلمات في الزهد وترك الدنيا، كخطابه عليه السلام لنوف البكالي وهمام وشريح القاضي وموارد اخرى ذكرت في خطبه ورسائله، وهذا الزهد المفرط لم يكن له سابقة في الاسلام، فن هذه الكلمات نعلم انها ليست للامام علي بن أبي طالب.

هذه الشبهة من أوهن الشبهات التي وردت في نهج البلاغة والرد عليها، لان من راجع كلمات الامام علي عليه السلام وتفكر في معانيها علم ان المقصود من الزهد وترك الدنيا في النهج؛ هو عدم المحبة للدنيا والركون اليها ونسيان الآخرة، واتباع هوى النفس والميل الى الشهوات، واتخاذ الاموال من الحرام.

إن أمير المؤمنين سلام الله عليه كان يرشد عمّاله وامراء جنده إلى العدالة، وأن لا يظلموا الناس ولا يأخذوا أموالهم، وان لا يبنوا دوراً وقصوراً رفيعة، وتكون معيشتهم ولباسهم مثل أوساط الناس، لان الأمراء والعمال اذا كانوا كذلك صلح الناس.

هذا شريح القاضي المعروف بالكوفة اشترى داراً واسعة، فأحضره أمير المؤمنين ووبخه باشرائه الدار وبذل الدينار الكثير، لأن قاضي المسلمين لا بد أن تكون معيشته ومسكنه وملبسه متوسطة، حتى يقبل الناس قضاءه وقوله.

كتب أمير المؤمنين سلام الله عليه الى عثمان بن حنيف عامله بالبصرة، وقال له: سمعت أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك الى وليمة، فأسرعت اليها تنقل اليك الجفان وتستطاب لك الالوان، وما أظن أنك دعيت الى طعام قوم عائلهم مجفّو وغنيّهم مدعو.

يقول الامام عليه السلام: أنك عاملي ووكيلي في البصرة، ولا بد أن تعمل فيهم بسيرة الصالحين، ولا تكون عوناً وصديقاً لاهل الثروة والدنيا وتطرد الفقراء والمساكين من حولك، هذا ممّا لا يليق بحكّام المسلمين وأمرائهم.

قال العلاء بن زياد الحارثي لامير المؤمنين: إن أخي عاصم بن زياد قد ترك الدنيا ولبس الخشن، وترك أهله وعياله واولاده، ولزم المسجد واشتغل بالعبادة.

قال أمير المؤمنين: عليّ به، فلمّا حضر عنده قال عليه السلام: يا عدّي نفسه لقد استهام بك الخبيث، اما رحمت اهلك وولدك، أترى الله احلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها، قال: يا امير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك

وجشوبة مأكلك .

قال: ويحك إني لست كأنت، إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس، كيلا يتبيخ بالفقير فقره، فظهر من هذه الكلمات أنّ الاستفادة من الطيبات في المأكل والملبس والمسكن مباح، ولكن أئمة المسلمين وحكامهم يعيئون كأدنى الرعية.

### مؤلف نهج البلاغة

محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، المكتى بأبي الحسن، والملقب بذي الحسين، المعروف بالشريف الرضي رضوان الله عليه، من رجال الفكر والعلم والأدب، ومن مفاخر الاسلام والتشيع.

كان - رحمه الله - جمع شرافة النسب وطهارة المولد بفضيلة العلم والتقوى والزهد والورع، وملاً الدنيا بآثاره النفيسة في العلم والأدب والشعر، والتفسير والحديث، وطار صيته حتى بلغ الشرق والغرب، وترجمه كثير من المؤرخين في كتبهم، ونحن نذكر هنا نبذة مما قال مترجموه:

### كلمات المؤلفين حول الرضي

قال النجاشي: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن الرضي؛ نقيب العلويين ببغداد، أخو المرتضى، كان شاعراً مبرزاً، له كتب، منها: كتاب حقائق التنزيل، كتاب مجاز القرآن، كتاب خصائص الأئمة، كتاب نهج البلاغة، إلى آخر ما قال.

قال معاصره أبو منصور الثعالبي النيسابوري: أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي الموسوي النقيب، مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة،

وابتداً يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبداع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق.

يتحلّى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر، وحظّ من جميع المحاسن وافر، ثمّ هو أشعر الطالبين من مضى منهم وغبر، على كثرة شعرائهم المفلّحين كالحماني، وابن طباطبا، وابن الناصر، وغيرهم.

لوقلت: أنه أشعر قریش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجره من ذكره شاهده عدل من شعره، العالي القدح، الممتنع عن القدح، الذي يجمع الى السلاسة متانه، والى السهولة رصانة، ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها.

قال علي بن الحسن البخارزي: السيد الرضي الموسوي، رضي الله عنه، له صدر الوسادة بين الاثمة والسادة، وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذكاء: ما أنورك! ولخضارة ما أغزرك! وله شعر إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه وعقد بالنجم نواصيه.

إذا نسب، انتسب رقة الهواء الى نسيبه، وفاز بالقدح المعلّى في نصيبه، حتى إذا أنشدني الراوي غزلياته، بين يدي العزاة لقال له من العزاه، (كذا في الأصل) وإذا وصف فكلامه في الاوصاف أحسن من الوصائف والوصاف.

إذا مدح تحيّرت فيه الأوهام من مادح وممدوح، له بين المتراهنين في الحلبتين، سبق سابح مروح، وان نثر حمدت منه الأثر، ورأيت هناك خزرات من العقد تنفض، وقطرات من المزن ترفض، ولعمري أنّ بغداد قد أنجبت به فتواته ظلالها وأرضته زلالها، وانشقت شامها.

ورد شعره دجلتها، فشرب منها حتى شرق، وانغمس فيها حتى كاد أن يقال: غرق، فكلما أنشدت محاسن كلامه تنزهت بغداد في نضرة نعيمها، وانشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها، فن عقد سحره وعقود درّه قوله في مطلع قصيدة له:



## وظببية من ظباء الانس عاطلة

تستوقف العين بين الخمص والمضم

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن الحسين بن جعفر أبو الحسن العلوي نقيب الطالبين ببغداد، كان يلقب بالرّضي ذي الحسين، وهو أخو أبي القاسم المعروف بالمرتضى، وكان من أهل الفضل والأدب والعلم.

ذكر لي أحمد بن روح عنه: انه تلقّن القرآن بعد أن دخل في السن، فجمع حفظه في مدة يسيرة، قال: وصتف كتاباً في معاني القرآن يتعدّر وجود مثله، وكان شاعراً محسناً، سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الكاتب يقول: سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون:

الرضي أشعر قريش، فقال ابن محفوظ: هذا صحيح، وقد كان في قريش من يجيد القول إلا أن شعره قليل، فأما مجيد مكثّر فليس إلا الرضي، أنشدني القاضي ابو العلاء محمد بن علي قال: أنشدنا الشريف أبو الحسن الرضي لنفسه:

اشترالـمـزبـاشـت	فالـمـزبـالي
بقصـارالـمـفرانـشـت	أوالـسـمـرالـطـوال
ليسـبـالمـغـبونـعـقـلاً	مـنـشـرىـعـزأبـال
إنـمـايـتـخـرالمـال	لأثـمـانالمـمـالي

قال أبو الفرج ابن الجوزي: محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن العلوي، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، ولقبه بهاء الدولة بالرّضي ذي الحسين، ولقب اخاه بالمرتضى ذي المجدين، وكان الرضي نقيب الطالبين ببغداد؛ حفظ القرآن في مدة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة، وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً، كان عالماً فاضلاً وشاعراً مترسلاً، عفيفاً عالي الهمة، متديناً، اشترى في بعض الأيام جزءاً من امرأة بخمسة دراهم فوجد فيه جزء بخط أبي علي بن مقله، قال: فان

أردت الجزء فخذيته، وان اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم، فأخذتها ودعت له وانصرفت، وكان سخياً جواداً.

اخبر اسماعيل بن أحمد، عن أبي غالب بن بشران، قال: حدّثني الخال قال: مدحت الرضي بقصيدة، فجاءني في غلامه بتسعة وأربعين درهماً، فقلت: لا شك أنّ الغلام قد خانني، فلمّا كان بعد ايام اجتزت بسوق العروس فرأيت رجلاً يقول لآخر: أتشتري هذا الصحن فإنّه يساوي خمسة دنانير، ولقد اخرج من دار الرضي، فبيع بتسعة وأربعين درهماً، فعلمت أنّي مدحته وهو مضيق، فباع الصحن وانفذ الثمن اليّ.

قال ابن خلكان: الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب، صاحب ديوان الشعر، وكان أبوه قديماً يتولّى نقابة الطالبين ويحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم والحجّ بالناس، ثم ردت هذه الاعمال كلّها الى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وأبوه حيّ.

ذكر أبو الفتح بن جني النحوي في بعض مجاميعه: أنّ الشريف المذكور احضر الى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جدّاً لم يبلغ عمره عشر سنين، فلقّنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقة، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم.

فقال له: إذا قلنا: رأيت عمرو فإشارة النصب في عمرو فقال له الرضي: بغض عليّ، فعجب السيرافي والحاضرون من حدّة خاطره. وذكر أنّه تلقّن القرآن بعد أن دخل في السن، فحفظه في مدّة يسيرة، وصنّف كتاباً في معاني القرآن الكريم، وكتاباً في مجازات القرآن، فجاء نادراً في بابه.

لقد أخبرني بعض الأفاضل: أنّه رأى في مجموع أنّ بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي بسرّ من رأى وهو لا يعرفها، وقد أخنى عليها الزمان، وذهبت بهجتها، وأخلقت ديباجتها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة، وحسن الشارة، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان، وطوارق الحدّثان، وتمثّل بقول الشريف

الرضي من الكامل:

ولقد وقعت على ربوعهم      وطلوها بيد البيل نهب  
فبكيت حتى ضجّ من لغب      نضوي ولجّ بعذلي الركب  
وتلقّنت عيني فخذخفيت      عتّي الطلول تلقّت القلب

فرّبه شخص وسمعه وهو ينشد الأبيات، فقال له: هل تعرف هذه الدار لمن هي؟ فقال: لا، فقال: هذه الدار لصاحب هذه الأبيات؛ الشريف الرضي، فعجباً من حسن الإتفاق.

قال اليافعي في حوادث سنة ست وأربعمئة: في السنة المذكورة توفي الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني الموسوي البغدادي الشيعي؛ نقيب الاشراف، ذو المناقب ومحاسن الاوصاف، صاحب ديوان الشعر، وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات، وهو كثير الوجود.

قال ابن حجر: محمد بن الحسين الشريف الرضي أبو الحسن، شاعر بغدادي رافضي جلد، وكان عالماً، ويقال أنه لم يكن للطالبيين أشعر منه، وكان مشهوراً بالرفض.

قال الذهبي: محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي أبو الحسن، شاعر رافضي جلد.

قلت: إنّ الذهبي وابن حجر لَمَّا نظرا الى آثار الرضي — رضوان الله عليه — وفيها مناقب اهل البيت وفضائلهم، رموه بالرفض، وهذه عادتها في تراجم علماء الشيعة في سبهم وشتمهم والحظ منهم، نعوذ بالله من العصبية.

قال ابن عماد الحنبلي: الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني الموسوي البغدادي الشيعي، الشاعر المفلق الذي يقال انه أشعر قريش، وابتدأ بنظم الشعر وله عشر سنين، وكان مفرط الذكاء، له ديوان في أربع مجلدات.

قال السيد محمد باقر الخونساري: العالم العفيف والعيلم الغطريف والعلم العريف، والعنصر اللطيف والأيد المنيف، أبو الحسن محمد بن السيد النقيب والنقيب المحترم أبي أحمد حسين بن موسى، أخو سيدنا المرتضى علم الهدى والملقب بالسيد الرضي عند الأئمة والعدى.

لم يبصر بمثله إلى الآن عين الزمان في جميع ما يطلبه انسان العين من عين الانسان، فسبحان الله ورثه— غير العصمة والامامة— ما أراد من قبل أجداده الأجداد، وجعله حجة على قاطبة البشر في يوم المعاد، وأمره في الثقة والجلالة أشهر من أن يذكر.

قال أبو علي: محمد بن الحسين الرضي الموسوي نقيب العلويين؛ أخو المرتضى، كان شاعراً مبرزاً فاضلاً، عالماً، ورعاً، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، له حكاية في شرف النفس، ذكرناها في كتابنا الكبير، كان ميلاده في سنة تسع وخسين وثلاثمائة.

قال الحاج الميرزا حسين النوري الطبرسي: السيد الجليل، العالم النبيل، أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسين بن موسى الشريف ذي الحسين، لقبه بذلك الملك بهاء الدولة، وكان يخاطبه بالشريف الأجل، ولد في سنة تسع وخسين وثلاثمائة ببغداد، وكان ابوه يتولى نقابة الطالبين والحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم، والحج بالناس، ثم ردت هذه الاعمال كلها اليه.

قال الشيخ آغا بزرك الطهراني: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام؛ الشريف النقيب أبو الحسن الرضي، ولد سنة ٣٥٩، وتولى النقابة سنة ٣٨٠، وتوفي سنة ٤٠٦، كان نقيب العلويين ببغداد، وجلس مكانه اخوه المرتضى.

قال العلامة المرزا حبيب الله الخوئي: هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق

عليهما السلام، وفي رجال أبي علي عن تاريخ اتحاف الورى باخبار أم القرى، في حوادث سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، قال: فيها حجّ الشريفان المرتضى والرضي، فاعتقلها في اثناء الطريق ابن الجراح الطائي، فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما.

قال كمال الدين بن ميثم البحراني في مقدّمة شرحه على نهج البلاغة: إلى أن عضد الله الاسلام بوجود السيد الإمام، الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي - قدس الله سرّه ونور ضريحه - فأحى من كلام جدّه الرفات، وجمع منه ما كان في حيز الشتات، وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة، وسمّى مجموعته بنهج البلاغة؛ فجاء الاسم وفق المسمّى، واللفظ طبق المعنى، فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء، وحباه من وظائف الفضل أجزل الحباء.

قال العلامة الحليّ: محمد بن الحسين الرضي الموسوي نقيب العلويين ببغداد؛ أخو المرتضى، كان شاعراً مبرزاً، فاضلاً، ورعاً، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، له حكاية في شرف النفس، ذكرناها في كتابنا الكبير، كان ميلاده سنة ٣٥٩، وتوفّي سنة ٤٠٦.

قال ابن تغرى بردى في حوادث سنة ٤٠٦: وفيها توفّي محمد بن حسين بن موسى، الشريف أبو الحسن الرضي الموسوي، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، كان عارفاً باللغة والفرائض والفقه والنحو، وكان شاعراً فصيحاً، عالي الهمة، متديناً، إلاّ أنّه كان على مذهب القوم، إماماً للشيعه هو وأبوه وأخوه، ومن شعره من جملة أبيات:

يا صاحبنيّ قفالي واقضيا وطراً \* وحدّثاني عن نجد بأخبار  
 هل روّضت قاعة الوعاء أو مطرت \* خيلة الطلح ذات البان والغار  
 تضوع أرواح نجد من ثيابهم \* عند القدوم لقرب العهد بالدار  
 قال محمد فريد وجدي: الرضي. هو محمد بن أبي احمد الحسين بن موسى،

ولد سنة ٣٥٩، واشتغل بالعلم، فظهرت له ميزة على أقرانه، ثم ذكر ما نقلناه عن الثعالبي وغيره، قال: وكان من سموّ المقام بحيث يكتب الى الخليفة القادر بالله العباسي احمد بن المقتدر من قصيدة طويلة:

عظفاً أمير المؤمنين فأتنا \* في دوحة العلياء لانتفرق  
 ما بيننا يوم الفخار تفاوت \* أبداً كلانا في المعالي معرق  
 إلا الخلافة ميزتك فأتني \* أناعا طل منها وأنت مطوق

قال المحدث الشهرير الشيخ يوسف البحراني: السيد الرضي أخو السيد المرتضى، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد، يلقب بالرضي ذي الحسين، لقبه بذلك بهاء الدولة، وكان يخاطبه بالشريف الأجلّ، وكان أبوه تولى النقابة للطالبين والحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم، والحج بالناس، ثم ردت هذه الأعمال كلها اليه في سنة ٣٨٠ وابوه حيّ.

قال محمد أبو الفضل ابراهيم في مقدمة أمالي السيد المرتضى: وكان للكثير من ملوك بني بويه من لطافة الحسّ وزكاة الطبع، ورهافة الذوق، ورجاحة العقل، ما هياً لهم أن يكونوا كتاباً أو شعراء، وما دفع بعضهم للمشاركة في العلوم، والأخذ بنصيب من أطراف الفنون، فحدبوا على العلماء، وأغدقوا على الشعراء، وعرفوا للأدباء أقدارهم.

فولّوهم الوزارة والإمارة والقضاء في كثير من الأحيان، وكانوا أيضاً من شيعة عليّ، وعلى هوى احفاده من أبناء الحسن والحسين، فخصّوهم بالكرمة، ومنحوهم أرفع المناصب، وأذنوهم من نفوسهم، وقربوهم في مجالسهم، وظاهروهم في المناظرة، ودفعوهم الى الجهر بالرأي والادلاء بالحجّة.

في هذه الحقبة النادرة في تاريخ العلوم، وفي هذا العصر الحالي بأزاهير الفنون والآداب، وفي تلك الدولة التي قام في أكنافها العلماء والشعراء والادباء، عاش الشريف المرتضى علي بن الحسين، وأخوه الشريف محمد بن الحسين، واتخذوا

مكانها بين ذوي المثالة وأعيان الشرف والفضل من الاعلام.

فكان المرتضى عالماً فقيهاً، متكلماً، خبيراً بقرض الشعر؛ بصيراً بمذاهب الكلام، وكان الرضي شاعراً مطبوعاً، متصرفاً، كاتباً، بارعاً، واثق الديباجة، صافي الاسلوب، مشاركاً في التأليف والتصنيف، وقضيا حياتها مرعيتي الجانب، رفيعي المنزلة، مرموق المحل، عظيمي الخاطر والجاه عند خلفاء بني العباس والملوك من بني بويه على السواء.

قال الشيخ عباس القمي: الشريف الرضي؛ هو السيد الأجل أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى أخو الشريف المرتضى، أمره في العلم والفضل والأدب والورع وعفة النفس وعلو الهمة والجلالة، أشهر من أن يذكر، وقد خفي علو مقامه في الدرجات العلمية مع قلة عمره لعدم انتشار كتبه وقلة نسخها.

إنما الشايخ منها نهجه وخصائصه، وهما مقصوران على الثقليات، نعم في هذه الأزمنة انتشرت نسخة المجازات النبوية، الحاكية عن علو مقامه في الفنون الأدبية، وله تفسير على القرآن الكريم المسمى بمقائيق التنزيل، قال في حقه أبو الحسن العمري: هو أحسن من كل التفاسير، وأكبر من تفسير أبي جعفر الطبري. قال الشيخ محمد عبده: أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الشريف الرضي، جامع الكتاب، قال بعض وصفه - رحمه الله -: كان شاعراً مقلقاً، فصيح النظم، ضخم الالفاظ، قادراً على القريض، متصرفاً في فنونه، ان قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشق له فيه غبار.

إن قصد المرآئي جاء سابقاً، والشعراء منقطعة الانفاس، وكان مع هذا مترسلاً، كاتياً، بليغاً، متين العبارات، سامي المعاني، وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة، وأجود لما جمع منه مجموع أبي حكيم الحيري، وهو ديوان كبير يدخل في أربعة مجلدات.

قال ابن أبي الحديد: كان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمة، ملتزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة، حتى أنه ردّ صلات أبيه، وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف، فأما بنوبويه فأنهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل.

كان يرضى بالإكرام، وصيانة الجنب، واعزاز الاتباع والاصحاب، كان الطائع أكثر ميلاً إليه من القادر، وكان هو أشدّ حباً وأكثر ولاء للطائع منه للقادر، وكان الرضي لعلو همته، تنازعه نفسه إلى أمور عظيمة يجيش بها خاطره، وينظمها في شعره، ولا يجد من الدهر عليها مساعدة، فيذوب كمدماً ويفنى وجداً، حتى توفى ولم يبلغ غرضاً، فمن ذلك قوله:

ما أنال للعلياء إن لم يكن \* من ولدي ما كان من والدي  
ولا مشتبى الخيل إن لم أطأ \* سريرهذا الأصيل الماجد<sup>(١)</sup>

قال الشيخ عبدالحسين الأميني: سيدنا الشريف الرضي هو مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة، وإمام من أئمة العلم والحديث والأدب، وبطل من أبطال الدين والعلم والمذهب، هو أول ما ورثه سلفه الطاهر من علم متدقّق، ونفسيات زاكية، وأنظار ثاقبة، وإباء وشيم وأدب بارع، وحسب نقي، ونسب نبوي، وشرف علوي، ومجد فاطمي، وسؤدد كاظمي.

إلى فضائل قد تدفق سيلها الآتي، ومآثر قد التظمت أواذيتها الجارفة، ومهما تشدق الكاتب فإنّ في البيان قصوراً عن بلوغ مداه، وللتنقيب تقاعساً عن تحديد غايته، وللوصف انحصاراً عن استكناه حقيقته<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ١/٣١-٤١.

(٢) الغدير: ٤/١٨١.



### ولادته:

ولد سنة ٣٥٩ في بغداد عاصمة العلم والدين في ذلك الزمان، في بيت جليل علوي موسوي، وكان أباه الكرام من أفاضل الأشراف، ومن رجال العلم والفضيلة، والتقوى والديانة، كان والده نقيب الأشراف وأمير الحج، فنشأ الرضي رضوان الله عليه في حجر أبوين كريمين.

اتفق المؤرخون والمحدثون في تاريخ ولادته، ولم يختلف فيه اثنان، وجاءت ترجمته وحياته وآثاره في المعاجم الأدبية والتاريخية، وأثنوا عليه ومدحوه وبجلوه، ولو حققنا في تاريخ حياته وآثاره العلمية والأدبية لطالت هذه المقدمة، ولذلك أعرضنا عن التطويل.

### تربيته وتعلمه:

قرأ الشريف الرضي القرآن على الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي، وهذا أول من تعلم منه الرضي وهو شاب. قال الشيخ ابو الفرج بن الجوزي في التاريخ في وفاة الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبري: كان شيخ الشهود المعدلين ببغداد ومتقدمهم، وسمع الحديث الكثير، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم.

قال: وعليه قرأ الشريف الرضي — رحمه الله — القرآن وهو شاب حدث السن، فقال له يوماً: أيها الشريف أين مقامك؟ قال: في دار أبي بباب محول، فقال: مثلك لا يقيم بدار أبيه، قد نخلتكَ داري بالكرخ المعروفة بدار البركة.

فامتنع الرضي من قبولها، وقال له: لم أقبل من أبي قط شيئاً، فقال: إن حقي عليك أعظم من حق أبيك عليك، لأنني حفظتكَ كتاب الله تعالى، فقبلها. قال ابن أبي الحديد: حدثني فخار بن معد العلوي الموسوي — رحمه الله —

قال: رأى المفيد أبو عبدالله محمد بن النعمان الفقيه الامامي في منامه؛ كأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ، ومعها ولداها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين، فسلمتها اليه وقالت له: علمهما الفقه.

فانتبه متعجباً من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا، دخلت اليه المسجد فاطمة بنت الناصر، وحوها جوارها وبين يديها ابناها محمد الرضي وعلي المرتضى صغيرين، فقام إليها وسلم عليها. فقالت له: أيها الشيخ هذان ولداي، قد احضرتها لتعلمها الفقه، فبكى أبو عبدالله وقصّ عليها المنام، وتولّى تعليمها الفقه، وأنعم الله عليهما، وفتح لها من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنها في آفاق الدنيا، وهو باقٍ ما بقي الدهر.

### ديانته وعفته:

كان السيد الرضي — رضوان الله عليه — عفيفاً تقيّاً، صالحاً، وصفه بذلك أصحابه وأساتذته ومن عاشره، ونحن نذكر هنا ما ذكره أرباب التراجم، ونقله الآثار، ورواة الأخبار، وكانت سيرته مثل سيرة آبائه أبناء الأئمة الطاهرين. حكى أبو اسحاق محمد بن هلال الصابي الكاتب قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهدي ذات يوم حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي، وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فألقاها وقام كالمدهش، حتى استقبله من دهليز الدار وأخذ بيده وأعظمه، وأجلسه في دسته.

ثم جلس بين يديه متواضعاً، وأقبل عليه بمجامعه، فلما خرج الرضي خرج معه وشيخه إلى الباب ثم رجع، فلما خفت المجلس قلت: أيأذن الوزير أعزه الله أن أسأله عن شيء، قال: نعم، وكأني بك تسأل عن زيادتي في إعظام الرضي، فقلت: نعم أيّد الله الوزير.

فقال: أما الرضي فبلغني ذات يوم أنه ولد له غلام فأرسلت اليه بطبق فيه ألف دينار، فردّه وقال: قد علم الوزير أنني لا أقبل من أحد شيئاً، فرددته اليه وقلت: أنني أنما أرسلته للقوابل، فردّه الثانية وقال: قد علم الوزير أنه لا تقبل نساءنا غريبة، فرددته اليه وقلت: يفرّقه على ملازميه.

فلما جاءه الطبق وحوله طلاب العلم قال: هاهم حضور، فليأخذ كلّ أحد ما يريد، فقام رجل وأخذ ديناراً، فقرض من جانبه قطعة وأمسكها، وردّ الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك، فقال: احتجت إلى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً.

فاقترضت من فلان البقال دهناً، فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في دار قد اتخذها لهم سماًها دار العلم، وعيّن لهم جميع ما يحتاجون اليه.

فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة، ويدفع الى كلّ منهم مفتاح، ليأخذ ما يحتاج اليه ولا ينتظر خازناً يعطيه، وردّ الطبق على هذه الصورة، فكيف لا أعظم من هذا حاله.

### شجاعته:

كان— رحمه الله— شجاعاً صريح اللهجة، لا يهاب أحداً، ويقول الحقّ ويظهره، ولا يخاف من أهل الدنيا وأرباب الدولة والسياسة والحلفاء والملوك، وهو الذي خاطب الخليفة العباسي القادر بالله بهذه الأبيات:

ما بيننا يوم الفخار تفاوت • أبدأ كلانا في المفاخر ممرق  
إلا الخلافة قدّمك وأنتي • أناعاطل منها وأنت مطوق

ذكر أبو الحسن الصابي وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما: أن القادر بالله عقد مجلساً، أحضر فيه الطاهر أبو أحمد الموسوي، وابنه أبو القاسم المرتضى، وجماعة

من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضي أبي الحسن التي أولها:

- ما مقامي على المهوان وعندي \* مقول صارم وأنف حمي
- وإباء محلق بي عن الضيم \* كما زاغ طائر وحشي
- أتى عذرله الى المجد أن ذ \* ل غلام في غمده المشرفي
- أحمل الضيم في بلاد الأعادي \* وبمصر الخليفة الفاطمي
- من أبوه أبي ومولاه مولا \* ي اذا ضامني البعيد القصي
- لقت عرقي بعرقه سيد النا \* س جميعاً عمداً وعلي

قال القادر للنقيب أبي أحمد: قل لولدك محمد: أتى هوان قد أقام عليه عندنا؟ أتى ضيم لقي من جهتنا؟ وأتّى ذل أصابه في مملكتنا؟ وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنعنا؟ ألم نولّه النقابة؟ ألم نولّه المظالم؟

ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز؟ وجعلناه أميراً للحجيج؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا؟ ما نظنه كان يكون لو حصل عنده إلا واحداً من أبناء الطالبيين بمصر، فقال النقيب أبو أحمد: أمّا هذا الشعر فمّا لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نخله إياه وعزاه إليه، فقال القادر: إن كان كذلك فلتكتب الآن محضراً يتضمّن القدر في أنساب ولاة مصر، ويكتب محمد خطه فيه، فكتب محضراً بذلك، شهد فيه جميع من حضر المجلس، منهم النقيب أبو أحمد وابنه المرتضى، وحمل المحضر إلى الرضي ليكتب خطه فيه، حمله أبوه وأخوه.

فامتنع من سطر خطه، وقال: لا أكتب، وأخاف دعاة صاحب مصر، وأنكر الشعر، وكتب خطه وأقسم فيه أنه ليس بشعره، وأنه لا يعرفه، فأجبره أبوه على أن يكتب خطه في المحضر، فلم يفعل وقال: أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لي، فانهم معروفون بذلك.

فقال أبوه: يا عجباه! أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف

من بينك وبينه مائة ذراع، وحلف لا يكلمه، وكذلك المرتضى، فعلا ذلك تقية وخوفاً من القادر، وتسكيناً له، ولما انتهى الأمر الى القادر سكت على سوء أضمره، وبعد ذلك بايام صرفه عن النقابة.

### مقامه في الأدب والشعر:

كان الرضي - رضوان الله عليه - شاعراً، أديباً، عارفاً باللغة والنحو، بصيراً بها منذ حداثة سته، وكان بيته مأوى للشعراء وأهل الأدب؛ يجتمعون عنده ويتناشدون أشعارهم، حتى قيل: أنه أشعر قريش على كثرة شعرائهم.

ذكرنا في الفصل السابق من هذا المقام كلمات المؤلفين في حقّه، أمثال الثعالبي النيسابوري، وأبو الحسن الباخري في اليتيمة ودمية القصر، وهذا الصاحب بن عباد الوزير المعروف والشاعر المشهور، كان مولعاً بمطالعة أشعاره وآثاره.

قال الشيخ عبدالحسين الأميني: من الواضح أن الواقف على نفسيات سيدنا الشريف ومواقفه العظيمة، من العلم والسؤدد والمكانة الرفيعة، يرى الشعر دون قدر الشريف، ويجد نفسه أعلى من أنفس الشعراء وأرفع، ويرى الشعر لا يهد للشريف كياناً على كيانه، فيقول:

وما الشعر فخري ولكنما \* أطول به همة الفاخر  
انزّهه عن لقاء الرجال \* وأجعله تحفة الزائر  
فيا تهدي اليه الملو \* كإلامن المثل السائر  
وإني وإن كنت من أهله \* لتنكر في حرفة الشاعر  
وقال أيضاً:

وما قولي الأشعار إلا ذريعة \* إلى أمل قد آن قود جنيبه  
وإني إذا ما بلغ الله غاية \* ضمنت له هجر القريض وحبوه

ومن شعره في صباه وله عشر سنين:

- المجد يعلم أن المجد من أربي \* ولتو ما ديت في غي وفي لعب
- أتي لمن معشر إن جمعوا لعلی \* تفرقوا عن نبي أو وصي نبي
- إذا هممت ففتش عن شباممي \* تجده في مهجات الأنجم الشهب

وقال أيضاً بمناسبة يوم الغدير:

- غدر السرور بنا وكان \* وفاؤه يوم الغدير
- يوم أطاف به الوصي \* وقد تلتقّب بالأمر
- فتسلّ فيه ورد عار \* ية السرّام إلى المعير
- وابتزاز أعمارهموم \* بطول أعمار السرور

قال السيد جمال الدين بن عتبة: شعره مشهور، وهو أشعر قریش، وحسبك أن يكون أشعر قبيلة في أولها مثل الحارث بن هشام، وهبيرة بن وهب، وفي آخرها مثل محمد بن صالح الحسيني، وابن طباطبا الاصفهاني، وعلي بن محمد صاحب الزنج، وإنما كان أشعر قریش، لان المجيد منهم ليس بمكث، والمكث ليس بمجيد، والرضي جمع بين الإكثار والإجادة.

كان ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب له صديقاً، وبينها لحمه الأدب ووشائجه ومراسلات ومكاتبات بالشعر، فكتب الصابي الى الرضي في هذا النقط:

- أباحسن لي في الرجال فراسة \* تعودت منها أن تقول فتصدقا
- وقد خبرتني عنك أنك ماجد \* سترقى الى العلياء أبعد مرتقى
- فوفيتك التعظيم قبل أوانه \* وقلت أطال الله للسيد البقا
- وأضمرت منه لفظة لم أبح بها \* الى أن أرى اظهارها لي مطلقا
- فان مت أو ان عشت فاذا كبر شارقى \* وأوجب بها حقاً عليك محققا
- وكن لي في الاولاد والأهل حافظاً \* إذا ما اطمان الجنب في مضجع البقا

فكتب اليه الرضي جواباً عن ذلك قصيدة، أولها:

سننت لهذا الريح غرباً منذلقاً \* وأجريت في ذا المهندواني رونقا  
وسومت ذا الطرف الجواد وأتأ \* شرعت لها نهجاً فخب وأعنقا  
وقال:

بنوهاشم عين، ونحن سوادها \* على رغم من يأبى، وأنتم قذاتها  
وأعجب ما يأتى به الدهر أنكم \* طلبتم على ما فيكم أدواتها  
وأملتم أن تدركوها طوالماً \* دعوها سيسمى للمعالي ساعاتها  
غرست غروساً كنت أرجولقاحها \* وآمل يوماً أن تطيب جناتها  
فإن أثمرت لي غير ما كنت آملاً \* فلا ذنب لي إن حظلت نخلاتها  
وقال:

لنا الدوحة العليا التي نزعنا لها  
الى المجد اغصان الجدود الأطائب  
إذا كان في جوار الساء عرووقها  
فأين عواليها وأين الذوائب (١)  
وقال:

تعزماً اسطعت فالدنيا مفارقة  
والعمر يعنق والمغرور في شغل  
والعقل أبلغ من عزاك عن جنع  
والصبر أذهب بالبلوى من الوجمل  
وقال:

ليس الفناء بأمون على أحد \* ولا البقاء بمقصور على رجل  
وقال:

لو أنها بفناء البيت سافحة  
لصدتها وابتدعت الصيد في الحرم

قدرت منها بلا رقي ولا حذر  
 على النذي نام عن ليلي ولم أنم  
 بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى  
 يلقنا الشوق من فوق الى قدم  
 وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا  
 على الكثيب فضول الريط واللمم  
 يمشي بنا الريح أحياناً وآونة  
 يضيئنا البرق مجتازاً على أضرم  
 وبات بارق ذاك الثغري يوضح لي  
 مواضع اللثم في داج من الظلم

وقال:

عطون بأعناق الظباء وأشرفت  
 وجوه عليها نضرة ونعيم

### ألقابه:

في عصر السيد الرضي رضوان الله عليه كانت الخلافة تخاطب رجال العلم والدين والسياسة بألقاب وعناوين مخصوصة، وتصدر الألقاب من الخليفة العباسي، أو من جانب صدر الصدور، وتعطى هذه العناوين لصاحب المناصب العالية ورجال الدولة.

ومن الذين نالوا هذه المرتبة الجليلة ولقبوا بألقاب مخصوصة هو الشريف الرضي؛ في سنة ٣٣٨ لقبه بهاء الدولة بالشريف الأجل، وفي سنة ٣٩٠ لقبه بنذي المنتقبتين، وفي سنة ٣٩٨ لقبه بالرضي ذي الحسين، وفي سنة ٤٠١ أمر أن تكون مخاطباته ومكاتبته بعنوان الشريف الأجل، وهو أول من خوطب بذلك من الحضرة



### نقابته:

النقابة موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحجى وأمره فيهم أمضى، وهي على ضربين: عامة وخاصة، فعمومها: أن يرده إلى النقيب في النقابة عليهم خمسة أشياء:

- ١- الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.
  - ٢- الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.
  - ٣- إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبهوه.
  - ٤- تزويج الأيامي اللاتي لا يتعين أولياؤهن، أو قد تعينوا، فعضلوهن.
  - ٥- إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه، وفكّه إذا أفاق ورشد.
- فيصير بهذه الخمسة عام النقابة، فيعتبر حينئذ في صحّة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالماً من أهل الإجتهد، ليصحّ حكمه، وينفذ قضاؤه، وهذه النقابة كانت ولايتها لسيدنا المترجم<sup>(٢)</sup>.

### إمارة الحج:

عين السيد الرضي - رحمه الله - أميراً للحجّ، وحجّ مراراً بهذا العنوان نيابة عن أبيه مع أخيه المرتضى، ومستقلاً بها في سنة ٣٨٠، والولاية على الحجّ ضربان: أحدهما: أن تكون على تسيير الحجيج، والثاني: على إقامة الحج، فأما تسيير الحجيج فهو: ولاية سياسية وزعامة وتدبير، والذي عليه في حقوق هذه الولاية عشرة

(١) الغدير: ٢٠٤/٤.

(٢) الغدير: ٢٠٧/٤.

أشياء:

- ١- جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرقوا.
- ٢- ترتيبهم في المسير والنزول.
- ٣- يرفق بهم في السير، حتى لا يعجز عنه ضعيفهم، ولا يضل عنه منقطعهم.

- ٤- أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها.
  - ٥- أن يرتاد لهم المياه اذا انقطعت، والمراعي اذا قلت.
  - ٦- أن يحرسهم إذا نزلوا، ويحوطهم إذا رحلوا.
  - ٧- أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير.
  - ٨- أن يصلح بين المتشاجرين، ويتوسط بين المتنازعين.
  - ٩- أن يقوم زائغهم ويؤدب خائنهم.
  - ١٠- أن يراعي اتساع الوقت حتى يؤمن الفوات.
- أما الولاية على إقامة الحج: فالوالي فيه بمنزلة الإمام في إقامة الصلوات، ومن شروط الولاية عليه مع الشروط المعتبرة في أئمة الصلوات، أن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه، عارفاً بمواقبته وأيامه، وتكون مدة ولايته مقدرة بسبعة أيام، من صلاة الظهر من اليوم السابع الى اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، ويختص بولايته خمسة أحكام:

- ١- إشعار الناس بوقت إحرامهم والخروج إلى مشاعرهم.
- ٢- ترتيبهم للمناسك على ما استقرّ الشرع عليه.
- ٣- تقدير المواقف بمقامه فيها ومسيره عنها.
- ٤- أتباعه في الأركان المشروعة فيها.
- ٥- إمامتهم في الصلوات (١).

### ولايته على المظالم:

الولاية على المظالم إحدى مناصب الشريف الرضي، ويشترط أن يكون صاحب هذا المنصب الجليل عالماً، فاضلاً، شجاعاً، ورعاً، يعدل في الناس، ويحكم بالحق، ولا يخاف من أحد، ويكون الحق نصب عينه، وأن يكون نافذ الأمر، عفيفاً، قليل الطمع، وخصماً للمظالم، ووعواً للمظلوم.

قال ابن عسبة: وكان الرضي ينسب إلى الإفراط في عقاب الجاني من أهله، وله في ذلك حكايات، منها: ان امرأة علوية شكت إليه زوجها، وأنه يقامر بما يتحصل له من حرفة يعانيتها، وأن له أطفالاً، وهو ذو عيلة وحاجة.

شهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت، فاستحضره الشريف وأمر به فبطح، وأمر بضربه فضرب، والمرأة تنتظر أن يكف، والآن أمر يزيد، حتى جاوز ضربة مائة خشبة، فصاحت المرأة: وإيتم أولادي، كيف تكون صورتنا إذا مات هذا؟ فكلّمها الشريف الرضي بكلام فظ، فقال: ظننت أنك تشكينه إلى المعلم.

### وفاته ومدفنه:

توفى الشريف الرضي رضوان الله عليه يوم الأحد، السادس من المحرم سنة ٤٠٦هـ، وصرح به معاصره أبو العباس النجاشي في رجاله، وتبعه في ذلك كل من ترجمه، كتاريخ بغداد للخطيب، وعمدة الطالب، وروضات الجنّات، وغيرها. قال العلامة الأميني— رحمه الله—: وعند وفاته حضر داره الوزير أبو غالب فخر الملك، وسائر الوزراء والأعيان والأشراف والقضاة، حفاة ومشاة، وصلّى عليه فخر الملك، ودفن في داره الكائنة في محلة الكرخ بخط مسجد الانباريين.

لم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى، ولم يصلّ عليه، ومضى من جزعه عليه الى الامام موسى بن جعفر عليهما السلام، لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته،

ومضى فخر الملك بنفسه آخر النهار الى أخيه المرتضى بالمشهد الكاظمي، فألزمه بالعود الى داره.

ذكر كثير من المؤلفين نقل جثمانه الى كربلاء المشرفة بعد دفنه في داره بالكرخ، فدفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى، ويظهر من التاريخ أن قبره كان في القرون الوسطى مشهوراً معروفاً في الحائر المقدس، وقال صاحب عمدة الطالب: وقبره في كربلاء ظاهر معروف.

قد رثى الشريف الرضي غير واحد ممن عاصروه، وفي مقدمهم أخوه علم الهدى بقوله:

يال للرجال لفجعة جذمت يدي • ووددت لو ذهبت عليّ براسي  
ما زلت أحذر وقعها حتى أتت • فحسوتها في بعض ما أنا حاسي  
ومطلتها زمناً فلمّا ضمنت • لم يجديني مظلٍ وطول مكاسي  
لا تنكروا من فيض دمعي عبرة • فالدمع غير مساعد ومواسي  
لله عمرك من قصير طاهر • ولرب عمر طال بالأدناس

وممن رثاه تلميذه في الأدب مهيار الديلمي:

من جبّ غارب هاشم وسنامها • ولوى لويّاً فاستنكّ مقامها  
وغزاقريشاً بالبطاح فلقها • بيد وقوّض عزّها وحيامها  
وأناخ في مضرب كل كل خسف • يستام واحتملت له ما سامها  
من حلّ مكة فاستباح حرّمها • والبيت يشهد واستحلّ حرامها  
ومضى بيثرب مذعجاً ما شاء من • تلك القبور الطاهرات عظامها  
يبكي النبي ويستنيح لفاطم • بالطق في ابنائها أيامها  
الدين ممنوع الحمى من راعه • والدار عالية البناء من رامها  
أتناكرت أيدي الرجال سيوفها • فاستسلمت أم أنكرت إسلامها  
أم غال ذا الحسين حامي ذودها • قدر أراح على الغدوسوامها

## آثاره العلمية والادبية:

- ١- أخبار قضاة بغداد.
- ٢- تعليق خلاف الفقهاء.
- ٣- تعليقة على ايضاح أبي علي الفارسي.
- ٤- تلخيص البيان عن مجاز القرآن.
- ٥- الحسن من شعر الحسين.
- ٦- حقائق التأويل في متشابه التنزيل.
- ٧- خصائص الاثمة.
- ٨- ديوان شعره.
- ٩- رسائل الشريف الرضي.
- ١٠- زيادات في شعر ابن الحجاج.
- ١١- زيادات في شعر أبي تمام.
- ١٢- سيرة أبيه أبي أحمد الموسوي.
- ١٣- ما دار بينه وبين أبي اسحاق.
- ١٤- مجازات الآثار النبوية.
- ١٥- مختار شعر أبي اسحاق الصابي.
- ١٦- معاني القرآن.
- ١٧- نهج البلاغة<sup>(١)</sup>.

### مشايخه وأساتذته:

يروى الشريف الرضي عن جماعة من العلماء والمحدثين وهم:

- ١- ابراهيم بن أحمد بن محمد أبو اسحاق الطبري المالكي الفقيه.
- ٢- الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي النحوي، المتوفى سنة ٣٧٧.
- ٣- حسن بن عبدالله المرزبان أبو سعيد النحوي، المتوفى سنة ٣٦٨.
- ٤- عبدالجبار بن أحمد أبو الحسن الشافعي المعتزلي، من قضاة بغداد.
- ٥- عبدالرحيم بن محمد أبو يحيى المعروف بابن نباتة، صاحب الخطب، المتوفى سنة ٣٩٤.

- ٦- عبدالله بن محمد أبو محمد الاسدي الأكفاني.
- ٧- عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح، المتوفى سنة ٣٩٢.
- ٨- علي بن عيسى الربيعي أبو الحسن النحوي البغدادي، المتوفى سنة

.٤٢٠

- ٩- عمر بن ابراهيم بن أحمد أبو حفص الكناني.
- ١٠- عيسى بن علي بن عيسى أبو القاسم.
- ١١- محمد بن عمران أبو عبدالله المرزباني الخراساني، المتوفى سنة ٣٨٤.
- ١٢- محمد بن محمد بن النعمان أبو عبدالله الشيخ المفيد.
- ١٣- محمد بن موسى أبو بكر الخوارزمي.
- ١٤- هارون بن موسى أبو محمد التلعكبري، المتوفى سنة ٣٨٥<sup>(١)</sup>.

### تلامذته والرايون عنه:

- روى عن الشريف الرضي عدّة من رجال العلم والحديث والأدب وهم:
- ١- أحمد بن الحسين بن أحمد أبو بكر الخزازي النيسابوري.
  - ٢- أحمد بن علي بن قدامة، المتوفى سنة ٤٨٦هـ.
  - ٣- السيدة النقية بنت السيد المرتضى، روت عن عمّها.
  - ٤- جعفر بن محمد الطرشتي الرازي.
  - ٥- عبدالرحمن بن أحمد بن يحيى النيسابوري.
  - ٦- عبدالكريم بن محمد أبو نصر بن الديباجي، المعروف بسبسط بشر

الحافي.

- ٧- عبدالله بن علي بن كيا بكي ابوزيد الحسيني الجرجاني.
- ٨- علي بن بندار أبو الحسن الهاشمي.
- ٩- محمد بن الحسن شيخ الطائفة الطوسي.
- ١٠- محمد بن علي أبو عبدالله الحلواني.
- ١١- محمد بن أحمد أبو منصور العكبري<sup>(١)</sup>.

### والده:

الحسين بن موسى أبو أحمد؛ كان عظيم المنزلة في الدولتين العباسية والبويعية، لقبه أبو نصر بهاء الدين بالطاهر الأوحّد، وولي نقابة الطالبين خمس مرّات، ومات وهو النقيب، وذهب بصره، ولولا استعظام عضد الدولة أمره، ما حمله على القبض عليه، وحمله الى قلعة بفارس.

فلم يزل بها حتى مات عضد الدولة، فأطلقه شرف الدولة بن العضد،

(١) الغدير: ٤/١٨٤ وشرح الراوندي الورقة ١.

واستصحبه حين قدم بغداد، وله في خدمة الملة والمذهب خطوات سديدة، ومساع مشكورة، وقدم وقدم، ولد سنة ٣٠٤، وتوفي ليلة السبت ٢٥ جمادى الأولى سنة ٤٠٠، وقد أناف على التسعين.

### أقمه:

أمّ السيد الشريف الرضي؛ فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير، ابن أبي الحسين إجمد بن محمد الناصر الكبير الاطروش، بن علي بن الحسن الاصغر بن عمر الاشرف، بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

### مما قيل في «نهج البلاغة»

نهج البلاغة يهدي السالكين إلى مواطن الحق من قول ومن عمل  
فاسلكه تهدي إلى دار السلام غداً. \* وتحفظ فيها بما ترجوه من أمل  
وقيل أيضاً:

كتاب كأنه الله رضع لفظه \* بجوهر آيات الكتاب المنزل  
حورت حكماً كالدر تنطق صادقاً \* ولا فرق إلا أنه غير منزل

للإمام أبي يوسف يعقوب بن أحمد النيسابوري كتب على نسخة من هذا

الكتاب:

نهج البلاغة نهج مهيع جدد \* لمن يريد علواً ماله أمد  
يا عادلاً عنه تبغي بالهوى رشداً \* اعدل اليه ففيه الخير والرشد  
والله والله إن التاركين عموا \* عن شافيات عظات كلّها سد  
كأنها العقد منظوماً جواهرها \* صلى على ناظميها ربنا الصمد  
ما حالهم دونها إن كنت تصفني \* إلا العنود وإلا البغي والحسد

واقتنى به ابنه الامام أبو بكر الحسن بن يعقوب:

نهج البلاغة روض جاده درر \* نهج البلاغة درج ضمنه درر



نهج البلاغة وشى حاكه صنع \* من دون موشيه الشرقوب والخبر  
 أوجونة ملئت عطراً إذ افتحت \* خيشومنا فغمت ريح لها ذفر  
 صدقتكم سادتي والصدق من عادتي \* وهذه شيمة ما عابها بشر  
 صلى الاله على بجرراً وأذيه \* رمت به نحونا مالاً لأ القمر  
 قال علي بن أحمد الفنجكردى النيسابوري:

نهج البلاغة من كلام المرتضى \* جمع الرضي الموسوي السيد  
 بهر العقول بحسنه وبهائه \* كالدرة فصل نظمه بزبرجد  
 الفاظه علوية لكتها \* علوية حلت محل الفرقد  
 فيه لأرباب البلاغة مقنع \* من يعن باستظهاره يستنجد  
 وترى العيون اليه صبوراً إن قرأ \* منه كتاباً رايعاً في مشهد  
 اعجب به كلماته قد ناسبت \* كلمات خير الناس طراً أحمد  
 نعم المعين على الكتابة للفتى \* وبه الى طرق الكتابة يهتدي  
 واجل يعقوب بن أحمد ذكره \* لعلوه تته وطيب المولد  
 ودعا اليه معرضاً أصحابه \* فعل الحنيفي الهمم المرشد  
 ثم ابنه الحسن الموفق بعده \* فيه بسنته الرضية مقتد  
 كم نسخة مقررة حصلت به \* مسموعة لأولي النهى والسؤدد  
 يارب قربه وأكرم نزله \* واحشره في رهط النبي عمم  
 وأطل بقاء سليله الحسن الفتى \* فينا برغم الكاشحين الحسد  
 قال محمد بن الحسين قطب الدين الكيذري البيهقي:

نهج البلاغة نهج كل مسدد \* نهج إكرام لكل قدم امجد  
 يامن يبيت وهمه درك العلى \* فاسلكة تحظ بما تروم وتزدد  
 انسان عين للعلوم بأسرها \* مضمونة ذوو البصائر شهد  
 بهر النجوم الزهر بل شمس الضحى \* معنى وألفاظاً برغم الحسد  
 ينبوع مجموع المعلوم رمى به \* نحو الأنام ليقترفه المهتد  
 فيه لطلاب النهاية مقنع \* فليلن منه ناظر المسترشد  
 صلى الله على منظمه الذي \* فاق الورى بكاله والمحتد (١)

### نسخ نهج البلاغة

لما فرغ الشريف الرضي - رحمه الله - من تأليف كتابه القيم نهج البلاغة ، كتب نسخة بخطه وعلق عليها التعليقات وشرح بعض الالفاظ النادرة والكلمات الشاذة وكان يقرئها على تلامذته وذكرنا في السابق من هذه المقدمة اسماء الذين رروا نهج البلاغة عن مؤلفه .

كانت النسخة التي كتبها الشريف الرضي بخط يده محفوظة في مكنتات بغداد ، واستفاد من هذه النسخة الثمينة عدة من العلماء والمحققين امثال قطب الدين الراوندي وقطب الدين الكيذري وابن ابى الحديد وعلي بن ناصر السرخسي وابن ميثم البحراني .

ثم فقدت هذه النسخة ولا يعلم اين انتقلت وقد تصفحت فهارس المكتبات في البلاد الاسلامية وغيرها وسألت من خبراء الفن ، فلم اجد لها اثرأ ولا خبرأ . ونسخة ايضأ كانت عند السيد المرتضى اخو المؤلف وكان عليها خطه وله عناية بنهج البلاغة وشرح الخطبة المعروفة بالشقشقية .

نقل عن العلامة الاميني مؤلف الغدير - رضوان الله عليه - أنه رأى نسخة من نهج البلاغة عليها خط المرتضى - رحمه الله في سوق الكتب في العراق ، فاشتراها رجل وذهب بها ، وهذا الرجل كان يشتري الكتب المخطوطة للمكتبات الخاصة في الشرق والغرب .

كان للعلماء واهل الادب والبلاغة والخطابة وكذا لرجال الدولة والسياسة اهتمام عظيم وعناية خاصة بنهج البلاغة ، فاستكتبوه لانفسهم وشاعت نسخته في الاقطار الاسلامية ملأت المكتبات الخاصة والعامة في البلدان المختلفة .

من الاماكن التي انتشرت فيها نسخ النهج وعنى علماءها بشرحه وتفسيره وتبيين معضلاته بلاد خراسان كيهيق وخوارزم ، وهرات و سرخس وغيرها . هذا

علي بن زيد البيهقي اول من شرح نهج البلاغة وبسط القول فيه وبعده قطب الدين الكيذري واحمد بن محمد الوبرى ومحمود الملاحمى وعلي بن ناصر السرخسي وغيرهم .  
ثم ظهرت حوادث مظلمة وفتن وحروب دامية في بلاد خراسان والجبال والعراق ، وخرجت عساكر الغز وأخربوا مدينة مرو وأحرقوا مكتباتها وورد السلطان محمود الغزنوي مدينة الري وأمر باحراق الكتب وكذا فعل بساير البلاد .

كانت في بغداد مكتبات عامرة اسسها امراء آل بويه وغيرهم من العلماء والسادة والاشراف ، وفيها آثار كثيرة وكتب نادرة بخطوط مؤلفيها من العلوم والمعارف ، ثم احترقت هذه المكتبات في فتن ظهرت بين اهل الشيعة والسنة عند ورود طغرل بك السلجوقي بمدينة السلام في سنة ٤٤٨ .

ثم جاءت الداهية الكبرى والمصيبة العظمى وهي ظهور التاتار وخروج طاغيهم جنكيزخان المغولي واستيلاؤهم على بلاد المسلمين سيما بلاد خراسان كبخارا وسمرقند ، ومرو وطوس وبلخ ونيشابور وغيرها ، وفي تلك الحوادث المفجعة هدمت المساجد والمشاهد واحترقت المكتبات والمعاهد الدينية .

بمناسبة مرور الف عام على تأليف نهج البلاغة وانعقاد المؤتمر الالني حول هذا الكتاب عزمتم على تحقيق النهج ومقابلته وعرضه على النسخ المخطوطة النادرة وطبعه بصورة جديدة عصرية ، بذلت وسعى وجهدت كل الجهد في هذا العمل الخطير والقيت كل ما يشغلني عنه .

بعد الفحص والتنقيب ظفرت بخمس نسخ خطية عتيقة منها نسخة في المكتبة المرعشية في قم المشرفة تاريخ كتابتها ٤٩٩ ونسخة في مكتبة ممتاز العلماء بلكهنؤ من بلاد الهند ، تاريخ كتابتها ٥١٠ ونسخة في مكتبة فخرالدين النصيري تاريخ كتابتها ٤٩٤ ونسخة في جامعة عليكر من بلاد الهند تاريخ كتابتها ٥٣٨ ونسخة في مكتبة مدرسة النواب بمشهد الرضا عليه السلام تاريخ كتابتها ٥٤٤ .

استفدت أيضاً من كتاب منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لقطب الدين

الراوندي ، وعندني من هذا الكتاب نسختان مصورتان من نسخة مكتبة المجلس في طهران تاريخ كتابتها ٦٥٢ ونسخة في مكتبة ملك تاريخ كتابتها سنة ٦٨٦ .

راجعت أيضاً كتاب حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة لقطب الدين الكيذري نسخة مكتبة جامع طهران وتاريخ كتابتها سنة ٦٤٥ وكذا اعلام نهج البلاغة لعلي بن ناصر السرخسي من اعلام القرن السادس ، عندني من هذا الكتاب نسختان مصورتان من نسخة مكتبة رضا برامفور من بلاد الهند ونسخة المكتبة الوطنية بكلكتة .

كذا عرضت لنسخة شرح ابن ابى الحديد المطبوع بمصر بتحقيق محمد ابوالفضل ونسخة الشيخ محمد عبده طبع بيروت ونسخة العلامة المغفور له السيد علي نقي فيض الاسلام طبع طهران واشرت اليها بالرموز في ذيل الخطب والرسائل .

### الرموز في تعليقات النهج

- ١- ش : اشارة الى المكتبة المرعشية بقم المشرفة .
- ٢- ن : اشارة الى نسخة مدرسة النواب بمشهد الرضا عليه السلام .
- ٣- ف : اشارة الى نسخة فخرالدين النصيري .
- ٤- ل : اشارة الى نسخة جامعه عليگر بالهند .
- ٥- م : اشارة الى نسخة مكتبة ممتاز العلماء بلكهنوء .
- ٦- ر : اشارة الى شرح الراوندي .
- ٧- ك : اشارة الى شرح الكيذري .
- ٨- ح : اشارة الى شرح ابن ابى الحديد .
- ٩- ع : اشارة الى اعلام نهج البلاغة .
- ١٠- ب : اشارة الى شرح الشيخ محمد عبده .
- ١١- ض : اشارة الى نسخة فيض الاسلام .

### الشاح

النسخة الموجودة من هذا الشرح ناقصة من أولها وآخرها، وما ورد فيها ذكر من الشاح، إلا أنه يصرح في موارد متعدّدة بأنه كان ملازماً للوزير المعروف رشيد الدين الهمداني، ويسأل عنه شرح مشكلات نهج البلاغة، قال في ص ٩١ و ١١٠ و ١٢٣ وغيرها: سألت تلك الحضرة العلية لا زالت مظهراً للأنوار الالهية، ومفيضاً للفيوض الربانية، يوم الأحد الثالث من جمادى الآخر من شهور سنة ٧١٢، بحدود دينور عن تحقيق قوله عليه السلام: سترني عنكم جلباب الدين، وبصبرنيكم صدق النية، فأفاد مرتجلاً إلى آخره.

يظهر من هذه العبارات أنه يعيش في أوائل القرن الثامن، ويلزم رشيد الدين في رحلاته وأسفاره، ويمكن أنه كان من علماء المدرسة السيّارة التي أسسها رشيد الدين.

رشيد الدين هذا هو فضل الله بن عماد الدولة؛ الوزير الكبير والعالم الشهير الهمداني وزير السلطان محمد خدابنده، كان طبيباً ماهراً وفيلسوفاً كاملاً، تتلمذ عند الخواجة نصير الدين الطوسي.

كان محبباً للعلماء، وصاحب رأي ودهاء، له آثار جلييلة، وتأليفات منيفة، تدلّ على دقة نظره، وتبحره في العلوم والمعارف، قتل بعد موت السلطان في سنة ٧١٨ في قصة مشهورة.

قد طبعنا هذا الشرح عن نسخة واحدة، وهي في مكتبة الأستاذ الدكتور اصغر المهدي أستاذ جامعة طهران دام توفيقه.

قد تمت هذه المقدمة - والله الحمد - يوم الفطر من سنة ١٤٠٢ في محروسة حيدرآباد الدكن صينت عن الحوادث والفتن

خادم العلم والدين - عزيز الله العطاردي .

Handwritten header text, possibly a title or address, located at the top of the page.

First main paragraph of handwritten text, starting with a large initial letter.

Second main paragraph of handwritten text, continuing the narrative or list.

Third main paragraph of handwritten text, showing further detail or continuation.

Fourth main paragraph of handwritten text, appearing as a distinct section.

Fifth main paragraph of handwritten text, possibly concluding a section.

Final lines of handwritten text at the bottom of the page.

### ٣- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

#### وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّقِيشِيَّةِ

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا  
 مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ؛  
 فَسَدَلْتُ ذُونَهَا ثَوْبًا، وَظَوَّيْتُ عَنْهَا كَشْحًا. وَظَفِقتُ أَرْثِي بَيْنَ أَنْ  
 أَصُولَ بَيْدِ جَدَاءٍ<sup>(٢)</sup>، أَوْ أَضْبِرَ عَلَى طَخِيَّةِ عَمِيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ،  
 وَيَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدِخُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ<sup>(٣)</sup>.  
 فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَخْبَى، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدْتِي،  
 وَفِي الْحَلْقِ شَجَا؛ أَرَى تُرَائِي نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَذَلِّي بِهَا  
 إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ<sup>(٤)</sup> (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ)<sup>(٥)</sup>.

شَتَانٌ مَا يَتَوَسَّى عَلَى كُورِهَا وَيَوْمٌ حَيَّانٌ أَخْيِي جَابِرٍ

فَيَا عَجَبًا!! بَيْنَمَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَبِ بَعْدَ  
 وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! فَصَبَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ<sup>(٦)</sup> خَشْتَاءَ يَغْلُظُ  
 كَلِمُهَا<sup>(٧)</sup>، وَيَخْشُنُ مَسْهَا<sup>(٨)</sup>، وَيَكْثُرُ الْعِنَارُ فِيهَا، وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا،  
 فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْتَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا  
 تَقَحَّمَ، فَمُنِّي النَّاسُ- لَعَمْرُ اللَّهِ- بِخَبْطِ وَشِمَاسِ، وَتَلْوِينِ

(١) في ض وح: ابن أبي قحافة.

(٢) في ر: الجذاء: بالجيم والحاء.

(٣) في م: يلق فيها ربه.

(٤) في ح وض: الى ابن الخطاب.

(٥) ساقطة من ح.

(٦) في ك: ناحية خشناء.

(٧) في ر: يظلم كلمها.

(٨) في ك: يجفور مسها.

وَاعْتِرَاضٍ (١).

فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمُحَنَّةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَللَّهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَصَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنَ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ!! لَكِنِّي أَشْفَفْتُ إِذْ أَسْفُوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِيُضْفِيهِ وَمَالَ الْآخِرُ لِيُصْهِرِهِ (٢)، مَعَ هِنٍ وَهَنٍ.

إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حُضْنِيهِ، بَيْنَ نَشِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَا لَ اللهُ حُضْمَةَ الْإِبِلِ نَيْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ (٣) عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ. فَمَا رَاعِي إِلَّا وَالنَّاسُ الَّتِي كَعَرَفِ (٤) الضَّبْعِ إِلَيَّ؛ يَتَسَاءَلُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْتُ وَطِيءَ الْحَسَنَيْنِ، وَشُقَّ (٥) عِطَافِي، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ.

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّثَتْ طَائِفَةٌ (٦)، وَمَرَقَتْ أُخْرَى (٧)، وَفَسَقَ آخَرُونَ (٨)، كَمَا تَهُمُّ لَمْ يَسْمَعُوا اللهُ (٩) حَيْثُ يَقُولُ: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً

(١) في حاشية م: بتلون واعتراض.

(٢) في ك: قال رجل وأصغى آخر لصدوره.

(٣) في ض: وح: انتكث قلبه.

(٤) في ض: والناس كعرف الضبع.

(٥) في ض: وح: ول: وشق عطفاي.

(٦) في ك: نكمت بالصاد.

(٧) في ك: وروي وقسطت أخرى.

(٨) في ض: قسط آخرون.

(٩) في ض: وب: وح: لم يسموا كلام الله.



وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ  
حَلِيَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَأَقَهُمْ زَبْرُجُهَا<sup>(١)</sup>.  
أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ  
وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا  
عَلَى كَيْفَةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِيهَا،  
وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلَهَا، وَلَا لَقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي  
مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ.

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته  
فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه (فلما فرغ من قراءته)<sup>(٢)</sup>، قال له ابن عباس  
رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين، لو اطردت<sup>(٣)</sup> مقالتك من حيث أفضيت .

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا بَنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شِفْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.  
قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسني على ذلك  
الكلام<sup>(٤)</sup> أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث<sup>(٥)</sup> أراد .

### اللغة

تَقَمَّصَهَا: لازم قص تقميصاً؛ أي لبس القميص، وقيل: التقميص حركة  
تسرع بصاحبه وتخفقه، يقال: قص الغزال إذا قفز قفزة سريعة، وإنما سمي القميص  
لأنه أخف الأثواب وأسرعها لبساً، قص البعير وغيره بضم العين في الماضي

(١) في م: وأراقهم زبرجها.

(٢) ساقطة من ب وح.

(٣) في ض وب: لو أطردت خطبتك.

(٤) في ض وح: على هذا الكلام.

(٥) في م: بلغ منه ما أراد.

وضمتها وكسرها في الغابر قصاً وقامصاً: أي استن؛ وهو أن يرفع يديه ويطحرها معاً ويعجن رجليه.

قص البحر بالسفينة إذا حرّكها بالموج، وما من حركة يعبر عنها بالقمص إلا إذا كانت فيها سرعة وخفة، ولهذا قيل: كانت بيعة أبي بكر فلتة<sup>(١)</sup>، وهو معنى لطيف جداً. وقطب الرحى: المسمار الذي يدور به الرحى، وقد عرفت الكلام مستوفى. الانحدار: الانهباط. تقول: انحدرت من البصرة، والموضع منحدر.

يقال: رقيت في السلم بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر رقياً ورقياً إذا صعدت وارتقيت مثله، والمرقاة بالفتح: الدرجة، ومن شبهها بالآلة التي يعمل بها، ومن فتح قال: هذا موضع يفعل فيه. الطير: قال الجوهري: هو جمع طائر كصحب وصاحب، وجمعه طيور وأطيّار.

قال قطرب<sup>(٢)</sup>: الطير يقع أيضاً على الواحد، وأبوعبيدة مثله، وهو جيد؛ إذ هو اسم جنس يقع على القليل والكثير.

يقال سدل ثوبه: بفتح العين في الماضي وضمتها في الغابر سداً: أي أرخاه، وشعر منسدل أي مرخي. طويت الشيء طياً فانطوى، وفلان طوى كشحه إذا عرض بوّده، والكشع: ما بين الخاصرة إلى الضلع والخلف.

ويقال أيضاً: طوى فلان عتي كشحه، إذا أقطعك، والكاشع: الذي يضمرك العداوة، فيكون طي الكشع عبارة عن الإعراض عن قلى.

طفق يفعل كذا يطفى طفقاً: أي جعل يفعل، ومنه قوله تعالى: «وظفقا يخصفان عليها»<sup>(٣)</sup>.

(١) هنا كلمة لا تقرأ.

(٢) محمد بن المستنير أبو علي النحوي البصري، الأديب البارع المعروف بقطرب، أخذ الأدب عن سيّبه، وروى عن الإمام الصادق عليه السلام، له مصنفات في علوم القرآن والنحو، وهو أول من وضع الثلث في اللغة، توفي سنة ٢٠٦.

(٣) الأعراف: ٢٢.

قال الأخفش<sup>(١)</sup>: وبعضهم يقول طفق بالفتح في الماضي والكسر في

الغابر طفوقاً.

أرتأى: في الأمر إذا فكّر فيه طلباً للرأي الأصح، يعني أترؤى وأرى

لنفسى ما هو أصلح لها، وهو افعل من رأى، والافتعال يستعمل فيمن يفعل شيئاً  
لنفسه كالإكتساب والإكتحال وما شاكلهما.

صال عليه وصول صولاً وصولاً: أي حمل نفسه على الأمر بقوة وثب عليه،

يقال: ربّ قولٍ أشدّ من صولٍ، والمصاولة: المواتبة، وفي جذاء روايتان: الجيم المعجمة  
والحاء المهملة، وكلتاها بمعنى واحد.

قال الفراء<sup>(٢)</sup>: يقال رحم جذاً وحذاً بالجيم والحاء ممدودان إذا لم يوصل،

يقال: جذذت الشيء أي قطعته. في طخية روايتان: الضم في الطاء.

قال اللحياني: ما في السماء طخية بالضم؛ أي شيء من سحاب؛ والفتح

فيها والمراد هنا الظلمة، يقال: ليلة طخياء أي مظلمة، وفي الخبر أنّ في القلب طخاء  
يذهب الفرح، أي ظلمة، ووصفها بعمياء دليل على أنّ المراد انغلاق الأمور بحيث

لا يهتدى إلى التقصّي منها، ومنه: تكلم بكلمة طخيا أي بكلمة لا تفهم.

يهرم: الهرم: شدة كبر السن. الكبير فعيل من كبر الرجل يكبر كبيراً: أي

أسنّ من كبر بالضم كبر أي عظم.

يقال: شاب رأسه يشيب شيئاً وشيبة: أي ابيضّ شعره المسودّ بعد دخوله

في الشيخوخة، الصغير: ضدّ الكبر في السن، وقد صغر فهو صغير وصغار بالضم.

الكدح: مشترك بين معان: العمل والسعي، يقال هو يكدح في كذا أي

(١) ابوالحسن سعيد بن مسعدة الجاشعي بالولاء البلخي، صاحب المصنفات، تلميذ الخليل، اخذ النحوعن  
سيبويه وكان أكبر منه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا عرضه عليّ، توفي سنة ٢١٥.

(٢) ابوزكريا يحيى بن زياد بن عبدالله الاسلمي الديلمي الكوفي، تلميذ الكسائي وصاحبه، حكى عن ثعلب أنه  
قال: لولا الفراء لما كانت عربية، لانه خلصها وضبطها وصنّف كتاب الحدود في سنتين، وعظم قدر الفراء في  
الدولة العباسية، حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون إلى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج، توفي سنة ٢٠٧.

يكذ، ومنه قوله تعالى: «إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا<sup>(١)</sup>»، أي ساعٍ بكذ وتعب، والكسب؛ يقال: هو يكسح لعِياله ويكتدح أي يكسب لهم، والخدش يقال: أصابه شيء فكسح وجهه به، وبه كدح فكسح أي خدوش، والتكديح: التخديش، وهنا المراد الكذ، وقرينة الحال معينة له.

الصبر: حبس النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً، وصبرته أنا: أي حبسته، ومنه قوله تعالى «واصبر نفسك مع الَّذِينَ يدعون ربهم<sup>(٢)</sup>»، وستعرف حقيقة الصبر في لسان حملة الشرع وفضيلته في مطنته، إن شاء الله تعالى.

هاتا: لغة في هاتي وهي لغة في هذي وهذه، ويروى هاتين: أي اليد الجذاء والطخية العمياء.

أحجى: يحتمل هنا معان:

أ- أعقل من الحجى بكسر الحاء العقل، كما يقال: هذا أحوط أي أقرب إلى الاحتياط.

ب- أولى من قوهم: أنت حجّ بذلك أي جدير، وانت أحجى به من فلان أي أجدر وأولى.

ج- أقوم وأثبت من قوهم: تحجى فلان بالمكان أي أقام وثبت.

د- أقرب من الضنن بالدين من الحجوء وهو الضنن بالشيء، يقال: حجيت بالشيء أي ضننت به.

القذى في العين: هو ما يسقط فيها من غبار ونحوه مما يتأذى به.

قذيت عينه تقذى قذى: إذا سقطت في عينه قذاة.

الحلق: بالفتح الحلقوم، والجمع حلوق، وبالكسر خاتم الملك والمال

(١) الإنشاق ٨٦.

(٢) الكهف: ١٨.

الكثير، يقال: جاء فلان بالحلقة.

الشجى: ما ينشب في الحلقة من عظم وغيره، والشجو: الهم والحزن، يقال: شجاه يشجوه شجواً إذا حزنه واشجاه، يشجيه إشجاءً إذا أغصه.  
التراث: أصل التاء فيه واو، والميراث أصله موراث، انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وهما اسمان مترادفان لما يورث، وقيل لا يسمى الملك تراثاً حتى يكون قد ورثه عن غيره، وأراد به هنا حقه عليه السلام من الإمامة والخلافة من الرسول عليه السلام.

نهياً: أي أخذاً بغير استحقاق ولا إذن، ممن يستحقه.

أدلى بها: قال أكثرهم: معناه أنه أرسله إلى فلان، من أدلى دلوه، وليس كذلك فإنّ الادلاء هنا من أدلى بماله إلى الحاكم: أي دفعه إليه رشوة، ومنه قوله تعالى: «وتدلوا بها إلى الحكام<sup>(١)</sup>»، ومعناه على هذه أنّ استخلافه إياه كان مصانعة على البيعة له إياه من قبله، وهذا معنى نفيس جداً يلتفت له من تدرّب بعلم التواريخ واللغة.

شئان ما بينها: أي بعد، وشئان ما بين عمرو وزيد: أي بعد ما بينها.

كور الناقة: بضم الكاف الرّحل بأداته والجمع اكوار وكيران. الإقالة: فك عقد البيع ونحوه.

والاستقالة: طلب ذلك شد الأمر: أي صعب وعظم.

تشظرا: أي خصص كلّ منها صاحبه بشرط وهو النصف، وفي المثل:

أجلب جلباً لك شطره أي نصفه، قالت العرب في من استمر على حوادث الدهر: جلب الدهر أشطره؛ أي استفاد من الدهر طوري الخير والشر.

قال القتيبي<sup>(٢)</sup> مستشهداً على أنّ الشطر هو النصف: أنّ الناقة لها أربعة

(١) البقرة: ١٨٨.

(٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الباهلي الدينوري المروزي، الكاتب اللغوي النحوي، صاحب التأليف

أخلاف: خلفان مقدمان وخلفان مؤخران، وإذا يشس لها خلفان قيل لها ناقة شطور، والشاة إذا يشس أحد خلفها قيل شاة شطور.

الضرع: لا يكون إلا لذات خفت كالناقة، أو ظلف كالبقرة والشاة.  
صيرته: أنا كذا أي جعلته.

الحوزة: الناحية، وإنما سميت بها لأنها تحوز أوساطها ويحيط بها، من حاز الشيء حوزاً وحيازة: أي جمع، وحوزة الملك بيضته.

الكلم: بفتح الكاف وسكون اللام الجرح.  
مس: مصدر مسست الشيء بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر، وهذه هي اللغة الفصيحة، وقد حكى أبو عبيدة: مسست بالفتح في الماضي والضم في الغابر.

العشرة: الزلة، وقد عثر في ثوبه بفتح العين في الماضي وضمتها في الغابر عثاراً، إذا أصابت رجله في المشي ثوبه وغيره فسقط.

الإعتذار: من الذنب، وقد اعتذر رجل إلى إبراهيم النخعي فقال له: قد عذرتك غير معتذر، إن المعاذير يشوبها الكذب.

الصعبة: الناقة الشديدة التي لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب.

أشنت الناقة: وشنقها إذا جذبها إلى نفسه راكباً عليها ليمسكها عن الحركة العنيفة، والمشي على غير استقامة، وما نقل السيد الرضي كافٍ، ولكن ما قلناه أوضح، وفي بعض النسخ قد أورد ما يدل على أن أشنت جاء بمعنى شنت، وهو في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله، خطب الناس وهو على ناقة قد شنت لها وهي تقصع بجرتها، ومن الشاهد على أن أشنت بمعنى شنت قول عدي بن زيد العبادي<sup>(١)</sup>:

والآثار، وكان قاضياً بالدينور فنسب إليها، وفتية جده كان أمير خراسان وافتتح خوارزم وسمرقند وبخارا، وتوفى ابن فتية سنة ٢٧٦.

(١) عدي بن زيد بن مالك أبو داود الرقاع ككتاب بن عصر الشاعرين قضاة العاملي، كان معاصراً للرابعي،

سَاءَ مَا مَحْمَاتِبَيْنَ فِي الْأَيْدِ \* ي وَأَشْنَأَتْهَا إِلَى الْأَعْنَاقِ  
 أي تعليقها. أقول: معنى البيت ساء هذه الناقة ما بسببنا ظهر في أيديها  
 ورفع رؤوسها إلى الأعناق، وهو مما يصعب عليها.

والخرم: الشقّ والقطع.

أسلس لها: أي أرخى وسهل عليها في جدار رأسها، من قولهم: شيء  
 سلس أي سهل، ورجل سلس أي لين منقاد، من السلس والسلاسة.

تقتم في الأمر: إذا ألقى نفسه فيه بعنف.

مني: أي ابتلي، يقال: منيت بكذا أي ابتليت به، ومتي بالتشديد أي قدر  
 وأنما سمي الموت منية لأنه مقدر على الخلق.

قال الله تعالى: نحن قدرنا بينكم الموت<sup>(١)</sup>، والأمنية إرادة يقدرها

الانسان في نفسه.

العمر والعمر: مصدران لعمر بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر،  
 وعبارتان عن تفاني زمان يعرف له بذاته وبهائه، ومن ثم قيل عمر إذا عاش زماناً  
 طويلاً، وهما وإن كانا في المعنى واحداً، غير أنه لا يستعمل في القسم إلا أحدهما  
 وهو المفتوح.

وإذا ادخلت عليه اللام رفعته بالابتداء وقلت: لعمر الله، واللام لتوكيد  
 الابتداء، والخبر محذوف والتقدير لعمر الله قسمي، ولعمر الله ما أقسم به، فإن لم  
 يأت باللام نصبته نصب المصادر، وقلت: عمر الله ما فعلت كذا، وعمرك الله.

ومعنى لعمر الله وعمر الله: أحلف ببقاء الله ودوامه، وقيل العمر هنا بمعنى  
 التعمير كما في قولهم: عمرك الله أي بتعميرك الله، أي باقرارك له بالبقاء، فيكون  
 قسماً بصنع الله في استبقاء الخلق لا بقائه، هذا أبعد عن سوء الأدب، وأوفى

وكان بينها مهاجاة.

(١) الواقعة: ٥٦.

بالمحاماة على قانون الإعتدال في التوحيد.

الخبيط: تشوش الأحوال المنتظمة، يقال: خبط البعير الأرض بيده إذا ضربها، ومنه قيل: خبط عشواء وهي الناقة التي في بصرها ضعف نخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً، وخبط الرجل إذا طرح نفسه حيث كان لينام، وذلك لغلغلة عن العقل الضابط لأحواله وأقواله.

الشماس: بكسر الشين عسر الاخلاق؛ يقال: رجل شمس وشماس إذا كان صعب الخلق، وشمس لي فلان إذا أبدى لك عداوته، وشمس الفرس شمساً وشماساً إذا منع ظهره من أن يركب عليه. التلون: الاختلاف في الأفعال والاضطراب في الأقوال للفتاوت في الاحوال.

اعترض الفرس في رسنه: إذا لم يستقم لقائده، واعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه، قيل: الاعتراض ضرب من التلون، وأصله المشي في عرض الطريق، يقال: مشى فلان العرضة إذا مشى في عرض الطريق خابطاً عن مرج ونشاط، والأول أنسب، والثاني أدق، والثالث محتمل.

الشورى: مصدر كالمشاورة، يقال شاورت فلاناً مشاورة ومشورة وشورى، وهو يقال لأمر مبهم يقع بين جماعة كل واحد منهم يريد استخراج الصواب في الأمر من رأي غيره، وربما تكون الشورى لأمر يعرض على الآراء المتفرقة، وهو مأخوذ من شرت الدابة إذا عرضتها، والمكان الذي يعرض فيه الدواب مشوار.

الريب: الشك، والريب ما رابك من الشيء، والاسم الريبة بالكسر، وهي التهمة، ورباني فلان إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه.

النظائر: جمع نظير، ونظير الشيء: مثله، وحكى أبو عبيدة: النظر والنظير

بمعنى مثل النذ والنديد.

الإسفاف: النزول من المكان العالي إلى السافل، يقال: أسفت السحابة إذا دنت من الأرض، قال عبيد بن الأبرص<sup>(١)</sup> يذكر سحاباً قد تدلى حتى قرب

(١) عبيد بن الأبرص بن جشم الأسدي؛ شاعر مشهور



من الأرض:

فان مسقت فويقت الأرض هيدبه

يكاد يدفعه من قام بالراح

وأست الطائر إذا دنا في طيرانه من الأرض، والإسفاف أيضاً شدة النظر

وحذته، وليس مراداً هنا.

صفا يصغفو ويصغي صفواً وصفواً: أي مال، وكذلك صغى بالكسر يصغي

صغواً وصغياً، وصغت النجوم: اذا مالت للغروب، يقال: صغوفلان معك أي ميله،

وفي الخبر: كان رسول صلى الله عليه وآله وسلم يصغي الاناء للمهرة.

الضغن: والضغن الحقد. قال الخليل<sup>(١)</sup>: الأصهار أهل بيت المرأة، ومن

العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعاً، وقال ابن الإعرابي: يقال:

صاهرت إليهم إذا تزوجت فيهم، وأصهرت بهم إذا اتصلت بهم وتحزمت بجوار أو

نسب أو تزوج.

وقال بعض الشارحين: الصهر الامتزاج في خلاصة النسب وزبدته، وكل

ما يخلص من شيء فهو صهارته، والصهر تخليص الدهن عن الشحم بالإذابة، وكلّ

اشتباك في نسب أو جوار أو تزوج فهو اصهار.

الهن: على وزن الأخ لفظ يستعمله العرب للشيء القبيح، وربّما يعبر به

عن العورة، وفي الخبر: من تعزى بعزاء الجاهلية فأعصوه بهن أبيه، يعني: من افتخر

بالنسب افتخار الجاهلية فاحلوه على أن يعصّ بما كان قبلاً منه ليذهل به عن

الافتخار.

يقال ثالث اثنين: أي صيّرهم ثلاثة، ومعنى ثالث القوم أنه صيّرهم

(١) الخليل بن احمد العروضي الفرهودي او الفراهيدي، كما هو المشهور والاكثر في الاستعمال، قال الاصمعي:

سألت الخليل بن احمد متى هو فقال: من أزد عمان من فراهيد، قلت: وما فراهيد؟ قال: جرو الاسد بلغة

عمان، كان الخليل تقياً عالماً عاملاً، ذاحلم ووقار، وتوفى سنة ١٧٠.

ثلاثة.

يروى نافعاً: بالجيم والحاء المهملة، نفع أي رفع، يقال نفع ثدي المرأة قيصها ينفجها نفعاً أي رفعه، ونفجت الفراريح من بيضها إذا رفعت رؤوسها منه وخرجت، ونفع الشيء بالحاء بسطه، يقال: نفحت الرائحة إذا انتشرت، ونفع الطيب ينفع أي فاح وانبسط، ونفحت الناقة أي ضربت برجلها وأثما كان يبسطها.

الحضن: ناحية الشيء وجانبه، ويقال لما دون الإبط إلى الكشح الحضن.

النثيل: البراز الخارج من الحيوان، وأيضاً التراب المستخرج، ويحتمل أن يكون المراد هنا موضع الروث اطلاقاً لاسم الشيء وإرادة المكان، وهو أولى، ليكون في مقابلة المعتلف الذي هو اسم لموضع الاعتلاف، وإن كان يحتمل أن يكون اسماً لما يؤكل.

الخضم، التوسع في مضغ الشيء والإكثار منه بأقصى الأضراس، يقول: منه خضم بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر، وقيل: الاكل بجميع الفم.  
النبته: بكسر النون النبات؛ وهي للحالة والكيفية.

الربيع: عند العرب ربيعان: ربيع الشهور وربيع الأزمنة، فربيع الشهور: شهران بعد صفر، ولا يقال فيه إلا شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، وأما ربيع الأزمنة فربيعان: الربيع الأول: وهو الفصل الذي يأتي فيه النون وهو ربيع الكلاء، وهو المراد هنا.

والربيع الثاني: هو الفصل الذي يدرك فيه الثمار وجمع الربيع أربعا وأربعة، مثل نصيب وأنصبا وأنصبه، والربيع أيضاً المطر في الربيع، يقول: منه ربت الأرض فهي مربوعة، وأيضاً الجدول، وإضافة النبتة إليه قرينة معينة أن المراد ربيع الكلاء.

نكت العهد والحبل فانتكت: أي نقضه فانقض. قال الأصمعي: أجهزت على الجريح: إذا أسرعت قتله، وقد نمت عليه، ولا تقل أحرب على الجريح، وفرس جهيز إذا كان سريع الشدة، والإجهاز لا يستعمل إلا في إتمام ما بدئ به من الجراح وغيرها. كبا الفرس لوجهه يكبو كبواً: أي سقط فهو كاب، ومنه قيل: لكل جواد كبوة.

والبطنة: كثرة الأكل وشدة الامتلاء من الطعام. راعني الشيء: أي أعجبني، والأروع من الرجال الذي يعجبك حسنه، وقيل أفرعني من الروع بالفتح الفرع، والأول أنسب بالمقام. يثالون: أي يسقط بعضهم على بعض في ازدحامهم، من انثال الشيء إذا وقع يتلو بعضهم على بعض، والثيل نبات ملتق فسقط بعضه على بعض فتخلل الأرض.

الضبع: معروفة ولا تقل ضبعة، لأن الذكر ضبعان والجمع ضباعين مثل سرحان وسراحين، والانثى ضبعانة والجمع ضبعانات وضباع، وهذا الجمع للذكر والانثى مثل سبع وسباع يكتي عن القهر الشديد بالوطء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اشدّد وطءك على مضر، وإنما يعبر عن البطش الشديد والعذاب الأليم بالوطأة، لأن الوطأة تدوس الشيء بمجامع البدن، واستعمال جميع القوى فيه.

في عطفاي: روايتان: إحداهما: عطافي؛ العطاف: الرداء، يقال: قد تعطف بالعطاف أي ارتديت بالرداء، ومنه سمي السيف عطافاً، وكذلك المعطف بكسر الميم.

الثانية: عطفاي، وعطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه، وكذلك عطفا كل شيء: جانباه، يقال: ثني فلان عطفه إذا عرض عنك، والعطف:

الميل، يقال: عطفت اي ملت، وعطفت الوسادة اي أملتها، وهي أشهر.  
يقال: قعدوا حوله وحواله وحواليه وحواليه: أي قعدوا من جوانبه، ولا تقل  
حواليه بكسر اللام.

الرييض: الغنم برعائها المجتمعة في مريضها، والمرابيض للغنم كالمعاطن  
للابل، واحدها مريض مثل مجلس، والربيض ايضاً مأواها، وربوض الغنم مثل  
بروك الابل، يقول منه ربيضت الغنم بفتح العين في الماضي وكسرهما في الغابر  
ربوضاً، قيل: الربيضة جماعة الغنم، وقيل مأواها.

نهض الرجل: بالفتح في الماضي والغابر جميعاً نهضاً ونهوضاً أي قام.  
مرق السهم من الرمية مروقاً: أي خرج من الجانب الآخر، وبه سميت  
الخوارج مارقة لقوله عليه السلام: يرقون من الدين كما تمرق السهم من الرمية؛ من  
الصحاح.

الفسق: الخروج من طاعة الله ورسوله، يقال: فسق الرجل بالفتح في  
الماضي والضم والكسر في الغابر فسقاً وفسوقاً أي فجر، وأصله من فسقت الرطبة  
أي خرجت من قشرها.

يقال: وعى الحديث أعيه وعياً: إذا حفظه، ومنه قوله تعالى: «وتعيا اذن  
واعية<sup>(١)</sup>»؛ أي ضابطة.

يقال: حلّى فلان بعيني وفي عيني وبصدري وفي صدري بالكسر في الماضي  
والفتح في الغابر حلاوة إذا أعجبك، وإثنا يقال لما طاب في العين: حلّى في عينه  
لأنه من الحلّي، وهو الزينة التي تستطيها العيون، وفي بعض النسخ: حلّيت بتشديد  
اللام من التحلية: التزين.

يقال: راقني الشيء يروقني: أي أعجبنى، ومنه قولهم: غلمان روقة وجوار  
روقة أي حسان، وهو جمع رائق مثل صاحب وصحبة، ويقال لكل شيء له موقع

حسن في العيون: رائق.

الزبرج: بكسر الزاء الزينة من وشى أو جوهر ونحو ذلك، يقال: زبرج مزبرج أي مزقن، ويقال أيضاً الزبرج الذهب، وأيضاً الرقيق من السحاب. فلقت الشيء فلقتاً: أي شققته، وقيل: الفالق الخالق، وهو مثل الفاطر، وكلاهما بمعنى الشاق، لأن كل شيء يخلق من شيء فقد انشق عنه الشيء الذي خلق منه، فالق الإصباح؛ الفلق: الصبح، لأن الظلام ينفلق عنه. الحبة: واحدة حب الخنطة ونحوها، وحبّة القلب سويداؤه، ويقال: ثمرته، والحبة من الشيء: القطعة منه، وعند الإطلاق كان المراد للأول، وبالتقييد يتعين الباقي.

برأ الله الخلق: أي خلق، وهو الباري، والبرأة: الخلق.

النسمة: النفس، وإنّ العرب سمّت المهجة نفساً لأنهم كانوا يرونها من النفس وصعوده وهبوطه، وسمتها روحاً لأنهم كانوا يرونها تترّجح، ونسمة لاستنشاق النسيم.

الحاضر: خلاف البادي الغائب، والحاضر الحيّ العظيم، يقال: حاضر حيّ، والمعنيان محتملان، وقيل: يحتمل أن يكون إشارة إلى ما يصيب الإنسان من الشرّ نظراً إلى قوله تعالى: وأعوذ بك ربّ أن يحضرون<sup>(١)</sup>، أي أن يصيبني الشيطان بسوء، وهو جيد.

الغارب: ما بين السنام والعنق، ومنه قولهم: حبلك على غاربك اذهبي حيث شئت، وأصله الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقى على غاربها، لأنها إذا رأت الخطام لم يمنعها شيء. ألفت الشيء: أي وجدته، ومنه قوله تعالى: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا. الآية<sup>(٢)</sup>.

(١) المؤمنون: ٩٨.

(٢) البقرة: ١٧٠.

المقارة: إقرار كل واحد منها صاحبه على الأمر وتراضيهما به.

الكظة: بكسر الكاف شيء يعترى الانسان عن الامتلاء من الطعام، يقال: كظّه كظاً وكظى هذا الأمر: أي جهدي من الكرب، والمكاظّة: الممارسة الشديدة في الحرب.

سغب: بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر سغباً أي جاع فهو سغبان وساغب، وامرأة سغبى، ويتم ذو مسغبة أي ذو جماعة.

أزهد: أي أحقر، الشيء الزهيد أي الحقير لزهادة الناس فيه، ورجل مزهد أي قليل المال. أصل الدنيا دنو فحذفت الواو لاجتماع الساكنين بعد القاء الحركة على الواو لثقلها وسميت الدنيا لدنوّها، والجمع دُنَى مثل الكبرى والكبر.

العفطة: عطسة الضائنة بأنفها، وكذا نثرة أنفها، قال الجوهري: عفتت العنز تعطف عفتاً: حبقت، والعطف والعفيط نثر الضأن، نثر مانوفها كما ينثر الحمار وهي العفطة، يقولون: ما له عافطة، العافط: النعجة، والنافطة: العنز، لأنها تعطف بأنفها. عن أبي الدقيش، سواد البصرة والكوفة: تراهما، سميت بذلك لأنها ترى من بعيد على لون السواد.

قيل لأن السواد هو المال الكثير، سميت بذلك لكثرة ربوعها وغلاتها وثمارها، ويحتمل أن تكون التسمية لأجل أنّ أكثر الناس الساكنين في القرى عوام من سواد الناس أي عوامهم، وهو وجه جيد. ناول يناول مناولة أي أعطاه.

أفضيت إلى فلان سرّي: أي أنهيت. هيات: أي بعد، الشقشقة بالكسر شيء كالرثة يخرجها البعير من فيه، إذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما يشبهه الفحل. هدر الحمام هديراً: أي صوت، وهدر البعير هديراً: ردد صوته في حنجرته.

ثم اعلم أنّ هذا التركيب قد صار مثلاً يقال عند كلمة تسقط من غير اختيار ثم يمك المرء عنها، إنّما سميت الخطبة شقشقية لاشتغالها على قوله: شقشقة هدرت ثم قرّت، ومقصية لاشتغالها على قوله: تقمصها، فوقع لها اسمان أحدهما:

بالنظر إلى فاتحتها، والأخرى: إلى خاتمتها.

الأسف: أشدّ الحزن، وقد أسف على ما فاتته وتأسّف: أي تلهّف وهو المراد هنا، والله اعلم.

## الاعراب

أما: لافتتاح الكلام، والضمير المنصوب في تقمّمها للخلافة، وإن لم تكن مذكورة، لظهورها مثل الضمير في قوله «حتى توارت بالحجاب»<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن تكون مذكورة قبل هذا الكلام، واللام في لقد: جواب القسم، والواو في وأنه: ليعلم للحال، وذو الحال فلان، والعامل فيه تقمّمها، أي تلبّس بها حال كونه عالماً بأنّ محليّ منها محلّ القطب من الرحي.

قوله يهرم فيها الكبير إلى ربّه: جل ثلاث وقعت نوعاً لطخية، والجملة جاز أن تكون صفة لنكرة عند اشتمالها على ضميرها، وهنا كذلك، الواو في وفي العين قذى وفي الحلق شجى: حالان، وذو الحال الضمير البارز في فصرت، والعامل فيها صبرت.

يعني: صبرت حال كون عيني فيها قذى وحلتي فيه شجى. تراثي: أول مفعولي أرى، ونهياً ثانيها. إذ أرى هنا بمعنى أعلم. شتان يعمل عمل الفعل وإن كان اسماً. ويومي مرفوع على أنه فاعله، ويوم حيان عطف عليه، وما: زائدة، ولذا يقال: شتان زيد وعمر.

فيا: للندى، والمنادى محذوف للإيجاز، وعجباً نصب على المصدر لفعل محذوف تقديره يا قوم، أو يا أيها الحاضرون والسامعون اعجبوا عجباً عجباً. وإذ للظرف بمعنى حين. وبيننا: أصله بين، اشبعت فتحتة فصارت ألفاً، اللام في لشدّ للتأكيد، وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شدّ، والجملة من تمام

التعجب .

أي لصعب وعظم تشطر ضرع الخلافة بينها، والضمير في كلمها واخواته للحوزة، والجمل من يغلظ كلمها إلى الاعتذار نعوت للحوزة، وحتى في قوله: حتى إذا مضى لانتفاء الغاية هي جعله إيّاها في جماعة زعم أنّه أحدهم .

واللام في لله إنّما فتحت لأنّها للاستغاثة، وفي للشورى إنّما كسرت لأنّها للتعجب، ومتى للاستفهام على سبيل الإنكار، ونافجاً حضيئه حال من ثالث القوم، وحضيئه مفعوله، وذلك مثل قولك: جاء زيد ضارباً عدوّه او راكباً فرسه، وبين نشيله ومعتلفه متعلّق بقام، وهو العامل فيه، ويخضمون حال من بنو أبيه، والعامل فيه قام الثاني، إليّ في قوله: والناس إليّ متعلّق بمحذوف تقديره مقبلون إليّ .

ثمّ فاعل راعني الجملة على مذهب البصريين القائلين بجواز وقوع الجملة فاعلاً، وما دلّ عليه الجملة من المصدر على مذهب الكوفيّين المانعين من كون الجملة فاعلاً، تقديره فما راعني إلا إقبال الناس إليّ، نظم هذا التركيب من القرآن قوله تعالى: «ثمّ بداهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه حتى حين» .

وينشالون إمّا خبر ثانٍ لمبتدأ وحال عن راعني، أو العامل في إليّ تقديره؛ والناس ينشالون إليّ، وهو أولى من تقدير المحذوف، ومجتمعين منصوب على الحال، والعامل فيه ينشالون .

### المعاني

والله لقد تقمّصها: جملة لا تقال إلاّ فيما إذا كان المخاطب طالباً بالنسبة متحيّراً فيها، وهكذا الحال فإنّه عليه السلام قال لمن تحيّر في أمر الخلافة أهيّ بالحقّ أم لا، أو نزل العالم بها منزلة المتحيّر، وأنه ليعلم فيه ثلاث فوائد: الأولى: تنزيل



فلان العالم بالحال منزلة الجاهل المنكر المصّر، وتنزيل مخاطبين العالمين منزلة المنكرين، ولذا صدّر الجملة بأنّ واللام المؤكّدين للتحقيق.

الثانية: أنّه قد أورد المعنى المراد في الجملة الفعلية الدالة على التجدد، وعلى ان هذا العلم قد حصل له بالنصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبمشاهدة أفعاله وأقواله المحرّكتين على منوال الاستقامة والعدل.

الثالثة: أنّه قد أتى بالفعل للاستقبال بعد ذكر فاعله، ليذكّر على الاستمرار والثبوت ويجدّد العلم لحظة فلحظة، دلالة قوله تعالى: «الله يستهزئ بهم»، على الاستمرار، وهذه الخواصّ كلّها مؤكّدة للتقمّص مقرّرة لما أنّ المتقمّص قد عاند علمه وعقله وكابر ربّه ورسوله.

قوله ينحدر: جملة استينافية دالة على الجواب عمّن سأل عن كميّة كون محلّه منها محلّ القطب من الرحي، فكأنّه قال لم كان محلّه كذا، قال مجيباً إيّاه، لأنّه عالم مفيض على من تحته من الناس لا يقدم على الذنوب، يعني عالم معصوم، وستعرف معناه.

الفاء في فسدت: فصيحة مفصحة عن محذوف هو سبب السدل تقديره؛ تفتّصها وعزم على المخالفة وهدم قواعد الدين، فخفت على انشقاق عصا المسلمين وإثارة الفتن وإطّلاع الكفار على ضمائر من دخل تحت الإيمان باللسان، فسدت، والفاء في فرأيت فصيحة مفصحة عن سبب محذوف هو سبب الصبر.

تقديره طفتت أجيل الرأي من أحدين: إمّا الصبر أو المجادلة، فعلمت أنّ المجادلة مستجلبة للفساد، فرأيت، و«في» فصبّرت للسببية الدالة على أنّ الرؤية سبب الصبر، والباقي إلى قوله هذه النظائر معلوم من القواعد السالفة، والإشارة هنا إلى التحقيق، كما في قوله تعالى: «أهدا الذي بعث الله رسولاً».

والألّف واللام في النظائر للعهد والمعهود الجماعة التي أشار عليه السلام إليهم بقوله؛ جعلها في جماعة زعم، واللام أيضاً في القوم للعهد والمعهود، والثلاثة

المعروفون في الأذهان، والفاء في فما راغني فصيحة مفصحة عن محذوف تقديره لما مات وانقضى عهد خلافته وعزم الناس على البيعة معي، وتوجهوا إلي واجتمعوا، فما أفرغني أو ما أعجبنى.

والقصر فيه للقلب كأنه قد نزل المخاطبين منزلة الحاكمين بأن إعجابه عليه السلام لأمر آخر وقلب ما حكموا عليه، وقال ليس اعجابي إلا بواسطة إقبال الناس، فيه القصر للقلب وتنزيل غير الحاكم منزلة الحاكم للتأكيد، وإضافة الدنيا إلى المخاطبين في قوله دنياكم لتحقيرهم وتحقيرها، وبراءة ساحته عن أن يكون ممن يضاف إليه الدنيا الخسيسة، والباقي ظاهر.

### البيان

في تَقَمُّصِها: استعارة تخيلية مكنتى بها عن أخذه الخلافة بتكلف لا باستحقاق، مستلزمة لتشبيه الخلافة وهي معقولة بالقميص، ووجه الشبه: اشتراكهما في التسلط عليهما وكونها ممايزين المتخذ وهو عقلي، وتخيلي أنها فرد من أفراد القميص، وإلا لم يصح جعلها مفعولاً للتقمص وهو قرينة لها، وفي محلي منها محل القطب من الرحي: قد راغى ثلاثة أنواع من التشبيه:

أ— تشبيه محله بمحل القطب؛ وهو كونه ممّا به نظام أحوال الرحي وهما معقولان، ووجه الشبه: أنه عليه السلام أعدل الناس وأثبتهم على الجادة المستقيمة؛ بحيث يجب الرجوع إليه وأحنتهم قياماً في رعاية السياسة وما يتعلّق بالخلافة، كما أنّ القطب أعدل المحالّ وأقومها من الرحي، ونسبته إلى دوران الرحي أحسن النسب، وكلّ الخطوط إلى أجزاء طرفه متساوية، وهو أيضاً عقلي.

ب— تشبيه نفسه بالقطب وهما محسوسان، ووجه الشبه: أنه عليه السلام ممن يراعي نظام أمور الخلق ويجمع أحوالهم المتفرقة، كما أنّ القطب يراعي نظام دوران الرحي، وهو عقلي.

ج - تشبيه الخلافة وهي عقلية بالرحى وهي محسوسة، ووجه الشبه: أنها مما يحفظ الناس أن يتطرق إليهم الخلل في المعاد، كما أنّ الرحى مما يراعيهم أن يتطرق إليهم الخلل في المعاش، وهو عقلي.

في قوله ينحدر عني السيل: استعارتان احدهما: استعارة تخيلية مرشحة مكنتى بها عن علو منزلته، والثانية: استعارة أيضاً تخيلية مرشحة تصريحية المراد بها عظم شأنه في العلوم السياسية، أما الاولى: فهي مستدعية لتشبيه نفسه عليه السلام بالجبل وهما محسوسان، ووجه المشابهة: العلو والرفعة، وهو عقلي، والتخيّل أنّه عليه السلام فرد من أفراد الجبل، وإلا لم يصحّ سرتي بعد ينحدر.

أما الثانية: فهي مستدعية لتشبيه العلم بالسيل، وهو محسوس، ووجه المشابهة: شدة النفوذ واللطافة وافتقار الناس إليه، وهو عقلي، وهذا تشبيه مأخوذ من قوله تعالى: «أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها<sup>(١)</sup>»، وذلك لأنه قد أطلق الماء وأراد العلم على سبيل الاستعارة باتفاق أكثر المفسرين، وبقوله ينحدر رشح الاستعارتين لأنّ الانحدار لا يكون إلا من الموضع العالي، ولا يقع نعتاً إلا للماء وشبهه من الأجسام السيّالة.

في قوله لا يرقى اليّ الطير: استعارة واحدة تخيلية مكنتى بها عن غاية ارتفاعه وعلوه إن أجرينا الطير على حقيقته، وإن قلنا أنّه عبارة عن الذنب ففيه استعارة تخيلية تصريحية المراد بها: أنّ الذنب لا يتوجّه اليه.

أما الاولى: فما ذكرنا، وهي مستلزمة لتشبيه نفسه عليه السلام بالجبل الشامخ، وهما محسوسان، ووجه المشابهة ما ذكر عليه السلام وهو: أن لا يرقى إليه الطير لغاية علوه، وبه رشح الاستعارة.

وأما الثانية: فهي مستدعية لتشبيه الذنب وهو معقول، بالطير وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في الصعود إلى جهة الفوق، وهو عقلي، وهذا

التشبيه مأخوذ مما قال الله تعالى: «وكلّ انسان أأزمناه طائره في عنقه»<sup>(١)</sup>، حيث ذكر الطائر مردياً به الذنب الذي يؤاخذ به.

في فسدلت دونها ثوباً: استعارتان مكتى بها، مستدعية لتشبيه الخلافة بالأمر المحسوس الذي يصلح لأن يحجب ويحجب احتجابه لثلاً يطلع عليه أحد، ووجه الشبه: أنها...<sup>(٢)</sup> مما يجب أن يسترها بالسكوت عليها، لكونها قد وقعت في يد من لا يليق بها، كما أنّ المرأة الحسنة مثلاً يجب أن يسترها بالحجاب الحسي حذراً من ااطلاع الأجانب عليها.

الثانية: استعارة تصريحية المراد بها السكوت وهما معقولان، بالستر الذي يمدّ دون الشيء، ووجه الشبه: اشتراكهما في المنع من الاطلاع، وقد رشّحها بقوله فسدلت، حيث أطلق على الشبه ما هو من لوازم المشبه به، وفي طويت عنها كشحاً: استعارة أيضاً مكتى بها عن الإعراض، مستدعية لتشبيه الخلافة بالمأكول.

ووجه الشبه: اشتراكهما في رغبات الناس إليها، وهو عقلي، ولتشبيه هيئة الإعراض عنها والسكوت عليها مع افتقاره إليها، وكونها ملائمة لحاله رعاية لمصلحة الناس، بهيئة إعراض الجائع عن المأكول اللذيذ الذي يسدّ المجاعة نظراً إلى المفسدة المشتملة عليها، ووجه الشبه ظاهر مما ذكرنا، وهو عقلي.

في يد جدّاء: استعارة تخييلية تصريحية المراد بها عدم الناصر، مستدعية لتشبيه عدم الناصر باليد المقطوعة، ووجه المشابهة: أنّ عدم الناصر مستلزم لعدم القدرة التامة والتصرف الكامل فيما توجهت الإرادة إليه، كما أنّ قطع اليد مستلزم لعدم القدرة على البطش ما أراد وشياً<sup>(٣)</sup>.

في طخية عمياء: استعارة أيضاً تصريحية المراد بها التباس الأمور وتشقق

(١) الإسراء: ١٣.

(٢) بياض في الاصل.

(٣) كذا.

عصا الإسلام، مستدعية لتشبيهه اختلاط الأحوال وتشّتت الأقوال والأفعال بالظلمة، وهما معقولان، ووجه الشبه: أن الأمور إذا اختلطت، والأحوال إذا اضطربت، لا يهتدى فيها إلى الحقّ وكيفيّة السلوك إلى الله تعالى، كما أنّ الظلمة لا يهتدى فيها إلى النور، وهو عقلي، ثم بوصفه عليه السلام الطخية بالعمياء راعى أيضاً استعارة مكنتى بها عن شدة الظلمة مستدعية لتشبيهها بالأعمى.

ووجه الشبه: أنّ المتمسك بظلمة الفتنة لا يهتدي لنور الحقّ، ولا يتبين له الطريق المسلك إلى المقصد، كما أنّ المتمسك بالأعمى لا يهتدي إلى الطريق النافذ إلى المطلوب، وهو عقلي. قوله وفي العين قذى، وفي الحلق شحجى: كنايةتان عما قال: من شدة الصبر وتحمل الأذى منهم، ووصول الغبن اليه بسبب ما يرى أنه أولى به من غيره، وهما في العرف من لوازم الغبن والحزن الشديد. ومضى لسبيله: كناية عن الموت فإنه سبيل لازم لكل إنسان، والمضي فيه من لوازم الموت.

اختلف الشارحون في بيان تمثله عليه السلام بقول الأعشى على أقوال ثلاثة، ولكن إنمّا يتبين البيت بتحقيق أولاً، وإن لم يكن موضعه، لكنّ الضرورة تجوز ما لا يجوز.

إعلم أنّ قائل هذا البيت الأعشى واسمه ميمون بن جندل من بني قيس أنشأ قصيدة، يمدح بها عامراً، ويهجو علقمة، منها هذا البيت، وكان حيّان وجابر أخويّ ابني السمير بن عمرو من بني حنيفة، وكان حيّان رجلاً عظيم الشأن، صاحب حصن باليامة، سيّداً مطاعاً ينادمه الأعشى مصوناً من مشاقّ السفر وكآبة المنقلب، لأنّه لعامة تنعمه لا يسافر أبداً، وكان جابر أخوه رجلاً دنيئاً خسيساً ممّن يعرف باخوة حيّان لا لمن كان يعرف باخوته.

فمعى البيت: أنّ يوم حيّان كان يوم نعمة مصفّاة عن كدورة التعب والنصب، ويومه على كورها كان يوم اضطراب لا قرار فيه وتعب لا راحة فيه، وقيل: معناه أنّ يوم حيّان كان يوم نعمة مكذّرة بوجود جابر، ولكن كان مع

البؤس راحة، ويومه على كورها كان يوم أتعاب مشاق السفر ومكائده، وركوب الناقة، وزحمة السير.

وحيتان وزير النعمان بن منذر كان محسناً إلى الأعشى، ويروى أن حيتان عتب على الأعشى، حيث عرفه بأخيه جابر وقال: أتعرفني باخوة، فأعذر إليه الأعشى بأن القافية قد ساقته إلى ذلك، فلم يقبل عذره، وإذا عرفت معناه فنقول:

قال السيد المرتضى<sup>(١)</sup>: أراد بذلك أن القوم لما فازوا بآرهم، وظفروا بمطالبهم، وحصل ما كان منتهى أمانتهم، وهو عليه السلام في ذلك كله محق في حقه، مكذ في نصيبه، كان بين حالهم وحاله بون بعيد واختلاف شديد، واستعار لفظ اليومين وكنتى بها عن حالهم وحاله، وشبه حالهم بيوم حيتان.

ووجه الشبه: اشتراكهما في الاشتمال على حصول الطالب والفوز بالمآرب وخفض العيش والدعة، وهو عقلي، وشبه حاله عليه السلام بيومه على كور الناقة، ووجه الشبه: اشتراكهما في الاشتمال على المتاعب والمضائق والغصة والتعب.

قيل: إنّه عليه السلام كنتى بهما عن اليوم الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، واليوم الذي فارق رسول الله عنهم وهو معهم، ووجه المشابهة: ما اشتمل عليه يوم الرسول عليه السلام ويوم حيتان على المسار والراحة والاستلذاذ بالملادّ الشهية الجسيمة، وما اشتمل عليه يوم المفارقة ويومه على كورها على المشقة والتعب، وهو جيد.

قيل: شبه تباعد ما بين اليومين؛ يوم الاستقالة ويوم الاستنابة، بتباعد ما بين اليومين، ووجه المشابهة ما ذكرنا وإن كان فيه بعد، قلت: ويحتمل أن يكون

(١) علي بن الحسين بن موسى أبو القاسم ذو المجددين المشهور بالسيد المرتضى، والمعروف بعلم الهدى؛ جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، وحاز من الفضائل ما تفرّد به وتوحد، وأجمع على فضله المخالف والمؤالف جمع على فضله، مقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه والأدب والنحو وفضائله كثيرة، ومناقبه وآثاره مشهورة، وكتبه معروفة، توفي سنة ٤٣٦هـ.

عليه السلام شبه يوم عهده مع رسول الله ومصاحبتهم بيوم حيان مع وجود جابر، ووجه المشابهة: أن صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله قد جبرت ما أصابه من مصاحبتهم، كما جبر منادمة حيان ما أصابه من صحبة جابر.

وشبه يوم مفارقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيومه على كورها، ووجه المشابهة: أن مصاحبتهم عند المفارقة مستلزمة للبؤس بلا راحة، وللمتعاب بلا مطالب، يعني لمحض المشقة، كما أن يومه على كورها مشتمل على محض التعب والنصب، وهو جيد.

تشظرا ضرعيها: استعارة تصرحية تخيلية مستلزمة لتشبيه الخلافة وهي معقولة، بالناقة وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في الانتفاع الحاصل منها، وهو عقلي، ويحتمل أنها فرد من أفراد النوق ليصح إضافة الضرع إليه، وهنا أيضاً استعارة أخرى مستدعية لتشبيه هيئة تشظير الخلافة وجعلها إياها هنا صفة مع كونها ليسا بمستحقين لها، بهيئة تشظير الحالبين اللذين لا استحقاق لهما أخلاف الناقة، ووجه الشبه: عدم استحقاق المشظرين والشدة على من يعتقد أنه أحق، وإليه أشار بقوله: لشدة، وهي لطيفة.

في حوزة خشناء: استعارة مكتى بها عن خشونة طباع الثاني المستلزمة للأذى، مستدعية لتشبيه الطباع وهو معقول، بالجانب الخشن وهو محسوس، ووجه الشبه: أن الطبع ينتفر من مصاحبته ويتأذى بكلامه، كما يتأذى الرجل بجوار الخشن، وهو عقلي. وفي يغلظ كلمها: استعارة تخيلية مكتى بها عن غلظ المواجهة بالكلام وإيذاء الناس، مستدعية لتشبيه الكلام الوحش المؤذي بالجرح، ووجه الشبه: اشتراكهما في الأذى الحاصل منها، ومن ثم قيل:

جراحات السنان لها آلتئام \* ولا يلتام ما جرح اللسان  
في يخشن مسها: استعارة أيضاً مكتى بها عن سوء خلقه وخشونة طبعه، مستدعية لتشبيه المصاحبة معه والمخالطة، بهيئة مس الجسم الخشن، ووجه

الشبه: اشتراكهما في الأذى اللازم منها، وهذا تشبيه المركب. وقوله يكثر العثار والاعتذار: كناية عن كثير خطئه في الأحكام، فإن الاعتذار من لوازم العود إلى الصواب بعد الخطأ. قوله: فصاحبها كراكب الصعبة إلى تقخم: فيه ثلاث احتمالات:

الأول: وهو أوفق لكلامه عليه السلام وأليق به، وتقديره أن يقال إن الضمير في صاحبها عائد إلى الحوزة المنعوتة، ومعناه: أن المصاحب لتلك الطبيعة الخشنة في حسن مداراتها ورعايتها عن أن لا تنحرف عن الجادة المسلوكة، مثل الراكب على الناقة الصعبة، ووجه الشبه: أن المصاحب لها مع صعوبة مداراتها متردد بين أمرين:

إما أن يكثر الإنكار عليها بحسب كل فعل قبيح يصدر عنها، ويدعوها إلى الطريق الحسن، فيفضي ذلك إلى كلفة المشقة وفساد الحال بينها، أو يسكت على كل ما شاهد منها من الأفعال القبيحة والأقوال السمجة، فيؤدّي ذلك السكوت إلى الإخلال بالواجب المستلزم للاقتحام في الهلاك الأبدي، كما أن راكب الداقة الشديدة مع افتقاره إلى المشقة العظيمة في مداراة أحوالها متردد بين أحد خطرين: إما أن يتابع بين جذبات الزمام في أنفها، فيفضي إلى قطع أنفها، أو يرخي زمامها وطبيعتها فتقحم صاحبها الراكب إلى موارد الهلاك، وهو عقلي مركب، وبالْحَقِيقَة هذا تشبيه المركب بالمركب، فقد ذكر أركان التشبيه من المشبه وهو فصاحبها، والمشبه به وهو راكب الصعبة، وحرف التشبيه وهو الكاف، ووجه الشبه وهو المشار إليه بقوله: إن أشنق لها حرم، وإن أسلس لها تقخم.

الثاني: أو هو الأظهر، وتقديره أن يقال: إن الضمير عائد إلى الخلافة، أراد صاحبها المتوَلّي لأمر الخلافة الراعي لقواعد العدل فيها، يعني أن من تولّاها وأراد أن يؤسّس قانون العدل ويجريه بين الخلق كان كراكب الصعبة.



ووجه الشبه: إنّ المتوّلي إن أفرط في حمل الخلق على رعاية مراتب الحقّ، وملازمتهم حاقّ الوسط، وسلوكهم الصراط المستقيم، وبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه، نفر أكثر الخلق منه، وتفرّقوا عنه، وفسد الأمر عليهم، لميل أكثرهم إلى حبّ الباطل، وغفلتهم عن فضيلة الحقّ.

فيكون كمن بالغ في جذب زمام الناقة التي هو راكبها حتى خرم أنفها، وإن فرط في حفظ بشرائطها، وأهمل أمرها، ألقاه التفریط في موارد الهلكة، كراكب الصعبة إذا أرخى قيادها وخلّاها وطبيعتها ألقته الى مهاوي الهلاك، وهو أيضاً تشبيه في غاية اللطافة.

الثالث: هو الحقّ، وتقريره أن يقال: الضمير أيضاً عائد إليها، وأراد بصاحبها نفسه عليه السلام، يعني: حالي بالنسبة إلى الخلافة كحال من ركب الصعبة، ووجه الشبه أنّه إن سكت عنها وقعد عن طلب هذا الأمر والقيام بها، لأفضى إلى إيراد نفسه بالعنف موارد الذلّ والصغار، كما يراد الراكب نفسه في موارد الهلاك إن أسلس لها قيادها، وإن قام بطلبها وشدّد عليهم فيه، انشقت عصا المسلمين، وتشعبت آراؤهم، فيكون كمن شدّد في جذب الزمام حتى خرم أنفها.

في خبط: أيضاً استعارة مكنتى بها عن عدم جريان أفعاله وحركاته على الطريق الواجب أن تكون هي عليه، مستلزمة لتشبيه أفعاله وحركاته بمحركات البعير وأفعاله إذا سلك غير الجادة، ووجه الشبه: اشتراكها في عدم الانتظام. وفي شماس: أيضاً استعارة مكنتى بها عن سوء خلقه وعدم موافقته لأمره، مستدعية لتشبيهه بالفرس الشموس، ووجه الشبه: عدم استقامتهما على الجادة المسلوكة وانقيادهما لقائدهما.

في اعتراض: أيضاً استعارة مكنتى بها عن عدم ثباته على أوامر الرسول عليه السلام، الذي هو قائد الخلق إلى سلوك الصراط المستقيم، مستدعية لتشبيهه بالفرس الذي لا يستقيم لقائده، ووجه الشبه: اشتراكها في عدم الانقياد للقائد.

وفي أسففت إذ أسفوا وطررت إذ طاروا: استعارة تخيلية مكتى بها عن موافقته إياهم فيما اقتضت آراؤهم، مستدعية لتشبيه حاله وحالهم، بحال الطائر التابع لطائفة من الطير في النزول إلى المكان الدني والصعود بالطيران.

وجه الشبه: أنه قد ترك اختياره، ونزل على وفق نزولهم، وصعد على وفق صعودهم، كما أن الطائر التابع تبعها في الإسفاف والطيران، وهو عقلي، والتخيل أنه بمنزلة طائر ضعيف تابع لطيور قوية وفرد من أفرادها.

قام ثالث القوم: كناية عن حركته في الخلافة وتلبسه بها.

وفي نافجاً حضنيه: راعى استعارة تخيلية مكتياً بها عن التيهو في تفريق مال المسلمين والتنعم فيه، مستدعية لتشبيهه بالبعير الذي أكل كثيراً، ووجه الشبه: اشتراكهما في انتفاخ جنبه بكثرة الأكل والشرب، وهو عقلي، وإنا قلنا ذلك لأن نفع الحظنين حقيقة في البعير إذا توسع في الأكل، وقيل: هو كناية عن التكبر، وقد عرفته في اللغة.

في قوله بين نثيله ومعتله: راعى استعارة تخيلية مكتياً بها عن أن قيامه بها للتوسع في المطعم والمشرب والتنعم دون ملاحظة أمور المسلمين، مستدعية لتشبيهه بالبهائم، وهما محسوسان، ووجه الشبه: أن أكبرهته في القيام بالترقه والأكل والشرب، كما أن البهائم لاهم لها أكبر من أن تعيش بين أكل وروث، وهو عقلي، وتخيل أنه فرد من أفراد البهائم بحيث لا حظ له بالكليّة من الإنسانية، فضلاً عن فضائلها، ليصح نسبة النثيل والمعتلف اللذين من أوصاف البهائم خاصة إليه.

في يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع: راعى تشبيه هيئة أكلهم أموال المسلمين والتوسع فيها بهيئة أكل الإبل نبتة الربيع، ووجه الشبه: أنهم يستلذون أكلها ويستكثرون منها، بعد يؤسهم وفقدهم واحتياجهم إلى ما يسد رمقهم، ويطيب في أنفسهم نضارتها وطراوتها بحيث يشغلهم عن أمور الآخرة، ورعاية ما هو الواجب في الدين.

لثلاً يقع في الهلاك الأبدي، كما أن الإبل تستلذ نبت الربيع وتستكثر أكله بشهوة صادقة، عقيب يبس الأرض وطول مدة الشتاء، وشدة افتقارها إلى ما يسد رمقها وكثرة جوعها، وتملاً منها أحناكها، وأعجبتنا نضارته بحيث أشغلتها عن رعاية ما يصلح مزاجها، ويحفظ نفسها، حتى أكثرت الأكل منه وهلكت بها، وهو عقلي.

هذا تشبيه المركب بالمركب، فقد ذكر المشبه والمشبه به، وأعرض عن حرف التشبيه للمبالغة فيه، ووجه الشبه: لثلاً يفضي إلى الإطئاب.

وفي قوله إلى أن انتكث عليه فتله: استعارة تخيلية مرشحة مكنتى بها عن رجوع ما استند به من التدابير إليه بالفساد والهلاك، مستلزمة لتشبيه هيئة ما يجمع عليه من الرأي والتدبير، وما استند به، دون الرجوع إلى الصحابة، بهيئة برم الحبل. ووجه الشبه: اشتراكهما في الاجتماع، وتخيل أنها فرد من أفراد هيئة الفتل الذي هو حقيقة في برم الحبل، وإلا لم يصح قيام الفتيل مقامها، ويذكر الانتكاث الذي هو من أوصاف المشبه به، وعليه رشح الاستعارة.

قوله أجهز عليه عمله: مشتمل على استعارة مرشحة في الأفراد ومجاز في التركيب، أما الأولى: فهي مستدعية قتله بالقتل المسبوق بجرح وإثخان ونحوه الذي هو مفهوم الإجهاز، ووجه الشبه: أنه قبل قتله قد أسرع إليه أسنة الألسنة وطعن بجداد سيوفها، كمن قتل بعد أن طعن بالرماح وجرح بالسيوف، وهو عقلي، وبإطلاق الإجهاز عليه رشحها.

أما المجاز في التركيب فلأن إسناد الإجهاز إلى عمله ليس حقيقة، لأنه قد صدر عن القاتلين، ولكن لما كان عمله هو السبب الحامل صح الإسناد إليه، إقامة للسبب الحامل مقام السبب الفاعلي، وقد عرفت أنه من أحسن وجوه المجاز. قوله وكبت به بطنته: مشتمل على استعارة تخيلية، مكنتى بها عن أن ارتكابه للأمر المذمومة من التنعم والترقه في المطعم والمشرب، والتوسع ببيت مال

المسلمين، صار سبباً لقتله، مستدعية لتشبيهه بطنته التي هي كناية عن كثرة الأكل من مال المسلمين، بالفرس المركوب، ووجه الشبه: أنه مدة خلافته متمكّن عليها مستمرة، وهي تنقله من تدبير إلى تدبير وأمر إلى أمر، يعني كان مطيعاً لها منقاداً. كما أنّ الراكب متمكّن على المركوب وهو ينقله من مكان إلى مكان، بحيث سلّم حركته بالكليّة إليه، وفوض سيره إليه، وهو عقلي، وتخيل أنها فرد من أفراد المركوب، وإلا لما صحّ إسناد الكبو الذي هو حقيقة في الحيوان إليها، وذلك مثل نطق الحمار بكذا، وهو تركيب في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة، لا يلتقط فحواه إلا المتدرّب بعلم البيان.

اللهم زدنا اطلاعاً على حقائق كلامه عليه السلام؛ قد شبّه عليه السلام هيئة إقبالهم عليه من كلّ جانب في ازدحامهم، هيئة ازدحام عرف الضبع. قوله: والناس إليّ كعرف الضبع، ووجه الشبه: أنهم حال إقبالهم عليه عليه السلام متتابعين يتلو بعضهم بعضاً من قيام مزدحمين، كما أنّ الضبع عرفها ذو شعر كثير قائم مزدحم، وهذا تشبيه المركّب، ووجه الشبه أيضاً مركّب من عدّة أمور.

في قوله مجتمعين حولي كربيضة الغنم: قد شبّه اجتماعهم حوله عليه السلام باجتماع الغنم في مريضها، ووجه الشبه: أنهم غير متفطنين ممّا هو الأصلح لهم، غافون عمّا هو اللائق بهم، غير مراعين قواعد الأدب والاحترام، في هيئة اجتماعهم عليه، كما أنّ الغنم لا تتفطن لما هو صالح لها، ولا تراعي الأدب، والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطنة، وهذا أيضاً مثل الأول بعينه.

في قوله كأنهم لم يسمعوا الله للمتقين: شبههم بمن لم يسمع هذه الآية، ووجه الشبه: عدم عملهم بمقتضاه والإعراض عنه. في قوله لألقيت حبلها على غارها: استعارة تخيلية مكّتى بها عن الأعراض، مرشحة مستدعية وهي معقولة، لتشبيهه الخلافة بالنافقة، وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكها في الانتفاع الحاصل

منها وتخيل أنها فرد من أفراد النوق، وإلا لما صحَّ إضافة الغارب إليها، وباللقاء الجبل على الغارب رَشَّح الاستعارة.

قوله كظَّة ظالم: كناية عن قوَّة ظلمه، وسغب المظلوم: كناية عن قوَّة الظلّامة. في قوله ولسقيت آخرها بكأس أوها: استعارة تخيلية مرشحة مكنتى بها عن الإعراض عنها آخرأ كالاعراض عنها أولاً، مستدعية لتشبيه إعراضه بالسقي بالكأس، ووجه الشبه: أنّ إعراضه عليه السلام عنها مستلزم لوقوع الناس في الحيرة والضلالة، بحيث لا سبيل لهم إلى الخلاص، كما أنّ السقي بالكأس مستلزم للشكر الذي يوجب الحيرة والضلالة في الطريق.

### البديع

في ينحدر عتي السيل ولا يرقى إليّ الطير: المقابلة؛ حيث قابل الانحدار بالرقى، والمتوازن؛ حيث قابل السيل بالطير، كما بين ثوباً وكشحاً، وبين الكثير والصغير: المتوازي والترصيع والمقابلة، وبين شجى وقذى: المتوازي، وفي تمثّل ارسال المثل، وبين المدة والحنة: المتوازي، وبين الضغن والصهر: المتوازن، والباقي معلوم من القواعد السالفة.

### الفحوى

إعلم أنّ الخوض في لبّ هذه الخطبة، وكشف الغطاء عن نفائسها، مسبوق بتقديم مقدّمة وهي: أنّ المسلمين قاطبة اختلفوا فيما صدر عنه عليه السلام في معنى التظلم من أمر الإمامة، وشكايته عليه السلام ممّن تولّأها دونه، مثل هذه الخطبة وغيرها من كلامه عليه السلام المصبوب في هذا القالب على مذهبين: أحدهما: ادّعاء التواتر فيه؛ وهو مذهب الشيعة المدّعين أنّ جميع ما اشتمل من كلامه على التظلم منقول عنه عليه السلام بالتواتر.

الثاني: إنكار صدوره عنه عليه السلام؛ وهو مذهب أهل السنة المدعين أن علياً عليه السلام ما شكى منهم أصلاً، بل وافقهم موافقة عن صميم الاعتقاد، وأكثرهم ينكرون هذه الخطبة أصلاً، ويقولون إنها من كلام السيد الرضي رضي الله عنه، والإنصاف أن نقول: المنكرون إن أرادوا بالإنكار تسكين عقائد العوام، وتخميد نار الفتنة بينهم، واتقاء التعصبات المذهبية لبهاء الإيمان، المسودة لصفائح القلوب، المكثرة إيّاها، ليستقيم أمر الدين، ولا تنشق عصا المسلمين، ولا يفسدوا عقائدهم بالاولين الذين بذلوا مجهودهم أولاً في أمر الدين، وأفنوا طاقتهم في تقويم عمود اليقين، فيقفوا إثرهم في متابعة الرسول على بذل الأموال والأولاد، فهو مقصد لطيف.

وعندي: لا يجوز أصلاً الطعن في آحاد الصحابة الذين حصل لهم كرامة مجرد الصحبة، فضلاً عن أساطينهم وأشرفهم، فإنه يفضي إلى هدم قواعد الدين، وذلك لأنّ المعتقد بجاهلهم إذا سمع الطعن في حقهم اجترأ في الطعن في آل محمد عليهم السلام والإنكار عليهم.

فيقع الهرج والمرج في الدين، ونشر الفتن في الناس، ويعرض أكثرهم عن القيام بأوامر الله والقبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها، ومن ثمّ أوجب الأئمة المعصومون عليهم السلام التقية والسكوت عما انطوت عليه العقيدة.

وإن أرادوا به النفي بالكلية، وعدم الخلاف بينهم أصلاً، فهذا مذهب ظاهر البطلان، لا يعتقده إلاّ الجاهل بالتواريخ والكتب المؤلفة في الأخبار والآثار عن الصحابة، فإنّ أمر السقيفة وما جرى من الصحابة، وتخلّف علي عليه السلام عن البيعة بين لا يرفع، ومكشوف لا يتقنع، منهم من ذهب إلى أنه لم يبايع أصلاً، ومنهم من ذهب إلى أنه بايع بعد ستة أشهر كرهاً مدة حياة فاطمة عليها السلام، على ما أورده الجعفي البخاري في صحيحه.

منهم من قال أنه بايع بعد أن قعد في بيته مدة، وبالجملة المناقشة بينه

وبين من تولى أمر الخلافة ثابتة بالتواتر المعنوي، فحينئذ لا يبقى لإنكار هذه الخطبة ونسبتها إلى الرضي معنى، على أنها قد اشتهرت بين العلماء قبل الرضي بزمان كثير.

روي عن مصدق بن شبيب النحوي<sup>(١)</sup> قال: لما قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمد الخشاب، ووصلت إلى قول ابن عباس: ما أسفت على شيء قط كأسني على هذا الكلام، قال: لو كنت حاضراً لقلت لابن عباس: وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة، فإنه ما ترك لا للأولين ولا للآخرين. قال مصدق: وكانت فيه دعاة فقلت له: يا سيدي فلعلها منحولة إليه، قال: لا والله إني أعرف أنها من كلامه، كما أعرف أنك مصدق، قال: فقلت له: إن الناس ينسبونها إلى الشريف الرضي، فقال: لا والله، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب، فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام، ولا ينتظم في سلكه، على أنني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل أن يخلق ابو الرضي، فضلاً منه.

قال ابن الميثم البحراني رحمة الله عليه: وقد وجدتها في موضعين هما قبل وجود الرضي: أحدهما: كتاب الانصاف لأبي جعفر بن قبة؛ تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة، وكانت وفاته قبل مولد الرضي، والثاني: أنني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير أبي الحسن علي بن محمد الفرات، وكان وزير المقتدر بالله، وذلك قبل مولد الرضي بنيتف وستين سنة، والغالب أن هذه النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة.

إذا عرفت ذلك فلنرجع الى فحوى الألفاظ المشككة فيها. قوله لقد تَمَمَّصها فلان وأنه — إلى الرحي —: يعني: قد تلبس أبو بكر على ما هو مصرح به في بعض

(١) مصدق بن شبيب بن الحسين الواسطي؛ ذكره في انباء الرواة (٣: ٢٧٤) وقال: أنه قدم بغداد وقرأ بها على ابن الخشاب، وحشبي بن محمد الضرير، وعبد الرحمان بن الأتباري، اوغيرهم، توفي ببغداد سنة ٦٠٥.

النسخ، وقال الشارحون: أراد به الخلافة وأخذها سريعاً، حال كونه عالماً أنّ نظام الخلافة تدييري ورأي، وانتظامها إنّما يتحقّق بي الرحي بالقطب.

قوله ينحدر عني السيل ولا يرق اليّ الطير: إشارة إلى بيان الموجب لكونه مدارها، وتقريره أنّ المتصدي لمنصب الخلافة مفتقر إلى أمرين لابدّ منهما: أحدهما: وجودي؛ وهو العلم بكيفية السياسات والتدابير، ورعاية النواميس الإلهية المستفادة من التأييد الإلهي والألطف السماوية والآثار العلوية.

فأشار بقوله ينحدر عني السيل: إلى أنّ العلوم الجمة التي بها صلاح العالم والبلاد، ونظام احوال العباد في المعاش والمعاد، من سماء الجود الإلهي الذي لا يخلّ فيه، ينزل عليّ دائماً ثمّ ينحدر عني إلى المتعظّين إليها المحتاجين إليها في التمسك بما يهديهم إلى الصراط المستقيم، بحسب استعداداتهم المختلفة على ما ينبئ عنه قوله تعالى:

فسالت أودية بقدرها، وبقوله ينحدر: إشارة إلى أنّ الإفاضة منه لازمة لا يخلّ فيها، كما هي من الفياض على الإطلاق، وذلك لأنّ الانحدار لا يكون إلّا من الموضع الصاعد المنحدر منه بالطبع طالب للسفل.

قوله السيل: إشارة إلى الكثرة، وإلى أنّ من أعدّ نفسه لقبول علومه وتشبّث به، أفاض عليه من حيث لا يحتسب علوماً جمة، والآخر: عدمي؛ وهو أن لا يصدر منه ذنب أصلاً، بان لا يلتفت إلى شيء سواه، ولا يقصد إلى ذنب أصلاً صغيراً كان أو كبيراً، لسلاً يحتاج إلى زاجر آخر يزجره عن المعصية ويفضي إلى التسلسل، وهو المعبر عنه بالعصمة، وإليه أشار بقوله: ولا يرق اليّ الطير: أي لا يتوجه اليّ ذنب من الدنيا، ولا يصعد شيء اليّ من ظلمة التعلّق بالأموال الفانية.

هو معنى في غاية اللطافة ونهاية النفاسة، ومن فسره بالكناية عن العلوّ والارتفاع وغايته فقد بقي في مطمورة القشر، وما تنقط<sup>(١)</sup> للقطع الذي أقدم



عليه السلام عليه والدالة على الاستيناف، فافهم هذا فإنه نفيس شريف جداً لا غبار عليه ولا مزيد.

قوله فسدت دونها إلى كشحاً: يعني أرخيت بيني وبينها حجاب الإعراض لئلا يطلع على سرّها من تشبّث بظاهر الدين، ولا يفسد الاعتقاد بأعظم الصحابة، فتخلّ قواعد الدين، وعدلت عن جهتها، وقطعت النظر عنها، فإنّ من عدل عن جهته، فقد طوى كشحه عنها.

قوله طفقت إلى طخية عمياء: يعني أخذت أرى لنفسي ما هو أصلح لها وأوفق، وأردّد وأفكر بين أحد أمرين: إمّا أن أصول على من تلبّس بها دوني، أو أعرض عنها، وفي كلّ واحد منها فساد وخطر، أمّا الأول: فلأنّ القيام بالطلب من غير وجود ناصر مشوّش لأحوال المسلمين من غير جدوى، ومجلب للتعب إلى نفسه ربما يفضي إلى إلقائها إلى التهلكة، وهو منهيّ عنه بقوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة<sup>(١)</sup>».

أما الثاني: فلأنّ الصبر عليها والإعراض عنها مستلزمان لمشاهدة التباس أمور المسلمين واختلاطها، وامتزاج الحقّ بالباطل، بحيث يفضي إلى رفع التميز بينها عند الأكثرين، وتلك صعبة على الآخذ بالحقّ الملازم على طريقه، ثمّ ذكر لتلك المشاهدة والفتنة أوصافاً ثلاثة:

الأول: يهرم فيها الكبير.

الثاني: يشيب فيها الصغير؛ وهما كنياتان عن طول مدة الفتنة واستمرارها بين الناس.

الثالث: أنّ المؤمن الشاب على الحقّ، الذابّ عنه، يقاسي ويتعب في خلاص نفسه عنها حتّى يلقى ربّه، أي: يأتيه الموت الذي هو الموصل للمؤمن إلى إلقاء الحقّ، ومن ثمّ قال عليه السلام: الموت تحفة المؤمن، قيل: يسمى ويدأب في

الوصول إلى حقّه، فلا يصل إليه حتّى يموت، وهو ليس ببعيد عن الصواب، والأوّل أظهر.

قوله فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى: إشارة إلى ترجيح القسم الثاني وهو الصبر في فكره، يعني: فرأيت أنّ الصبر على مشاهدة الطخية العمياء واسود الأمور أوفق للعقل، أو أولى وأقوم وأليق بنظام الاسلام، أو أقرب إلى الضنن بالدين بحسب اختلاف معنى أحجى على ما عرف في اللغة، والسبب المرجح هو أنّ مقصوده عليه السلام من القيام بها ليس هو طلب الملك والتروّس كما هو دأب الجبابرة والسلاطين.

بل هو تشييد مباني الدين، وتمهيد قواعد اليقين، وإجراء قوانين العدل بين الخلق، الحافظة لسلسلة بقاء النوع، الرادعة للهرج والمرج، كما هو المقصود من بعثة الأنبياء والرسول، وكان طلبه في مبدأ الأمر بلا ناصريعضده يجلب الفساد، ويهدم قواعد الاتّفاق بين المسلمين الكاسر لرقاب المنافيقين، وينثر الفتن المخربة لأساس الإيمان.

أمّا الصبر: وإن كان فيه ترك ما هو الأولى، ولكن الفساد اللازم منه أهون من الفساد اللازم من الأوّل، وبعض الشّرّ أهون من بعض، واختيار الشّرّ القليل لدفع الشّرّ الكثير خير كثير، قوله فصبرت إلى شجى: قد عرفت أنّه كناية عن الغبن فلا نعيده.

قوله أرى تراثي نهياً: وأراد بالتراث حقّه من الإمامة وخلافة الرسول صلّى الله عليه وآله، الذي ورثه عنه بنصّه عليه السلام، ويصدق عليه التراث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكرياء عليه السلام: «يرثني ويرث من آل يعقوب»<sup>(١)</sup>، فإنّه أراد: يرث علمي ومنصبي في النبوة، وقيل: ما خلفه رسول الله صلّى الله عليه

وآله لا بنته كفدك<sup>(١)</sup> والحوالي<sup>(٢)</sup>، وإثما أضافه إلى نفسه لأن مال الزوجة في حكم مال الرجل.

أراد بقوله نهياً: منع الخلفاء الثلاثة لها تمسكاً بالخبر الذي رواه أبو بكر وهو: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فما تركناه صدقة، والأول أنسب بسياق الكلام، وأراد بالأول في قوله مضي الأول لسبيله: أبابكر، وبفلان بعده: عمر، وبالادلاء نضه على أنه هو الخليفة بعده مع دققة وهي: أن استخلافه إياه كان مصانعة على البيعة له إياه من قبله، وقد عرفت وجهها في اللغة، والتثمل وجهه قد عرفت، فلا نعيده.

قوله فيا عجباً إلى وفاته: الإشارة إلى أبي بكر واستقالته بقوله: اقولني لست بخيركم وعليّ فيكم، ووجه التعجب أن من طلب الإقالة من أمر، ظاهر الحال يشهد على أنه زاهد عنه متبرّم به، ليس له رغبة أصلاً إليه، وتوجهت إرادته إلى الخلاص منه، لكونه يرى من نفسه أنه لا يتأتى منه القيام بهذا الأمر كما هو شرطه.

فاذا عقد لغيره بعد وفاته ووصى به إلى سواه، كان ظاهر الحال يشهد على أنه في غاية التمسك به، والتحمل لأوقاره، والتلبس بأوراده حياً وميتاً، فيكون

(١) قدك بالتحريك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحاً، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله، وفيها عين قوّارة ونخيل كثير، وهبها رسول الله في حياته لفاطمة.

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله أخذها أبو بكر من عمّال فاطمة سلام الله عليها، وجاءت فاطمة إلى أبي بكر وقالت: إن رسول الله جعل لي فدكاً فأعطني إياها وشهد لها أيضاً أمّ آيين.

قال أبو بكر: يا بنت رسول الله إنه لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين. روي عن أم هاني: أن فاطمة أتت أبابكر فقالت له: من يرثك؟ قال: ولدي وأهلي، فقالت: فإياك ورثت رسول الله دوننا؟ والخبر طويل، راجع كتب التاريخ والسير.

(٢) التوالي بالفتح وهو جمع العالي ضد السافل، وهو ضيقة بينها وبين المدينة أميال وقيل ثلاثة، وذلك أذناها، وأبعدها ثمانية.

راغباً عنه راغباً فيه، وذلك يدلّ على أنّ باطنه لا يوافق ظاهره، ونيّته تخالف علانيّته، وهذا الوصف ليس من شعائر الصادقين المتّقين.

قوله يكثر العثار والاعتذار: كناية عن كثرة خطئه في الأحكام، لغلبة القوّة الغضبيّة وغلظ الطبيعة وسوء الخلق، والذي يدلّ على غلظ طبيعته ما أورده الغزالي<sup>(١)</sup> في الإحياء، وهو ما روي: أنّ عمر رضي الله عنه استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهنّ على صوته، فلمّا استأذن عمر تبارزن الحجاب، ودخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وآله يضحك فقال عمر: ممّ تضحك بأبي أنت وأمّي يا رسول الله؟ فقال عليه السلام:

عجبت لهؤلاء اللّواتي كنّ عندي لمّا سمعن صوتك يبارزن الحجاب، قال عمر: فكنت أحقّ أن يهبنك يا رسول الله، ثمّ أقبل عمر عليهنّ وقال: يا عدوّات أنفسهنّ أتهينني ولا تهينن رسول الله؟ فقلن: نعم أنت أظفّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وأغلظ. وقد مضى ما يتعلّق بمعنى قوله فصاحبها الى اعتراض.

قوله فصبرت إلى المحنة: إشارة إلى الصبر في الزمن الثاني على أمرين كلّ منهما مستلزم للأذى: أحدهما: طول المدة التي تولّاها فيها، الثاني: شدّة المحنة بسبب مشاهدته حقه في يد غيره، وعدم انتظام أمور الخلق، وانخراط أحوالهم في سلك الشريعة التي جاء بها رسول الله عليه السلام.

قوله حتّى إذا مضى إلى أحدهم: إشارة إلى انتهاء غاية أمره، وأراد بالجماعة أهل الشورى، وخلاصة حديث الشورى: أنّ عمر لمّا طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له: ينبغي أن تعهد عهداً أيّها الرجل وتستخلف رجلاً ترضاه،

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي؛ من الأعيان المشار إليهم، وكتبه وآثاره معروفة، درس في بغداد ونيسابور، وطاف في البلدان، فضائله مشهورة وعلومه كثيرة، توفي الغزالي سنة ٥٠٥ هـ بالطبران إحدى قسبي طوس، قال بعض المعاصرين: إنّ هذه القبة بطابران قبر الغزالي، وهذا قول باطل غير مستند على دليل، والظاهر أنّها خانقاه شيخ عثمان الماروني أحد مشايخ طوس.

فقال: لا أحب أن أتحمّلها حياً وميتاً، فقالوا: أفلا تشير علينا؟ فقال: أما إن أشير فإن أجبتم قلت، فقالوا: نعم.

فقال: الصالحون لهذا الأمر سبعة نفر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إنهم من أهل الجنة، أحدهم: سعد بن زيد وأنا مخرجه منهم، لأنه من أهل بيتي، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزيبر، وعثمان، وعليّ عليه السلام، فأما سعد فلا يعني منه إلا فظاظته، وأما من عبدالرحمن فلأنه قارون هذه الأمة، وأما من طلحة فتكبره ونخوته، وأما الزيبر فشحه، ولقد رأيت بالبقيع يقاتل على صاع من شعير، ولا يصلح لهذا الأمر إلا رجل واسع الصدر، وأما من عثمان فحبه لقومه وعصبيته لهم، وأما من عليّ فحرصه على هذا الأمر ودعابة فيه.

ثم قال: يصلي صهيب بالناس ثلاثة أيام يخلو الستة في بيت ثلاثة أيام ليتفقوا على رجل منهم، فإن استقام أمر خمسة وأبى رجل فاقتلوه، وإن استقر أمر ثلاثة وأبى ثلاثة فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، ويروى: فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن بن عوف.

ويروى: فتحاكموا إلى عبدالله بن عمر، فأبى الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الآخر، فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الأمر، قال عبدالرحمن: إن لي ولابن عمي سعد من هذا الأمر الثلاث، فنحن نخرج أنفسنا منه على أن نختار رجلاً وهو خيركم للأمة.

فقال القوم: رضينا غير عليّ فإنه اتهمه في ذلك وقال: أرى وأنظر فلما أيس من رضا عليّ رجع إلى سعد فقال: هلّمّ نعيّن رجلاً ونبايعه، فالناس يبايعون من بايعته، فقال سعد: إن بايعك عثمان فأنا لكم ثالث، وإن أردت أن تولّي عثمان فعليّ أحبّ إليّ، فلما أيس من مطاوعة سعد كنف عنهم، وجاءهم طلحة في خمسين رجلاً من الأنصار يبحثهم على التعيين.

فأقبل عبدالرحمن على عليّ عليه السلام وأخذ بيده وقال: أبايك على أن

تعامل بكتاب الله وستة رسوله وسيرة الخليفتين أبي بكر وعمر، فقال عليّ: تبايعني على أن أعمل بكتاب الله وستة رسوله وأجتهد رأيي، فترك يده وأقبل على عثمان وأخذ بيده، وقال له مثل مقاله لعلي، فقال: نعم، فكرر القول على كلّ منها ثلاثاً، فأجاب كلّ بما أجابه أولاً، فبعدها قال عبدالرحمن: هي لك يا عثمان، وبإيعه، ثمّ بايعه الناس.

قد روي: أنّ عليّاً عليه السلام شكّا إلى عمّه العباس ما سمع من قول عمر: كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، وقال: لقد ذهب الأمر متاً، فقال العباس: وكيف قلت ذلك يا ابن اخي؟ قال: إنّ سعداً لا يخالف ابن عمّه عبدالرحمن، وعبدالرحمن نظير عثمان وصهره، فأحدهما مختار صاحبه لا محالة، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين.

قد روي: أنّ عليّاً عليه السلام قال لعنه العباس رضى الله عنه: إنّي أدخل معهم في الشورى لأنّ عمر استأهمني الآن للإمامة، وكان من قبل يقول: إنّ رسول الله قال: إنّ النبوة والإمامة لا تجتمعان في بيت، وإنّي لأدخل في ذلك إذا ترك هو بنفسه ما روى أولاً، وفي بعض النسخ: زعم اني سادسهم.

قوله: فيا لله إلى النظائر: إشارة إلى الاستعانة بالله في الشورى، والاستفهام عن زمان عروض الشكّ في أذهان الخلق في أنّه عليه السلام هل يساوي الأوّل منهم أم لا؟ حيث يدخله في الأوّلين على سبيل الإنكار والتعجب، حتّى جعله واحداً من هؤلاء النظائر المذكورين، ومشاركاً لهم في المنزلة والاستحقاق، وليس هذا إلّا ممّا يفرضي منه العجب وأمكنت منه الإنكار. قوله لكتي إلى طاروا: يعني نزلت على وفق نزولهم، وصعدت على وفق صعودهم، وتركت ما هو مقتضى العقل والنقل رعاية لنظام الخلق، يعني: ما كنت مثلاً لهم في الاستحقاق حتّى رضيت بمشاركتهم عن طواعية ونيّة صادقة، ولكنّي راعيت المصلحة بين الخلق للدين،

ووافقهم ورضيت بها عن كراهية.

قوله: فصغى رجل منهم لضغنه: أي فال رجل من هذه النظائر وهو سعد بن أبي وقاص لحقد كان له معه عليه السلام، ولذا تخلف عن بيعته عليه السلام بعد قتل عثمان رضي الله عنه. قوله: ومال الآخر لصهره؛ هو إشارة إلى عبدالرحمن بن عوف، فإنه مال إلى عثمان لمصاهرة كانت بينهما.

قال ابن الكلبي<sup>(١)</sup>: عبدالرحمن زوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأمتها أروى بنت كريز، وأروى أم عثمان، فتكون أم كلثوم اخت عثمان من أمه. قوله: مع هن وهن؛ إشارة إلى أن ميل عبدالرحمن ليس بمجرد المصاهرة، بل لأمر أخرى يجب أن لا تذكر، لئلا يفسد اعتقاد العوام في حق أعظم الصحابة، ويحتمل أن تكون النفاسة عليه والحسد بوصول هذا الأمر وغيرهما من الأمور التي لها مدخل في ميله إليه.

أراد ثالث القوم: عثمان و بني أبيه بني أمية بن عبد شمس، ويحتمل أن يكون المراد أقرباءه مطلقاً وإنما خصّ بنو أبيه تغليّباً للذكورة. وقوله إلى أن قام إلى بطنته: معلوم ممّا تلونا عليك في البيان، فلا يحتاج إلى الإعادة. قوله:

حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفائي: إشارة إلى المباينة في ازدحامهم، يعني: أقبلوا عليّ مزدحمين يتلو بعضهم بعضاً حتى لقد قهر الحسن والحسين عليهما السلام أشدّ القهر، وشقّ قميصه بالجلوس على جانبه، وحصل الأذى للصدر والمنكبين.

فيكون شقّ عطفائي كناية عن حصول الأذى للمنكبين بوساطة جذب

(١) أبو المنذر هشام بن أبي النضر الكلبي الكوفي؛ كان من أعلم الناس بعلم الأنساب، وقد أخذ بعض الأنساب عن أبيه أبي النضر الذي كان من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، ونشأ أبو المنذر هشام الكلبي بالكوفة، وكان عالماً بأخبار العرب وأيامها ومشالها ووقائعها، قال ابن الكلبي: اعتلت علة عظيمة نسبت علمي، فحسنت إلى جعفر بن محمد فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي، وكان أبو عبدالله عليه السلام يقربه ويدينه وينشطه، توفي سنة ٢٠٦.

اليد للبيعة، ويحتمل أن يكون العطفان أراد بها جانبي القميص على سبيل المجاز إطلاقاً لاسم المحل وإرادة الحال بواسطة المجاورة، فيكون معناه شقّ جانباً قيصي بكثرة شدة الجذب.

وأما على الرواية الأخرى فعناه: شقّ رداؤه بالجذب عند خطابه والجلوس على جانبه، وهذا يدلّ على شدة اهتمامهم بالبيعة، وكونهم قبلاً قد بايعوامع غير مرضي لهم مقبول عندهم، وعلى خلافية طباعهم وسوء أدبهم في رعاية التوقير والتعظيم لرئيسهم كما هو عادة العرب.

قد حكى السيد المرتضى رضي الله عنه: أنّ أبا عمرو محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام وطئ الحسنان؛ أنّها الإبهامان، وروى: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إنّما كان يومئذ جالساً محتبياً، وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسماة بالقرفصاء؛ وهي جمع الركبتين الذبل، فلما اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطأوا إبهاميه وشقّوا.

في أنّهم على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم في فنون العلوم الأصولية والفروعية منسوبون إليه عليه السلام، وذلك مما قد يتبين في المواضع المتفرقة، فإذا كان هو عليه السلام مصدر الكمال ومعدن السياسات، كان متعياً لأن يكون خليفة من الله تعالى، فلوتلبس بها غيره ممن لم يكن له خلاق بما فاز به، كان كمن ليس ثوباً مستعاراً.

قوله لا يرق إلى الطير: إشارة إلى أنّه عليه السلام قد وصل من مراتب الكمال ومنازل العظمة والجلال، إلى مقام يكون أرفع من كلّ جبل مرتفع تفرضه من بين الجبال الشاخمة أعلاها، إذ كلّ جبل تصوّره عالياً يكون للطير مجال الرقي بالطيران إليه، وأنا قد وصلت في علو الرتبة وسمو المنزلة إلى حيث لو فرضناه مرتفعاً جسمانياً لا يمكن للطير الرقي إليه بالطيران.

فيكون هذا قوله: كناية عن وصوله إلى أعلى المراتب وأجلّ المناصب، هذا



القدر هو الذي فهمته من فوائد كلامه<sup>(١)</sup> لا زال جنبه المعلى ملجأً للاقبال محطاً للرجال، وقد التقى إليّ أدام الله ظلال جلاله مجيباً إيتاي ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من شهور سنة اثنتي عشرة وسبعمائة في حدود ميدان.

### اللطائف الرشيدية

قد سألت تلك الحضرة العلية لا زالت مظهرًا للأنوار الربانية، مفيضاً للفيوض الإلهية، في يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الآخرة، من شهور سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بحدود دينور، عن تحقيق قوله عليه السلام:

صاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم.  
فأجاب عنها أدام الله ظلّه الوارف<sup>(٢)</sup> ارتجالاً من غير إتعاب فكر، ولا إكدار نظر، راكباً أنّ مراده عليه السلام أنّ صاحب الخلافة: أي المتصدي لذلك المنصب العليّ، المشتغل هذا المهمّ الدينيّ، المستولي عليها استيلاء الراكب على المركوب، مثل راكب الناقة الصعبة التي لم تكن سلسلة منقادة له، وكان في يده زمامها، لئلا يطرحه في الهاوي، ويستقيم حالها في سلوك الجادة المسلوكة إلى المقصد المطلوب، ولا يحيد عنها، قطع أنفها من حيث إنّها لكونها غير منقادة، لا توافي صاحبها في الإنجذاب والإنقياد، وإن شتتها ملتي حبل الزمام على غارها محليّ

(١) كذا في الأصل، والضمير راجع إلى رشيد الدين فضل الله الهمداني الوزير المعروف في القرن الثامن.  
(٢) الظاهر هورشيد الدين أورشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير الهمداني وزير السلطان محمد خدابنده، سلطان إيران المغولي، وقد جاء في هذا الكتاب ذكره في موارد كثيرة يسأل منه الشارح مشكلات نهج البلاغة، ويظهر أنّ الشارح كان مصاحباً له في الحضرة والسفر، وكان من خواصه وندمائه، قال ابن حجر في الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٣٢: فضل الله بن أبي الخير بن غالي الهمداني الوزير رشيد الدولة ابوالفضل، كان أبوه عطاراً يهودياً، فأسلم هو واتصل بغازان، فخدمه وتقدّم عنده بالطلب إلى أن استوزره، وكان ينصح المسلمين ويذب عنهم، ويسمى في حقن دماهم. له في تبريز آثار عظيمة من البرّة، وكان شديداً على من يعاديه أو ينتقصه، يثار على هلاكه، وكان متواضعاً سخياً كثير البذل للعلماء والصلحاء، وله تفسير على القرآن فسره على طريقة الفلاسفة، فنسب إلى الإلحاد، وقد احترقت بعد قتله، قال الذهبي: كان له رأي ودهاء ومروءة، قتل سنة ٧١٨ بأمر جويان.

زمامها.

تقحم أي أدخل صاحبها بلا اختياره في المهالك الواقعة على اطراف المسالك، فكذا حال المتلبس بالخلافة، إن شدد الأمر على الرعايا، وضيق الأحوال على البرايا، خرجوا متفقين عن طاعته، وأطبقوا على خلعها عنه، بناءً على وجدانهم مرارة الحق وحلاوة الباطل.

فيقع أمره في الهرج والمرج، ويبقى معطلاً عن الخلافة التي استولى عليها، تعطيل الراكب عن الناقة الصعبة، إذا خرم أنفها، وإن أهمل قواعد الدين ونبد وراء الظهر معاهد اليقين، مقتنياً آثار مآرهم، متبعاً مراسم مطالبهم تقع تلك الخلافة وبالأعلى عليه، بل تصير سبباً لاستحقاقه العذاب الأليم والنكال العظيم في العقبي، حيث حاد عن امتثال أمره تعالى.

حيث قال لداود عليه السلام: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق»، فعلى كلا التقديرين لا يحصى له عن الوقوع في المحذور إما عاجلاً أو آجلاً، وأفاد أنه عليه السلام إنما شبه الخلافة بالناقة الصعبة، لأن الناقة وإن كانت موصلة إلى المقصد البعيد، ولكنها إذا كانت صعبة سقط الوثوق عنها والتعويل عليها.

لعدم ثباتها واستقرارها وأنسها بصاحبها، والفها بقطع المراحل وطى المنازل، فكذا الخلافة والسلطنة بل أمور الدنيا كلها، لكونها في معرض التغيير والزوال، وصدد التبديل والانتقال، لا ثبات ولا قرار ولا استيناس ولا ائتلاف، فهذا معنى لطيف شريف نفيس جداً.

\* \* \*

#### ٤- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِنَا أَهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ، وَتَسَنَّنْتُمْ العُلْيَاءَ، وَبِنَا أَنْفَجَرْتُمْ  
عَنِ السَّرَارِ. وَقِرَاسَمَعٌ لَمْ يَفْقَهُ الوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي السَّنْبَاءَ مَنْ  
أَصَمَّهُ الصَّيْحَةُ. رَتَبَ<sup>(١)</sup> جَنَانَ لَمْ يُفَارِقُهُ الخَفَقَانُ؛ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ  
بِكُمْ عَوَاقِبَ العَدْرِ، وَأَتَوَسَّسُكُمْ بِحِلْيَةِ المُفْتَرِينَ، سَتَرْتَنِي عَنْكُمْ  
جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرْتَنِيكُمْ صِدْقُ النَّبِيِّ.

أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الحَقِّ فِي جَوَادِّ المَضَلَّةِ، حَيْثُ  
تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ<sup>(٢)</sup>، اليَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ  
العَجَمَاءَ ذَاتَ البَيَانِ، عَزَبَ رَأْيِي<sup>(٣)</sup> أَمْرِي تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَّكْتُ  
فِي الحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ<sup>(٤)</sup>، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْفَةً عَلَى  
نَفْسِهِ: أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَالِ وَدَوَّلِ<sup>(٥)</sup> الضَّلَالِ. اليَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى  
سَبِيلِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَا لَمْ يَظُنَّمَا.

#### اللغة

تستمت: أي علوت؛ يقال تستم أي علا، وهو من السنام الذي هو أعلى  
البعير، ويقال أيضاً أسنمت النار إذا علا لهيها.  
انفجرتم: أي انكشفت؛ يقال انفجرت أي انكشف، وانفتح من الفجر الذي  
هو انكشاف النور من الظلمة.

(١) في ر: وروي ربط على مالم بيسم فاعله.

(٢) في حاشية م: ولا تمهون.

(٣) في ض: غرب رأي امره.

(٤) في م: منذ أريته.

(٥) في حاشية م: دولة الضلال.

السرار: من الشهر آخر ليلة منه، وكذلك السرار بالفتح والسرور، وهو مشتق من قولهم استسر القمر أي خفي ليلة السرار، فربما كان ليلة وربما كان ليلتين.

الوقر بالفتح: الثقل في الأذن، وقد وقرت أذنه بالكسر توقر وقرأ أي صمت، وقياس مصدره التحريك، إلا أنه جاء بالتسكين، وقر الله أذنه يقرها وقرأ، يقال اللهم قر أذنه، ووقرت أذنه على ما لم يسم فاعله فهو موقور، فبكسر العين في الماضي والفتح في الغابر لازم، وبالعكس متعده، وما كان من الكتاب من المتعدي، لأنه على بناء المجهول.

لم يفقه: أي لم يفهم، يقال: ففقت الأمر أي فهمته، ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب: ما نفقه كثيراً مما تقول<sup>(١)</sup>، أي ما نفهم، وقوله تعالى: ولكن لا تفقهون تسيحهم<sup>(٢)</sup>.

الواعية: الضابطة، وقيل الصارخة، والصارخ لفظ مشترك بين المغيث والمستغيث، وأراد به هنا المغيث.

يقال راعاه: إذا مال إليه سمعه؛ أي أصغى إليه.

النبأة: الخبر المرتفع، وقيل: هي الصوت الخفي.

الصبيحة والصياح: الصوت، يقال صاح يصيح صيحاً وصبيحة وصياحاً وصيحاناً بالتحريك، وأراد بها هنا الصوت العالي.

ربطت الشيء بفتح العين في الماضي وكسرهما في الغابر وكذا ضمتهما عن الأحفش، أي شدته، ربط جنانه أي اشتد، يقال: فلان رابط الجأش ورببط الجأش أي شديد القلب، كأنه تربط نفسه عن الفرار.  
الخفقان: الاضطراب والارتعاش.

(١) هود: ٩١.

(٢) الإسراء: ٤٤.

العواقب: جمع عاقبة، وعاقبة كل شيء آخره وخاتمته، ومنه قول النبي عليه السلام: أنا العاقب؛ أي آخر الأنبياء. الغدر: ترك الوفاء. قد غدر به: فهو غادر وغدر، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء بالشم، يقال: يا غدد.

توسم: أي تفرس، قال الله تعالى: إن في ذلك لآيات للمتوسمين<sup>(١)</sup>، أي المتفرسين، وإنما يقال للمتفرس المتوسم لأنه يستدل بالوسم الظاهر على الأسرار الكامنة، والوسيم الأثر، يقال: وسمت الشيء وسماً إذا أثرت فيه بسمه وهي العلامة، ويقال للرجل الجميل: الوسيم لحسن وسمه، والميسم الجمال. الحلية: النعت، يقال حلية الرجل صفته. المغترين: أي المخدوعين. يقال اغتر بالشيء: خدع به.

سترت الشيء: بالفتح في الماضي والضم في الغابر سترت إذا غطيته، فاستتر هو وتستر أي تغطى، والستر بالكسر واحد الستور، والأستار والسترة ما يستتر به كائناً ما كان، وكذلك الستارة الجلباب والملحفة. يقال: بصر الشيء تبصيراً أي عرفه وأوضحه، والتبصر التأمل والتعرف. السنن: الطريقة والوجهة.

الجواد جمع جادة: وهي معظم الطريق. المضلة: بكسر الضاد وفتحها ما يضل فيه، يقال: أرض مضلة بالفتح أي يضل فيها الطريق، وكذلك أرض مضلة بفتح الميم وكسر الضاد، وضل الشيء يضل ضلالاً أي ضاع وهلك، والاسم الضل بالضم، ومنه قولهم: هو ضل بن ضل إذا كان لا يعرف ولا يعرف أبوه.

الدليل: ما يستدل به، والدليل الدال، وقد دلّه على الطريق يدّله دلالة ودلولة، والفتح أعلى، والدليلي الدليل.

وظمئت إلى لقائك : أي اشتقت.

### الاعراب

الضمير المجرور في بنا راجع إلى آل الرسول عليهم السلام، والمرفوع في اهتديتم وأخويه راجع إلى الحاضرين من قريش من مخالفه وموافق طلحة والزبير، وإن كان عاماً، وفي وقر روايتان: المعلوم؛ وحينئذ لازم، والمجهول؛ وهي أشهر، تقديره: وقر الله اذنه، وفي ربط أيضاً روايتان: المعلوم؛ وهو من ربط جنانه أي اشتد وهو لازم، والمجهول؛ وهي أشهر، تقديره: ربط الله جنانه ولم يفارقه.

الخفقان: جملة في محلّ الرفع على أنها نعت لجنان، وبحلية المغترّين كلمة في موضع الحال وذو الحال يحتمل أن يكون الضمير المرفوع في أتوسمكم تقديره: أنا حال كوني متلبساً بجليتهم، وأن يكون الضمير المنصوب البارز للخطاب، والتقدير ظاهر، وفي أنطق لكم روايتان: إحداهما بضمّ الهمة وهي الأشهر، والاخرى بفتحها.

قيل: العجماء نعت منعت محذوف تقديره الكلمات العجماء وأراد بها الرموز المذكورة في هذه الخطبة، منذ مبني على الضمّ، ومذ مبني على السكون، وكلّ واحد منها يقع في كلام العرب على وجهين: أحدهما: أن يكوناً بمنزلة حرف جر فجزاً ما بعدهما كما يجرّ في، ولا تدخلان حينئذ إلا على زمان أنت فيه، فتقول ما رأيته مذ الليلة، والآخر: أن يكوناً اسمين فإ بعدهما يكون مرفوعاً على التاريخ أو على التوقيت، تقول في التاريخ: ما رأيته مذ يوم الجمعة، أي أول انقطاع الرؤية يوم الجمعة.

تقول في التوقيت ما رأيته مذ سنة، أي أمد ذلك سنة، وفي قوله مذ رأيته للتاريخ يعني: ما وقع لي شكّ في الحقّ من أول يوم حصل لي الإراءة، أشفق: فعل ماض وقع استدراكاً للنفي السابق عليه، وقيل أفعل التفضيل، منصوب على الصفة

لخيفة، والتقدير: لم يوجس إشفاقاً على نفسه أشد من غلبة الجهال، والباقي ظاهر.

### المعاني

إنما قدم الضمير المجرور على الفعل الذي تعدى به ليفيد القصر على القلب، يعني: ليس الأمر ما تصوّرتم واعتقدتم من أن الاهتداء والشرف والدخول في الاسلام حصل لكم بغيرنا، بل ما حصل إلّا بنا، وفي قر سمع خواصّ ثلاث للبلاغة إحداها: القطع عمّا قبله منبأ عن سؤال مقدر هو رابط للتراكيب بعضها ببعض. ثانياً: إيراد الفعل الماضي المجهول ليكون موجزاً وهو ركن من البلاغة ومورداً على سبيل التمثيل والتوبيخ لهم. وثالثها: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وفائدته التفتن في الكلام، وعدم خطاب الحاضرين بالدعاء السوء لتلايته جهوه وربّما يعارضوه بما لا يليق بمنصبه العظيم، وفي ربط جنان عن الرواية الثانية أيضاً الخواصّ الثلاث مع خاصيّة أخرى هي جعل الجملة نعتاً ليؤذن أن المستحقّ للدعاء بالثبات والإطمينان ليس كلّ جنان، بل جنان خاصّ.

في ما زلت أنتظركم: خاصّيتان دقيقتان إحداها: تقديم بكم على عواقب الغدر لإفادة القصر للإفراد، والأولى أن يكون للقلب، يعني: ليس الحال كما اعتقدتم من أن الانتظار بغيركم، بل ليس إلّا بكم، والثانية: تقديم ما زلت على أنتظر لإفادة الاستمرار وتجدد الانتظار لحظة فلحظة، كما في قوله تعالى: الله يستهزئ، قيل سترني عنكم جلاباب: مشتمل على القلب الذي لا يقدم عليه إلّا الشجعان في البلاغة والأبطال في الفصاحة، تقديره: ستركم عتي جلاباب الدين.

في تقديم عنكم: القصر للقلب يعني: جلاباب الدين ما سترني إلّا عنكم دون غيركم من الذين وجدوا سطوات صولتي، أو الذين دقوا باب الملكوت وولجوا فيها، ورزقهم الله جلاء النفس عن أرجاس الطبيعة على ما تعرف في الفحوى تمام معناه.

وفي عزب رأي امرئ: أيضاً الالتفات من الخطاب إلى الغيبة لما ذكرنا، وما شككت: جملة استينافية دالة على الجواب عمن سأل عن بيان الدعاء على من تخلف عنه، هذه الخطبة الملققة من خطبة طويلة أكبرها مصبوب في قالب القطع الذي هو مجز البلاغة.

### البيان

في الظلماء: استعارة تخيلية مكنتى بها عن الجهل والكفر متالا خلاص بها، ولا مناص، مستدعية لتشبيها وهما معقولان بالظلمة، ووجه الشبه: اشتراكها في عدم الاهتداء فيها إلى الطريق المسلوك إلى المقصد، ويخيل أنها من أفرادها، وفي تستتم العلياء: استعارة تخيلية مرشحة مستلزمة لتشبيه العلياء المكنتى بها عن الإسلام وهي معقولة، بالناقة وهي محسوسة.

وجه الشبه: اشتراكهما في الانتفاع الحاصل من كلّ منها اللائق به، وهو عقلي، وتخيل أنها من أفراد الناقة، وبذكر التستم الذي هو ركوب السنام رشحها، وفي انفجرتم عن السرار: استعارة تخيلية مرشحة مستلزمة لتشبيه الهيئة الحاصلة من ظلمة الكفر المطبقة في آخر الأديان لاندراسها أو لخفائها، بالهيئة الحاصلة من الظلمة المطبقة في آخر الشهر لخفاء القمر ودون أن يتبدل بأدنى نور من الهلال.

ووجه الشبه: اشتراكهما في الظلمة التي قرب انقضاؤها وتبدلها بالنور، وهو عقلي، وهذا تشبيه المركب بالمركب، وبذكر انفجرتم رشحها، وهذه استعارة في غاية الدقة واللطافة، لا يتفظن لها إلا المتدرّب بعلم البيان، المالك للذوق السليم والطبع المستقيم.

كنتى بالواعية: عن نفسه، إذ من لوازمه حفظ كتاب الله تعالى والقيام بأوامره والاجتناب عن نواهيه، أو الصياح فيهم بالموعظة الحسنة، والمغيث لهم اذا استغاثوا به في تقرير قوانين الدين ومراسم اليقين.



في كيف يراعي إلى الصيحة: استعارتان مكثّتان عن أنّهم إذا لم يجيبوا داعي الحقّ ونداءه، فبالأحرى أن لا يجيبوا دعوته، مرشّحتان تخييلتان إحداهما: مستدعية لتشبيه دعائه عليه السلام إياهم إلى سبيل الحقّ بالصوت الخفيّ وهما محسوسان بحسّ السمع، ووجه الشبه: اشتراكهما في الضعف الحاصل لهما بالقياس إلى دعاء الحقّ والصوت العالي وهو عقلي، وتخييلي أنّه من أفراد الصوت، والثانية: مستلزمة لتشبيه دعوة الله ورسوله إياهم بالصوت العالي، ووجه الشبه: اشتراكهما في العلوّ وهو عقلي، وقد رشح الأولى بذكر يراعي والثانية بذكر الإصمام.

لم يفارقه الخفقان: كناية عن الخوف، إذ من لوازمه اضطراب القلب، وفي قوله سترني عنكم جلباب الدين: استعارة تخيلية تصرّحية مرشّحة لتشبيه الدين وهو عقلي، بالملحفة وهي حسّيّة، ووجه الشبه: اشتراكهما في التغطية المناسبة لكلّ منهما وهو عقلي.

يحتمل أن يقال إنّه حسّي، ويخيّل أنّه من أفرادها، وإلا لم يصحّ الإضافة، وبإسناد السّرّ إليه رشحها، وفي جواد المضلة: استعارتان إحداهما: مكتى بها عن كون الأهواء والبدع طرائق مسلوكة إلى الضلال مستدعية لتشبيهها وهي معقولة، بالجواد وهي محسوسة.

ووجه الشبه: اشتراكهما في الإفضاء إلى ما هو المنتهى من كلّ منهما اللائق بها، والثانية: مكتى بها عن أنّ الكفر والجهل ممّا يحصل به الضلال ولا يبتدى به إلى المقصود، مستدعية لتشبيه الكفر وهو عقلي، بالأرض التي يضلّ فيها الطريق، وهي حسّيّة، ووجه الشبه: اشتراكهما في عدم اهتداء المتمسكّ بها إلى المقصد وهو عقلي، وبالإضافة رشحها.

في تحفرون: استعارة مكتى بها عن الكدّ في طلب العلم والظفر عليه، مستدعية لتشبيه الباحث عن مظانّ العلم المتفحص عنها المذهب عنها العوائق والحجب الحائلة، بالمتحفر الأرض للماء، وهما محسوسان.

ووجه الشبه: اشتراكهما في الطلب والسعي، وهو عقلي، وهنا أيضاً استعارة أخرى لازمة لهذه مستدعية لتشبيه القلوب بالآبار، ووجه الشبه: اشتراكهما في المعدنية للمقصود والمحلية، وهو عقلي.

في لا تميون: أيضاً استعارة أخرى مكنتى بها عن عدم البلوغ إلى العلم الذي هو المقصد، مستدعية لتشبيه العلم بالماء، وقد عرفت وجهه غير مرة، وبه حصل الترشيح للاستعارة الأولى، والتتيم الذي هو فن من الفصاحة في العجاء استعارة تخيلية تصریحية مستلزمة لتشبيه الأحوال المشاهدة من كمال فضله عليه السلام والمثلث التي حلت على الفاسقين عن أمره، بالحيوان الذي لا يفصح عما أراد.

وجه الشبه: اشتراكهما في عدم النطق المقالي. وبقوله ذات البيان: نبّه على أنّ التشبيه اللازم هو التشبيه بالتفضيل لقول الوطواط<sup>(١)</sup>:

«حسبت جماله بدرأ مضيئاً» وأين البدر من ذلك الجمال.

ولوقلنا أنّ العجاء نعت للكلمات المحذوفة، فالتشبيه أيضاً قائم، ولكن المشبه الكلمات هنا، لا الأحوال والمثلثات. وفي من وثق بماء لم يظماً: استعارة تخيلية مرشحة مكنتى بها عن أنّ الواثق به عليه السلام المتشبهت بذيل علمه يحتاج إلى شيء يرويه ولا إلى ما يتعبه ويهلكه، مستدعية لتشبيهين: أحدهما: تشبيه نفسه عليه السلام بالماء وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في دفع الأذى بهما.

والآخر: تشبيه المسلمين المحتاجين إلى التمسك بالدين بالعطشان، ووجه الشبه: اشتراكهما في الافتقار إلى ما يسد الحاجة لهم، ولتخييل أنّه من افراد الماء، وإلا لم يصحّ تعدية وثق به، وبقوله لم يظماً رشحها، ولوقلنا أنّ الماء استعارة مكنتى

(١) محمد بن إبراهيم جمال الدين الأنصاري الحضرمي الوراق، كان أديباً ماهراً عارفاً بالكتب، جمع مجاميع أدبية، له غرر الخصائص الواضحة، ومناهج الفكر، وغير ذلك، توفى سنة ٧١٨، والوطواط أيضاً لقب رشيد الدين محمد بن عبد الجليل البلخي؛ الأديب الشاعر ذو اللسانين، كان من نوادر الزمان وكاتب السلطان خوارزمشاه، توفى سنة ٥٧٣.

بها عن علمه عليه السلام لكان حسناً جداً، والتحقيق ما عرفت غير مرة.

### البديع

بين الظلماء والعلياء: المتوازي والترصيع، كذا بين الجهال والضلال، وفي اليوم توافقنا على سبيل الحقّ والباطل: نوع من اللق والنشر، إذ التقدير: نحن متوافقون على سبيل الحقّ، وأنتم متوافقون على سبيل الباطل.

### الفحوى

إعلم أنّ هذه ألفاظ ملفقة ملتقطة من خطبة طويلة له عليه السلام، خطب بها بعد قتل طلحة والزبير على ما روى أبو علي بن مسكويه<sup>(١)</sup>، ومع احتوائها على المواعظ الزاجرة المحرّكة للنفس إلى الرجوع إلى جناب العزة تعالى وتقدّس، والإقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام، في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة، ومن عجائبها أنّ كلّ كلمة منها صالحة للإفادة على سبيل الاستقلال، مع قطع النظر عمّا قبلها وما بعدها، ولأنّ يكون من تنمّة السابق وتوطئة اللاحق على ما سنحقّقه إن شاء الله تعالى.

قوله بنا اهتديتم في الظلماء: أي بالتشبّث بنا ودعوتنا إيتاكم إلى الحقّ بما أنزل الله علينا من الكتاب والحكمة، حصل لكم الاهتداء من ظلمات الجهل، لا بغيرنا وإن اعتقدتموه، فلا يليق بكم ولا بإسلامكم أن تنكروا حقّنا وولايتنا وتؤثروا غيرنا علينا. قوله وتسمّمتم العلياء: أي؛ وبتلك الهداية الحاصلة لكم ممّا

(١) الحكيم أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه الغاز الرازي الأصبهاني المسكن، كان من أعيان العلماء واران الحكماء، معاصر لابن سينا، صحب الوزير المهلب في أيام شبابه إلى أن اتّصل بخدمة عضد الدولة، فصار من كبار ندمائه ورسله إلى نظرائه.

له مؤلّفات في الحكمة، منها: كتاب الفوز الأكبر، وكتاب الفوز الأصغر، وجاويدان خرد بالفارسية، وتجارب الأمم، والظاهرة في علم الأخلاق، ومدحه المحقّق نصير الدين الطوسي، وتوفى سنة ٤٢١هـ.

وشرف الإسلام علا قدركم وشرف ذكركم.

قوله وبنا انفجرتم عن السرار: أي بسببنا دخلتم في فجر الدين، وخلصتم من ظلمة الجاهلية المطبقة، التي قرب الله كشفها بطلوع نور النبوة من افق الدعوة، وتنور باطنكم بنور الاسلام، واشتهرتم بين الناس، وكشف الليلة المظلمة ببدء نور الهلال، وتنور صفات العالم بنوره، واشتهر به حيث تعم كل موضع يحاذيه، فلا يجوز لكم أن لا تطيعونا، وتكفروا بنعمتنا العظمى التي هي الهداية، ولا تصفوا إلى دعوتنا.

ثم لما نفروا عنهم واستكبروا عليهم ولم يستضيئوا بنور هدايتهم، التفت من الخطابة إلى الغيبة، ودعا بالوقر والصمم على كل سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علماً، ولا يحصل بسبب السماع مقاصد الكتب الالهية وكلام الأنبياء عليهم السلام والاوصياء، يريدأ به إياهم حيث لم يقبلوا قوله بعد أن سمعوه، ولم يعوا ما اتى إليهم من الأوامر المأخوذة من مشكاة النبوة، ولم يقفوا أثره، ولم يجيبوا نداءه، ولم يحبوه مغيثاً يستغيثوا بنا عند وقوعهم في الوقائع المشكلة.

وقيل: معنى من لم يسمع بحالي ولم يعرفني فهو أصم، وعند أكثر المفسرين قوله تعالى: «وتعيا أذن واعية»<sup>(١)</sup>، أراد به علياً عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سألت الله أن يجعلها أذن علي، ثم اعتذر لنفسه وأزال ما يكدر خاطره من عدم قبولهم قوله.

قال كيف يراعي النبأ من أصمته الصحيحة: أي كيف يلتفت إلى قولي، ويستمع إلى كلامي، ويحجب دعوتي، من لا يلتفت إلى قول الله تعالى، ولا يسمع كلامه وكلام رسوله، على كثرة تكراره على أسماعهم، وقوة عقائدهم على اتباع قوله تعالى.

ولما كان من شأن الصوت العالي أن يمنع سماع الصوت الخفي، أطلق

الصيحة على كلام الله وأسند إليها الإصمام المراد به الاشتغال بها والغفلة عن المقصود، وأورد كيف على سبيل الإنكار والتهكم لهم، ثم رغبهم للاتباع وثبات القلب على طريقة الحق، بالدعاء للقلوب الخائفة الوجلة من خشية الله، التي لم تزغ عن أمره خوفاً من عقابه الأليم وابتغاء لثوابه الجسيم.

قال ربط جنان لم يفارقه الخفقان: أي ثبتت الله قلباً لم يزل مضطرباً من الخوف، فكأنه قال: كيف يلتفت إلى كلامي من لا يلتفت إلى كلام الله عزوجل وكلام رسول الله، لله در الخائفين المراعين لأوامره الوجلين من وعيده، ما ضركم لو تشبهتم بهم فرجعتم إلى الحق، وقيم به قيام رجل واحد، وقيل معناه: أن من لم يزل قلبه مضطرباً من الغيبة إلى الخطاب.

قال مخاطباً لطلحة والزبير والناكثين معهما: ما زلت اترصد لكم وخامة عاقبة الغدر، وذلك الانتظار والترصد اما باطلاع الرسول صلى الله عليه وآله، أو بواسطة حركاتهم وسكناتهم المؤذنة بأن نياتهم غير مطابقة لظواهرهم، وأتفرسكم حال كونكم متلبسين بحلية المغترين الذين يقبلون الأباطيل بأدنى شبهة تعرض لأذهانكم، أو حال كوني متلبساً بحلية من يريد أن يأتي شخصاً على غفلة منه، ويطلع على سرائره باستكشافها منه.

قوله سترني عنكم جلباب الدين: يحتمل معاني ثلاثة: أحال بيني وبينكم الدين الأمر بسحب ذيل العفو على الجرائم والإغضاء عن خطايا المسلمين، وسترني عن أعين بصائركم أن تعرفوني بما أقدر عليه من تقويم أودكم وإصلاح أحوالكم بالعرف والحق، وما يؤول به أفعالكم إلى سنن السداد من القتل والنهب، وأشار عليه السلام إلى هذا المعنى في موضع آخر حيث قال:

وإني لعالم بما يصلحكم ويستقيم أودكم، ولكن أرى إصلاحكم بافساد نفسي، سترني عنكم ما كنت متلبساً به من الدين الذي لا يلوح حقيقة إلا لمن كحل الله بصيرته بمكحل الهداية، ولو عرفتم أنني قائم على الدين وأن الدين هو

الذي كنت متلبساً به، لا ما اعتقدتم، ثم لا تبعتموني؛ ولكن لا تعرفون، لتراكم حجب الأهواء والبدع على مرأى صفائح خواطركم، فكأن الدين الحقيقي صار حائلاً بينهم وبين معرفته.

لولا الدين الأمر بأن لا يفشى سرّ الربوبية المحبوء تحت معرفة النفس القدسيّة، لأريتكم ما عليه من المعارف الإلهيّة والعوارف الربانيّة التي تحزّها أذقان الأولياء المكاشفين، ويقربها الأنبياء الواصلون، وبصرتكم بما عليكم من النفاق والضغائن وحبّ الرياسة، حتى جزعتم وأقررتم بما أنا عليه، فيكون الدين ساتراً إيتاي عنكم، وأنتم تنظرون إلى ظاهري، وليس لكم بصيرة تبصرون بها ما خصني الله تعالى، فلذا غلت التحاسد عليكم وانحرفتم عني لجهلكم بحالي، وهو معنى لطيف شريف جداً، وهو المراد بقوله عليه السلام عن الله تعالى: أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري.

أما معناه على القلب: فقريب ممّا تلونا عليك في الثالث. قوله وبصرتكم صدق النية: أراد بصدقها صفاء الطويّة بحسب كمال إخلاصه لله وصفاء مرآة نفسه القدسيّة التي بها النظر إلى بواطن الأشياء وخفاياها، يعني: عرفني إيتاكم صفاء باطني الذي ينظر بنور الله، على ما ينبىء عنه قوله عليه السلام:

المؤمن ينظر بنور الله، ويحتمل ان يكون معناه عرفكم إيتاي صفاء النية والصدق، يعني: الصدق من معني من خفاء ما في نفسي، ويحتمل أن يكون معناه أراكم عيني صفاء باطني، يعني: لولا صفاء الباطن المنافي لإخفاء ما يقتضي العقل العملي بإظهاره بحسب الوقت اللائق به، لما تمكّنت من معرفتكم بحالي.

قوله أقمت لكم إلى ولا تميّهون: إشارة إلى نهيمهم عن رقدة الغفلة، وإيذانهم أنّ اقتفاء أثره واجب عليهم، والاستضاءاة باشعة أنواره الاستفادة من شمس عالم النبوة حتم لازم، إذ هو الذي أقام نفسه على طريقة الحقّ، وفي الجواز التي هي مزال أقدام السالكين في سبيل الله، وقد نهى الله تعالى عن السلوك فيها بقوله: «ولا

تتبعوا السبل ففتفرق بكم عن سبيله<sup>(١)</sup>»، ليهديهم إلى الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى بمتابعته.

قال: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ»، بعد جذبهم عن سلك المهاوي التي قادت أنفسهم إليها، وجذبهم الشياطين المغوية إلى سلوكها، وذلك حيث تلاقت نفوسهم في ظلمات الطبيعة، ولا دليل يستدلّ به إلى أن يخلصوا إلى النور سواه، ويطلبون ماء الحياة الذي هو العلم النافع لها في انتظام أحوال المعاش واغتنام ارتياش المعاد، بالبحث والفحص عن أودية القلوب وتخليتها عن الأذناس المسوّدة لها، فلا يقدرّون على استخراجها إلاّ بامداده.

ويحتمل أن يكون إشارة إلى يوم القيامة، حيث يتحيّرون ولا دليل لهم يتشبّث به سواه، ويطلبون الماء من الكوثر الذي هو شفاء القلوب وحياتها الأبدية من غيره ولا يصلون إليه، فوجه الرجوع إليه، وأن يكون عليه السلام نبيهم على أنه هو الدليل إلى طريق الآخرة، ومعه الماء الذي يدفع به العطش في تلك الطريق دون غيره، فلو تطلبون من غيري فلا تصلون إليه، إذ أنا المقيم على هذا الطريق والدليل لكم والمروي إياكم.

قوله اليوم انطق لكم المعجاء ذات البيان:

يعني اليوم وقت أن أذكركم بالأحوال التي سلفت على الأمم الغابرة الذين فسقوا عن أمر ربّهم، ومما هو لائح من كمال علمه عليه السلام وفضله بالقياس إليهم، وما يجب لهم متابعتة ليخبرهم بلسان الحال أنّ من لم يتّبع أوامر الله فقد استحقّ ما استحقّ الأولون، ويبيّن لهم ما يوجب عليهم الإذعان لولايته، وقد عرفت تمام الكلام فيه..

قوله عزب رأي امرئ تخلف عني: يحتمل معنيين: أحدهما: الدعاء ببعده الرأي المستلزم لبعده العقل المستلزم للجنون، على من تأخّر عنه ولم يتابع أوامره،

يعني: حق لمن فكّر في أنّ المتابعة أنفع له أم التخلّف، ثم رأى بعد التردد أنّ التخلّف له أوفق، أصلح أن لا يكون له رأي أصلاً لئلا يختار مثل هذا الرأي القبيح السيئ، والمراد منه الذم لمن تخلّف عنه والتويخ له.

الثاني: الإخبار بأنّ الرأي كان بعيداً عن ذهب رأيه إلى التخلّف عنه، وهو في معرض التعبير للقوم والتويخ لهم، على طريقة قولهم: إِيَّاكَ أعني واسمعي يا جارة، ثم قرّر هذه القضية ونبه على أنّه الحقّ الذي وجب على كافة الخلق انقياده ومطاعته، وإن لم يطاوعه ولم يعرفه فقد مات ميتة الجاهلية.

لأنّه الإمام المتعين المعصوم من أن يتهم بالمعاصي. بقوله ما شككت في الحقّ مذأريته: الدالّ بالمطابقة على نبي طريان الشكّ فيما أراه الله تعالى من الحقّ الذي لا ريب فيه، وأفاضه على نفسه القدسيّة من الكمالات التي استحقّ بها الرياسة الدينية والدينيّة اللازمة من معرفة الحقّ.

فإنّ من عرف الحقّ عرف نفسه وعبوبها، ومن عرفها احترز عنها لئلا تبعده عن مطالعة الحقّ، ومن اجتنب عنها بالكليّة كان مستجمعاً للفضائل ومجتنباً عن الرذائل، وبالإنّتمار على ثباته على الحقّ وشدة جلاله بحيث لا يعرض لنفسه القدسيّة ريب أصلاً فيه، والإماميّة يستدلّون بهذا القول على وجوب عصمته، وهو استدلال جيّد يعرفه من كان له ذوق سليم وطبع مستقيم، غير مجادل ولا مكابح.

قوله لم يوجس إلى الضلال: إشارة إلى أنّ عدم قيامه عليه السلام لطلب الخلافة ليس للخوف على نفسه، بل كان للخوف من غلبة الجهال على الدين ووقوع أكثر الخلق في فتنهم، ومن قيام دول الضلال وغلبيتهم، فتنسّد مسالك الدين بالكليّة، وتجفّ مناهل اليقين بحيث لا يبقى لها اسم ولا رسم، كما أنّ موسى عليه السلام ما خاف على نفسه حيث ألقوا جبالهم وعصيتهم وقالوا إنّنا لنحن الغالبون، بل خاف من غلبة أهل الجهل على طريقة الحقّ، ودول الضلال كدولة



فرعون واتباعه الصادقين عن سبيل الله.

قوله اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل: إشارة الى تنفير مقاتليهم في القتال عما هم عليه من الباطل إلى ما هو وأصحابه عليه من الحق، والتقدير ما ذكرنا، وفي بعض النسخ: توافقنا بتقديم القاف وهو الأكثر والأصح، والمعنى قريب مما قلنا.

قوله من وثق بما لم يظماً: إشارة منه عليه السلام إلى أنّ الواثق بقولي وعلمي لم يقع في الضلال المحوج إلى ما يدفعه، بل كان على حاقّ اليقين، كما أنّ الواثق بوجود الماء ليس كفاقه، فإنّ الفاقد بواسطة توهمه فقدانه يضاعف عليه الظماً.

وقيل تمثل ومعناه: من كنت أنا برأى منه فليدن متي واستفيد<sup>(١)</sup> فانه كالواثق بوجود الماء، ومن وثق بوجود الماء لم يترك نفسه في حرّ العطش، ويحتمل أن يكون معناه: من اعترف بولايي وإمامي واطمأنّ قلبه بي لم يضطرب حاله، ولم يحتج الى غيري، كما أنّ من اطمأنّ قلبه بوجود الماء لم يضطرب أمره، ولم يعارضه توهم فقدان، وهو جيد.

### اللطائف الرشيدية

سألت تلك الحضرة العلية لا زالت مظهرًا للأنوار الإلهية ومفيضاً للفيوض الربانية، يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الآخرة من شهور سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بحدود دینور عن تحقيق قوله عليه السلام:

سترني عنكم جلباب الدين وبصرتيكم صدق النية.

فأفاد مرتجلاً: أنّ مراده عليه السلام من الكلمة الأولى بيان أنّ نفسه المقدسة عن أرجاس العلائق، المنزهة عن أدناس العوائق، قد اشرفت من قبل

رب العزة على أسرار إلهية في الملكوت، ودقائق ربانية من الجبروت، لم يكن لأحد سوى الأنبياء الكاملين، ولم يكن الدين حرم إفشاءها وإبداءها على ما ينبئ عنه قول النبي عليه السلام: إفشاء سرّ الربوبية كفر.

لظهرهم أنها قد وصلت من مراتب العرفان أعلاها، ومن منازل الإيقان أسناها، ولكنّ الدين من حيث منعي عن إفشاء ما اشتملت عليه، ستر مطالعة جمال كمالهم عنكم ستر الجلباب مطالعة جمال المحبوب عن المحب، وإلى اطلاع المعصومين عليهم السلام على أسرار إلهية لم يكن لغيرهم اطلاع عليها أشار زين العابدين علي بن الحسين عليهم السلام، حيث قال في أبيات أربعة:

- إني لأكتم من علمي جواهره • كي لا يرى الحق ذوجهل فيفتتنا
- وقد تقدّم في هذا أبوحسن • إلى الحسين ووصى قبله الحسن
- ياربّ جوهر علم لأبوح به • لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
- ولاستحلّ رجال مسلمون دمي • يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ومن الكلمة الثانية: أنّ صدق نيتي ونيتكم، وصفاء باطني وباطنكم، أطلعتني على احوالكم ومكنني من أن أتلو صحائف ضمائركم ونقوش أسراركم، وكشف الأستار عن صفحات سرائركم، وإلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وآله، قال: المؤمن مرآة المؤمن.



## ٥- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَخَاطَبَهُ الْعَبَّاسُ وَأَبُوسُفْيَانُ ابْنَ حَرْبٍ فِي أَنْ يَبَايَعَا لَهُ بِالْخِلاَفَةِ:

أَيْهَا النَّاسُ، شُفُوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنِ طَرِيقِ الْمُتَنَاقَرَةِ، وَضَعُوا تَبَجَانَ الْمُفَاخِرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ. مَاءٌ آجِنٌ<sup>(١)</sup>، وَلُقْمَةٌ يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا. وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِبْتَاعِهَا كَالزَّرَاعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

فَإِنْ أَقْلٌ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَيَّ الْمُلْكُ، وَإِنْ أَسْكُتُ يَقُولُوا: جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَاللَّهُ لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الظَّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ أَنْدَمَجْتُ عَلَيَّ مَكُونٌ عِلْمٌ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِأَضْطَرَبْتُمْ أَضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.

### اللغة

النجاة: مقصوراً؛ مصدر نجوت، من كذا نجا ممدوداً والصدق منجاة، والنجاة أيضاً الناقة السريعة تنجو من ركبا.

عرّجوا: أي ميلوا من عرج البناء تعريجاً أي ميّله فتعرج أي مال، والتعريج على الشيء الإقامة عليه، وانعرج الشيء أي انعطف، منعرج الوادي أي منعطفه.

المنافرة: المحاكمة في الحسب، يقال نافرته فنفره ينفره بالضم لاغير: أي

(١) في ض وب وح: هذا ماء آجن.

غلبه، قال الأعشى (١) يمدح عامر بن الطفيل (٢) ويحمل على علقمة بن علاثة (٣):

قد قلت شعري فضى فيكما • واعترف المنفور للنافر  
والمنفور: المغلوب، والنافر: الغالب.

ضعوا: أمر من وضعت الشيء من يدي وضماً وموضماً وموضوعاً.

التاج: الإكليل وجمعه تيجان، يقال: العمامة تيجان العرب.

الفلاح: الفوز والبقاء والنجاة والسحور، وأفلح من الفلاح بمعنى الأول،

يقول الرجل لامرأته استفليحي بأمرك أي فوزي بأمرك، وقول الشاعر:

ولكن ليس للدنيا فلاح

أي بقاء، وقول المؤذن: حيّ على الفلاح بمعنى النجاة، وقول الرسول

عليه السلام: حتّى خفنا أن يفوتنا الفلاح أي السحور، وإسناده إلى من نهض قرينة

حالية مشعرة بأنّ المراد الأول. جناح الطائر: يده والآلة التي بها التصرف والحركة

كاليد والرجل للحيوان، والجمع أجنحة.

استسلم: أي انقاد. أراحه الله فاستراح، وأراح الرجل: رجعت إليه نفسه

بعد الإحياء.

وأراح: تنقّس، وأراح اللحم أي أنتن، وأراح الرجل أي مات. قال

العجاج: أراح بعد الغمّ والتغمغم، والمراد هنا المعنى الثاني، والقرينة المعينة إياه

(١) الأعشى لقب لعدة شعراء مشهورين وهم: أعشى باهلة اسمه عامر، وأعشى بني ضبيعة اسمه ميسون،

وأعشى التغلبي اسمه النعمان، وأعشى بني قيس اسمه أبو بصير، وأعشى بني جلان اسمه سلمة، وأعشى بني

ضورة اسمه عبدالله، وأعشى بني عوف اسمه ضابي، وأعشى بني مالك، وأعشى بني عقل اسمه معاذ،

وأعشى بن معروف اسمه خيشمة، وأعشى بني عكل اسمه كهمس، وأعشى بني مازن، وأعشى بن أسد، وأعشى

طرود، وأعشى بني ربيعة، وأعشى همدان، وأعشى النهشلي، وأعشى بن قيس صناجة العرب.

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب؛ وهو أبو علي، وكان يقال للطفيل فارس قرزل، وهو أخو عامر

ابن أبي براء، ولها أخ ثالث وهو معاوية مود الحكماء، ورابع وهو ربيعة بن ربيع المقتربين، وأمهم أمّ البتين ابنة

ربيعة بن عامر، وجدّهم عامر بن صعصعة أبو بطن، وأمّه عمرة بنت عامر بن الطرب.

(٣) علقمة بن علاثة شاعر من بني جعفر.

جعله لازماً للاستسلام.

الأجون: التغيير، يقال ماء آجن أي متغير.

غصّ باللقمة: فغصّ بفتح العين غصصاً إذا وقفت في الحلق، ولم تسغها فأنت غاصّ بالطعام وغصّان، وأغصصته أنا، والمنزل غاصّ بالقوم أي ممتلئ بهم. ينع الثريينع ينعاً وينعاً وينوعاً: أي نضج وأدرك وأينع مثله، فأينع الثمرة نضجها، وإنما لم يسقط الياء في المستقبل لتقويها بأختها هي كثرة النون، والينيع واليانع مثل النضيج والناضج.

الحرص: الجشع وهو شدة الميل إلى اقتناء زخارف الدنيا وجمعها، وقد حرص على الشيء بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر فهو حريص. الجزع: نقيض الصبر، وقد جزع من الشيء بالكسر في الماضي والفتح في الغابر وأجزعه غيره. التي: اسم مبهم للمؤنث وهي معرفة، ولا يجوز الألف واللام منه للتذكّر.

واللتيا: بالفتح والتشديد تصغير التي، ويقال وقع فلان في اللتيا والتي أي في الداهية الصغيرة والكبيرة، وأصل المثل: أن رجلاً تزوج امرأة قصيرة صغيرة الخلق سيئة الخلق، فقاسى منها شدائد، فطلّقها وتزوج طوبلة، فقاسى منها أضعاف ما قاسى من الأولى فطلّقها وقال: بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً، فسار مثلاً للداهية الكبرى والصغرى.

الأنس: خلاف الوحشة؛ وهو مصدر قولك أنست به بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر أنساً وأنسة، وفيه لغة أخرى: أنست به أنساً مثال كفرت به كفراً، وأنس أفعال التفضيل منه، وأصله أنس، فقلبت الهمزة الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصارت أنس على وزن آدم، وفي بعض النسخ أسر وهو أفعال التفضيل من قولهم سرتي فلان مسرة، وسرور خلاف الحزن.

دمج الشيء دمجاً: أي أدخل في الشيء واستحكم فيه، وكذلك اندمج

وأدمج بتشديد الدال.

قال أبو عبيدة: كلّ هذا إذا دخل في الشيء واستتر فيه، وإنما يقال ليلة داجة لأنها تستر الأشياء بظلمتها، ويمكن أن يكون قد عداه بعلى إلى معنى استولى وهو أوفق. المكنون: المستور.

يقال باح بسرّه يبوح: بوحاً أي أظهره وأعلنه.

الأرشية: جمع رشاء بكسر الراء والمدّ وهو الجبل.

الطوي: البئر المطوية وهي مؤنث ولذا أنث صفته وهي البعيدة.

### الاعراب

إعلم أنّ المعرّف باللام لما امتنع إدخال حرف النداء عليه، لاستلزامه اجتماع حرفي التعريف على كلمة واحدة، أتوا في الصورة بمنادى مجرد عن حرف التعريف وهو أي أو هذا، ثمّ اتبعوه المعرّف باللام فقالوا: يا أيها الناس ويا أيها الرجل صفة له، وإنما أتوا بحرف التنبيه وهوها:

إما: للتنبيه على أنّ المنادى على ما بعدها، وإما لأنّ أي ملازم للإضافة فأتوا أيها ليكون كالعوض من المضاف اليه، وأما البدل على خروج أي عن بابها ووجب رفع الناس لأنّه المقصود بالنداء، ويستوي في أيّ المفرد والمثنى والمجموع، وقد يحذف النداء ما هو كثير الدوران على الألسنة.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ أيها الناس منادى حذف النداء تخفيفاً.

الباء في بسفن: للاستعانة.

ماء آجن: خبر مبتدأ قد حذف تعويلاً على القرينة الحالّية تقديره: هي ماء آجن؛ أي الخلافة، ويحتمل أن يكون المقدر مؤخراً في النية وتقديره: ماء آجن هي، وهو أقرب إلى البلاغة، وذلك لدلالته على الحصر للقلب أو للإفراد، وهو أنسب بالمبالغة التي كان عليه السلام بصدها. وبل: مخفّف حرف يعطف

بها الحرف الثاني على الأول فيلزمه مثل إعرابه وهو الإضراب عن الأول للثاني، كقولك: ما جاءني زيد بل عمرو، وما جاءني أخوك بل أبوك .

قال الأخفش عن بعضهم: إنَّ بل في قوله تعالى: ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق بمعنى: أن، ولذلك صار القسم عليها، قال: وربما استعملت العرب في قطع كلام واستيناف آخر، فأنشد الرجل منهم الشعر فيقول: بل؟ ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا؟، ويقول بل؟، وبلدة ما الأنس من آها لها؟<sup>(١)</sup>.

قوله بل ليست من البيت ولا يعد في وزنه، وجعلت علامة لانقطاع ما قبله، وهنا يحتمل الأمران، وستعرفهما في الفحوى؟. ولو بحت به: جملة شرطية وقعت نعتاً لعلم. واضطراب: نصب المصدر الذي هو ممنوع لنتع هو مضاف إليه تقديره: اضطراباً مثل اضطراب.

### المعاني

إنما قطع أفلح عمّا قبله ليقع تعليلاً للأوامر الدالة بالمطابقة على ترك المنافرة والمفاخرة، وبالالتزام على الإعراض عنه عليه السلام، والسكوت عن الطلب، فكأنَّ قائلاً قال: لم يجب علينا القعود عن الطلب، قال: لأنَّ الطالب إنَّما يجوز له الطلب عند وجود الناصر، وهنا لا ناصر.

أيضاً التفت من الخطاب إلى الغيبة وأورد الكلام في معرض مثل يعتمه وغيره، مريداً به نفسه خاصة ليكون أسرع إلى القبول وأقرب إلى الإذعان له، فإنَّ الشخص إذا أراد أن يثبت لنفسه أمراً وأورده في كلام مختص به ربّما لا يقبل منه، بناءً على أنَّ التخصيص لا بد له من فائدة محدّدة مخصّصة.

أما إذا أعمّ فيندرج فيه بالضرورة ويقبله كلّ أحد سمعه، وثمّ قيل

المصيبة إذا عمّت طابت. وليس المراد هنا بأو الشكّ في الحكم الّذي هو خاصيّة ايراد في الكلام، بل المراد التنويع، يعني: النوعان محققان في الخارج ولا ينبغي للطالب أن يدعي لأحدهما ولا يتردّد.

والفاء في فأراح: للتسبيب، يعني: الإستيلاء سبب للإراحة من التعب عند فقد الناصر، وإنّما أورد بلفظ الماضي ليدلّ الوقوع واستمراره، وإنّما حذف المسند إليه من ماء آجن إمّا لأنّ الخبر لا يصلح إلّا له في الحقيقة أو ادعاء، أو للإيدان بأنّ التعويل على شهادة العقل بواسطة القرائن الحالية أقوى من شهادة اللفظ.

وإنّما نون ليؤذن بالتفخّم أو التنويع، يعني: هي ماء عظيم آجن أو نوع مخصوص من الماء الآجن. وكذا الكلام في لقمة، ولكن هنا خاصيّة: وهي جعل يفصّ نعتاً للقمة ليدلّ على الاستمرار والثبات دلالة ماء آجن على الثبوت لكونه جملة اسميّة.

والله لابن أبي طالب إلى أمّه: جملة وردت في معرض الإنكار، وتسمّى جملة طلبيّة أو إنكاريّة. وبل إنّما يستعمل إذا كان للإضراب عن الأول للثاني إذا كان المراد صرف الحكم عن محكوم له إلى آخر على ما عرفت في علم المعاني، وهنا قد صرف الحكم عن محكوم له محذوف، دلّ عليه سياق الكلام إلى محكوم له محقق نفس الأمر تقديره: سكت عن الطلب لأنّه يخاف على نفسه.

بل اندمجت: يعني ليس السكوت للخوف بل للاستيلاء على العلم الموصوف، أمّا إذا كان بمعنى أنّ فهي جملة إنكاريّة والباقي واضح ممّا قررنا، ولو اشتغل بذكر جميع الخواصّ الّتي اشتمل عليها كلامه عليه السلام لخرج كتابنا هذا عن حدّ الاقتصار إلى حدّ التطويل، بحيث ربّما يفضي إلى عشرين مجلّداً، إذ ما من تركيب إلّا له خواصّ، ولكن يمكن استخراجها من القواعد الّتي تولناها عليك في علم المعاني لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



البيان في أنواع الفتن: استعارة تخيلية مرشحة مكتى بها عن ثوران الفتنة وقيامها واضطرابها، مستلزمة لتشبيه الفتن وهي معقولة، بالبحر المتلاطم وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما عند هيجانهما في كونها سبباً لهلاك من وقع فيها، وتخيل أنها من أفراد البحر، وإلا لم يصح إضافة الأمواج التي من خاصية المشبه به إليها، وبتلك الإضافة حصل الترشيح.

وفي بسفن النجاة: استعارة تخيلية مكتى بها عن التشبث بما يكون ذريعة إلى الخلاص من هيجان تلك الفتن، مستدعية لتشبيهه كل ما يكون وسيلة إلى الخلاص منها من إمام هاد أو حيلة أو صبر وهو معقول، بالسفن وهي محسوسة. وجه الشبه: اشتراكهما في كونها وسيلة إلى السلامة وهو عقلي، والأولى أن يكون المشبه هو أهل البيت عليهم السلام، ليكون مطابقاً للخبر الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وهو قوله: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

قوله تيجان المفاخرة: استعارة تخيلية مرشحة مكتى بها عن حصول أسباب الافتخار من الأموال والأولاد والأصول الكريمة والوجوه الحسان، مستدعية لتشبيه تلك الأسباب بالتيجان، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها موجباً للافتخار بها والمفاخرة، وهو عقلي، وتخيل أنها من أفراد التيجان، وإلا لم يصح إضافتها إلى المفاخرة، وبقوله وضعوا رشحها. في أفلح من نهض بجناح: استعارة تخيلية مستدعية لتشبيه الأعوان والأنصار بالجناح، وهما محسوسان.

وجه الشبه: أن القدرة على النهوض للحرب والطيران في ميدان المحاربة إنما كانت مما يهيم، كما أن الطائر لا يتهيأ له الطيران والتصرف إلا بالجناح، وهو عقلي، وتخيل أنهم من أفراد الجناح. وفي قوله ماء آجن: استعارة تخيلية مكتى بها عن أن الخلافة قد اكتست بالباطل، وطلبها في هذا الوقت مما يشوش العالم وينفر الخلائق، مستدعية لتشبيهها وهي عقلية مفردة بالماء المتغير وهو حسي مركب،

وجه الشبه: اشتراكهما في كون مدار الحياة الدنيوية عليهما، وهو عقلي، وتخيل أنها من أفرادها، وإلا لم يصح جعله خيراً له.

في لقمة يفصّ بها آكلها: أيضاً استعارة مثل التي قد مرّت من قبل عن غير فرق إلا في المشبه. في مجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه: استعارة مرشحة تخيلية مكنتى بها عن أنّ الطالب للخلافة في غير وقت الطلب لا يحصل له الانتفاع بها، ولا يفوز بمطلوبه، وتشبيه صريح مذكور فيه طرفاه، وحرف التشبيه دون وجهه.

أما الاستعارة فهي مستلزمة لتشبيه الخلافة وهي معقولة بالثمرة وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها محلاً الالتذاذ به وغيره، وهو عقلي، وتخيل أنها من أفراد الثمرة، وإلا لم يصح إضافة المجتني إليها، مريداً به طالب الخلافة، وبها بذكر إيناعها رشحها.

أما التشبيه: فهو تشبيه مجتني الثمرة بالزراع بغير أرضه، ووجه الشبه: اشتراكهما في عدم الانتفاع، إذ كما أنّ الزراع بغير أرضه بصدد أن لا ينتفع بزراعة لمنع صاحب الأرض إياه من الانتفاع، كذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها. وفي لاضطربتم إلى آخره: تشبيه لهيئة صورهم عند وقوفهم على ما أوقفهم عليه السلام من العلم، بهيئة الحبال المرسله إلى البئر البعيدة وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في الاضطراب والقلق وهو أيضاً حسّي، وهو تشبيه طرفاه مركبان، ووجه الشبه مفرد.

### البديع

في شقّوا إلى النجاة: التتميم، وبين المفاخرة والمنافرة: المتوازي والترصيع، وكذا بين جناح وفأراح. وفي قوله: هيئات بعد اللتيا واللتّي: ارسال المثل. قوله: مكنون علم لو مجت به: المقابلة؛ حيث قابل قوله: مكنون بقوله: مجت.

## الفحوى

إعلم أنّ سبب تكلمه عليه السلام بهذه الكلمات ما روي: أنه لما تمّ لأبي بكر في ثقيفة بني ساعدة أمر البيعة، أراد أبوسفیان بن حرب أن تقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً، فيكون في ذلك دمار للدين واندراسه، فذهب إلى العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه فقال له: يا أبا الفضل إنّ هؤلاء قد ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم وجعلوه في رجل من بني تيم، وإنّه ليحكم فينا غداً هذا اللفظ الغليظ من بني عديّ.

فقم بنا حتى ندخل على عليّ ونبايعه بالخلافة، فأنت عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وأنا رجل مقبول القول في قريش، فإن دافعونا عن ذلك قاتلناهم قتالاً شديداً وقتلناهم إلى آخرهم، فأتيا أميرالمؤمنين — عليه السلام — فقال له أبوسفیان: يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر، متى كتنا تبعاً لتيم الأزدال، وكان علي عليه السلام يعلم أنه لا يقول ذلك غضباً لدين الله.

كان رسول الله قد شافهه بجميع ما يكون بعده بوحى من الله، وأمره بلزوم البيت والسكوت لفقد الأنصار، والاحتراز من ازدياد الفساد، فأجابه عليه السلام بهذا الكلام. قوله شقّوا إلى النجاة: أي خلّصوا أنفسكم من الهلاك في اضطراب تلك الفتن الحاربة، بالتشبّث على ما يكون مخلصاً إياكم من الصبر إلى وجود الأنصار، أو السماع إلى قول أهل البيت عليهم السلام، تاركين المقاتلة والمجادلة الهادمة لقواعد الدين، القاصفة لاغصان اليقين، ولا تزلزلوا ولا تضطربوا.

قوله وعرجوا من طريق المنافرة: أي ميلوا وانعطفوا عن طريق المنافرة المثيرة للفتن إلى الثبات والسكون على ما يسكن الفتنة. قوله وضعوا تيجان المفاخرة: باليد للأمر الأول وبالغة في نبذ عادة الجاهلية وراء الظهور، والاستسلام على الدين القويم والصراط المستقيم، أي اتركوا الأسباب المفضية إلى التفاخير المثيرة للضغائن، المغشي للأحقاد، المبدي للفتن، ولا تلتفتوا إليها، فإن الالتفات إليها من علامات

ضعف الدين، وإمارات قوة الركون إلى أدب الجاهلية.

ثم لما ناهم عن المفاخرة والمنافرة بين لهم أنّهما حظان ودمان<sup>(١)</sup> أوردتهم ما كان طريق من أراد أن يتصلّى للخلافة، وقال: أفلح من نهض بجناح: أي ليس الأمر كما اعتقدتم من المفاخرة والمقاتلة، بل الرأي الصائب في هذا الأمر أن يكون الطالب إن كان ذا أعوان وأنصار فيقوم بهم، فحينئذ يحصل بمطلوبه، وإن لم يكن له أعوان أيضاً فينقاد لمن كان في تصرفه، فيستريح من تعب الطلب.

ثم نبّه على أنّ الاستسلام أوفى حينئذ وأوفق لرعاية حوزة الدين، لعدم الأعوان والأنصار بقوله: ماء آجن ولقمة يغيص بها أكلها؛ أي أنّها في هذا الوقت طلبها لا يثير إلا الغصة والفتنة في العالم، وكما لا تحصل الإساغة بالماء المتغير، والالتذاذ باللحمة الواقعة في الحلق، كذلك لا يحصل الفوز حينئذ لمن قام بمنازل لا يفوز إلا بالمتاعب الشاقة، والإقدام على مثل هذا ممّا لا يفعله ذو الرأي المتين.

ثم بيّن أنّ طلبها في هذا الوقت لا يجدي جدوى لأنّه ليس وقته بقوله: ومجتني إلى أرضه: يعني؛ كما لا ينتفع مجتني الثمرة في غير وقت نضجها بها أصلاً، كذلك لا ينتفع طالبها في هذا الوقت، وكذا التمثيل الأول بتشبيهه يدركه كلّ فهم قاصر، وتشبيه المجتني بالزارع.

ثم نبّه على أنّ الألسنة الطويلة والأوهام الفاسدة في حقّه لا تنقطع أصلاً، سواء طلب أو سكنت عنه بقوله: فإن إلى من الموت: يعني؛ إن أقم طالباً لها يقولوا إنّه قد حرص على الأمر واشتدّ اهتمامه بأمر الدنيا، وإن أسكت ولم أطلب يقولوا إنّه أعرض عنها لأنّه يخاف من أن يهجمه الموت لوقاتل، وليس له الصبر على المقاتلة، وهكذا ألسنة الخلق، لا تزال مولعة بأمثال هذا، بعضهم في بعض في المناقشات.

ثمّ لما كان المرجح عنده القعود، وأراد أن يقطع ما توهموا في حقّه من

(١) كذا في الأصل.

الجزع من الموت، قال: هيات بعد اللتيا واللتى: أي؛ بعد ما يتوهمون في حقي، ويقولون أبعده ملاقات الخطوب العظيمة ومقاساة الكروب الجسيمة الصغيرة، أجزع من الموت؟ ثم أكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البارز إن استيناسه بالموت أكثر من استيناس الطفل بثدي أمه.

وذلك أمر بين في حقه عليه السلام، لأن الموت هو أحد الأسباب الموصلة إلى النعيم الأبدي والسعادة الكبرى، وهو إن كان في الظاهر فناء واضمحلالاً فهو في الحقيقة ولادة ثانية، يعني: كما كانت الولادة الأولى سبباً للحياة الدنيوية الفانية، كذلك الموت الذي هو الولادة الثانية سبب للحياة الآخروية، ولذلك من الله تعالى به على الإنسان وقدمه على الحياة، حيث قال:

«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم<sup>(١)</sup>»، وعده علينا نعمة، حيث قال: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم<sup>(٢)</sup>»، ونبه على أنه السبب الموصول إلى الحياة الآخروية، حيث قال: ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون<sup>(٣)</sup>.

قال أيضاً: «ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم مغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون<sup>(٤)</sup>»، وقال بعضهم: الإنسان ما دام في دنياه مستصحباً لبدنه جارٍ مجرى الفرخ في بيضه، فكما أن من كمال الفرخ فلق البيض عنه وخروجه عنه، وكذا من شرط كمال الإنسان مفارقة هيكله.

ولولا هذا الموت لم يكمل الإنسان، وإذا عرفت أن الموت سبب موصول للحياة الأبدية، لمن كان متيقناً بحس ما أعد الله تعالى للصادقين المتقين المعرضين

(١) الملك: ٢.

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) آل عمران: ١٥٨.

(٤) آل عمران: ١٥٧.

عن زخارف الدنيا ولذاتها، وكان عند العارف هوباب يدخل به إلى مطالعة جلال الله وكبريائه مجرداً عن الغواشي البدنية والعوائق الجسمانية.

وكان علي عليه السلام سيّد العارفين بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله المستنزيهين عن الالتفات إلى الدنيا والركون إلى لذاتها، على ما ينبيء عنه قوله: لألقيتم دنياكم أزهد عندي من عطفة عنز: ارتفع الريب عن ذهنك إن أنسه بالموت لا يناسب أنس الطفل بشدي أمه، والفرق بين الأنسين بقدر الفرق بين الحياة الأبدية الموجبة للذة السرمديّة، والارتضاع الموجب للذة الفانية في لحظة واحدة، ثم نفى ما توهموا في حقّه عليه السلام من أنّ الإجمال ما هو سبب القعود بقوله:

بل اندمجت الى آخره: أي بل السبب لقعودي عن الطلب هو استيلائي على علم عظيم الشأن رفيع البيان، وهو العلم بعواقب الأمور وخواتيم الأفعال، وبما تؤول إليه أحوالكم، وما انطوت عليه نياتكم وضماثركم، المستفاد من صفاء الباطن وجلاء النفس عن أدناس الميول النفسانية، التي هي المرآة المحاذية لجميع ما نقش بالقلم الإلهي في اللوح المحفوظ لكلّ نفس انسانية، على ما ينبيء عنه قول النبي عليه السلام: المؤمن مرآة المؤمن.

قوله عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله: لو أظهرت ما أعلم من أحوالكم وأحوال الآخرة لوقعت في اضطراب عظيم وقلق جسيم، بحيث تختلّ قواعد إيمانكم بالكليّة، ويقع الهرج والمرج بينكم.

مثل شدة اضطراب الحبال المرسله في الآبار البعيدة، وإنّما وصف الطويّ بالبعيدة ليؤذن بشدة اضطرابهم لو وقفوا على ذلك العلم، لأنّ البئر كلّما كانت أعمق كان الاضطراب للحبال أشدّ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى العلم بالله تعالى وصفاته ما كان به شكر العارفين، من العلم بمقائق الأشياء والتطلّع على عالم الملكوت وأسرار عالم الجبروت، وهو المشغل عن كلّ شيء سواه تعالى.

وهو احتمال جيّد، ومن أنصف بعين الإنصاف وطرح التعصّب

والاعتساف، ونظر إلى قوله: لأفئتم دنياكم أزهد، وقوله: والله لابن أبي طالب إلى الآخر، وتأمل حق التأمل، وكان ممن له ذوق سليم وطبع مستقيم، عرف أنه لا يتبيأ التلغظ بمثل هذه الكلمات إلا لمن بلغ النهاية في الزهد والإعراض عن الدنيا، ووصل الغاية إلى العرفان والعلم بالله، وفاز بكل كمالات تابعة لهذين الكمالين، والله أعلم بحقيقة الحال.

### اللطائف الرشيدية

سألت تلك الحضرة لا زالت مفزعة لأفاضل والفواضل، وملجأ للأكامل والكوامل، يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الآخرة من شهر سنة اثنتي عشرة وسبعمئة، بحدود دينور، عن تحقيق قوله عليه السلام:

والله لابن أبي طالب إلى الطويّ البعيدة: فأفاد مرتجلاً ركباً أولاً: أنّ مثل هذا الكلام الذي صدر من مثله عليه السلام لا يجوز أن يحمل على المبالغة، أو الدعوى الصادرة من الملاحين بناءً على العادات المتطردة بين الناس.

لأنه عليه السلام مع كمال مرتبته وجلال منزلته، لا يصدر عنه كلام إلا موافقاً لما أخبر عنه مطابقاً إياه، بل ينبغي أن يعتقد حقيقته وكونه طبق المفصل وأصاب المحز<sup>(١)</sup>، وثانياً: أنّ مراده عليه السلام أنه في الأئس بالموت أثبت مقاماً وأرسخ قدماً من أئس الطفل بشدي أمه، لان الطفل إنّا يأنس به طلباً لان يرتضع منه، وذلك المطلوب ربما يلفت وجهه عنه إذا ارتوى منه، أو شبع من الطعام أو ضجر منه.

وأئسه عليه السلام بالموت لرسوخ قدمه في مقرّ الإيقان به، وثباته على وصوله إليه بغير أمره واختياره، والناس إنّا يتنصرون عنه لأمرين: أحدهما: انهاكهم في اللذات الدنيوية الواقعة إياهم في غمرات الغفلة، واشتغالهم باستيفاء

(١) كذا في الاصل.

الملاذ العاجلة الحادية إياهم إلى مهوة المهانة، ولما كان جنباه المعلى تقديس عن أن يرتع في رياض الغفلت، أو يحفظ رجله في منازل الحيوانات، كان آنساً بالموت الذي هو يخلع الحياة الغانية ويلبس الحياة الأبدية، ولا يكون له منه نفرة، ولا من وصوله إليه ضجرة.

الثاني: تورطهم في الذنوب المورطة إياهم في هاوية صدد استحقاق النيران، وتثبطهم في دفع العيوب المسخطة ربهم لانغمارهم في غمرة العصيان والطفيان، فيفتر بهم من الموت الذي يرفع الحجاب بينهم وبين النار على ما ينبئ عنه قول أمير المؤمنين عليه السلام:

وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت: إن ينزل به ليست بالحقيقية إلا من النار العدة للعصاة المتمردين، ولما كان أمير المؤمنين عليه السلام لم يحم حول حمى الذنوب أبداً، ولم يذق نفسه حلاوة العيوب، لم يكن خائفاً منه بل آنساً به. ثم رسم — أدام الله ظلال جلاله — أن قوله:

بل اندجعت على مكنون علم لوجحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة: تحقيق لما قلنا وتوضيح له، قال: من اشتمل على أسرار علوم لوباح بها أي لو أظهرها وأفشأها، لوقع الاضطراب العظيم بين السامعين بسماعها، لقصور أفهامهم عن إدراكها، وعجز عقولهم عن الإحاطة بها، اضطراب الحبال في الآبار البعيدة.

كان بمزل عن أن يخاف من الموت أو يتنفر منه، بل كان مستأنساً به غير مستوحش منه، وأما شبه الاضطراب باضطراب الأرشية في الطوي البعيدة، لأن البئر كلما كانت أبعد، كان اضطراب الأرشية فيها أشد، فبيّن بهذا التشبيه شدة اضطرابهم في الغاية عند سماعها.



## ٦- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا أُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتَّبِعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَلَا يَرصِدَهُمَا الْقِتَالَ:

وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالصُّبُعِ <sup>(١)</sup>: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ  
إِلَيْهَا ظَالِبُهَا، وَيَخْتَلِمَهَا رَاصِدُهَا <sup>(٢)</sup>؛ وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى  
الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا، حَتَّى  
يَأْتِيَنِي عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْتِرًا عَلَيَّ <sup>(٣)</sup>  
مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

### اللغة

اللدم بسكون الدال: الضرب، يقال التدمت النساء: إذا ضربن وجوههن  
وصدورهن للنياحة، قال الأصمعي: اللدم هو صوت الحجر يقع على الأرض وليس  
بالصوت الشديد. ختل: بالفتح في الماضي والكسر في الغابر ختلاً أي صدعه،  
وكذا خاتله، والتخاتل: التخادع. الراصد للشيء الراغب له بقوله: رصده يرصده  
رصدًا، والترصد الترقب، وأرصدت له أعددت له. الإدبار: نقيض الإقبال، ومنه  
أختل المدير.

يقال أراب الرجل أي صار ذا ريبة، والريبة اسم التهمة بالكسر. الأبد:

الدهر، والجمع آباد وأبود، يقال: أباد الأبد كما يقال دهر داهر، والأبد

أيضاً الدائم، والتأييد التخليد.

يقال: استأثر فلان بالشيء أي استبد به. وحكى ابن السكيت: رجل أثنُرُّ

على فعل بضم العين إذا كان ليستأثر على أصحابه، أي يختار لنفسه أخلاقاً وأفعالاً

حسنة.

(١) في م: لا أكون مثل الضبع.

(٢) في م: يختلسها راصدها.

(٣) في م ول: مستأثرًا عليّ غيري منذ.

## الاعراب

الضبيع: مؤنث سماعي، ولذلك أنث تنام وهو صلة لموصول قد حذف تعويلاً على القرينة الحالية تقديره: الضبيع التي تنام هي. وحتى يقع على ثلاثة أوجه: الأول: أن ينصب ما بعدها وذلك عند شرط واحد، وهو أن يكون ما بعده مستقبلاً بالنظر إلى ما قبله، وإن لم يكن مستقبلاً عند الإخبار، لجواز قولك: اليوم سرت «مقبول القول» أمس حتى أدخل البلد بالنصب، إذا تعرض هو الإخبار عن الدخول المترقب عند ذلك السير، من غير نظر إلى حصوله، وعند التحقيق يكون بياناً لأن ما قبله علة لما بعده، كما ترى في قولهم: أسلمت حتى أدخل الجنة.

هذا إذا كان بمعنى كي، وحتى يصل في قوله عليه السلام من هذا القبيل، وقد يكون بمعنى إلى، نحو: سرت حتى تغيب الشمس؛ أي إلى أن تغيب، لأن السير ليس سبباً لغيبوبة الشمس، وحتى في قوله عليه السلام: حتى يأتي عليّ يومي؛ بمعنى إلى، إذ ليس الضرب سبباً لإتيان يومه عليه السلام.

الثاني: أن يكون لانتهاء كما كان إلى، إلا أنّ حتى ظاهر الدلالة في دخول ما بعدها فيما قبلها، نحو قولك: أكلت السمكة حتى رأسها، وغت الليلة حتى الصباح، والمعنى: أكل الرأس، ونام الصباح، وحتى يوم الناس من هذا القبيل، والفرق بينها وبين إلى ظاهر لفظاً ومعنى، إمّا لفظاً: فلأنّ حتى لا تدخل على المظهر بخلاف إلى.

فإنها تدخل على المضمّر كما تدخل على المظهر، وأمّا معنى: فهو إن ما بعد حتى يجب أن يكون آخر جزء ممّا قبلها كقولنا: أكلت السمكة حتى رأسها، فإنّ الرأس آخر جزء السمكة، أو ما يلاقي آخر جزء منه، كقولك غت البارحة حتى الصباح، فإنّ الصباح يلاقي آخر جزء البارحة.

الثالث: أن يقع حرف ابتداء، وذلك إذا انتفى كون ما بعدها مستقبلاً بالنظر إلى ما قبلها، لامتناع تقدير أن حينئذ فيكون ما بعدها حالاً، مثل سرت

حتى أدخل، مخبراً عن السير حال الدخول. الباء في اضرب بالمقبول: للاستعانة، ومستائراً: خبر بعد خبر لما زال، وهذا نعت ليوم الناس، منذ: هنا للتاريخ.

### المعاني

والله لا أكون: جملة خبرية أوردت لردّ الشاك المنكر، أو في إنكار إلى ما هو المحكوم به في نفس الأمر، وحتى: للتاريخ؛ يعني أنّ وصول طالها وخداع راقها بعد اللدم بزمان مدرج، ولكن لردّ الحكم من الخطأ إلى الصواب، وهنا قد ردّ من اعتقد فيه عليه السلام الرضى بالبغي والظلم، والركون إلى متابعة مخالفه من ذلك الاعتقاد الخطأ، إلى المقاتلة وعدم الرضا بها وهما الصواب، وفي إيراد اضرب بعد الضمير الراجع إليه عليه السلام فائدة الاستمرار والثبات على ما عرفت، غير أنّ تقديم المسند إليه على المسند إذا كان فعلاً مستقبلاً يفيد الإستمرار.

وفي تقديم بالمقبل فائدة القصر للإفراد، يعني: ما أضرب إلّا باستعانة من المقبل إلى الحقّ دون الانفراد، ودون الاستعانة وبغيره جميعاً أو بغير وحده، وكذا في بالسامع، وإنّما وحد المقبل وما عطف عليه من الألفاظ المفردة المحلّة باللام للاستغراق، ليكون أبلغ في إفادة الاستغراق مع اشتماله على الاختصار في اللفظ على ما عرفت، في قوله تعالى: ربّ إني وهن العظم مئي. فوالله ما زلت: أيضاً جملة خبرية أوردت لردّ المتردّد في الحكم إلى ما هو الصواب في الواقع، والباقي معلوم من القواعد السالفة في علم المعاني.

### البيان

قد شبه عليه السلام بقوله: لا أكون إلى راصدها؛ تأخره عليه السلام عن القتال معهم والمقاومة والصبر على مكرهم وخداعهم، حين قصدوه بالاستيلاء عليه السلام لو صبر، بمصبر الضيع بأخرها عن المقاومة ونومها حين يقصدها الضابط بضرب الحجر، ووجه الشبه ما أشار إليه عليه السلام بقوله تمام على طول، وهو التغافل حتى يستولي الخصم القاصد عليه، وهذا تشبيه المركّب بالمركّب.

ووجه الشبه عقلي، ومراده عليه السلام: أنه لو تأخر لكان مثل الضبع في استيلاء الخصم عليها، ولكن لا يجوز للعاقل أن يرضى بغلبة الخصم عليه، فلذلك أكد نفي الرضا بالقسم البار، ونفى كونه عليه السلام مثل الضبع في الحالة المذكورة، وإتيان اليوم المقدر كناية عن الموت.

### البديع

راعى في أضرب بالمقبل إلى أبدأ: المقابلة؛ حيث قابل المقبل بالمدبر، والعاصي بالمطيع، والمريب بالسامع، لأنّ المرتاب في الحقّ مقابل للقائل له.

### الفحوى

قال أبو عبيدة<sup>(١)</sup>: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام يريد الطواف وقد عزم أتباع طلحة والزبير وقتالهما، فأشار عليه ابنه الحسن عليه السلام أن لا يتبهما ولا يرصد لهما القتال، أي لا يعدّ، فأجابه عليه السلام بهذا الكلام، وروي في سبب نقضهما البيعة: أنّهما دخلا عليه بعد أن بايعاه بأيام وقالوا: قد علمت جفوة عثمان لنا وميله إلى بني أمية مدة خلافته، وطلبنا منه أن يوليها المصريين: الكوفة والبصرة، فقال لهما: أنظروا، ثم استشار عبد الله بن العباس، فنعه من ذلك، فعاودا فنعهما، فسخطا وفعلا ما فعلا.

قوله: والله لا أكون إلى راصدها: إشارة إلى أنني لا أقدر أن أتبعهما ولا أعدّ لهما للقتال، لأنهما يريدان أن يخدعاني ويغلبا عليّ ظالمين باغين، والإطمينان إلى الانظلام ظلم عظيم، لا يركن اليه العاقل، فلو تأخرت لكنت شبيهاً بالضبع التي

(١) معمر كجعفر بن مثنى البصري النحوي اللقوي، كان متبحراً في علم اللغة وأيام العرب وأخبارها، أخذ عن يونس بن حبيب النحوي، وهو أول من صنف غريب الحديث، وكان أبو نؤاس الشاعر يتعلم منه ويصفه، مات في سنة ٢١١.

تنام وتسكن على طول حيلة صائدها حتى يستولي عليها.

ويحكى في كيفية صيدها: أنهم يضعون في جحرها حجراً ويضربون بأيديهم بابه<sup>(١)</sup>... الحجر سبباً لصيده فتخرج فتصاد، ويقال أنها من أحق الحيوان، وكان من غاية حمقها يدخل عليها فيقال ليست هذه أم عامر فيسكن حتى يوثق رجلها بجبل معدّ لصيدها.

وبالتحقيق، هذا الكلام في تقدير ملازمة شرطية هي: لو تأخرت لكنت راضياً بالبغي والظلم عليّ، ولكنتي لا أرضى بها فلا أتأخر، بل أقاتل بالاستعانة من المقبلين إلى الحقّ المعرضين عن وساوس الشياطين، مع المدبرين عنه، فيلزم، وأشار إلى هذا المعنى بقوله: لكنتي إلى أبدأ، ثم فسّر الأبد بغاية عمره لأنّه الأبد الممكن.

ثمّ نبّه على أنّ مثل هذه الحالة من نقض البيعة والغدر والمنع من الحقّ ليس أولّ قارورة كسرت في الاسلام بقوله:

فوالله إلى آخره: يعني أول زمان كوني مدفوعاً عن حقّي الثابت لي بالنصّ بعد اسمها لي له<sup>(٢)</sup> مختاراً على غيري، يوم اختار الله لقاء النبي صلوات الله عليه مع هذا اليوم الذي كُتّب فيه.

وهي شكاية مؤكّدة للشكايات السابقة مقرّرة لما أنّ هذا الأمر بلاء مستمرّ عليّ من يوم المفارقة، وأشار بالحقّ إلى الخلافة، وبالله العصمة.

\* \* \*

(١) كذا بياض في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

## ٧- وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ<sup>(١)</sup> لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَتَنَزَّرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِالسِّيْتِيهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ السَّرَّزَلَّ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فَعَلَّ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِيهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِيهِ.

### اللغة

الإلتخاذ: افتعال من أخذت الشيء آخذه أخذاً؛ أي تناولته، الإأنه أدغم بين تليين الهمزة وإبدال التاء، ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية، فبنوا منه فعل يفعل، قالوا اتَّخَذَ يَتَّخِذُ<sup>(٢)</sup>... ملك الأمر بفتح الميم وكسرهما ما يقوم به، ومنه يقال القلب ملك الجسد، وفي بعض النسخ مالكاً، وهو اسم فاعل من ملكت الشيء أملكه ملكاً.

الأشراك : يجوز أن يكون جمع شريك كأشرف وشريف، وأن يكون جمع شرك وهو حباتل الصيد كجبل وأجبال، الواحدة شركة. الفرخ: ولد الطائر.

يقال أفرخ الطائر وفرخ: إذا أخرج الفرخ من البيض.

دب على وجه الأرض يدب ديبياً: إذا مشى مشياً ضعيفاً، وكلّ ماش على الأرض دابة.

درج الرجل والضب يدرج دروجاً: إذا مشى مشياً قوياً الدبيب يقال أيضاً درج القوم إذا انقرضوا، وفي المثل: أكذب من دب ودرج، أي أكذب الأحياء والأموات. الحجور: جمع حجر الإنسان بالفتح والكسر.

(١) في م: اتَّخَذُوا الشَّيْطَانِينَ.

(٢) كذا بياض في الأصل.

قال الفراء: زللت بالكسر في الماضي والفتح في الغابر زللاً إذا زلّ طين أو منطلق. الخطل: المنطق الفاسد المضطرب.

يقال خطل في كلامه: بالكسر في الماضي والفتح في الغابر خطلاً وأخطل أي أفحش.

شركته في السبع والميراث: بالكسر في الماضي والفتح في الغابر شركة. السلطان: الحجة، ومنه قوله تعالى: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان<sup>(١)</sup>».

### الاعراب

انتصاب فعل يحتمل أمرين: إحداهما: أن يكون بفعل مضمر دلّ عليه سياق الكلام تقديره: فعلوا ذلك فعل، الثاني: أن يكون بغير فعله على نحو قعدت جلوساً وهو آتخذه، والضمير في سلطان عائد الى من، والثاني ظاهر.

### المعاني

الفاء في فباض للتشبيه: أيعني أن آتخذه إياهم شراكاً سبب لأن فباض، وفي إيراد الفعل الماضي دليل على الوقوع وتمكّن الشيطان منهم، وكذا الفاء ان في فنظر وفركب، والباقي معلوم.

### البيان

في قوله آتخذهم له أشراكاً: على الإحتمال الثاني استعارة حسنة مكنتى بها عن كونهم للشيطان في إضلال الخلق مستخرين لأوامره، مستدعية لتشبيههم بجبائل الصايد، وهما محسوسان، ووجه الشبه: أنّ الشيطان جعلهم أسباباً لدعوة الخلق إلى مخالفة الحقّ، وذرائع لاصطياد الخلق بألسنتهم وأموالهم، وما ألقاه في

خواطرم من الوسواس، كما أن الصائد جعل الجائل وسائل لاصطياد الصيود النافرة، وهو عقلي، وبالجملة اشتراكهما في كونهما أسباباً للظفر على المطلوب. في فباض وقرخ في صدورهم: استعارة حسنة تخيلية مكنى بها عن شدة تمكنه فيهم وملازمته اياهم، مستدعية لتشبيه هيئة استقرار الشيطان في قلوبهم وصدورهم، بهيئة تمكن الطائر في عشه بعد أن باض وقرخ. ووجه الشبه: أن الشيطان يلازم قلوبهم وصدورهم بحيث لا يفارقها البتة، لتمكّن الضلال والباطل في سويدائهما، ويظهر فائدة الملازمة في إضلالهم غيرهم، كما أن الطائر ملازم عشه بعد أن باض، ولا يفارق حتى ينفلق البيض ويخرج الفرخ ويكبر، وهي استعارة في غاية اللطافة ونهاية النفاسة، وتامها يتوقف على تشبيه قلوبهم وصدورهم بالعش.

وجه الشبه: أنها محلّ تصرف الشيطان واطهاره نتايج فعله، كما أن العش محلّ تصرف الطائر وإبداء نتيجته، وهذا كآله مبالغة في استيلاء الشيطان عليهم. ودبّ ودرج في حجورهم: استعارة مكنى بها عن تربيتهم للباطل، وان الشيطان قد يربي بتربيتهم ما تيسر دعوتهم بهم، مستدعية لتشبيه هيئة ملازمة الشيطان لهم وعدم مفارقتهم عنهم، بهيئة ملازمة الطفل لوالده وعدم مفارقتهم عنها، ووجه الشبه: أنهم يدنون الشيطان ويمكّنونه من أنفسهم تربية الوالدة ولدها وتمكّنهما من نفسها.

### البديع

بين أشراكاً وملاكاً: السجع المطرف، وكذا بين سلطانه ولسانه، وبين صدورهم وحجورهم: المتوازي والترصيع، وكذا بين الزلل والخطل.

### الفحوى

إعلم أن هذا الفصل قد ساقه عليه السلام لذمّ المنابذين لعهد المخالفين



لأوامره، فأشار أولاً بقوله: اتخذوا الى ملاكاً إلى انقياد نفوسهم إلى شياطينها إلى حد جعلوا أزيمة مصالحهم إليها، وألقوا مقاليد أمورهم في أيديها، وجعلوها أولياء لأنفسهم، بحيث عزلوا عقولهم بالكلية عن التدبير، وفوضوا تدابير معاشهم إليها. وهذا يدل بالكفاية على سلب الإيمان عنهم، لأنّ المؤمن لا يقدم على هذا الفعل، وإنما يقدم من لا إيمان له، على ما ينبىء عنه قوله تعالى: «إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون<sup>(١)</sup>».

أشار بقوله: واتخذهم له أشراكاً إلى أنهم بعد تفويضهم أمورهم إلى الشيطان صاروا أعواناً وانصاراً له، يضلّ بهم الشيطان الخلائق، ووجه الشبه قد عرفت، هذا على الاحتمال الثاني، اما على الأول: فعناه ان الشيطان قد اتخذهم لنفسه شركاً يضلّون الخلق عن طريق الحق كاضلاله اياهم.

وقوله فباض إلى حجورهم معلوم من البيان. قوله فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم: إشارة إلى نتيجة تمكّنه فيهم وملازمته لهم، وهي وجوه تصرفه في أجزاء أبدانهم.

يعني: لما فوضوا تدابير أنفسهم إليه وعزلوا عقولهم عن التصرف بالكلية، جعل الشيطان أعينهم آلة إبصاره، وألسنتهم آلات نطقه، فلا ينظر أعينهم إلى الحق أصلاً، ولا يدور ألسنتهم بما هو له شائبة الحق، بل لا يوقع أعينهم إلّا إلى الباطل، ولا يجري ألسنتهم إلّا بالمقالات الفاسدة المفسدة، وإلى هذا المعنى الذي هو ثمرة تصرفه في أعضائهم وجوانبهم أشار بقوله: فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل.

يعني: أن الشيطان بمعونتهم ركب الزلل الذي هو الخطل في الأفعال هنا مجازاً، وزين لهم الخطل في الأقوال. قوله: فعل من قد شرّكه إلى آخره: تنبيه على أنّ صدور هذه الأفعال والأقوال منهم إنّما هو بمشاركة الشيطان ومتابعته، ومبالغة في أن أفعالهم لا تخلو قط من ضلال ومخالفة للحق.

\* \* \*

## ٨- وَمَنْ كَلَامَ لَهُ عَلَيْنِهِ السَّلَام

(يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك)

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ،  
وَأَدْعَى الْوَلِيحَةَ فَلَيَّاتٍ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرَفُ؛ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ  
مِنْهُ.

### اللغة

الزعم: حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به، نحو «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا»<sup>(١)</sup>، «بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً»<sup>(٢)</sup>، وغيرهما من الآيات.

المبايعة والبيعة: عهد يجري بين طائفة على الاتفاق وطاعتهم لمن جعلوه رئيساً مطاعاً، وأصلها من الباع الذي هو قدر مة اليدين، ولما جرت العادة في مة الباع لهذا العهد المشروط ستموه مبايعة، كما يقال للعقد الذي يلزم بالتصفيق صفقة. الوليحة: البطانة والدخلة، من ولج يلج ولوجاً وليجة؛ أي دخل.

قيل: بين الدخول والولوج فرق، وهو أن الولوج دخول على إكراه، ولهذا قال عز من قائل: «حتى يلج الجمل في سم الخياط»<sup>(٣)</sup>، وقد جاء في الخبر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في خباء، فقال له رجل: أألج، قال: بل ادخل، وإنما قال ذلك لأن الولوج يؤذن بالكرامية.

(١) التباين: ٧.

(٢) الكهف: ٤٨.

(٣) الأعراف: ٤٠.

## الاعراب

الضمير في يزعم: وما كان في حيزه للزير، وإلا أصله أن لا للشرط، ولهذا جاء بالفاء في جوابه، فأدغم النون في اللام، تقديره: إن لم يأت عليها بيّنة فليدخل، والباقي ظاهر.

## المعاني

الفاء في فقد أقرّ: للتشبيه، وفي فليات: فصيحة مفضحة عن محذوف هو سبب لهذا الأمر، وسيعرف تقديره في الفحوى.

## البيان

ليس فيه شيء منه.

## البديع

بين بيده وبقلبه: المطرف.

## الفحوى

اعلم أن هذا كلام صدر منه عليه السلام لبيان صورة مناظرة جرت بينه عليه السلام وبين الزبير حين نقض البيعة ونكث العهد، مشتملة على تقدير حجة احتجّ بها عليه السلام عليه، وصورة نقض صدرت من الزبير، وجواب صدر عنه عليه السلام عن هذا النقض.

فكانه عليه السلام قال له عند نقضه البيعة: الوفاء بالعهود والشروط من أركان الإيمان على ما دلّ عليه قوله تعالى: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً»<sup>(١)</sup>، وقول النبيّ عليه السلام: المؤمنون عند شروطهم.

فأجابه عليه السلام الزبير بأن الإيفاء بالعهود والأيمان انما يجب إذا كان الجنان موافقاً لما جرى على اللسان، وليس كذلك بل ان قلبي ما وافق لساني ويدي، وقد ورّيت في نفسي الخلاف، وانما أجاب هذا بناءً على توهمه أنّ مثل هذه الدعوى لا تقبل في الشريعة، وهو الذي أشار إليه عليه السلام بقوله: يزعم أنّه بايع بيده ولم يبايع بقلبه.

ثمّ أجابه عليه السلام بقياس حذف كبراه وأشار إلى صغراه بقوله: فقد أقر بالبيعة وادّعى الوليجة، أي أقر بما هو مؤاخذته في الشريعة وادّعى أنه قد أضمر في نفسه ما هو بخلافه، والكبرى المحذوفة هي: كل من ادّعى الاضمار مخالفة القلب بعد الإقرار باللسان يحتاج إلى بيّنة تثبت دعواه، فينتج انه محتاج إلى بيّنة، وقد أشار إلى هذه النتيجة بقوله: فليأت عليها بأمر يعرف، أي بذلك الأمر صحت دعواه الوليجة.

ثمّ لما كان أقدم البيّنة على الوليجة التي هي أمر باطني لا اطلاع للشهود عليه أصلاً أمراً متعذراً محالاً نبه بقوله: وإلا فليدخل فيما خرج منه، على أنّ الدخول ثابت في البيعة التي أقربها، وقد خرج منها بالنقض والنكث لواجب مقرّر في الشريعة.

## ٩- وَمِنْ كَلَامِ لَهٗ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَسَلُ؛ فَلَسْنَا نَرْعُدُ<sup>(١)</sup> حَتَّى نُوقِعَ، وَلَا نَسِيلُ حَتَّى نُمَطِّرَ.

### اللغة

رعد الرجل وأرعد وبرق وأبرق: إذا هدد وأوعد، وذلك مشبه بالغيم إذا أرعد وأبرق فقد انذر وأخاف، قال ابن أحرر: يا جلّ ما بعدت عليه بلادنا \* وطلابنا فأبرق بأرضك وأرعد وقال الكميّ<sup>(٢)</sup> أيضاً:

أبرق وأرعد يا يزيد \* فاعيدك بي بضائر  
أي هدد وأوعد. الفسل: الضعف، والفسل بكسر الفاء وسكون الشين المعجمة الرجل الضعيف، وقع الشيء يقع وقوعاً: أي سقط، وأوقعه غيره أي أسقطه. سال الماء وغيره يسيل سيلاً وسيلاناً وأسأله غيره وسأله، السيل واحد السيول، وهو في الأصل مصدر، ثم جعل اسماً للماء الذي يأتيك ولم يصبك مطره، ومنه قوله تعالى: فاحتمل السيل زبداً رابياً.

### الاعراب

الأمران كنايةتان الإرعاد والإبراق وإن لم يذكر، تعويلاً على ذكر فعلهما، على طريقة قولهم: من كذب كان شراً له. وحتى: هاهنا بمعنى إلى، ويحتمل أن

(١) في ض وح ول: ولسنا نرعد.

(٢) أبو المستهل الكميّ بن زيد الأهمدي؛ شاعر مقدم عالم بلغات العرب، خير بايامها، وكان معروفاً بالتشيع مشهوراً بذلك، كان في الكميّ عشر خصال: خطيب أسد، فقيه الشيعة، حافظ القرآن، ثبت الجنان، حسن الخط، نصابة جدلاً، اول من ناظر في التشيع، رامياً، فارساً، شجاعاً، سخياً، ديناً، وله مع أبي جعفر الباقر عليه السلام اخبايان وكذا مع الصادق عليه السلام، ولد سنة ستين، وتوفى سنة ١٢٦.

يكون بمعنى كي، وإنما نصب ما بعدها لوقوعها بعد النفي، وكذا ما بعد نمطر.

### المعاني

ليس فيه خاصية دقيقة يحتاج إلى استخراجها، بل ما فيه من الخواص معلوم من القواعد السالفة في علم المعاني.

### البيان

في أرعدوا وأبرقوا: استعارة تخيلية مكنتى بها عن شدة تهديدهم ووعيدهم، مستدعية لتشبيه الوعيد وهو أمر عقلي، بالرعد والبرق وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في الإيخاف المزعج وهو عقلي، وإنما قلنا هذا لأن أرعد وأبرق في أصل الوضع لإصابة الرعد والبرق لا غير، وما أوردناه من البيتين أيضاً مستعمل على سبيل الاستعارة.

في فلسنا نرعد حتى نوقع: استعارة تخيلية مكنتى بها عن اثبات الشجاعة لنفسه وأصحابه، مستدعية لتشبيه هيئة تأخر أقواله عن أفعاله بهيئة تأخر الإرعاد عن إيقاع المطر، ووجه الشبه: اشتراكهما في المكان، يعني: كما أن إيقاع المطر أن يكون الإرعاد متأخراً عنه، كذلك كمال الأفعال أن تكون الأقوال بها متأخراً عنه، وفي نسيل حتى نمطر: مثل هذه الاستعارة.

### البديع

بين نوقع ونمطر: المطرف.

### الفحوى

اعلم انه عليه السلام ساق هذا الكلام لاثبات الدعوى المجردة للشجاعة

من غير معنى للناكثين في معرض الذم، وإثبات معنى الشجاعة الخالي عن الدعوى لنفسه عليه السلام، فأشار أولاً بقوله: وقد أرعدوا وابرقوا، إلى أنهم هددونا وأوعدونا بالحرب، وبقوله مع هذين الأمرين الفشل: إلى إثبات رذيلة الجبن لهم مع إيعادهم إيانا، وهكذا الأمر في الواقع، فإن التهديد قبل إيقاع الحرب باللسان من إمارات الجبن، كما أنّ الثبات والسكون من علامات الشجاعة.

ومن ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام معلماً كيفية الحرب: وأميطوا أصواتكم فانه أطرده للفشل، وبقوله: فلسنا نرعد حتى نوقع نبه على إثبات الشجاعة لنفسه ولأصحابه، ونفي رذيلة الجبن عنهم، وبقوله: ولا نسيل حتى نمطر على إثبات نتائجها لهم من إسالة الدماء بعد ضرب السيوف.

والحاصل أن للسحاب حالين إحداهما: حالة نقصان وهي إقرانه بالرعد والبرق من وقوع مطر وسيل، والأخرى: حالة كمال وهي إقرانه بايقاع المطر والإسالة ثم بالارعاد والابراق، وقد شبه حالهم بالحالة الأولى، وحاله عليه السلام وحال أصحابه بالحالة الثانية، هذا من الكلام الذي يشتم منه رائحة بلوغه أعلى الرتب السنية في الشجاعة.



## ١٠- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَأَسْتَجَلَبَ حَيْلَهُ وَرَجَلَهُ،  
وَإِنَّ بَصِيرَتِي لَمَعِي <sup>(١)</sup>: مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لَبَسَ عَلَيَّ. وَأَيْمُ اللَّهِ  
لَأَقْرِظَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَبَحُّهُ! لَا يُضِدُّوْنَ عَنْهُ، وَلَا يَعُوذُونَ إِلَيْهِ.

### اللغة

حزب الرجل: أصحابه، والحزب أيضاً الطائفة، والحزب أيضاً الورد،  
ومنه قولهم حزبت القرآن وتحزبوا وتجمعوا، وإنما سمي أصحاب الرجل حزبا  
لتجمعهم عليه، وبإضافته إلى الضمير للشيطان عيّن أن المراد به أصحابه.

جلب الشيء: بالفتح في الماضي والضم والكسر في الغابر جلباً وجلباً  
أي جذبه وجمعه إلى نفسه، والاستجلاب هنا بمعنى الجمع. الخيل: اسم مشترك بين  
الأفراس والفرسان، قال الله تعالى: ومن رباط الخيل <sup>(٢)</sup>، أي الفرس، وقال  
عليه السلام: عفوت لكم عن صدقة الخيل، بمعنى الأفراس، وقال تعالى: واجلب  
عليهم بخيلك ورجلك <sup>(٣)</sup>؛ أي بفرسانك ورجالتك.

قال عليه السلام: يا خيل الله أركبي يعني الفرسان، واقتران الرجل هنا به  
عيّن أن مراده عليه السلام الفرسان، والراجل خلاف الفارس، وهو الماشي بالرجل  
وجمه رجل كصاحب وصحب ورجالة ورجال نحو ركاب.

قيل إنما سمي الفرسان بالخيل لاختياهم، وخيل الشيطان ما دار في  
الخيالات من همم السوء، ورجله ما سعت به الأرجل من الخطايا والذنوب.  
البصيرة: الحجة والاستبصار في الشيء، قال الله تعالى: بل الإنسان على نفسه

(١) في ض وح ول: وان معي بصيرتي.

(٢) الانفال: ٦٠.

(٣) الإسراء: ٦٤.



بصيرة<sup>(١)</sup>.

قيل: العقل، وقيل: البصر قوة يدرك بها الأمور المرئية، والبصيرة قوة القلب يدرك بها الأمور المعقولة. يقال: لبست عليه الأمر بالفتح في الماضي والكسر في الغابر لبساً؛ أي خلطت، ومنه قوله تعالى: «وللبسنا عليهم ما يلبسون<sup>(٢)</sup>»، واللبس أيضاً اختلاط الظلام، وفي الأمر لبسة بالضم أي شبهة ليس بواضح. التلبس: التخليط، شدد للمبالغة، ورجل لباس ولا يقال ملبس. الأيم: التوحد، ومنه أيمت المرأة إذا انفردت عن زوجها، يقال أيم أيام أي انفرد، وقيل للحرب مائة لانفراد الرجال عن أزواجهم وانفادهن عنهم، فعلى هذا يكون معنى أيم الله وحدانية الله، ستعرف تمام الكلام فيه في الاعراب.

فرطت القوم: بالفتح في الماضي والضم في الغابر فرطاً أي سبقتهم إلى الماء فأنافراط والجمع فرّاط، وفرط في الأمر يفرط فرطاً أي قصر فيه وضيقه حتى فات، وكذلك التفريط وفرط عليه أي عجل وعدا، وأفرطه أي أعجله، وفرط إليه متي قول أي سبق، وأفرطت المرأة أولاداً أي قدمتهم، وأفرطت المرادة أي ملأتها، يقال غد مفرط أي ملآن، فعلم أن الأول متعمد نفسه، والثاني متعمد بني، والثالث بعل، والرابع بالي. ولأفرطن فيه روايتان:

إحدهما: بضم الراء وهو عليها من فرطت القوم وهي الأشهر، والثانية: بكسر الراء وهو عليها من فرطت القوم ففرط بكسر العين في الغابر، وهي لغة بارزة جداً، وقد جاءت الرواية أيضاً لأفرطن بضم المهمزة من فرطته أي تركته، وكسر الراء وتشديدها وقدمته، ومنه قول الشاعر: «معه سقاء لا يفرط حمله»؛ أي لا يترك حمله ولا يفارقه.

(١) القيامة: ١٤.

(٢) الانعام: ٩.

الحوض: واحد الأحواض والحياض، وهو مجتمع الماء، وأصله من استحوض الماء أي اجتمع.

الماتع بالثاء المنقطة بنقطتين من فوق: المستق، وكذلك المتوح، يقول متع الماء بالفتح في الماضي والغابر متحاً إذا نزع، وبنقطتين من تحت: الذي ينزل البئر فيملاً الدلو وذلك إذا قلّ ماؤها، والرواية هي الأولى. يقال: صدرت عن الماء وعن البلاد صدرأ أي رجعت، قيل: صدره أي أصاب صدره، أو قصد قصده نحو ظهره وكيفيته، ومنه قيل: رجل مصدور يشكو صدره، وإذا عذي صدر بعن اقتضى الانصراف، يقول: صدرت الإبل عن الماء صدرأ.

### الإعراب

ألا: وضع لتببيه المخاطب قيل الشروع في الجملة ليتنبّه لما يقال له، لأنه قد يفوته على تقدير الغفلة بعض ما ذكر، فاذا جيء بالأو وقد رفته لم يضر، ولا تدخل الألف على المركبات. الجملة والواو بعده عطف على كلام قد سبق.

وأيم الله قيل: أصله أيم الله حذف تخفيفاً كما حذف من لم يكن، وهو جمع يمين، وقيل: ليس بجمع بل اسم وضع للمقسم، وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين، ولم يجيء في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها، وهو مبتدأ محذوف الخبر.

تقديره: أيم الله قسمي، وقيل ألفه للقطع، وقد يطرح في الوصل لكثرة الاستعمال، وما أوردناه من أنّ أيم معناه الوجدانية والواو للمقسم معنى جيد يجوز التعويل عليه، واللام في لأفرطن هي اللام المفتوحة التي تدخل على الجملة المثبتة اسمية كانت أو فعلية ليدلّ على أنّ بعدها هو المقسم عليه، وكذا في لمعي، والنون قد اجتمعت لزيادة التأكيد.

وأنا ماتحه: جملة اسمية وقعت نعتاً لحوضاً، ولا يصدر عن أيضاً نعمت

بعد نعت.

### المعاني

تصدير الجملة الاولى بألا يدل على شدة الاهتمام باستماعها وبأن على رد المخاطبين عن الخطأ إلى الصواب، وتصدير إنّ معي لبصيرتي بأن وإردافه باللام يؤذنان بأنّ هذه الجملة إنما اوردت لرد المنكر عن الحكم المخالف لهذا في حقه إلى الصواب، وانما قطع ما لبست عما قبله ليكون تعليلاً للجملة السابقة، وتصدير لأفرطنّ بالقسم البار.

واللام مع نون التاكيد يؤذن بأنه عليه السلام انما أورد هذه الجملة لرد المنكر المصّر لشجاعته وقدرته على إعداد الحرب وعن اعداد الحرب عن تصور الجبن والعجز في حقه عليه السلام إلى ما هو الصواب، وتنكير الحوض يدل على تعظيمه، وتقديم لهم عليه يؤذن بالقصر للأفراد، ووصفه الحوض بمجملتين إحداهما راجعة إلى نفسه عليه السلام، والأخرى راجعة اليهم يؤذن بتفخيم ذلك الحوض وغاية تصرفه فيه ونهاية عجزهم عن دفعه، والباقي معلوم مما ذكرنا.

### البيان

في لأفرطنّ لهم حوضاً: استعارة تخيلية مرشحة مكثى بها عن اعداد حرب عظيم لهم، مستدعية لتشبيه هيئة حيازته عليه السلام الجند وهيئة اسباب الحرب لهم، بهيئة اجتماع الماء الكثير في بركة عظيمة، وهما مرگبان، ووجه الشبه: اشتراكهما في الكثرة وكونها سبباً لهلاك من انغمس فيها، وتخيل انها من أفراد هيئة اجتماع الماء في موضع، وبذكر الافراط والتمتع والصدر رشحها، ولا يصدرون عنه: كناية عن هلاك من خاض في ذلك الحرب كمن خاض في الماء العظيم وغرق فيه.

## البدع

بين حزبه ورجله: المتوازي، في لا يصدرن ولا يعودن إليه راعى المقابلة.

## الفحوى

اعلم أن مدار هذا الفصل على ثلاثة أمور: أولها: الذم لأصحاب الجمل وتنفيرهم عما كانوا عليه، وأشار بقوله: وإن الشيطان إلى رحله يعني: أن الباعث لهم والجامع على مخالفة الحق ومتابعة الهوى، إنما هو الشيطان الذي يلقي في قلوبهم الوسواس ويضلهم عن متابعة الحق، بتسويله إياهم زخارف الدنيا، فكل من وافقهم في مخالفتي وتابعهم فهو من حزب الشيطان وفرسانه ورجاله.

وثانيها: التنبيه على كمال عقله وتمام استعداده لاستيضاح الحق وتكميل نفوس الناقصين، وعلى أن الأمر ليس ما تصوّروا في حقه من النقصان، وأشار إليه بقوله وإن بصيرتي لمعي؛ يعني إنما يدرك به الأمور المعقولة، ويتميز به النافع في طريق الحق عن الضار ويحصل به الهداية والاهتداء معي ما فارق عني بمتابعة الهوى وغلبة الأهواء والبدع عليّ، وهو أيضاً تعريض مجالهم.

يعني أن بصيرتكم قد فارقتكم بركونكم إلى اقتناء اللذات واقبالكم إلى الدنيا وزخارفها وإدباركم عن الآخرة لا عتي، فإني ثابت على الصراط المستقيم ما انخرقت، ثم أكد ذلك بقوله: ما لبست على نفسي؛ يعني ما خلطت على نفسي المطمئنة باتباعي نفسي الأمانة، ولا انخدعت بالسنة الباطلة والتمويهات الكاذبة التي رآبتها النفس بالأمانة لانخراط النفس القدسية في سلك حزب الشيطان. قوله: ولا لبس عليّ؛ أي ما ظفر عليّ ضالّ قدر على تخليط الحق عليّ واضلاله إياي.

والحاصل أن التلبس ما حصل لنفسي القدسية لا بواسطة نفسي الأمانة ولا بواسطة غيرها من المضلّين الذين انخرطوا في سلك حزب الشيطان، وهذا أيضاً تعريض للمخاطبين بأنهم قد التبست الأمور الباطلة عليهم باستيلاء النفس

الأقارة عليهم وغلبة الشيطان المضلّ، وهذا الكلام مثل قول القائل لمن أراد أن ينسبه إلى خبث الولادة: اما أنا فلست بابن زان، وثالثها: تهديدهم باعداد حرب عظيمة لهم ان لم يرجعوا إلى الحق.

قوله: وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً: أي ووحداية الله تعالى لأهيئنّ لهم حرباً عظيمة، الضارب بالسيف فيها أنا، والمعطي اياهم الطعن أنا، حرباً لا يخلص عنها من خاض فيها، ومن خاض عنها مرّة لا يعود إليها البتّة مرة ثانية لشدتها.

\* \* \*

## ١١- وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل)

تَزُورُ الْجِبَاكَ وَلَا تَنْزُلُ! عَضَّ عَلَيَّ نَاجِدِكَ، أَعِيرَ اللَّهُ  
جُنُجُمَتَكَ، تَدْفِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ، أَرَمَ بَبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَعَضَّ  
بَبَصْرِكَ، وَأَعْلَمَ أَنَّ التُّضْرِمِينَ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

### اللغة

أزال الشيء يزول زوالاً: فارق طريقته جانحاً عنه، والزوال انما يقال في شيء كان ثابتاً، فان قيل: فقد قالوا زوال الشمس، ومعلوم أن لا ثبات للشمس بوجه، قلنا: انّ ذلك قالوه لاعتقادهم في الظهيرة أنّ لها ثباتاً في كبد السماء، ولهذا قالوا: قام قائم الظهيرة.

يقال عضّ به وعضّ عليه وعضّه يعضّ عضاً: إذا أخذه بالسنّ، والأمر

منه عضّ.

الناجذ: السن الذي بين الأضراس والنباب، قال الجوهري: الناجذ هو

آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان بعد الأرحاء، ويسمى

ضرس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل، يقال: ضحك حتى بدت نواجذه إذا استغرب فيه.

أعر الله: فيه روايتان: إحداهما: بالراء المهملة وهو أمر من أعاره إعارة وهي الأشهر، الثانية: بالزاي المعجمة وهو أمر من أعزه يعزه اعزازاً، والعزة مانعة للانسان من أن يغلب، من قولهم: أرض عاززة أي صلبة، فعلى الأول أمر، وعلى الثانية دعاء.

الجمجمة: بضم الجيمين وسكون الميم الأولى وفتح الثانية الرأس.

الوتد: بالكسر واحد الأوتاد، وبالفتح لغة وكذلك الود في لغة من يدغم، تقول: وتدت الوتد أتده وتبدأ إذا أمرت، قلت: تدوتك بالمبيئدة وهي المدق من الصحاح.

الرمي: مصدر رمى يرمي، وهو يقال في الأعيان كالسهم والحجارة وما شاكلهما، قال الله تعالى: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى<sup>(١)</sup>»، ويقال في المقال كناية عن الشتم، قال الله تعالى: «والذين يرمون المحصنات<sup>(٢)</sup>»، ونظيره في القرآن كثير. يقال فلان بالمكان الاقصى والناحية القصوى والقصيا بالضم فيها: أي البعيد والبعيدة من القصا وهو البعد.

غض طرفه يغض غَضاً: أي خفّفه، وكلّ شيء كفّفته فقد غضضته، والأمر منه في لغة أهل الحجاز اغضض، وفي التنزيل: «واغضض من صوتك<sup>(٣)</sup>»، وأهل نجد يقولون غضّ طرفك بالإدغام، قال جرير<sup>(٤)</sup>:

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) النور: ٤.

(٣) لقمان: ١٩.

(٤) جرير بن عطية الخطاطي؛ الشاعر المشهور، من شعراء بني أمية ومادحهم، كان معاصراً للفردق والأخطل، وكان بينه وبين الفردق منافرة شديدة ومهاجاة، وكان راعي الابل الشاعر يقضي للفردق على جرير ويفضله، توفي جرير سنة ١١٠.

فغض الطرف إنك من غير \* فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
فغض الطرف احتمال المكروه.

## الاعراب ظاهر

### المعاني

إنما عدل عن الشرطيّة التي هي قوله تزول الجبال ولا تزل بخرقتها لشدة  
المبالغة في النهي عن الزوال المستلزم للثبات المميت لقلوب الأعداء، وقد قطع  
الأوامر المذكورة ايداناً بأنّ كلّ أمر منها مقصود امتثاله، إذ كل من مقتضياتها  
مرهب للعدوّ، ملقٍ للربح في قلوبهم، ليس الجمع بينها شرطاً في الإرهاب، وإنما  
أتى بالواو بين ارم وغض ليؤذن بأن الجمع بينها واجب، وستعرف تمام التحقيق  
فيه في الفحوى، والباقي ظاهر.

### البيان

في عض الناجذ: كناية عن الثبات والاستقرار، يقال: فلان في الأمر  
الفلاني عضّ على ناجذه أي ثبت فيه واستقر، ويحتمل أن يكون المراد به حقيقته.  
وفي أعر الله ججمتك: استعارة تخيلية لطيفة مكنى بها عن تفويض نفسه إلى الله  
تعالى والتوكل عليه، وتوطين القلب على أن من فوّض أمره إليه جانحاً عما سواه  
حفظه عن ظفر الأعادي عليه، مستدعية لتشبيهه الجمجمة وهي محسوسة، بالآلة التي  
تستعار للانتفاع ثم تردّ وهي أيضاً محسوسة.

وجه الشبه: اشتراكهما في صلاحية الانتفاع بهما، وهو عقلي، وتخيل أنها  
من افراد الآلات، وإلا لم يصح جعلها مستعارة. وفي تد في الأرض قدمك: استعارة  
تخيلية مكنى بها عن الاستقرار والثبات، مستدعية لتشبيهه القدم وهو محسوس،  
بالوتد وهو أيضاً محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في صلاحية الاثبات، وهو عقلي.

## البديع

بين ارم ببصرك وغض: المقابلة؛ حيث قابل الرمي بالبصر الذي هو عبارة عن الفتح بالغض الذي هو الخفاضة.

## الفحوى

اعلم أن مدار هذا الفصل على تعليمه عليه السلام ابنه أنواع آداب الحرب، وما يحفظ به روحه ويفوز بمطلوبه، فناه أولاً بقوله: تزول الجبال ولا تزول من الزوال عن الموقف، أي: ان زالت الجبال عن مواقعها فلا تزول عن موقفك، وهذا نهى عن الزوال مطلقاً، فان النهي عنه على تقدير زوالها يستلزم على تقدير زوال أمر آخر بطريق أولى.

ثم أمره بخمسة أوامر: الأول أشار إليه بقوله: عض على ناجذك، وذلك لاستلزامه الثبات وقوة القلب، فان الانسان إذا خاف وعض على ناجذه سكن خوفه واضطرابه لاستلزامه أيضاً رفع تأثير الضرب في الرأس، على ما أشار إليه عليه السلام بقوله:

عضوا على النواجذ؛ فانه أنبأ للسيوف عن الهام، الثاني أشار إليه بقوله: أعر الله جحمتك؛ يعني: توكل على الله تعالى وسلم نفسك إليه، فان المرء إذا فوض نفسه إليه تعالى حق التفويض، كان الله تعالى في حفظه حتى يردّه إلى مأمنه، قال بعض الشارحين: في أعر الله تنبيهه لابنه محمد على انه لا يقتل في تلك المحاربة، فانه تعالى يردّ العارية سالمة، وهو قريب مما قلنا.

الثالث أشار إليه بقوله: تد في الأرض قدمك؛ أي: ثبتت قدمك في الأرض ثبات التودد فيها، فان الثبات يشمر قوة القلب واستصحاب العزم على الثبات ويجلب هموم العدو وانتهازه، فانه يستدل بالثبات والصبر على المكارّه وعنده ينقهر، الرابع أشار إليه بقوله: ارم ببصرك أقصى القوم؛ أي: افتح ببصرك وانظر



أقصى القوم لتطلع على مخاتل المخاتل ومقاتل المقاتل.

الخامس أشار إليه بقوله: وغض بصرك؛ أي: بعد مده وذلك لأن الغض يزِيل الجنب كما ان الرمي يشجَع الفؤاد، فان قيل: بين الأمر بالرمي والأمر بالغض تناقض، قلنا: لا تناقض، لأن المراد بالأمر الأول التبصر والتأمل مجاز يقال: رميت ببصري أمراً عظيماً، وان لم يكن ثم نظر، هكذا قيل، والأولى أن يقول: الأمر الأول إشارة إلى النظر الظاهر، والثاني إلى الباطن.

يعني: من شرط الخائض في غمرات الحرب أن يبلغ نظره الظاهر جميع أطراف العسكر، ويردّد لحظه بين من قرب منه ومن بعد، ويفضّ نظره الباطن عن سوى الله تعالى، وهذا يؤكد الأمر الثاني، ويؤكد هذا المعنى قوله عليه السلام بعده: واعلم أن النصر من عند الله سبحانه، وهذا مثل قوله: «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم»، وذلك ليطمئن قلبه بالشبات في مقابلة العدو عند خطور قوله تعالى: «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»<sup>(١)</sup> بباله.

\* \* \*

## ١٢- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما أظفره<sup>(٢)</sup> الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك فقال<sup>(٣)</sup> لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَهْوَى أَيْحِكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَضْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرَعُثُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَتَفَوَّى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

(١) محمد: ٧.

(٢) في ن: لما ظفر بأصحاب الجمل.

(٣) في ح: فقال علي: أهوى أَيْحِكَ معنا.

### اللغة

الظفر: الفون يقال ظفر بعدوه وظفره أيضاً مثل لحق به ولحقه فهو ظفره،  
الود أمر مشترك بين المحبة والتمتي، تقول من الأول:

وددت الرجل: بالكسر في الماضي والفتح في الغابر وذاً إذا أحببته، ومنه  
قوله تعالى: سيجعل لهم الرحمن وذاً<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: قل لا أسألكم عليه اجرا الا  
المودة في القربى<sup>(٢)</sup>، وله غير نظير في القرآن، وتقول من الثاني: وددت لو تفعل ذاك  
ووددت تفعل ذاك أو وذاً: أي تمنيت، ومنه قوله تعالى: ودّت طائفة من أهل  
الكتاب لو يضلّونكم<sup>(٣)</sup>، وقوله: وذا ما عنتم، وله أيضاً غير نظير، قال الشاعر:

وددت وداه لـو أنّ حظّي \* من الخلان ألا يصرموني

أي لا يقطعون عتي، ومنه أيضاً ما في الكتاب والقرينة أنّ بعده.

يقال شهده شهوداً: أي حضره فهو شاهد، وقوم شهود أي حضون يقال  
أيضاً شهد له بكذا شهادة أي أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد، والمراد هنا  
الأول، وقرينة الحال معينة إياه للمراد.

يقال هوى بالكسريهوى هوى: أي أحبّ وهويهوى هويماً أي سقط من  
علو، والهوى معناه هنا المحبة لا هوى النفس.

الأخ: أصله اخو؛ وهو المشارك لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحديهما  
أو من الرضاع؛ ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعته أو  
في مودة أو ما شاكلها من المناسبات.

فقوله تعالى: قالوا لاخوانهم<sup>(٤)</sup>؛ فالمراد به مشاركوهم في الكفر، وقوله

(١) مريم: ٩٦.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) آل عمران: ٦٩.

(٤) آل عمران: ١٦٨.

تعالى: انما المؤمنون اخوة<sup>(١)</sup>؛ المراد المشاركة في الدين، وقوله: اخواناً على سرر<sup>(٢)</sup>؛ المراد المشاركة في المودة والألفة، وقوله تعالى: يا اخت هرون<sup>(٣)</sup>؛ المشاركة في الصلاح، والأصل في الاطلاق الحقيقة، فيكون المراد بأخي المشاركة في الولادة مع كلمة تدلّ على المصاحبة.

العسكر: الجيش. القوم: جماعة الرجال في الأصل دون النساء، ومن ثم قال تعالى: لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكنّ خيراً منهنّ<sup>(٤)</sup>، وقال الشاعر: أقوم آل حصن أم نساء، وقد يراد به النساء جميعاً.

الأصلاب: جمع صلب، وهو من الظهر كل شيء فيه فقار.  
الأرحام: جمع رحم؛ وهو اسم لما يصير نطفة الرجل ولداً من المرأة، وقد استعير منه للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحد.

الرعاف: الدم يخرج من الأنف، وقد رعف بالفتح في الماضي والضم والفتح معاً في الغابر، والضم في الماضي لغة ضعيفة، ورعف الفرس بالفتح في الماضي والضم: أي سبق وتقدم في الغابر.

الإيمان: يشتمل على وجهين: أحدهما: أن يكون اسماً للشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله، وعلى ذلك: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون<sup>(٥)</sup>، ويوصف به كلّ من دخل في شريعته مقرأً بالله وبنبوته، الثاني: أن يستعمل على سبيل المدح، ويراد به حينئذ اذعان النفس للحق على سبيل التصديق.

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) الحجر: ٤٧.

(٣) مريم: ٢٨.

(٤) الحجرات: ١١.

(٥) المائدة: ٦٩.

وذلك باجتماع ثلاثة اشياء: تصديق بالجنان، واقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالاركان، وعلى هذا نبه تعالى بقوله: والذين آمنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون، ويقال لكل واحد من التصديق والاقرار والعمل إيمان، وقد عرفت الكلام فيه مكملاً في الخطبة الأولى.

### المعاني

في نعم: مقررّة لما سبقها من كلام موجب أو منفي استفهاماً كان أو خبراً، هذا وضعها لغة، ولكن في العرف بخلاف ذلك، ولذلك لوقارن بعد قوله أليس لي عليك ألف نعم ألزمناه تغليّباً للعرف، لا لأنّ الوضع كذلك وهنا فيه على موضعها الأصلي. ولما تستعمل على وجهين: أحدهما: النفي الماضي وتقريب الفعل، نحو قوله تعالى: «ولما يعلم الله الذين جاهدوا<sup>(١)</sup>»، والثاني: علماً للظرف، نحو قوله: «فلما أن جاء البشير<sup>(٢)</sup>»، وهنا ظرف.

اعلم أن اللام التي تقع للأداة تقع على تسعة أوجه: الأول: الجارة وهي على نوعين: أحدهما: أن يعدى الفعل مع امتناع حذفه، نحو قوله تعالى: «وتلّه للجبين<sup>(٣)</sup>»، والآخر: أن يعدى الفعل لكن يجوز حذفها، كما في قوله تعالى: «يريد الله لبيّن لكم»، وقوله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه<sup>(٤)</sup>».

الثاني: للملك، وليس المراد ملك الغير بل الاختصاص بنوع، فالمفيدة للملك مطلقاً قوله تعالى: «ولله جنود السموات والأرض<sup>(٥)</sup>»، وقوله: «ولله ملك السموات والأرض»، والمفيدة للتصرف بوجه ما كقولك لمن يأخذ خشباً معك:

(١) التوبة: ١٦.

(٢) يوسف: ٩٦.

(٣) الصافات: ١٠٣.

(٤) الأنعام: ١٢٥.

(٥) الفتح: ٤.

خذ طرفك لآخذ طرفي.

الثالث: لام الابتداء وهي مفتوحة أبداً، ولا تدخل الـ على الاسم، نحو قوله تعالى: «لمسجد أئس على التقوى<sup>(١)</sup>»، وقوله تعالى: «ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا<sup>(٢)</sup>»، وقوله عليه السلام: ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني.

الرابع: اللام الداخلة في باب إن: إمّا في اسمه كما في قوله تعالى: «إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى<sup>(٣)</sup>»، أو في خبره نحو قوله تعالى: «إنّ ربك لبالمرصاد<sup>(٤)</sup>»، وقوله عليه السلام: إنكم والله لكثير في الباحات، وقوله: واني لعالم بما يصلحكم، وله غير نظير في كلامه عليه السلام.

الخامس: الداخلة على إن المخففة ليمز بينها وبين ان النافية نحو قوله تعالى: «وان كل لما جميع لدينا محضرون<sup>(٥)</sup>»، وقوله عليه السلام: أما والله ان كنت لني ساقتها.

السادس: لام القسم، وذلك يدخل على الاسم نحو قوله تعالى: «يدعولن ضره أقرب من نفعه<sup>(٦)</sup>»، وقوله عليه السلام: والله<sup>(٧)</sup> لهي (وأشار الى نعله) أحب إليّ، ويدخل على الفعل الماضي نحو قوله تعالى: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب<sup>(٨)</sup>»، وقوله عليه السلام: لقد شهدنا فيما نحن فيه، وقوله عليه السلام:

ولقد علمتم اني أحق، وله نظائر كثيرة في كلامه عليه السلام، وفي المستقبل يلزمه إحدى النونين نحو قوله تعالى: «ليؤمننّ به»، وقوله عليه السلام:

(٧) كذا بياض في الأصل.

(٨) يوسف: ١١١.

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) يوسف: ٨.

(٣) النازعات: ٢٦.

(٤) الفجر: ١٤.

(٥) يس: ٣٢.

(٦) الحج: ١٣.

لأفرطنَ لهم حوضاً، وقوله عليه السلام: والذي بعثه بالحق ليبلبلنَّ بلبلة إلى الآخر، وقوله تعالى: «ولتتصرنَّ».

السابع: اللام في خبر لو ولولا نحو قوله تعالى: «ولو انهم آمنوا واتقوا لثوبة من عند الله<sup>(١)</sup>»، وقوله عليه السلام: لو امرت به لكنت قاتلاً أو نهيت عنه لكنت ناصراً، وقوله عليه السلام: لو لا حضور الحاضر إلى قوله لألقيت حبلاً على غارها. الثامن: لام المدعو وتكون مفتوحة، ولام المدعو إليه وتكون مكسورة، نحو قوله عليه السلام: يا لله وللشورى، ففتح الأولى لدخولها على المدعو وكسر الثانية لدخولها على المدعو إليه.

التاسع: لام الأمر وتكون مكسورة اذا ابتدئ بها نحو قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم<sup>(٢)</sup>»، وساكنة إذا دخلت عليها واو نحو: «وليتمتعوا فسوف يعلمون<sup>(٣)</sup>»، او فاء نحو قوله تعالى: «فمن شاء فليؤمن»، سيرعف بهم الزمان: جملة وقعت نعتاً لقوم.

المطلوب بالاستفهام بقوله أهوى اخيك: معنى حصول المحبة لا بصورها، وذلك مثل قول القائل احصل الانطلاق لزيد. الفاء في فقد شهدنا للسببية الدال على أنَّ حصول المحبة له صار سبباً لحضوره بالقوة معه عليه السلام وان لم يشهد بالفعل، ثم لما كان هذا الحضور امراً يورث الإبهام واللبس و...<sup>(٤)</sup> الطالب.

أزال عليه السلام تلك الحيرة بادخال لام القسم في الجملة الفعلية وهي لقد شهدنا، لترتفع حيرته ويطمئن قلبه على أن الأصل في احراز الثواب وفضيلة المصاحبة معه عليه السلام هو المحبة وميل القلب إليه عليه السلام، والباقي ظاهر.

(١) البقرة: ١٠٣.

(٢) النور: ٥٨.

(٣) المتكوت: ٦٦.

(٤) كذا بياض في الأصل.

## البيان

في سير عرف بهم الزمان: إن أجرينا سير عرف على المعنى المشهور استعارة تخيلية مكنى بها عن حدوثهم في أحسن طور من أطوار الزمان، مستدعية لتشبيه الزمان بالإنسان، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها من الأسباب المعتدة لإيصال الصور الماضية من الفياض على الإطلاق بالقوابل، وهو عقلي، وتخيل أنه من أفراد الإنسان، والآ لم يصح إسناد سير عرف إليه، وإنما قلنا أنها كناية عن حدوثهم في أحسن طور لأن الرعاف رشع أحسن عضو من الوجه الذي هو أحسن الأعضاء.

## البديع

بين الزمان والإيمان: السجع المطرف.

## الفحوى

اعلم أن مدار هذا الفصل على أن الأصل في الاعانة والحضور وهو ميل القلب والهمة على ما ينبغي عنه قول النبي عليه السلام: نية المؤمن خير من عمله، وقوله عليه السلام: الدال على الخير كفاعله، والحكم بأن اخ القائل لما كان بجوامع همته جاضراً معنا، كان كالحاضر بالفعل والبدن، فان كثيراً ممن لم يحضر فوائدهمته في رفع الخصام، أكثر من كثير من الحاضرين بالأبدان.

قوله وددت إلى أعدائك: أي تمنيت أن اخي فلاناً كان حاضراً لي شاهد نصر الله اياك على أعدائك ويفرح قلبه. قوله عليه السلام: أهوى اخيك معنا: اي محبة اخينا مستقر معنا غير متزلزل ولا مضطرب. فقال: نعم أي مستقر معكم، فقال عليه السلام: اذا كان محباً لنا فقد حضر معنا، وفاز بالسعادة التي حصلت للحاضرين بالفعل.

ثم فسر المؤمنين الذين سيوجدون بعد زمانه عليه السلام بأنهم أيضاً حاضرون بقوله ولقد شهدنا إلى الآخر: ليتقوى قلب السائل بحضور أخيه، ويستلذ المؤمن اذا تحسّر على فوات مصاحبته مع أمير المؤمنين عليه السلام وسمع هذا الكلام، والباقي ظاهر.

\* \* \*

### ١٣- وَمَنْ كَلَامَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(في ذم أهل البصرة)

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيْمَةِ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعَغِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلَافُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ رُغَاقٌ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَمَدِّدٌ بِرَحْمَةِ<sup>(١)</sup> مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُوسِفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَعَغِرَ مَنْ فِيهَا ضَمْنِهَا.

وفي رواية: وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَغْرِقَنَّ بِلَدَّتِكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُوسِفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ.

وفي رواية: كَجَوْجُوسِفِينَةٍ فِي لُجَّةِ بَحْرِ.

#### اللغة

الجنند: الأنصار والأعوان، يقال: فلان جند الجنود أي جمع الأعوان، وفي الحديث: الأرواح جنود مجتدة.

(١) في م: برحمة ربه.



يقال تبعت القوم: تبعاً وتباعة بالفتح، إذا مشيت خلفهم وأمرؤا بك فضيت معهم، والتبع يكون واحداً وجماعة، قال الله تعالى: «إنا كنا لكم تبعاً<sup>(١)</sup>»، ويجمع على اتباع.

البهيمة: هي المبهمة عن العقل، وهي كلّ ذي أربع من ذوات البر.  
الرغاء: صوت ذوات الخنف، وقد رغا البعير يرغورغاء اذا ضج، وفي المثل: كنى برغائها منادياً، أي أن رغاء بعيره يقوم مقام ندائه في التعريض للضيافة والقرى، جواب الكلام هو ما يقطع الجوب، فيفصل من فم القائل إلى سمع المستمع، لكن خصّ بما يعود من الكلام، دون المبتدأ من الخطاب، والجواب يقال في مقابلة السؤال، والسؤال على ضربين: طلب مقال وجوابه المقال، وطلب نوال وجوابه النوال، فعلى الأول قوله تعالى: «أجيبوا داعي الله<sup>(٢)</sup>»، وعلى الثاني: «قد أجيبت دعوتكما<sup>(٣)</sup>» أي أعطيتكما ما سألتما، ومنه فأجبتم.

يقال عقرت البعير أو الفرس بالسيف فاعقر: اذا ضربت به قوائمه فهو عقير وخيل عقري، وعقرت ظهر البعير عقراً أدبرته، وعقرت النخلة إذا قطعت رأسها كلها مع الجمار، والمراد هنا الأول مثل المراد من قوله تعالى: فعقروها.

الهرب: الفرار، وهرب غيره تهريباً.  
الدقاق: جمع دق، وهو من كلّ شيء حقيقه، يقال: فلان دقّ أي قليل

الخبر.

العهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، وسُمّي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً، قال الله تعالى: «وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً<sup>(١)</sup>».

(١) إبراهيم: ٢١.

(٢) الأحقاف: ٣١.

(٣) يونس: ٨٩.

(١) الإسراء: ٣٤.

الشقاق: بكسر الشين الخلاف والعداوة، وكذا المشاقفة، يقال: شقّ فلان المصا أي فارق الجماعة، وانشقت المصا أي تفرقت الأمر.

النفاق: هو الدخول في الشرع من باب والخروج من باب، وعلى هذا نبه بقوله تعالى: «ان المنافقين هم الفاسقون»<sup>(١)</sup>، أي الخارجون من الشرع بعد دخولهم فيه، وهو فعل المنافق، وأصله: أنّ اليربوع يرقق موضعاً من الأرض من داخل حجره، فإذا أتى من قبل بابه وهو القاصعاء ضرب النفاق الذي هو ذلك الموضع برأسه فانتفق أي خرج، ومنه اشتق لفظ النفاق، لأنّ المنافق يكتم الكفر في قلبه ويظهر الإيمان.

الماء الزعاق: أي المالح، وطعام مزعق أي أكثر ملحه.

أقام بالمكان: يقيم إقامة فهو مقيم وذاك مقام.

الظهر: الطريق في البر، يقال فلان نازل بين ظهرهم وظهرانهم بالفتح وأظهرهم: أي نازل في جوارهم وحواليهم، ولا يقال ظهرانهم بالكسر. الذنب: بسكون النون الجرم.

يقال: شخص الرجل من بلد إلى بلد شخصاً؛ أي ذهب فهو شاخص وأشخصه غيره، وشخص الرجل بالضم فهو شخص أي جسم، والمرأة شخيصة، وشخص بالفتح شخصاً أي ارتفع، يقال أيضاً شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف، فعلم أن الأول متعد بمن أو عن، والبواقي لوازم، فقوله عنكم بعد الشاخص قرينة دالة على أنه من الأول لا من الثالث.

يقال: تدارك الرجل ما فات يتدارك تداركاً فهو متدارك وذاك متدارك واستدرك بمعناه. الرحمة: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة، ومن ثم روي: إن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف. الرب: في الأصل التربية وهو انشاء

الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال ربّه فربّاه، والرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقاً إلاّ الله تعالى المتكفّل بمصالح الكائنات.

قال الجوهري<sup>(١)</sup>: ربّ كلّ شيء مالكة. والمسجد واحد المساجد، قال الفراء: كل ما كان على فعل يفعل مثل دخل يدخل، فالفعل منه بالفتح اسماً كان أو مصدرأ، ولا يقع فيه الفرق مثل دخل مدخلا وهذا مدخله الا أحرفاً من الاسماء الزأموها كسر العين، من ذلك المسجد والمطلع والمغرب والمشرق والمسقط والفرق والمحرمز والمسكن والمرق من رفق يرفق، والمنسك من نسك ينسك، فجعلوا الكسر علامة للاسم.

وربما فتحه بعض العرب في الاسم، روي مسكين ومسكن، وسمعنا المسجد والمسجد، المطيع والمطّلع، قال: والفتح في كله جائز وإن لم نسمعه. ما كان من باب فعل يفعل مثل جلس يجلس، فالموضع بالكسر والمصدر بالفتح للفرق بينهما، تقول نزل منزلاً بفتح الزاي تريد نزل نزولاً، وهذا بمنزلة فتكسر لانك تعني الدان، وهذا مذهب تفرد به هذا الباب من بين أخواته، وذلك أن المواضع والمصادر في غير هذا الباب يرد كلها الى فتح العين ولا يقع فيها الفروق.

الجَوْحُؤُ: الصدر. أصل البعث: اشارة الشيء وتوجيهه، ويختلف البعث بحسب ما علق به، فبعثت البعير أثرته وسيّرته، وبعثت العذاب أي وجهته، وبعث الله عليها أي سلّط الله عليها العذاب وهو الايحاء الشديد، وقد عذّبتة تعذيباً أي اكرت حبسه في العذاب، واختلف في اصله فقيل: هو من قولهم عذّب الرجل الرجل اذا ترك المأكل والنوم فهو عاذب وعذوب، والتعذيب هو حمل الانسان أن يعذّب أي يجوع ويسهر.

(١) أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي، كان من أذكى العالم وأعاجيب الدنيا، ولع باللغة العربية واسرارها، سافر الى الحجاز وشافه باللغة العرب العاربة، ودخل بلاد ربيعة ومضر ثم عاد الى خراسان، واقام بنيسابور يدرس في اللغة، واشتغل بالصنيف وكتابة المصاحف، وكان خطه في نهاية الحسن، وحكي انه مات مترقياً من سطح، والمشهور انه توفي سنة ٣٩٣.

وقيل: أصله من العذب فعذبت أي أزلت عذب حياته على منوال مرضته وقذيته، والعذب الماء الطيب، وقيل: التعذيب اكثار الضرب بعذبة السوط أي بطرفها، وقيل: من قولهم ماء عذبة إذا كان فيه قذى، وكذا فيكون قذيته كقولهم كدرت عيشه.

يقال: غرق في الماء وغيره يغرق غرقاً فهو غرق وغارق وأغرقه غيره وغرقه فهو مغرق، والغرق هو الرسوب في الماء وفي البلاء، قال الله تعالى: حتى إذا أدركه الغرق<sup>(١)</sup>.

النعامة: معروفة، وأما سميت بها تشبيهاً بالنعمة في الخلقة، والنعمة مختص بالابل، وتسميته بذلك لكون الابل عندهم أعظم نعمة، ولكن الانعام لا يقال الا للإبل والبقر والغنم.

يقال جثم الطائر جثوماً: إذا تلبّد بالأرض. لجة البحر: معظمه، وكذلك اللجج، ومنه: بجر لجي.

### الاعراب

إنما ذكر الضمير في رغا وعقر نظراً الى المراد من الهيمة وهو الجمل لا إلى اللفظ كان وضع لإنشاء التشبيه، كما أن ليت ولعل لإنشاء التمني والترجي، وقد زعم بعضهم أنها مركبة من كاف التشبيه، وأن الاصل في قولك كأن زيداً الاسد وأن زيداً كالأسد، وهو ينصب الاسم ويرفع الخبر، والياء الراجعة الى نفس المتكلم وهو اسم.

كأنني بمسجدكم قائم مقام الخبر تقديره: كأنني حاضر بمسجدكم ملبس به، وقد بعث الله: جملة وقعت نعتاً لسفينة. قد تسمى حرف توقع الى الحال، ولذلك لزم في الماضي اذا وقع حالاً، واذا دخلت على المضارع كانت للتقليل، نحو إن

الكذب قد يصدق.

### المعاني

اضافة الجند والأتباع الى المرأة والبهيمة لتحقير المضاف. وفي أخلاقكم دقاق: خاصيتان: الأولى: القطع المؤذن بعله سرعة اصابتهم ونفارهم، الثانية: ايراده في الجملة الاسميّة الدالة على الثبوت والاستقرار، يعني: ان الرذائل كانت اخلاقاً لكم وانتم مستقرون عليها بحسب الجبلة والغريزة، وكذا في الجملة الثالثة، الواو بينها يؤذن بأنهم جامعون للجميع في حالة واحدة.

وهذا بالتصريح ذمّ لهم، وتعريض يقطع نفسه للتوقيع عن مبايعتهم الحق، انما افرد المقيم والشاخص للمبالغة التي عرفتها. وأيم الله لتغرفن: لردّ المخاطبين عن الخطأ في أن الفرق لا يصيب بلدتهم الى الصواب، وانما أورد الفعل الذي اقسام عليه مجهولاً للمبالغة مع الايجاز.

### البيان

في رغا: استعارة لطيفة تخيلية مكنى بها عن دعوتها أياهم الى القتال، مستدعية لتشبيهها بالجمال، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في عدم العقل، وتخيل أنها من أفراد الجمال أن يكون زعاق كناية عن كونه سبباً لاجتماعهم ما دام واقفاً، وذلك لان الرغاء لا يكون في الاكثر الا عند ثقل الجمال وهو واقف.

وماؤكم زعاق: كناية عن سوء اختيارهم وقبيح رأيهم كقولهم: فلان كثير الرماد، فانه كناية عن كونه مضيافاً، ويحتمل أن يكون استعارة تخيلية مكنياً بها عن نقصان جاههم وماء وجههم، مستدعية لتشبيه ماء الوجه المستلزم للجاه وهو معقول، بالماء وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في شدة الاحتياج اليهما

ولطافتها، وهو عقلي، ويخيل أنه من أفراد الماء، والا لم يصح جعل ماؤكم مسنداً اليه الزعاق.

قوله كأني بمسجدكم: مشتمل على تشبيه نفسه عليه السلام بالذي يشاهد البعث بالحس البصري، ووجه الشبه: أنه عليه السلام يشاهد بنور بصيرته أن مسجدهم مغمور بالماء، كما أن الحاضر في ذلك الوقت يشاهده بحاسة البصر. وقوله كجوجؤ سفينة: مشتملة على تشبيه هيئة المسجد حين غمر في الماء بهيئة صدر السفينة في الماء، ووجه الشبه: اشتراكهما في الظهور من بين الماء وإدارة الماء حولهما وخفاء الأرض، والتشبيهات الباقية في الرواية الأخرى ظاهرة.

### البديع

بين دقاق وشقاق ونفاق وزعاق: السجع المتوازن والترصيع، وبين ذنبه وربّه: المتوازي أيضاً.

### الفحوى

اعلم أن هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد ما فتحها، روي: أنه لما فرغ من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة أن الصلاة جامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله، ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلّى بالناس الغداة في المسجد الجامع، فلما قضى صلاته قام وأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلّى فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

ثم قال: يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة اثتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله

تمام الرابعة، كنتم، وفي رواية: يا جند المرأة وأتباع البهيمة، وفي رواية: أعوان البهيمة رغاً فأجبتهم، عقر فأنزمتهم، أخلاقكم دقاق، بلادكم أنتن بلاد الله تربة وأبعدها من السماء، بها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله، كأني انظر الى قريبتكم هذه وقد طبقتها الماء حتى ما ترى منها إلا شرف المسجد كأنه جوجو طير في لجة بحر.

فقام اليه الأحنف بن قيس<sup>(١)</sup> فقال: يا أمير المؤمنين متى ذاك؟ فقال: اذا صار احيتكم قصوراً اثتفكت البلدة بأهلها أي انقلبت، والمؤتفكات: المدن التي قلبها الله على قوم لوط. الشرف بضم الشين وفتح الراء جمع شرفة القصر. اعلم أنه عليه السلام ذكر في معرض ذمتهم اموراً نبه بها على كون أقدامهم قد زلت عن الحق، وآرائهم قد وقعت في غمرة الضلالة.

الأول: أشار اليه بقوله يا أهل المؤتفكة: وهو كناية عن كون فسادهم وانحرافهم عن سواء السبيل ليس أمراً قد حدث لهم الآن، بل أمر قد ركز في طبائع آبائهم واجدادهم، وذلك لأن اثتفك البلدة بأهلها من لوازم الفساد واستحقاقهم عذاب الله، وعلى الله تمام الرابعة: دعا عليهم بايقاع العذاب عليهم في الكرة الرابعة، حيث خرجوا عن طاعته واستحقوا به سخط الله.

الثاني: أشار اليه، حيث فوضوا امورهم الى رأي امرأة وعزلوا عقولهم عن التدبير تعويلاً على رأيها، والمعقول والمنقول قد تطابقا على قلة رأيهن ونقصان عقولهن، ولا خفاء في أن التابع أقل من المتبوع، والا لم تتحقق التابعة والمتبوعية، قال الشارحون: أراد بها عائشة.

(١) الاحنف بن قيس بن معاوية التيمي السعدي ابوجبر البصري، واسمه الضحاك وقيل صفر، والاحنف لقب، ادرك النبي صلى الله عليه وآله، قال الحسن: ما رأيت شريف قوم افضل من الاحنف، ومناقبه كثيرة وحلمه يضرب به المثل، ذكره محمد بن سعد في الطبقة الاولى من اهل البصرة، قال: وكان ثقة مأموناً، وذكر الحاكم انه الذي افتتح مرو الروذ، مات سنة ٦٧ وقيل ٧٢.

الثالث: كونهم اتباع الهيمة: أراد بها الجمل الذي كان تحتها، وهو كناية عن سلب عقولهم بالكلية وعدم الاعتماد على موافقتهم ومخالفتهم، فإن من يتلو رغاء الابل ويجيب نداءه، ولم يتدبر عن خواتيم أمره وينهزم عند الجرح، فهو بالغ في السفاهة أعلاها، وراكب على الحماسة سنامها، وقد عرفت الكناية في رغا فأجبت وعقر فهريتم.

الرابع: دقة أخلاقهم: وأراد بها عليه السلام أنهم ثابتون على رذائل الاخلاق، منحرفون عن حاق الوسط الذي أمروا بملازمته، ولما كانوا جاهلين بما يقيم أودهم ويصلح أحوالهم في المعاش والمعاد، جائرين غير عادلين، متهورين، صخ أنهم مستقرون على دقة الأخلاق.

الخامس: كون عهدهم خلافاً وهو اشارة الى الغدر، الذي هو رذيلة في مقابلة الوفاء، الذي هو فضيلة، والذي يدل على نقضهم للعهود أنهم نقضوا عهده عليه السلام ونكثوا بيعته.

السادس: كونهم منافقين في الدين، وذلك لخروجهم عن طاعة الامام العادل الواجب طاعته بمقتضى قوله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»<sup>(١)</sup>، ويحتمل أن يكون هذا خطاباً لمن كان منافقاً وعلمه عليه السلام.

السابع لله: يتعلق ببلدهم وهو كون مائهم مالحاً، وقد عرفت انه كناية عن سوء الاختيار وقلة الجاه، وسبب ملوحته قربه من البحر.

الثامن: كونها أتن بلاد الله تربة: وذلك لكثرة غلبة الماء عليها وتعقنها به.

التاسع: كونها أبعد من السماء، وسيعرف بيانها.

العاشر: كونها بها تسعة أعشار الشر: وأراد بها المبالغة في كونها مظهراً للشرور الكثيرة، يعني: لو فرضنا أن الشر يقسم على عشرة أجزاء كان تسعة اجزائه فيها، قال ابن الميثم رحمه الله: ويحتمل أن يريد بالشر مجموع الرذائل الخطيئة المقابلة



لاصول الفضائل النفسانية التي هي العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدل، اذ كل منها مقابل برذيلتين كما علمت، وتلك عشر رذائل.

ثم قال: وهذا الاحتمال وان كان لطيفاً الا أن فيه بعداً وليس بجيد، لأن اصول الفضائل وامهات الأخلاق أربعة: العفة والعدالة والشجاعة والعلم، وان اعتبرت الاقسام الداخلة لمح كل منها فيخرج عن خمسين، فلا وجه له الا ما قلناه.

الحادي عشر: كون المقيم بين أظهركم مرتهاً بذنبه: وذلك لأن من صاحبهم وخالطهم لا بد وأن ينازح من نتائج أخلاقهم الخسيسة، وينتقش نفوسهم بمثل الملكات التي ترشحت في نفوسهم، فيستحقون العقاب، وذلك لا يكون الا بفعله الذي هو الاقامة بينهم، وهو كناية عن ثباتهم على الافساد.

الثاني عشر: كون الشاخص عنهم متداركاً برحمة من ربه: وذلك لأن الله تعالى قد أعانه في استخلاص نفسه من مصاحبتهن المجلبة للذنوب العظام، المستجلبة للعقوبات، وتلك رحمة من الله تعالى، وهو أيضاً كناية عن توبيخهم عما كانوا ثابتين عليه من الضلال والإضلال، وتعييرهم بما يحسبونه حقاً وصدقاً، هؤلاء هم الذين كانت أعينهم في غطاء عن معرفة الحق، يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

قوله كأني الى آخره: اشارة الى الاخبار باصابة الغرق بلدتهم غير المسجد، وقد عرفت التشبيهات في البيان، وقد روي: أنها غرقت مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها، وغرق من في ضمنها وخربت دورها.

لم يبق منها إلا علو المسجد الجامع حسب ما اخبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان غرقها من قبل بحر فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل الشام، وهذه الرواية منبثة عن وقوع ما أخبر عنه عليه السلام.

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ  
وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأَكْلَةٌ لِأَكِيلٍ، وَقَرِيسَةٌ  
لِصَائِلٍ.

### (اللغة)

العقول: جمع عقل، والعقل يطلق على معنيين: أحدهما القوة المهيئة لقبول العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة، وإليها أشار أمير المؤمنين — عليه السلام — حيث قال: العقل عقلان: مطبوع ومسموع، فلا ينفع مطبوع إذا لم يكن مسموع، كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع، وإلى الأول أشار النبي — صلوات الله عليه وآله — حيث قال: ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل، وإلى الثاني أشار — عليه السلام — بقوله: ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى.

فحقة العقول هنا إشارة إلى قلة العلوم المستلزمة لكثرة الجهل، وأصل العقل الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقل المرأة شعرها. السفه: حقة في البدن، ومنه قيل زمام سفیه، أي كثير الاضطراب، وثوب سفیه رديء النسيج، ثم استعمل في حقة النفس لتقصان العقل. الحلم: ضبط النفس عن أن يغلب عليها هيجان الغضب وجمعه أحلام، ومنه قوله تعالى: «أم تأمرهم أحلامهم بهذا»، وقد يطلق الحلم على العقل إطلاقاً لاسم المسبب، يقال حلمه العقل فتحلم، والحلوم أيضاً جمعه.

الغرض: الهدف الذي يرمى فيه والقصد، يقال: فهمت غرضك أي قصدك والصّجر والملال، يقال غرض بالمقام يغرض غرضاً أي ضجر منه، وقرينة التابل معينة للأول، التابل: الرامي، والتبل السهم. الأكلة: بالضم اللقمة، تقول أكلت أكلةً واحدةً أي لقمةً، وهي القرصة أيضاً، والطمعة أيضاً، يقال هذا الشيء أكلة لك أي طعمة، والأكلة بالفتح المرة الواحدة حتى تشبع، والآكل: إسم

فاعل من أكلت الطعام أكلاً ومأكلاً. الفريسة: في أصل اللّغة إسم لما يفرسه الأسد خاصة ثمّ شاع أستعمالها في كلّ صيد.

قال الجوهري: فرس الأسد فريسة يفرسها وافترسها: أي دقّ عنقها، وأصل الفرس هذا، ثمّ كثر واستعمل حتى صير كلّ قتل فرساً.

الصائل: اسم الفاعل من صال عليه صولاً أي وثب وحمل.

### (الإعراب ظاهر)

#### (المعاني)

التقل من الجملة الاسميّة إلى الفعلية المشتملة على الفعل الماضي يؤذن بأنّ الخفة طرأت لعقولهم، والسفاهة حدثت لحلومهم بعد ثباتها، حيث نكثوا عهده، ونقضوا بيعته— عليه السلام—، وآتبعوا رأيها، وفوضوا أمورهم إليها، الفاء: للسبيّة المنادية على أنّ الخفة والسفاهة صارتا سببين لاستقرارهم على كونهم في مدرج المطالب الدال عليه الجملة الاسميّة.

#### (البيان)

الفاء في فأنتم غرض لنابل: استعارة تخيلية مكنتى بها عن كونهم مقصداً لمن يريد أذاهم، لكونهم في غاية العجز والجن، لتشبيه هيتهم في مقابلة قاصديهم بهيئة الغرض في مقابلة الرامي، ووجه الشبه: اشتراكهما في العجز عن الدفع، يعني أنهم عاجزون وجلون غير قادرين على دفع الأعداء الرامين إياهم سهام الأغراض عن انفسهم، كما أنّ الغرض المهياً عاجز عن دفع سهم الرامي عن نفسه، وتخييل أنهم من أفراد الغرض، وإلا لم يصح بعده لنابل، ورشحها بذكر النابل.

وفي أكلة لآكل: أيضاً استعارة مرشحة تخيلية مكنتى بها عن كونهم

عاجزين وفي معرض أن يطمع في أموالهم ونعمتهم، مستلزمة لتشبيههم باللقمة والطعمة، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في توجه الرغبات إليهما لسهولة التناول، وهو عقلي، وأنهم من أفراد الأكلة وإلا لم يصح بعدها لآكل. وفي فريسة لصائل: أيضاً استعارة تخيلية مكنتى بها عن كونهم بصدد أن يسهل ظفر من يقصد قتلهم، وإهلاكها عليهم مستدعية لتشبيههم بالفريسة، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في التسليم عند النظر إلى القاصد وتخيل أنهم من أفرادها.

### (البديع)

بين الماء والسماء: المطرف، وفي القرائن الباقية: السجع المتوازي والترصيع.

### (الفحوى)

إعلم أنه— عليه السلام— ذكر أموراً في معرض ذم أهل البصرة: اثنان منها راجعان إلى مكانهم، واثنان أصلان عائدان إلى أنفسهم، وثلاثة منها تابعة لهذين الأصلين لازمة إياهما، أما الأول من الأولين بالنسبة إلى المكان فأشار إليه بقوله: أرضكم قريبة من الماء، وذلك حكم ظاهر يدل بالتعريض على قلة عقولهم، حيث اختاروا موضعاً للسكنى يخافون على أنفسهم وإنما من استيلاء الماء عليه، والثاني منهما أشار إليه بقوله: بعيدة من السماء أي بالنسبة إلى الأراضي هي سافلة، وكل ما كانت أسفل أبعد من السماء. وقيل: كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره، وإنما الإيماء إلى أنهم لكونهم متخلفين برذائل الأخلاق كانوا بعيداً من رحمة الله التازلة من سماء الجود الإلهي، قيل: أراد بالسماء المطر وذلك ظاهر، ووقوع المطر في البصرة قليل.

والأول من الأصليين أشار إليه بقوله: خفت عقولكم؛ أي اضطرب علمهم المستفاد من العقل الأول بتراكم الأهوية على مرآة عقلهم، حيث تركوا ما يصلح أحوالهم إلى ما يفسدها، وهو إيماء إلى حصول الغباوة لهم.

والثاني منهما أشار إليه بقوله: سفهت حلومكم؛ أي خفت واضطربت ضبوطهم للنفس عن غلبة الهوى عليها، وهو وصف لهم برديلة السفه، وأما الثلاثة الباقية المعلومة مما قررناه في بيانها في البيان، والله أعلم.

\* \* \*

## ١٤- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَا رَدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ قِطَاعِ عَثْمَانَ

وَاللَّهِ لَوَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِنَّ النَّسَاءَ، وَمُلِكَ بِهِنَّ الْإِمَاءَ، لَرَدَدْتُهُ  
فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ.

### اللغة

إعلم أن العلماء اختلفوا في أصل الله، أصله أنه حذف همزته وأدخلت عليه الألف واللام فخص بالباري تعالى، ولتخصه به تعالى قال: «هل تعلم له سمياً»، وأله فلان يأله إلهة أي عبد فالإله على هذا المعبود.

قيل: أصله من أله أي تحير، ويقصد هذا القول ما قال أمير المؤمنين — عليه السلام: — كلٌّ دون صفاته تحيير الصفات، وضلَّ هناك تصاريف اللغات، وذلك لأنَّ العبد في صفاته تحيير، ولهذا قال النبي — صلوات الله عليه —: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله.

وقيل: أصله من لاه يلوه لياهاً، أي احتجب، وإليه أشار تعالى بقوله:

«لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ»<sup>(١)</sup>، يقال: ضاق الشيء يضيق ضيقاً وضيقاً. الجور: الميل عن المقصد والانحراف عن التهج المستقيم، يقال: جار عن الطريق؛ أي مال عنه وجار عليه في الحكم.

### الاعراب

اللّام في لرددته: جواب لو، ومن: شرطية فالجور جوابه، والباقي ظاهر.

### المعاني

الفاء في فإنّ: فصيحة مفصحة عن أنّ الجملة التي بعدها لرد المنكرين مضمون الجملة الأولى المصدرّة بالقسم، وأنّ المسابقة دالة على محذوفة هي بعثته — عليه السلام — على التكلّم بهذه الجملة، يعني: ينبغي للمقتطفين أن لا يردوا حكمي بردّ القطائع ويرضوا به، فإنّ في العدل سعة، ثم أكد مضمون هذه الجملة التي أوردتها لردّهم عن الخطأ إلى الصواب بجملة شرطية عامّة مريداً بها إياهم ليدخلوا في مقتضى أحكامه — عليه السلام —، وقد عرفت غير مرّة أنّ إيراد العام وإرادة الخاصّ أقرب إلى القبول، والباقي ظاهر.

### البيان

الفاء في فإنّ في العدل سعة: إستعارة تخييلية مكنتى بها عن أنّ الردّ من مقتضى العدل، فإنه ينافي بقاء القطائع بحالها، لكونه جوراً مستدعية لتشبيه العدل وهو معقول، بالجسم الواسع، وهو محسوس، ووجه الشبه: أنّ من دخل تحت حكم العدل يكون في راحة من جور نفسه وجور غيره، كما أنّ من دخل في المكان الواسع لا تصل إليه كلفة لا من نفسه ولا من غيره بالازدحام، وأنّما

قلنا بهذه الاستعارة لأنّ السعة من أوصاف الجسم خاصّة، والكلام فيمن ضاق إلى آخره قريب ممّا قلنا.

### البديع

راعى في قوله فإنّ إلى آخره: المقابلة؛ حيث قابل العدل بالجور والسّعة بالضيق.

### الفحوى

إعلم أنّ هذا الفصل مع فصول تأتي بعده من الخطبة التي خطبها— عليه السلام— بالمدينة لما قُتل عثمان وبويع له، وأوّل هذا الفصل من الخطبة: ألا وإنّ كلّ قطعة أقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين لمردود عليهم في بيت مالهم، ولو وجدته قد تزوّج به التّساء وقرن في البلدان لرددته، فإنّه إنّ لم يسعه الحق فالباطل عليه أضيق، وهذه الرواية قد أوردها ابن ميثم رحمه الله.

القطيعة: اسم لطائفة من أرض الخراج أقطعها حاكم الوقت لواحد وخصّها به، وجمعها القطائع. قوله: والله لو وجدته إلى لرددته إشارة إلى تضمّنهم العزم بردّ القطائع التي أقطعها عثمان لأقاربه ولغيرهم منهم، ثمّ نبّه المقتطعين الذين ربّما لا يطيب لهم ردّها منهم على أنّ الرّدة إلى المسلمين عدل، وإنّ عدل الله يسعهم في ردّها ما اقتطعوه بقوله:

فإنّ في العدل سعة، يعني: الواجب عليهم أن يطيبوا قلوبهم في الرّدة ولا يضيّقوها به، فإنّ في عدل الله سعة لهم، إذ هو مستلزم لرضا المظلوم بإيصال حقّه إليه، ولرضا الظالم بانتزاع ما ليس منه.

ثمّ نبّه بقوله: ومن ضاق إلى آخره على أنّ من لم يرض بعدل الله ولم

يدخل في مقتضاه وضاق العدل على نفسه حين انتزع منه، فالانتزاع منه على سبيل التغلب في الدنيا والقهر كان أصعب على نفسه وأشد وأضيق، لأن من ضاق قلبه بانتزاع ما ليس له من يده مع علمه بأنه ليس ملكه، كان قلبه أضيق إذا انتزع منه ما كان له وهو ضروري.

\* \* \*

## ١٥- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا بُوعَ بِالْمَدِينَةِ

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِيئَةً، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، إِنَّ مَنْ صَرَّحْتَ لَهُ الْعَيْبَرُ  
عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حَجَرَهُ التَّقْوَى <sup>(١)</sup> عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا  
وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبَلَنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتَغْرَبَلَنَّ  
غَرْبَلَةً، وَلَتَسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ  
وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ؛ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوا، وَلَيَقْصُرَنَّ  
سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَّاقُوا.

وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشَمَّةً <sup>(٢)</sup>، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ  
بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ؛ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا  
أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ، أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى  
مَطَايَا دُلٌّ؛ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأَعْطُوا أَرْزَمَتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ،  
حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ.

(١) في ض وح وب: حجزته التقوى.

(٢) في ك: ما كتمت وسمه بالسين.



فَلَيْتَنِي أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَّ، وَلَيْتَنِي قَلَّ الْحَقُّ فَلَرْتُمَا وَلَعَلَّ  
وَلَقَلَّمَا أَذْبَرَشِيءٌ فَأَقْبَلَ.

قال الشريف: أقول: إن في هذا الكلام الأذنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به؛ وفيه - مع الحال التي وصفتنا - زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطلع فجبها إنسان، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصنعة بحق، وجرى فيها على عرق. وما يعقلها إلا العالمون.

### اللغة

الذمة: لفظ مشترك بين العهد والحرمة والأمان، وأراد هنا العهد.

الرهينة: فعيلة من الرهن، وهو اسم لما يوضع وثيقة للدين بمعنى مفعولة أي مرهونة، وذلك مثل قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ<sup>(١)</sup>»؛ أي كل نفس مقامة في جزاء ما قدم من عمله، ويحتمل أن يكون بمعنى فاعلة، ويكون كناية عن الثبات والاقامة.

الزعيم: الضامن والكفيل وإياه عنى تعالى بقوله: «ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم<sup>(٢)</sup>»، وفي الخبر: الزعيم غارم.

يقال صرح فلان بما في نفسه: أي أظهره، وفي المثل: صرح الحق عن محضه؛ أي انكشف الصريح الذي له نسب ظاهر، والمراد هنا الانكشاف.

العبر: جمع عبرة؛ وهي اسم للحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، ومن ثم قيل: العبرة: التفوذ من ظواهر المدركات بالحس إلى

(١) المدثر: ٣٨.

(٢) يوسف: ٧٢.

ما وراءها من المعاني الباطنة، وأصله من عبر النهر عبوراً؛ إذا تجاوز عن الماء، ومنه تعبير الرؤيا لأنه تعبر من ظاهرها إلى باطنها بتعبير الروح في عالم الغيب.

أما العبارة: فهي اسم للكلام الغابر في الهواء من لسان المتكلم إلى سمع المستمع، وقد عرفت الكلام فيها مشبعاً فلا يحتاج هنا إلى الإعادة. بين يديه: كناية عن قدامه، يقال: وقف فلان بين يدي ملك؛ أي قدامه.

المثلة: عقوبة تنزل بالإنسان؛ فيجعل مثلاً يرتدع به غيره، وذلك كالتكال، وجمعه مثلات، وقد أمثل السلطان إذا نكّل به.

حجزه يحجز حجراً: أي منعه فانهجج؛ والمحاجزة الممانعة، وأما سمي معقد الإزار حجة لأنه حاجز دون العورة، والحجاز: بلاد سميت بذلك لأنها حجرت بين نجد والغور.

التقّم: التساقط في المصاعب من غير خبرة ومعرفة؛ يقال: قحم في الأمر ويقحمه إذا رمى بنفسه فيه، من غير التأمل في خواتمه.

الشبهات: جمع شبهة؛ وهو أن لا يميّز أحد الشئيين عن الآخر، لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى.

عاد إليه يعود عودةً وعوداً: أي رجع إليه بعد الانصراف عنه أما انصرافاً بالذات أو بالقول والعزيمة.

الهيئة: الحالة التي تكون بالشيء محسوسة كانت أو معقولة، لكن الاستعمال في المحسوسة أكثر، والمراد هنا المعقولة.

البلبله والبال: الهمّ ووسواس الصدر، ويقال: بلبله إذا ألقاه في الهمّ الشديد، والبلبله أيضاً التحريك الشديد.

الغربلة: نخل الدقيق وغيره؛ في الخبر: سيأتي على الناس زمان يغربل الناس فيه غربلة، معناه: أن الخيار يذهبون كالمخول من الغريال والشراريقون كالنخالة.

السوط: خلط الشيء بعضه ببعض؛ ومنه سمي المسواط، وسوطه أي خلطه، وهذا الخلط لما كان من ضرب البعض لبعض استعيرت منه لفظة السوط وهو الذي يضرب به، يقال: سطته بالسوط أي ضربته.

القدر: إسم لما يطبخ فيه اللحم، والجمع قدور، قال الله تعالى: «وقدور راسيات»<sup>(١)</sup>، والقدومؤنث.

الكتمان: ستر الحديث، يقال: كتّمته كتماً وكتماناً.

الوشمة: بالشين المعجمة؛ الكلمة الباقية الأثر، يقال: ما كانت بيني وبين فلان وشمة، أي كلام سراً وعداوة، وأصله من الوشم وهو التقش الذي يغرز في اليد، وبالشين المهملة: الأثر والعلامة.

يقال كذب كذباً وكذباً وكذاباً: وقد زيدت التاء في المصدر ليدل على

الوحدة.

التبأ: الخبر؛ تقول: أنبأ وتبأ؛ أي أخبر.

الخطايا: جمع خطيئة على وزن فعيلة؛ وهي اسم من خطأ يخطأ خطأً، والخطأ: الذنب، وقيل: الخطيئة والسيئة يتقاربان، لكن الخطيئة أكثر ما يقال فيما لا يكون مقصود إليه في نفسه، بل يكون المقصود سبباً لتولد ذلك الفعل أن يرمي صيداً فأصاب إنساناً، أو شرب مسكراً فجنى جناية في سكره.

الخيل: لفظ مشترك بين الفرسان والفرس، فمن الأول قوله تعالى:

«واجلب عليهم بخيلك ورجلك»، ومن الثاني قوله تعالى: «والخيل والبغال

والحمير».

والخيلاء: بضم الخاء وكسرهما والخال الكبر، يقول منه: اختال، قيل: أما

سمي الكبر خيلاء لأن ذلك الكبر لا يكون إلا عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه، وإنما سمي الفرس خيلاً لما قيل إنه لا يركب أحد فرساً إلا وقد وجد

في نفسه نخوةً، ووصفه بقوله: شمس حمل أن مراده— عليه السلام— الفرس .  
ويقال شمس الفرس شمساً وشماساً: أي منع ظهره فهو فرس شمس  
وأفراس شمس، فالشمس جمع شمس.

يقال حملت الشيء: على ظهري أحمله حملاً.  
يقال خلع ثوبه ونعله وقائده خلعاً، فقوله: خلعت لجمها من المعنى

الثالث.

التقوى في أصل اللّغة: الوقوى بالواو؛ وهو مصدر كالوقاية، يقال: وقى  
يقي وقاية ووقوى، فأبدلت عن الواو تاء كما في الوكلان والتكلان ونحوهما،  
فقل تقوى، ثم نقل في الشريعة إلى تنزيه القلب عن المعصية والعزم على تركه،  
ليصير ذلك العزم وقاية بينه وبين المعاصي، فالشخص إذا نزه قلبه عنها وعزم  
على تركها يقال أنه متقى، والتقوى في القرآن جاءت بمعان ثلاثة:

أحدها: الخشية والهيبة؛ ومنه قوله تعالى: «وإِتْيَايَ فَاتَّقُونِ» أي أحشوني،  
وقوله تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ». الثاني: الطاعة والعبادة؛ ومنه  
قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» أي أطيعوا الله حق طاعته  
على ما قال ابن عباس به. الثالث: تنزيه القلب عن الذنوب؛ وهذه هي حقيقة  
التقوى والعهدة فيها، والأولان ذريعتان إليها، ألا ترى أن الله تعالى يقول: «وَمَنْ  
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهََ وَيَتَّقِهِ فَاوْلٰئِكَ هُمُ الْفٰئِزُونَ»، ذكر الطاعة  
والخشية أولاً، ثم ذكر التقوى، وإذا عرف حقيقة التنزيه فلا يبقى لك إشكال  
في قوله حجه التقوى، ولو قلنا أن التقوى ثم بمعنى الخشية وهنا بمعنى التنزيه  
لكان أولى وأنسب بالمقام.

وقيل: التقوى هو اجتناب كل ما يخاف منه ضرراً في دينك، وهو ليس  
ببعيد عن الصواب لأنه مطابق لما روي في الخبر عن النبي— صلى الله عليه  
وآله— أنه قال: سُمِّيَ الْمُتَّقُونَ مُتَّقِينَ لِتَرْكِهِمْ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حِذْرًا عَمَّا بِهِ بَأْسٌ.

المطايا: جمع مطية، وهي الدابة التي يركب عليها.  
 الذل بكسر الهمزة: اللين ضد الصعوبة؛ يقال دابة ذلول أي بينة الذل من دواب ذلل، ومنه قولهم: بعض الذل أبقى للأهل والمال فيكون ذلك جمعاً للذلول.  
 الأزيمة: جمع زمام بكسر الزاي؛ وهو أسم لما يُجعل في أنف البعير لينقاد للقياد، ثم استعير للمقود مطلقاً، يقال: ورد فلان وروداً؛ أي حضر، وأورده غيره واستورده أي أحضره، أصل الحق: المطابقة الموافقة كمطابقة رجل الباب في حقه لدورانه على استقامة، والحق يقع على معان أربعة:

الأول: يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله هو الحق.

الثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة؛ ولهذا يقال: الله كله حق نحو قولنا: الموت حق والبعث حق.

الثالث: في الاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه؛ كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب حق، قال الله تعالى: «يهدي الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق».

الرابع: يقال للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق وقولك حق، والمراد بالحق هنا يحتمل أن يكون الجمع، لأنه يقع على الكثير كما يقع على القليل، ولأنه قد أورد الباطل في مقابله ولا خفاء في أن لكل حق باطلاً يقابله، والباطل ضد الحق، وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه.

وقد يقال ذلك بالاعتبار إلى المقال والفعال بطل بطلاً وبطلاً وبطلاناً، ويقال للمشتغل بما لا يجدي له نفعاً لا دنوباً ولا اخروياً: بطل وذو بطلية بكسر الباء لفظ كل وضع لضم أجزاء الشيء، وذلك ضربان: أحدهما الضام لذات الشيء وأحواله المختصة به، ويفيد معنى التمام نحو قوله تعالى: «وَلَا تَبْسُطْهَا

كَلَّ البَسِيطِ» أي بسطاناً ما، وقال الشاعر: «ليس الفتى كَلَّ الفتى إلا الفتى...»<sup>(١)</sup> أي التام الفتوة.

الثاني: الضام للذوات، ويضاف تارة إلى الجمع المحلى بالألف واللام نحو ما يلقي - عليه السلام - إليهم من المواعظ والزواجر، وما يصلح أحوال معادهم ومعاشهم.

قال ذمّتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم: أي عهدي إياكم ثابت على إيفاء ما ألقى اليكم من الأوامر الشرعية، فلا تضطربوا فيه ولا تنحرفوا عنه، فإن في امثالها صلاح معادكم ومعاشكم وقوام أموركم في الدنيا والعقبى.

وأكد عهده بقوله وأنا به زعيم؛ أي والحال أنني بما أقول كفيل، وكلّ هذا تأكيد للإصغاء إلى قوله، وتعرض بعدم وثوقهم بالحدود الشرعية، ثم نبه على وجوب الأخذ بالتقوى وعلى أنه لا يصدق بالشبهات إلا من انغمر عقله تحت حكم الوهم، ولم يعتبر بالعقوبات التي حلت بمن نبذ التقوى وراء ظهره، وعلى أن المخاطبين منهمكون في الشبهات بإيراد صورة شرطية متصلة هي في الحقيقة نتيجة قياس مركب من متصلتين واستثناء لنقيض التالي لينتج نقيض المقدم، وهو أنهم ليسوا بمن ينكشف لهم العبر، وأشار إلى المتصلة بقوله إن من صرحت إلى الشبهات.

أما القياس المنتج لها فتقديره: إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلثات اتخذ التقوى شعاره، ومن اتخذ التقوى شعاره حجزته التقوى عن تقمّ الشبهات...<sup>(٢)</sup>، المتصلة المذكورة أما الصغرى: فلأن من اجذبه العناية الالهية من غمرات الطبيعة، وبصرته بأفات الدنيا الدنية وعيوبها، أوقفته على حالها المتبدلة المتغيرة المنزلة لمن مال إليها من أوج الرفعة إلى حضيض

(١) كذا بياض.

(٢) بياض في الاصل.

الذلة، أو كحل بصيرته بمكحل التفكر في العواقب والا...<sup>(١)</sup>، بالمصائب والعقوبات التازلة بمن اتخذها دار إقامة وركن إليها واغترّ بزخارفها، عرف مدارك الحق وخاف من التلطف بالدنيا تفادياً من لحوق العذاب به، ونزه قلبه عن الالتفات إلى مموهاتها، واتخذ خوف الله تعالى شعاره بركة ما أفاض على نفسه القدسيّة من التور المبصر بمعانيها.

وأما الكبرى: فلأنّ من عرف منازل الحقّ، واطلع على مناهل اليقين، وحصل له الامتياز بين الحقّ والباطل بقوة عقله المميز بينهما، وغلبته على الوهم المعارض إياه فهماً اقتضاه واتّصف بصفات المتقين، صار التقوي الذي اتخذ شعاراً لنفسه مانعاً عن أن يغلب عليه الشيطان المغوي والوهم المردي، ويلقيانه في غمرات الشبهات بالضرورة، وأراد بها ما يزيّن الشيطان للتفلسف بالبقاء الوسوسة من الركون إلى بقاء الأمور التي مصيرها إلى الزوال والفناء واللذات الخالية من البقاء والصفاء.

ثمّ نبّه — عليه السلام — على كونهم مغمورين في الشبهات، منهمكين في الالتفات إلى الأهواء والبدع التي بعث النبي — صلى الله عليه وآله — لرفعها ولبسط ألوية العدل والأخلاق بقوله: ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه.

أي؛ أنّ الفتن التي كانت واقعة يوم بعثة النبي — صلوات الله عليه — وكانت أسباباً لنزول البلاء على الخلق وابتلاء المحق من المبطل وقد رفعت بواسطة مقدمه — صلوات الله عليه — ووفردعوته، رجعت إلى الحالة التي كانت عليها.

ولما كان الاجتناب عن الشبهات من لوازم التقوى، كان الوقوع فيها مستلزماً لعدم التقوى، إذ نقيض اللازم مستلزم لنقيض الملزوم قطعاً، فيكون —

عليه السلام— كأنه أشار بألا إنَّ بليَّتكم إلى استثناء نقيض التالي، ليلزم منه أنهم ليسوا منخرطين في سلك من خصصهم الله تعالى بنظر العناية، بل انغمسوا في اللذات الفانية والشهوات البدنية، ثم وبخهم على ثمره ما كانوا مشتغلين به من اتباع الأهواء الباطلة وذكر أموراً ثلاثة:

الأول: أشار إليه بقوله: لتبليتنَّ بلبلة؛ أي أنكم توقعون في الفتن الجسام والكره العظام، من استيلاء ائمة الجور عليكم، وتخليط بعضكم ببعض، بحيث لا يبقى لخيراركم تمييز عن شراركم.

الثاني: أشار إليه بقوله: ولتغربلنَّ غربلة؛ أي يذهب خياركم ويبقى شراركم بفسادكم في الأرض، وإيذاكم أكابركم وأشرافكم، كما يذهب التقاوة من الغربال تحريك المغربل ويبقى التخاله فيه.

الثالث: أشار إليه بقوله: ولتسلطنَّ إلى قوله أسفلكم؛ أي لتخلطنَّ كما يختلط القدر حتى ترتفع منازل أراذلكم وأسافلكم، وتنحط مراتب أعاليكم وأعاضمكم، بحيث لا يبقى تمييز أصلاً بين الخير والشرير، لغلبة الفتن والأهواء والبدع. وأكد هذه الأمور التي أخبر عنها مما سيقع بهم بالقسم البار، ليردعهم عما كانوا عليه من الخطأ إلى الصواب.

ثم نبههم على تقلب الزمان بهم وتعير من السابقين الذين قصروا في معاونته ابتداءً ناصرين إياه— عليه السلام— معاونين له، وبالعكس بقوله: وليسبقنَّ سابقون كانوا قصروا، وليقصرنَّ سباقون كانوا سبقوا، قيل: والأقرب أن معناه سيسبق إلى التهوض لطلب الخلافة في آخر الزمان من كان قاصراً عاجزاً عن طلب ما في أول الزمان بوساطة غلبة الفتن، وسيعجز من كان مسابقاً إليها مستعداً لها، ويقصر عن البلوغ إليها وهو مناسب معنى ولكن اللفظ يأباه.

قال بعض الشارحين: أراد بالسابقين المقصرين الذين قصروا في نصرته في مبدأ الأمر حين وفاة الرسول وكان عليهم نصره في ولايته، وبالسابقين الذين سبقوا



الذين نصرّوه في مبدأ الأمر ثم انحرفوا عنه وحاربوا معه، وما قلنا أعمّ، ويحتمل أن يكون المراد بالسابقين المقصرين الذين غلبت عليهم الأهواء في مبدأ الأمر وانهمكوا في استيفاء اللذات الفانية.

ثم أخذته العناية الإلهية وجذبتة إلى حظيرة القدس وبصّرتة بعواقب الأمور، فتنّبته من رقدة الغفلة، وأخذ زمام العقل، وردّ نفسه الأمانة إلى الجادة المسلوكة، وعقد نفسه في سلك المقربين الذين سبقوا، وبالسابقين الذين سبقوا الذين كانوا في مبدأ الأمر مبالغين في الإعراض عمّا سوى الله تعالى، مشتغلين بما يحصل الزلفى لديه، ثم غلبت عليهم الشقاوة الأبدية، وفازت النفس الأمانة إلى مطمورة الطبيعة منغمسين في لجج التقصير.

وقد أشار بهذا المعنى إلى الذين آغرتوا بمصاحبة حضرة الرسالة، ووقعوا بمجرّد الاسم، وادّعوا أنّهم الثابتون على الجادة دون غيرهم من التابعين، وإن كانوا بالحقيقة مقيمين في حدود الذين غير منحرفين عنها بحال ما من الأحوال، وإلى ردهم عمّا اعتقدوا إلى أنّ الاعتبار بخواتيم الأمور، وهو احتمال جيّد جداً فاعرفه.

ثمّ لما أراد — عليه السلام — أن يخبرهم بأنّ ما ألقاه إليهم ليس من قبل نفسه القدسيّة بل أمر قد أخذ من مشكاة النبوة ومعدن الرسالة، وأراد أن يصدّقه في تلك الدعوى من غير اختلاج ريب في قلوبهم، برأ نفسه عن أن تتطرّق إليها رذيلة الكذب ونقصان كتمان الخبر بقوله: والله ما كنتم وشمة أي ما اتهمت قط... (١) رسول الله — صلى الله عليه وآله فرع سمعه، ولا كذبت كذبة أي ما قصدت إلى فرد كذبة من الأكاذيب فضلاً عن أكثرها، وأكد هذا المعنى بالقسم البار ليطمئن قلوبهم بما ألقاه إليهم.

ثمّ بيّن بقوله ولقد نبئت بهذا المقام: أي والله لقد أخبرت من رسول

(١) كذا بياض في الأصل.

الله— صلى الله عليه وآله— بمقام بيعة الخلق له، وبهذا اليوم أي يوم اجتماعهم عليه، وكلّ ذلك استمالة لقلوبهم وتنفيراً لهم عن الباطل إلى الحق، ثم لما بين لهم أنّ الوقوع في الشبهات يستلزم مجازبة التقوى وأنهم واقعون فيها.

أراد— عليه السلام— أن يوقظهم من سنة الغفلة ويذكرهم التقوى، وغاية الخطايا عدّهم أغنياء لا يفهمون إلّا الأمور المحسوسة، وشبههما بأمرين محسوسين ليشرعوا إلى التقوى ويجتنبوا عن ارتكاب الخطايا بقوله: ألا وإنّ إلى الجنة، وقد عرفت ما فيه فلا يحتاج إلى الإعادة هنا.

ثم لما بين أنّ ههنا طريقين لا بدّ للناس من سلوك أحدهما، وأراد أن يميّز أحدهما عن الآخر قال: حقّ وباطل؛ أيهما حقّ وباطل، أي التقوى حقّ والخطايا باطل، ولكلّ واحد من طريقي الحقّ والباطل أهل أعدّه القدر الالهي لسلكه بحسب ما جرى القلم في اللوح المحفوظ، على ما أشار إليه الرسول— عليه السلام—: كلّ ميسر لما خلق له.

ثمّ اعتذر لنفسه ولمتابعيه الثابتين على الحقّ بقوله: فلئن أمر الباطل لقديماً فعل؛ يعني: لئن كثر الباطل وأهله فليس أمراً بديعاً ما كان في الزمان القديم، بل كثرة الباطل وقلة الحقّ ممّا تعاقبت عليه الأزمنة السالفة، وهذا توطين لقلته وتنفير لأهل الباطل مع كثرتهم عن أتباع الباطل، وهذا مثل قول الشاعر:

تعيّرنا أناقليل عديدنا \* فقلت لها إن الكرام قليل

ثمّ أردف ذلك بلفظ في غاية الوجازة، دالّ على قلة الحقّ مع رجاء أن يعود إلى الكثرة ويمين لها وهو قوله: ولئن قلّ الحقّ فربّما ولعلّ، ثمّ أشار بقوله ولعلّما أدبر شيء فأقبل: إلى استبعاد إقبال الحقّ بعد أن أدبر لضعفه بواسطة تراكم الأهواء والبدع على مرأى قلوب العباد، واسوداد ألواح نفوس أولي السداد بعد أن كانت بيضاء نيرة صافية من شبه الباطل، أو بموت الثابتين على الحقّ القائمين به.

في هذا تنبيه لمن قام بالحقّ على اللزوم به، والتهوض للذّب عن حوزته كيلا يهدم كلّ القوم، وتارةً إلى ضميره ذلك نحو قوله تعالى: «فَسَجَدَ الملائكةُ كُلّهم<sup>(١)</sup>»، أو إلى نكرة مفرد نحو كلّ إنسان، وقوله تعالى: «وهو بكلّ شيءٍ عليمٌ»، عند الاضافة اليها يفيد معنى كلّ واحد واحد، وربّما عرّي عن الاضافة لفظاً، وكان في التقدير مضافاً لمضاف إليه محذوف نحو قوله تعالى: «وكلّ في فلکٍ يسبحون<sup>(٢)</sup>»، بقوله لكلّ هكذا؛ أي لكلّ واحد واحد من الحقّ والباطل. أهل الرجل: من يجمعه وإيّاهم نسب أو دين أو يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد وقرية، ثمّ شاع أستعماله على سبيل الاستعارة لكلّ شيءٍ له تعلق بطائفة، سواء كان محسوساً أو معقولاً. يقال: أمرهوبكسر الميم أي كثر. قال أبوالحسن: أمر المال بالكسر أي كثر، وأمر القوم أي كثروا، قال الشاعر: آمرون لا يريون سهم القعدد، والرّواية الصّحيحة كسر الميم القديم في مقابلة الحديث، وأكثر ما يستعمل باعتبار الزّمان، نحو قوله تعالى: «كالعرجون القديم»، وقد عرفت معناه بحسب العرف، الفعل: التّأثير من جهة مؤثر؛ وهو عامّ لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات، والذي حصل من جهة الفاعل يقال له مفعول ومنفعل.

ومنهم من فرق بينهما وقال: المفعول يقال إذا أعتبر بفعل الفاعل والمنفعل، يقال إذا اعتبر قبول الفعل في نفسه فيكون بينهما مباينة، ومنهم من قال المفعول أعمّ من المنفعل، لأنّ المنفعل يقال لما لا يقصد الفاعل إلى إيجاده وأن يوّلّد منه حمرة اللّون من خجل يعترّي من رؤية انسان، والظرب الحاصل عن الغناء المحرّك العاشق لرؤية معشوقه، والمفعول يقال لما يقصد

(١) الحجر: ٣٠.

(٢) يس: ٤٠.

الفاعل إلى إيجاده، وما أعلم وجه هذا الفرق، القلّة والكثرة يستعملان في الأعداد كما أنّ العظم والصغر يستعملان في الأجسام.

ثمّ يستعار كلّ واحد من العظم والكثرة ومن القلّة والصغر للآخر، وقيل إذا اقترن به ما يعبر به عن التّفي، يقال قلّما فلان يفعل كذا؛ أي لا يفعل، والدليل على أنّه للتّفي صحّة الاستثناء منه على نحوها من التّفي، يقال: قلّما يفعل كذا إلاّ قائماً أو قاعداً أو ما يجري مجراه. أدبر يدبر إدباراً: إذا انهزم في القتال وولّى دبره، والاسم منه الدّبرة وهي الهزيمة في القتال. الإقبال: التّوجّه نحو القبل كالاستقبال، إلى هنا بيان اللّغات المشكّلة من كلامه— عليه السلام—، من هنا نبيّن المشكّلة من كلام السيّد— رضي الله عنه—.

الإحسان: يقال على وجهين أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً، ومنه قول أمير المؤمنين— عليه السلام—: التّاس أبناء ما يحسنونه؛ أي ينسبون إلى ما يعملونه، وهو المراد للسيّد— رضي الله عنه—: الحظّ: التّصيب والجدّ، والمراد هنا الأوّل. العُجب والتّعجب: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء.

ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يعرف سببه، يقال: قد أُعجب فلان بنفسه فهو مُعجب برأيه وبنفسه، والاسم منه العُجب بالضمّ، وحقّيقته: استعظام النفس وخصالها التي هي من التّعم، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم والأمن من زوالها.

قال ابن السكّيت<sup>(١)</sup>: طلعت على القوم؛ أي أتيتهم، وقد طلعت عنهم

(١) أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكّيت بكسر السين وتشديد الكاف الأهوازي الإمام اللغوي الأديب، وكان ثقة جليل القدر من عطاء الشيعة، وكان حامل لواء العربية، له كتاب إصلاح المنطق. قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد مثل إصلاح المنطق، قتله التوكل سنة ٢٤٤ لقصة ذكروها في التاريخ.

إذا غبت عنهم، وطلعت الجبل بكسر العين أي علوته، ومنه ما قال السيد والفج: الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع فجاج وهو قرينة المراد. يقال: ضربه يضربه ضرباً أي أوقع شيئاً على شيء وضرب في الأرض ضرباً بالفتح إذا سار في ابتغاء الرزق فضرها بالأرجل، ومنه ما قال السيد على سبيل الاستعارة.

الصناعة: في اللغة اسم حرفة الصانع، وفي العرف ما أوردناه في صدر الكتاب. العرق: بكسر العين واحد عروق الشجر وهي أصولها المثبتة تحت الأرض، وفي الخبر: من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق، والعرق الظالم أن يجيء الرجل إلى أرض قد أحياها غيره فيغرس فيها أو يزرع ليستوجب به الأرض، ثم استعير لأصل الإنسان من الآباء.

منه ما روي: أن رجلاً من مرارة أتى النبي - صلى الله عليه وآله - فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال - عليه السلام -: هل لك إبل فقال: نعم، فقال: ما ألوانها؟ قال: حمراء، قال: فهل فيها أسود؟ قال: نعم، قال: فلم ذلك؟ قال: لعل عرقاً نزع، فقال - عليه السلام -: لعل عرقاً نزع.

### الأعراب

الواو في وأنا: للحال: والعامل فيها أقول، والضمير في به عائد إلى ما أقول، وما موصولة، والضمير العائد إليها في الصلة محذوف تقديره بما أقوله، حمل عليها أهلها: نعت للسابق عليه، حق وباطل: يمتثل أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره وهما حق وباطل، أي التقوى حق والخطايا باطل، وان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره في الدنيا حق وباطل.

إعلم أن ربّ وضع لتقليل المفرد إذا كان مجرداً عن ما، ولها صدر الكلام، لأنّ معناها معنى الإنشاء في التقليل، كما أنّ كم لإنشاء التكثير، ولا تدخل إلّا على نكرة موصوفة، لأنّ وضعها لتقليل نوع من جنس، فإذا ذكرت

الجنس وخصصته بصفة وقرب عليها ما تقتضيه من نوع من جنس، فإذا يجب أن يكون ماضياً لأنها وضعت لتقليل ما ثبت .

أما إذا قرنت بما يفيد تقليل التسبب المفهومة من الجمل، فإذا قلت: ربّما قام زيد، إنّما قللت التسبب المفهومة من قولك قام زيد، وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الجملة الداخلة هي عليها هنا محذوفة دالة عليها الجملة السابقة تقديره: لئن قلّ الحقّ فلربّما كثر.

لعلّ: للترجي، ومن ثمّ قيل لعلّ طمع واشفاق وذلك التّرجي والطمع تارة من المخاطب، وتارة من المخاطب، وتارة من غيرهما، وهنا لانشاء التّرجي من المخاطب، واللام في لربّما جواب الشّرط وفي لقلّما للقسم.

### المعاني

في ذمتي بما أقول رهينة: خاصيتان: إحداهما: كونه جملة اسمية يدلّ على الثبوت والاستقرار، الثانية: تقديم بما أقول لشدة الاهتمام بتلقّيه والإسراع إلى قبوله، والجملة الثانية إنّما أوردتها اسمية وفي معرض الحال لتأكيد مضمون الجملة الأولى، ويقربه إلى القبول في قطع إنّ من إلى الشبهات عما قبله خاصيتان لطيفتان هما بحرا البلاغة، إحداهما: القطع مع التّصديراً بأن، ليؤذن بأنّ ثمّ منكر أو برده عن الخطأ إلى الصواب.

الثانية: إفراغ المراد في صورة شرطية متصلة دالة على العموم إيّاهم على تمكّنهم في الشبهات، معرضة لهم بأنهم ليسوا ثابتين على التّقوى، ولا ممتّن انكشفت له العبر ليكون أذعن إلى القبول، لما عرفت غير مرّة أنّ إيراد الكلام عامّاً مريداً به الخاص لكونه خالياً من المنافرة، والمواجهة بالكلام الحسن صريحاً أقرب إلى القبول.

ومن غاية بلاغته أن انتقل من الغيبة إلى الخطاب وصدر الجملة بالألا للتنبيه وان، وقال ألا وإن بليّتكم: معبراً عن وقوعهم في الأهواء والبدع والضلالات، تعود الثلاثة إلى الحالة التي كانت عليها، وفي الجملة: هذه الخطبة على أنواع أقسام البلاغة أظهر من البيان، أنظر إلى اشتمال قوله حقّ وباطل إلى الآخر على الإيجاز المحمود وغيره، ممّا لا يخفى عليك إن كان ما سقنا إليك من أصول علم المعاني على ذكر منك .

### البيان

في ذمّتي بما أقول رهينة: إستعارة تخيلية مكّنى بها عن توطين نفوسهم على ما قال، مستدعية لتشبيهها وهي معقولة بالمتاع الذي يرهن، ووجه الشبه: اشتراكهما في تحصيل الوثاقه واطمينان القلب وهو عقلي، وتخييل أنّها من أفرادها، وإلّا لم يصحّ جعلها مسنداً إليها لرهينة.

وفي ألا وإن بليّتكم: مجاز، حيث أطلق الثلاثة التي هي مسبّة عن تشتت الآراء والبدع وظهور الأهواء، وأراد سببها، وإنّما خصّها بالذكر توبيخاً لهم على ما هم خيارهم وبقاء أشرارهم، مستدعية لتشبيه هيئة أفعالهم من القصد بالأذى والقتل لأخيارهم، بهيئة فعل من يغربل الدقيق لتمييز شيء منه عن شيء، وهما مركبان، ووجه الشبه: أنّ أفعالكم تستلزم ذهاب أخياركم وبقاء أشراركم، كما أنّ فعل المغربل يستلزم ذهاب التقاوة عن الغربال وبقاء التخالة فيه، وتخييل أنّها من أفعال المغربلين.

وفي لتساطن: أيضاً إستعارة مكّنى بها عن ظهور أئمة الجور والأرذال بينهم، وخمول أئمة الهدى والأخيار بينهم، مستدعية لتشبيه هيئة ما يجري عليهم من الخلط وجعل الأسافل أعالي وبالعكس بسبب نار الفتنة، بهيئة ما يجري على ما في القدر من الخلط وجعل أسفله أعلاه وبالعكس بسبب النار.

ووجه الشبه: اشتراكهما في رفع التميّز وهو عقلي. وفي ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها: استعارة تصريحية تخيلية مستلزمة لتشبيه الخطايا وهي معقولة بالخيل التي تمنع الركاب، أي يركب ظهرها ومع ذلك فهي مخلوعة اللحم، وهي محسوسة مركبة.

ووجه الشبه: أنّ الخطايا يدخل ركبها على غير طرق الشريعة من غير اختياره في أعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم، كما أنّ الخيل الشمس التي خلعت لجمها يدخل ركبها في المهالك، وتجري بهم في غير الطرق المسلوكة إلى المقصد، وهو مركب عقلي، وأيضاً لتخيّل أنّها من أفراد الخيل المنعوتة، وإلا لم يصح جعلها مسند إليها للخيل، وما هذه الإستعارة مليحة لطيفة.

قوله فتقحمت بهم في النار: دلّ به على الغاية المذكورة من ركوب الخطايا، وإنّما خصّها بالذكر لكونها المقصودة وأخفى من ...<sup>(١)</sup> بقوله شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها على أن المشبه به هو الخيل الموصوفة بالصفات الثلاث لا مطلق الخيل، وعلى أنّ الخطايا غير جارية على جادة الشريعة مخلوعة لجم الأوامر الشرعية وحدود الدين عنها غايتها ما ذكرنا.

وفي ألا إنّ التقوى مطايا إلى الجنة: استعارة تصريحية تخيلية، مستلزمة لتشبيه التفوق بلوازمها وهي معقولة، بالمطايا المنعوتة وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في ميل القلب إليها، واشتغالهما على سلامة العاقبة، يعني: كما أنّ المطية الذلول من شأنها أن لا تتجاوز الجادة المسلوكة إلى المقصد ولا تخرج عن طاعة ركبها.

بل تجري به على طمأنينة وسكون من غير إيصال مشقة وتعب إليه، حتى توصله إلى مقصده، كذلك التقوى من شأنها أن يكون السالك إلى الله تعالى

(١) بياض في الاصل.



الزّاكِب عليها في رفاهية وأمن من جوح الهوى به في موارد الهلكة، إلى أن يوصله إلى المقصد المطلوب.

فحفظ التقوى صاحبه عن أن يغلب عليه الهوى، وما يقوده إليه بلا اختياره إلى مظانّ الهلاك، أشبه زلّة المطيّة، كما أنّ اقتحام الخطايا براكبها في موارد الهلكة، ومنعها إيّاه عن أن يسلسها أشبه شموسها، وحدود الشريعة التي اشتملت عليها التقوى، والتزم به صاحبه من العثور والانحراف عن الجادة المسلوكة إلى الحقّ، أشبه أزقة المطايا التي هلك راکبها، وأمن بها من خرّجها عن الجادة.

كما أنّ خروج الخطايا عن حدود الدين ونظام الشريعة، أشبه الخيل التي خلعت لجمها، وكون التقوى موصلة للأخذ بها السعادة الأبدية التي هي جنة المأوى، أشبه غاية سير المطيّة الذلول براكبها إلى مقصده الذي توجه إليه، كما أنّ كون الخطايا موصلة لصاحبها إلى الشقاوة السرمديّة التي هي النار، أشبه غاية وسير الخيل الشّموس التي خلعت لجامها. هذا هو التحقيق لما بين الاستعارتين، من غير ترك شيء، ولا ينبّه لمثل هذه إلّا المتدرّب بعلم البيان.

### البدیع

بين بلبلة وغريلة: السجع المتوازي والترصيع، وفي ألا وإنّ الخطايا إلى الجنة راعى المقابلة؛ حيث قابل أولاً الخطايا بالتقوى، والشمس بالذلال، وخلع اللجام بإعطاء الأزمة، والنار بالجنة، وفي قوله حقّ وباطل: اللّف والنشر، حيث ذكر بعد ذكر التقوى والخطايا حقّ وباطل معاً.

وأراد رجوع كلّ منها إلى كلّ من المذكورين، ولا على سبيل الترتيب والمقابلة، حيث قابل الحقّ بالباطل، وفي الكلمات الباقية: السجع المتوازي بين فعل ولعلّ، والمتوازي بين لعلّ وأقبل، والمقابلة؛ حيث قابل الكثرة بالقلّة، والاقبال بالادبار.

### الفحوى

إعلم أنه— عليه السلام— صدر الكلام أولاً بما يقرب المخاطبين الى... (١)  
وتلقى أوامره— عليه السلام— باطمينان القلب ووثوق الخاطر، قواعده لعودهم  
عن نصره وثاقلمهم عن دعوته، وتعريض لمن تثبت بالشبهة الباطلة وبأنه ليس على  
الحق، وأن الحق قد فرّ عنه، ولا يقبل عليه ما دام متمسكا بالباطل، منحرفاً عن  
الحق، اللهم ثبتنا على الصراط المستقيم، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا عن سلوك  
التهج القويم.

وأما قول السيد— رضي الله عنه— إن في هذا إلى الاستحسان، فعناه أن  
شيئاً من محاسن كلام العرب مما يقع عليه الاستحسان لا يوازي محاسن كلامه  
التي أجاد فيها وأحسن، ولا يبلغ إليها أولاً يبلغ الفكر التي بها نفع الاستحسان إلى  
أدنى محاسن كلامه— عليه السلام—، ويحتمل أن يكون معنى كلامه—  
عليه السلام— الأدنى الذي أحسن النظر فيه، لا يقدر المستحسن أن يستحسنه  
بالأوصاف التي اشتمل عليها من البلاغة والفصاحة، لقصوره عن إدراكها، وهو  
جيد.

قوله إن حظ العجب أكثر من حظ العجب به: يعني أن يعجب الفصحاء  
من خواص كلامه— عليه السلام— ونواصحه، أكثر من عجبهم باستخراج محاسنه،  
وذلك لأنهم لا يطلعون على خاصية إلا وتبدو لهم بلية أخرى فوقها، لا يمكن لهم  
التعبير عنها لدقتها، فيرون أنفسهم دائماً في محل التقصير في إخراج ما اشتمل كلامه—  
عليه السلام— عليه من التكت والبدايح.

فلا يقع لهم عجب بأنفسهم حيث قدروا على استخراج قوله، وفيه مع  
الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، أي لا يقدر لسان من  
الألسنة أن يبرز تلك الزوائد كما هي، ولا يطلع فجها إنسان، أي لا يعلو عالي تلك

(١) كذا بياض في الاصل.

الزوائد إنسان ما، يعني: لا يصل ذهن أحد إلى نهاية خواص كلامه—  
عليه السلام—.

قوله ولا يعرف إلى بحق: أي لا يصدقني فيما قلت إلا من تمرّن في هذه الصناعة، وتدرّب فيها، ووردت هذه الفصاحة عن الخلافة المتقدمين وكانت هي جارية في عروقه، ثم قال: وما يعقلها؛ أي ما يعلم تلك الزوائد إلا العالمون بعلم اليقين، ويحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى الصناعة، أي ما يطلع على دقائق هذه الصناعة إلا عقول العالمين المؤيدين من عند الله بذوق سليم وطبع مستقيم.

\* \* \*

شُغِلَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ، سَاعٍ سَرِيعٍ نَجَا، وَطَالِبٍ بَطِيءٍ رَجَا، وَمُقَصِّرٍ فِي النَّارِ هَوَى. الَيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَةُ عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ (١) وَأَثَارُ التُّبُوءَةِ، وَمِنْهَا مَنْفَعُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ؛ هَلَكَ مَنْ أَدْعَى، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ.

وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخٌ أَضْلَى، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا رِزْقٌ قَوْمٍ. فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَأَضْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلْمُ لِأَيْمٍ إِلَّا نَفْسَهُ.

### اللغة

الأمم: بفتح الهمزة القدام، وبالكسر الذي يقتدى به انساناً كان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك محققاً أو مبطلاً.

(١) في ر: وروي: عليها في الكتاب وعليها آثار النبوة.

ساع: إسم فاعل من سعى الرجل يسعى سعياً؛ إذا عمل وكسب وعداء، والمراد به هنا عامل، وكلّ من ولي شيئاً على قوم فهو ساع عليهم، وأكثر ما يقال ذلك في ولاة الصدقة، فقال: سعى عليها أي عمل عليها وهم السعاة، فإذا كان بعلى كان عاملاً لغيره، وإذا كان مجرداً عن الحروف كان عاملاً لنفسه.

ثمّ اعلم أنّ أكثر ما يستعمل السعي في الأفعال المحمودة. السرعة: نقيض البطء، تقول منه سرع سرعاً مثل صغر صغراً فهو سريع. نجاء: من التجاء الممدود وهو المبالغة في السرعة.

يقال نجا ينجو نجاةً ونجاءً: ممدوداً أي أسرع وانفصل من الشيء، والتجاة التآفة السريعة تنجو من ركها، وأستنجى أي أسرع، وفي الخبر: إذا سافرت في الجدوبة فاستنجوا أي فاسرعوا، وأصل التجا من السعة، والتأجي من وسع عليه أمره وخلص من مضيق دفع إليه، والمسرع إذا كان مجالته أوسع كانت سرعته أبلغ، يقال بيني وبين فلان نجاوة من الأرض أي سعة.

يقال طلبت الأرض طلباً: فهو طالب، والطلب هو الفحص عن وجود الشيء عيناً كان أو معنى.

يقال رجوت فلاناً رجواً ورجاءً ورجاوةً: والرجاء هو ارتياح القلب لانظار ما هو محبوب عنده، وسينبسط الكلام فيه عند الإفضاء إلى الفحوى، وقد عرفت معنى المضلة فلا نعيده.

الظريق: السبيل الذي يطرق بالأرجل أي ضرب، قال الله تعالى: «فاضرب لهم طريقاً في البحر يساً»<sup>(١)</sup>، وعنه استعير كلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداً كان أو مذموماً، والظريق يذكر ويؤنث، تقول: الظريق الأوسط والظريق الوسطى، وهنا قد أنتها حيث أتى بالوسطى، والجمع أطرقة وطرق.

الكتب: في أصل اللّغة ضمّ أديم إلى أديم بالخياط، يقال كتبت السقاء إلى

التعارف<sup>(١)</sup> ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وفي المقال التّظم باللفظ لكن يستعار كل واحد للآخر، ولهذا سمي كلام الله وإن لم يكتب كتاباً.

والكتاب: في الأصل مصدر، ثم سمي المكتوب كتاباً والمكتوب فيه كتاباً، وقد عرفت تعريفه بحسب الاصطلاح. في باقي الكتاب روايتان:

إحدهما: ما في وما موصولة، والجملة الظرفية صلته والمجموع في محلّ الرّفْع على الابتداء، وخبره عليها قدّم.

الثانية: وهي الأصح والأشهر باقي الكتاب من البقية.

الآثار جمع أثر: وهو وجود ما يدلّ على الشيء، ومن ثمّ يقال للطريق المستدلّ به عليه من تقدّم آثار، ومنه قوله تعالى: «على آثارهم يرعون<sup>(٢)</sup>»، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتفّض. التّبوّة: سفارة بين الله تعالى وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم، وتمام الكلام فيها قد عرفت.

المنفذ: إسم مكان من نفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفوذاً، ويحتمل أن يكون من نفذ السّهم من الرّميّة.

المصير: مصدر؛ يقال صرت إلى فلان مصيراً، قال الله تعالى: «وإلى الله المصير<sup>(٣)</sup>»، أي المرجع، وهو شاذّ، والقياس مصار مثل معاش.

العاقبة: عند الإطلاق يختصّ بالشّواب نحو قوله تعالى: «والعاقبة للمتقين»، وعند الإضافة قد يستعمل في العقوبة نحو قوله تعالى: «فانظر كيف كان عاقبة الظّالمين<sup>(٤)</sup>»، وهنا قد أطلقها فأراد بها الشّواب المعدّ لمن ختم أمره بالسّعادة والفلاح.

(١) كذا.

(٢) الصّافات: ٧٠.

(٣) آل عمران: ٢٨.

(٤) يونس: ٣٩.

الهلاك : يطلق على معان أربعة: الأول: افتقاد الشيء عندك وهو عند غيرك موجود لقوله تعالى: «هلك عني سلطانيه»، الثاني: إستحالة الشيء وإفساده نحو قوله تعالى: «يهلك الحرث والنسل»<sup>(١)</sup>، الثالث: الموت نحو قوله تعالى: «وإن امرؤ هلك وليس له ولد»<sup>(٢)</sup>، الرابع: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً المسمى بالفناء نحو قوله تعالى: «كلّ شيء هالك إلا وجهه»<sup>(٣)</sup>، ويقال على سبيل المجاز للعذاب والفقر والخوف الهلاك، وأراد به هنا الاستحالة.

ويحتمل أن يكون المراد الموت ولكن يحتاج إلى ارتكاب مجاز، يقال: هلك الشيء هلكاً وهلاكاً وهلوكاً ومهلكاً بالحركات الثلاث في اللام تهلكة، والإسم منه الهلك بالضم، قال اليزيدي<sup>(٤)</sup> التهلكة: من نوادر المصادر ليست مما يجري على القياس، وقيل التهلكة ما يؤدي إلى الهلاك. خاب الرجل خيبة: إذا لم ينل ما طلب. افترى: أي اخترع كذباً، يقال: فرى فلان كذباً إذا أخلقه، وافتراه أخلقه، وأصل الفري القطع.

يقال فريت الشيء أفريه فرياً: أي قطعته لأصلحه، وفريت المزايدة أي خلقتها وصنعتها، ثم استعمل في اختراع الكذب الذي قطع به.

أبدى ابداءً: أي أظهر؛ يقال أبدى الله الخلق أي أظهرهم بالإيجاد. صفحة كلّ شيء: جانبه، وصفح الشيء ناحيته، وصفح الإنسان جنبه، وصفح الجبل مضطجعه. أراد بهلك مات.

(١) البقرة: ٢٠٥.

(٢) النساء: ١٧٤.

(٣) القصص: ٨٨.

(٤) أبو محمد يحيى بن المبارك العدوي المقرئ النحويّ اللّغوي؛ صاحب أبي عمرو بن العلاء البصري، كان يؤدّب أولاد يزيد بن المنصور الحميريّ خال ولد المهدي، واليه كان ينتسب، ثمّ اتصل بهارون فجعل ولده المأمون في حجره وكان يؤدّبّه، وله التصانيف الحسنّة، وكان يجلس في آتام الرّشيد مع الكسايا ببغداد في مسجد واحد، توفّي بخراسان ٢٠٢.

الجهلة: جمع جاهل نحو فسقة وفاسق. قدر الشيء مبلغه وهو في الأصل مصدر السنخ أخص من الأصل، ساق الشجرة من حيث إن الفروع متشعبة منه إلى العروق الداخلة في الأرض، يقال له الأصل.

والسنخ: لا يقال إلا لما رسخ في الأرض وتوارى فيها، ومنه سنخ في العلوم سنوخاً إذا رسخ فيه، والسناخ أصول الثنايا وهي الداخلة في اللثة، فتكون هذه الإضافة من باب إضافة الخاص إلى العام.

البيوت: جمع بيت وهو معروف، وقيل أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه، ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومن مدر ومن صوف ووبر وبه شبه بيت الشعر، وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته. الإصلاح: ضد الإفساد.

والإستصلاح: ضد الإستفساد، إذا قيل من وراء كذا فعناه من خلفه نحو قوله تعالى: «من وراء إسحق يعقوب»، قد يقال أيضاً لإرادة القدام نحو قوله تعالى: «وكان وراءهم ملك».

قال بعض المحققين: الحمد أخص من المدح وأعم من الشكر، وأن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره وفيما يكون منه بالتسخير، فقد يمدح بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وشجاعته وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة.

فكل شكر حمد وليس كل مدح حمداً، وقد عرفت الإطناب فيه فلا يحتاج إلى الإعادة هنا. اللوم: عذل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم، يقال لمت فهو ملوم، وألام: استحق اللوم والتلاوم، وأن يلوم بعضهم بعضاً.

## الإعراب

أمامه: نصبت على الظرف، ويحتمل أن يكون ساع سريع نكرة موصوفة

مرفوعة على الإبتداء وخبره نجا، وكذا طالب بطيء وأن يكون نجا ورجا أيضاً نعتين لما سبق، وتكون التكررة الموصوفة خبر مبتدأ محذوف دلّ عليه سياق الكلام تقديره: بالتاس أصناف ثلاثة صنف ساع سريع إلى الآخر، وهو أنسب بسياق الكلام.

وذلك لأنّ قول مقصّر لا يحتمل أن يكون مبتدأ وفي التار خبره، لكونه نكرة محضة وهي لا تصلح للإبتداء، فتعيّن أن يكون خبر مبتدأ محذوف، فيسوق الأولين مساقاً<sup>(١)</sup> هادياً على الاختلاف بينها. جهلاً منصوب على التمييز، ولا للتهي الغائب، ولهذا جزم يحمد ويلم.

### المعاني

إنّما قال شغل: على البناء للمفعول إمّا للدلالة على أنّ المقصود بالذکر هو الشغل لا غيره، أو لأنّه لما كان الشاغل هو الله تعالى؛ بإيجاد الجئة والتار، والترغيب في إحداهما والترهيب من الأخرى ترك ذكره تعالى للدلالة على التعظيم والإجلال وللإيجاز الذي هو فنّ عظيم من البلاغة، وإنّما حذف المسند إليه من قوله ساع سريع إلى الآخر إمّا للتعويل على القرينة العقلية مع الاختصار المطلوب، أو لأنّ الاخبار لا يكون صالحاً إلاّ للمحذوفة مع اشتماله على الاختصار.

وإنّما نكر للدلالة على الأشخاص، يعني: كان التاس منحصر أفراده في ثلاثة أشخاص لا يعينهم، وإنّما جاء بالفعل الماضي بعد سريع ويطيء لشيء عن أنّ التمكن في السعي والسرعة بالاعتقاد والتجدّد في المبالغة فيها شرط في القسم الأول، والتمكن في المبالغة لا يكفي، بل لابدّ من أن يجددها لحظة فلحظة ولا يؤخرها الى زمان سيجيء، وإنّما لم يأت في القسم الثالث بوصف غير التقصير ليدلّ على أنّ مجرد التقصير يوجب الدخول في التار.

(١) كذا في الأصل.



ثم قطع (اليمن والشمال مضلّة) عمّا قبله: ليؤذن بالجواب عن سؤال من يسأل عن تشتت الطرق، وعن بيان ما يجب السلوك فيه منها، والألف واللام في اليمن للحقيقة والماهية أي حقيقتها مضلّة، وكذا في الطريق، وقطع أيضاً عليها باقي الكتاب ليؤذن بتعليل كونها هي الجادة. وقد عرفت غير مرّة أنّ إيراد الكلام على سبيل العموم أقرب إلى القبول وأكثر فائدة وإن كان المراد الخصوص. ومن ثم قال — عليه السلام — هلك إلى قدره: مريداً به طائفة معيّنين، الفاء في فاستروا: للتشبيه الدالة على أنّ ما قبلها علّة لما بعدها، ولا يحمد حامد إلا ربه: قصر للفعل من الفاعل في المفعول قصر إفراد، يعني: ينبغي أن لا يكون الحمد متوجّهاً من حامد إلا على ربه دون غيره، ولا يلم لائم إلا نفسه: أيضاً لقصر الإفراد، ولكن يحتمل هنا أن يكون لقصر القلب وذلك بتنزيل كلّ لائم منزلة من لا يرى أن يلوم نفسه أصلاً، وإنما يرى أن يلوم غيرها للمبالغة والتأكيد، وقد عرفت مثله.

### البيان

في اليمن والشمال إلى الجادة: إستعارة تخييلية مستلزمة لتشبيه طرفي الإفراط والتفريط من الصراط المستقيم الذي أمرنا باتباعه، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه<sup>(١)</sup>، وهما معقولان، بطرفي الجادة المسلوكة إلى المقصد من الجنة واليسرة وهما محسوسان.

ووجه الشبه: إشتراكهما في أنّ السالك فيها لا يضلّ إلى المقصد، بل يضلّ ويضلّ، وهو عقلي، ولتخييل أنّ الإفراط من أفراد اليمن والتفريط من أفراد الشمال، وتشبيه الطريق الوسطى التي كتب الله على السالكين أن يسلكوا فيها أن يصل إلى جناب عزّته وهي معقولة، بالجادة وهي محسوسة.

ووجه الشبه: أنّ الأنبياء والأولياء قد أوضحوها بكثرة المرور عليها، كما أنّ

الجدادة قد بينت بكثرة مرور الناس والمارين عليها ، وفي الجملة اشتراكهما في أن من أخذ في قطعها يصل إلى المقصد ، في لا يهلك على التقوى سنخ أصل : إستعارة تخيلية مكنتى بها عن أن أصول العقائد التي يجب إخفاؤها إذا كانت مبنية على التقوى لا تفسد ، مستلزمة لتشبيه جميع الأعمال الظاهرة والباطنة التي عليها مدار الإيمان وهي معقولة ، بالأصول من البناء .

ووجه الشبه : أن الدين لا يقوم بدونها ، وأيضا لتشبيه أصول العقائد الواجب خفاؤها بالسنخ ، ووجه الشبه : اشتراكهما في الخفاء ، والمانع من عدم اطلاق الغير . وفي لا يظماً عليه زرع قوم : إستعارة تخيلية مكنتى بها أن المثبت بالتقوى لا تفسد أعماله الظاهرة ، مستدعية لتشبيه الأعمال بالزرع والتقوى بالماء .  
 ووجه الشبه في الأول : اشتراكهما في الإثمار والإفادة ، غير أن كلاً يفيد ما هو مناسب جنسه ، فالأعمال تفيد الثواب والزرع يفيد الثبات ، وفي الثاني : اشتراكهما في تحصيل الثن والشو ولكن كل بالقياس إلى جنسه . وفي قوله فاستتروا ببيوتكم : كناية عن القعود عن المنافرات والمخاصمات ، فإن الاستتار في البيوت من لوازم القعود .

### البديع

راعى في قوله (ساع إلى رجا) المقابلة: حيث قابل السرعة بالبطء، والسجع المتوازي كما بين ادعى وافترى، وبين أصل وقوم: المتوازي، وبين نفسه وربّه: المتوازي، ويحتمل أن يكون هو المطرف.

### الفحوى

إعلم أن هذه الكلمات طائفة من الخطبة التي تلونا منها بعضها، خطب بها— عليه السلام— لما فرغ الناس من بيعته. قوله شغل من الجنة والتار أمامه:

أي من كان متذكراً لهما دائماً، وعالمأ بأنه سيصير إلى إحداهما لا محالة، وكانتا قبالة عينه، فقد شغل بهما عن كل ما عداهما، ويجب عليه أن لا يشتغل إلا بما يوصله إلى الفوز بالجنة التي هي مطلوب كل طالب، ويبعده عن التار التي تفر كل نفس منها.

ويحتمل أن يكون معناه: أن الناس من مبدأ عمره إلى منتهاه في سفر، لا بد من الارتحال عن هذه الدنيا إلى غاية هي الجنة والتار، ومن كان مسافراً إلى غاية معينة فلا يليق بحاله أن يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة إليها، ثم لما فرغ — عليه السلام — من وجوب الاشتغال بالجنة والتار عن غيرها، قسم الناس بحسب ذلك الإشتغال على أقسام ثلاثة وكأته قال:

الناس: إما باذلون جهدهم ووسعهم ومفنون طاقتهم في الوصول إلى رضوانه، وهم المشار إليه بقوله ساع سريع نجأ؛ أو طالبون له ولكن في سلوكهم بطء وإن بطأهم المشار إليهم بقوله طالب رجأ؛ أو فارغون عن الطلب باذلون له بالكلية ومقصرين وهم المشار إليهم بقوله مقصر في التار ولا مزيد عليها، وإن كان يحتمل تحت كل قسم مراتب متفاوتة ومنازل متفاضلة ولكن كلامه — عليه السلام — لبيان الأقسام الكلية.

فالقسم الأول: هم الذين أغناهم الله عن التلوث بالدنيا الدنية، وفازوا بجنات التعيم، وأنجاهم من الدخول في التار، وإليهم أشار تعالى بقوله: «والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات التعيم<sup>(١)</sup>»، وبقوله تعالى: «ثم ننجي الذين اتقوا<sup>(٢)</sup>».

الثاني: هم الذين اغتروا بحياة الدنيا، وأنهمكوا في اللذات الفانية، وألقوا نفوسهم بمتابعة الشياطين وتسويلا تهم في غيابات الشقاء، وأعدوها لإيقاد التار، وإليهم أشار تعالى بقوله: «وأما الذين شقوا ففي التار لهم فيها زفير

وشهيق<sup>(١)</sup>».

أما الثالث: فهم الذين بقوا في منزل التجاذب من طرفي العلو والسفل، فالطلب الذي تمكّن في سويداء قلبه ويجذبه إلى طرف العلو ونيل المنزلة الثانية، وبطوئه عن السير في قطع السبيل إلى الحق يجذبه إلى طرف السفلى والحرمان عن الوصول إلى الجنة، ولكن رجاءهم رحمة الله الموصلة كلّ طالب إلى مطلوبه القريبة إلى المحسنين، قد رجّح طرف إحدى القلب، فكانت السلامة على حاله أغلب، والتجاة إلى أمره في الخاتمة أقرب، وإلى الأقسام الثلاثة أشار تعالى في أنه أخذ بقوله: «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير<sup>(٢)</sup>».

وبقوله تعالى: «وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنّات التّعيم<sup>(٣)</sup>»، وقد عيّن تعالى لكلّ قسم ما أعدّ لهم بقوله: «وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما أن كان من المكذّبين الضالّين فنزل من حميم وتصلية جحيم<sup>(٤)</sup>».

ولما كان الاطلاع على تمام ما قلناه متوقفاً على الاطلاع على حقيقة الرجاء وجب علينا أن نبحث عن حقيقته، ولأنّ ما قال الغزالي — رحمه الله — في إحياء علوم الدين فيها وافٍ بمطالبنا نحن نقتصر عليه، إذ الزيادة على الكمال نقصان.

قال: إعلم أنّ الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين، وإنّما يسمّى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام، وإنّما يسمّى حالاً إذا كان عارضاً

(٣) الواقعة: ٧-١٢.

(١) هود: ١٠٦.

(٤) الواقعة: ٨٨-٩٤.

(٢) فاطر: ٣٢.

سريع الزوال، وكما أنّ الصّفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب، وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل؛ وإلى ما بينهما كصفرة المريض، فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمّى حالاً لأنّه يتحوّل على القرب، وهذا جارٍ في كلّ وصف من أوصاف القلب، وغرضنا الآن حقيقة الرّجا، فالرّجا أيضاً يتمّ بعلم وحال، وعمل العلم سبب يثمر الحال، والحال يقتضي العمل.

بيان ذلك: أنّ كلّ ما تتصوّره النفس ويلايقك من مكروه أو محبوب فينقسم إلى: موجود في الحال، وإلى موجود فيما مضى، وإلى منتظر في الاستقبال، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى يسمّى ذكراً أو تذكّراً، وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سميّ وجداً وذوقاً لأنّه حالة تجدها في نفسك، وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سميّ انتظاراً وتوقّعاً، وإن كان مكروهاً حصل منه ألم في القلب سميّ خوفاً.

وإن كان محبوباً حصل من إخطاره بالبال لذة للنفس وارتياح يسمّى ذلك الارتياح رجاء، فالرّجاء هو ارتياح للقلب لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكنّ ذلك المحبوب المتوقّع لا بدّ وأن يكون له سبب، فإن كان أنتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرّجاء عليه صادق، وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرّجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التّمتي أصدق على أنتظاره لأنّه أنتظار من غير سبب.

وعلى كلّ حال فلا يطلق اسم الرّجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، أمّا ما يقطع به فلا، إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها وقت المغرب، لأنّ ذلك مقطوع به، نعم يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه، إذا عرفت هذا فاعلم أنّ أرباب القلوب قد علموا أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض

والإيمان وكذا حبّ المعارف إلّا بقيّة<sup>(١)</sup> كالبذر فيه، وأنواع الطاعات والعبادات جارية مجرى قلب الأرض وإصلاحها لإعداد الزّراعة، ونظيره جارٍ مجرى حفر الأنهار لسياقة الماء إليه.

والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بحبّها والركون إليها، كالأرض السّبخة التي لا تقبل الزّرع ولا ينمو فيها الثّبات بغلبة الأجزاء الملحّية عليه، ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد إلّا من زرع، ولا ينموزع إلّا من بذر، كما لا ينفع إلقاء البذر في الأرض السّبخة كذلك لا ينفع الإيمان مع تخبّث القلب وقذارة النفس، فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة من الله والوصول إلى جناب عزّته برجاء صاحب الزّرع.

فمن طلب أرضاً طيّبة، وألقى فيها بذراً جيّداً غير عفن ولا غبوش، ثمّ أمده بسوق الماء العذب إليه وكلّ ما يحتاج إليه في أوقاته المعينة، ثمّ طهره عن الشّوك والحشيش المضرّ بالثّبات الممانع إيّاه، ثمّ جلس ينتظر من فضل الله دفع الصّواعق والآفات المفسدة إلى أن يتمّ الزّرع ويبلغ غايته، سميّ انتظاره رجاءً، وإن بثّ البذر في الأرض الصّلبة السّبخة المرتفعة التي لا ينصبّ إليها ماء ولم يشتغل بتعهّد البذر أصلاً، ثمّ انتظر حصاد الزّرع منه سميّ انتظاره حمقاً وغروراً لارجاءً، وإن بثّ البذر في أرض طيّبة ولكن لا ماء لها، وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تتمنع أيضاً، سميّ انتظاره تمنياً. فإذا سمّ الرجاء إنّما يصدّق على انتظار محبوب حصل جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلّا ما ليس له، فدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات.

كذلك العبد إذا بثّ بذر الإيمان والمعارف الإلهية في أرض قلبه، وسقاه بماء الطاعات والعبادات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديّة المانعة

لنمو العلم ونشوء العرفان، وانتظر من فضل الله تعالى أن يثبتته عليه إلى إبان حصاد عمله وحسن الخاتمة المفضي به إلى المغفرة والرضوان، كان انتظاره رجاءً حقيقياً محموداً في نفسه، باعشاً على المواطنه والقيام بمقتضى الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت.

وهذه درجة السابقين المقربين الذين كانوا ساعين سريعين مبالغين في السرّ، وإن بثّ بذر الإيمان في أرض نفسه ولكنه قصر في إتمام جميع أسبابه إتماً بأن يكون قد أبطأ في الإلقاء أو في السقي أو غيرهما، ثم انتظر بعد ذلك من فضل الله تعالى أن يبارك له فيه ويلحقه بالمشايين الذين استحقوا الثواب بالإتيان بالأعمال الصالحة، فيصدق عليه اندراج لكونه قد حصل أكثر أسبابه، وهذه هي درجة القسم الثاني: وهو الطالب البطيء الراجي .

وأما إن لم يبتّ بذر الإيمان أصلاً في نفسه، أوبته ولكن قطع النظر عن تعهده بماء الطاعات، أو تعهده ولكن أنهمك قلبه بحب الدنيا والركون إلى الشهوات الفانية، وانغمر في رذائل الأخلاق، ثم طفق ينتظر من فضل الله تعالى المغفرة والرضوان، فذلك غرور وحق على ما ينبئ عنه قول النبي — صلى الله عليه وآله —: الأحمق من اتبع نفسه هواها وتمتى على الله المغفرة.

قوله تعالى: «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا»<sup>(١)</sup>، وهذه درجة القسم الثالث: وهو المقصر في تحصيل أسباب الزراعة والتزود من زاد الآخرة. ثم بعد الفراغ من أقسام الناس خاض — عليه السلام — في الطريق الذي أوجب الله علينا السلوك فيها، لنصل إلى المقصد الأصلي، ورفع عليها مناراً بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

قال: اليمين والشمال مضلة: قد عرفت في الحكمة العلمية أن الطريق التي شرعت للسالكين إلى الله تعالى هي العلم الذي هو طريق القوة النظرية، والعمل

الذي هو عبارة عن العفة والشجاعة والطريق إلى القوة العملية، وأن الأمور باتباعه هو العدالة التي هي الصراط المستقيم، وأن كلاً منها محتوي برذيلتين هما طرفا الإفراط والتفريط، وأن الاجتناب عنها واجب على كلّ سالك، لكون الواقع في مصديهما<sup>(١)</sup> خارجاً عن قانون العدالة داخلاً في الهاوية والفضلال.

فتكون اليمين والشمال عبارتين عن الطرفين، والطريق الوسطى عبارة عن العدالة المحمودة الواجب رعايتها في أمهات الأخلاق، وهي الجادة الواضحة المستنيرة لمن اهتدى، والتي عليها باقي الكتاب من المقاصد الإلهية، ويحتمل أن يكون التقدير الكتاب الثاني حكمه الآن وهو القرآن، وقدمت الصفة وأضيفت إلى الموصوف لكونها المقصودة بالذكر كقولهم زلال الماء.

يعني: نزل الكتاب على الطريقة الوسطى دون غيرها، وأن يكون الكتاب اسم جنس يشمل سائر الكتب السماوية، ومراده بإضافة الباقي إليه تخصيص القرآن بوصف الالتقاء حكماً. قوله وآثار النبوة: يعني على الطريق الوسطى بقيت آثار النبوة التي بها يستدل على وجود النبي وكون ما أتى به من عند الله تعالى.

وقوله ومنها منفذ السنة: أي من الطريق الوسطى ابتدأت الطريقة المأخوذة

من النبي — عليه السلام —، يعني: أنه — عليه السلام — ما تكلم بكلمة، ولا فعل فعلاً، ولا أقر أحداً على فعل، إلا وقد راعى قانون العدالة غير منحرف عنها بحال.

أما قوله وإليها مصير العاقبة: أي إلى الطريق الوسطى التي هي العدالة مرجع العاقبة التي هي الخير في الدنيا والعقبى، فإن بالعدل ينتظم أمر العباد في المعاش، ويلتئم أحوال الناس في المعاد، إذ لولا العدالة لما تهيأت أسباب المعاش ولا المعاد.

قوله هلك من ادعى: يحتمل أن يكون دعا بالهلاك الذي هو الموت على من ادعى شيئاً ليس له أهلية ذلك، وأن يكون خبيراً عن الهلاك الأخروي



الذي هو استحقاق العذاب.

وذلك لأنّ الدعوى إن لم تكن مطابقة لما في الواقع كانت مستلزمة للكذب أو الجهل المركّب، وكلاهما خصلتان رذيلتان يجب الاجتناب عنهما، إذ المتلبّس بها مورد نفسه في موارد الهلاك، وإن كانت مطابقة ولم تكن عن حاجة كانت مستجمعة في الأغلب للعُجب المذموم على ما ينبيء عنه قوله— صلى الله عليه وآله—: ثلاث مهلكات شخّ مطاع وهوى متبّع وإعجاب المرء بنفسه، وإن كانت لمساس حاجة إليها كانت مباحة ولكن أعلى الوجود فيكون كالعدم بالنسبة إلى القسمين الأوّلين.

قوله: وخاب من افترى: أي لم ينل مطلوبه من جعل الافتراء ذريعة إليه، ويحتمل أن يكون دعا بالخيبة على من اتخذ الافتراء وسيلة إلى تحصيل مقصوده، قال بعض الشّارحين: معناه هلك من ادّعى الإمامة لنفسه مع عدم استحقاقه لها، وخاب من افترى دعواه لها، لأنّ كلامه— عليه السلام— في هذه الخطبة مسوق لأمر الإمامة.

قوله: من أبدى إلى جهلة النّاس: يعني من تشمّر لتمشية الحقّ المجرد لإظهاره في مقابلة كلّ باطل بدا من المبطلين، وألزمهم كلمة الحقّ، وحلهم على الوقوف على الجادّة، فقد أورد نفسه في معرض الهلاك بأيديهم وألسنتهم، وكأنّه اعتذر بهذا الكلام لنفسه وأصحابه المتابعين له عن قعوده عن الطلب للإمامة حين استولى عليها من لا استحقاق له فيها، وتبّتهم به على أنّه لا يأمر إلاّ بالحقّ الصّرف، ولا ينحرف عنه بحال.

ثمّ تبّه على أنّ الحقّ لا ياباه إلاّ الجاهل به، الذي لا يعرف مبلغه وقدره وتعدّى طوره وطلب ما ليس له وعلى أدنى مراتب الجهل. قوله وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره: وإنا قال ذلك— عليه السلام—: لأنّ من جهل قدره وتصوّر لنفسه مرتبة سامية ومنزلة عالية يولد منه الكبر والعجب اللذان هما رذيلتان عظيمتان،

فيفضيان من تلبس بها إلى الخزي في الدنيا والنكال في العقبى، وهذا تنفير للسامعين عما هم عليه، وتعريض بأنهم لا يعرفون قدرهم، إذ لو عرفوا لما تهاؤا لطلب الإمامة.

ثم دلّ على لزوم التقوى وإن ذهب الدنيا بزخارفها بقوله: لا يهلك على التقوى سنخ أصل، أي من هياً اعتقاده الصحيح، وما انطوى عليه حبة قلبه على التقوى، ولا يتخذ الذين وسيلة إلى تحصيل الجاه في الدنيا، ولم يترك الذين والعقيدة الصحيحة التي ما يعلمها إلا هوتفادياً عن ادبار الخلق وذهاب الدنيا، لا يفسد دينه ويبقى في عقيدته كاملاً مؤمناً، وإليه أشار تعالى بقوله: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار»<sup>(١)</sup>.

قوله ولا يظماً عليها زرع قوم: يعني أن من بث بذر المعارف الإلهية في أرض نفسه، وسقاه بماء التقوى الذي هو الطاعات والعبادات، لا يلحق ذلك الزرع ظمأ يفسده، بل ينمو بأقوى ساق وأزكى ثمرة، وقد عرفت تمام القول فيه، ثم لما بين أن الأصل في الدين هو ملازمة التقوى لا إثارة الفتنة ختم مادة الفتنة بقوله:

فاستتروا بيوتكم؛ أي الزموا بيوتكم وحاذروا من المشاجرات المبديّة للضغائن والأحقاد، وأصلحوا ذات بينكم، وكونوا كنفس واحدة، ولا تركنوا إلى الذين كان أكثر همهم هدم قواعد الدين بإثارة الفتن المذنبية للاكباد المفرقة للأخبار.

قوله: والتوبة من ورائكم: تطمئع للعصاة المتمردين عن الحق بالرجوع إلى الله تعالى، فإن الطريق إليه تعالى لا يفسد بمجرد اتباع الشياطين والمعصية، بل التوبة من خلف العصاة مفتوح، فطوبى لمن تنبه عن رقدة الغفلة والانهماك في المعاصي، ورجع إلى الله متلافياً لما فات، نادماً على ما سلف، عازماً على الترك في

الآتي.

قوله: ولا يحمد حامد إلا ربه ولا يلم لائم إلا نفسه: إشارة إلى أن السالك في سبيل الله ينبغي أن لا يوجه الحمد والثناء إلا إلى الله تعالى، ويقطع النظر عن الذرائع والوسائط، ويقصر اللوم على نفسه ليكون مجداً في السلوك والسير، ولا يقعه عن الطلب إقرار النفس على انحرافها عن سواء السبيل، بتسويل الشيطان إياها بناءً على أن الكل فائض من الله تعالى، وإلى هذا التأديب أشار تعالى بقوله: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

ثم اعلم أن في بعض التسخ قول السيد الرضي بعد هذه الكلمات وفي الأكثر قبلها، ولذلك شرحناه قبلها.

\* \* \*

## ١٦- ومن كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل:

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنِ قَضِي السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِئْتَةٌ لَيْمِنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ آفَتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ غَارٌ فِي أَغْبَاشِ<sup>(٢)</sup> الْفِئْتَةِ، عَمِ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ. بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَاقِلٌ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا

(١) النساء: ٧٩.

(٢) في ح: عاد في اغباش الفتنة وفي م: اغشاش الفتنة وفي ك: غاد وفي ر: عاد في اغشاش الفتنة.

أَرْتَوَى آجِنٍ<sup>(١)</sup>، وَآكْتَنَزَ<sup>(٢)</sup> مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِخْدَى الْمُبْتَهَمَاتِ هَيَأَ لَهَا حَشَواً رْتاً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَا يَذْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ.

فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتٍ، عَاشِ رَكَابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعْصُرْ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ، يُذْرِي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيْحِ الْهَشِيمِ، لَا مَلِيءٌ وَاللَّهِ بِإِضْدارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، (وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ)، لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ<sup>(٤)</sup> مِنْهُ مَذْهَباً لِيُغَيِّرَهُ، وَإِنْ أَظْلَمَ أَمراً كَتَمَ بِهِ لِمَا يَغْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ.

تَضْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءَ، وَتَعِجُ مِنْهُ المَوَارِيثُ، إِلَى اللَّهِ أَشْكَو<sup>(٥)</sup> مِنْ مَعْشَرٍ يَعْيشُونَ جُهَالاً، وَيَمُوتُونَ ضَلَالاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلِيَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بِنِعْمٍ وَلَا أَعْلَى تَمَنَّا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ المُنْكَرِ.

### اللغة

قد بغض الرجل بغاضة: بالصم أي صار بغيضاً أي عدواً لا ينظر إليه، وأبغض أفعال التفضيل منه.

التوكل: أن تعتمد غيرك وتجعله نائباً عنك، وكله إلى نفسه أي فوض أمره

(١) في ن وح وب ول وش: ارتوى من آجن.

(٢) ساقطة من م ول وش.

(٣) في ن وك: واكثر من غير طائل.

(٤) في ض وح: ما بلغ مذهبا لغيره.

(٥) في م ول: أشكو إلى الله من معشر وفي ن وح وش: إلى الله من معشر.

وما يصلح به أحوال معاشه ومعاذه إلى نفسه، والوكيل فعيل بمعنى مفعول.

الجور: الميل عن الاعتدال إلى طرف الإفراط، يقال جار عن الطريق وجار عليه في الحكم فهو جائر؛ أي ظالم مائل عن اعتداله في الأمر، يقال طعنه فجوره إذا أمال قامته المنتصبه بأن صرعه.

قصد السبيل: أي سواء الطريق وحيث يكون سبيلاً إلى المقصد، القصد: الاعتدال بين الإسراف والتقتير، وإنما يقال لسواء الطريق القصد لأنه معتدل لا قريب ولا بعيد، والقصد أيضاً العدل، قال الشاعر:

على الحكم المأتي يوماً إذا قضى قضيتَه أن لا يجور ويقتصد

المشعوف: بالعين المهملة من شغفه الحب أي أحرق قلبه، وبالغين المعجمة من شغفه أي بلغ شغافه وهو غلاف القلب، وقد قرئ بهما قوله تعالى: «قد شغفها حباً»<sup>(١)</sup>، معناه على الأول بطنها حباً، وعلى الثاني دخل حبه تحت الشغاف. هكذا قال ابن عباس - رضي الله عنه -، والرواية الصحيحة هنا العين المهملة.

البدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال.

الضلال: العدول عن الصراط المستقيم ونضارة الهداية، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإن الطريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جداً، ولهذا قال: استقيموا ولن تحصوا، والضلال على ضربين: أحدهما: في العلوم النظرية كالضلال في معرفة وحدانية الله تعالى، ومعرفة التبوّة ونحوهما المشار إليهما بقوله تعالى: «ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً»<sup>(٢)</sup>.

والثاني: في العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات، ومراده - عليه السلام - بالضلال هنا جنسها الشامل للضربين، والإضلال أيضاً ضربان: أحدهما: أن يكون سببه الضلال إما بأن يضلّ عنك الشيء كقولك

أضللت البعير، أو تحكّم بضلالة، فالضلال هنا سبب للإضلال.

والثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال وهو أن يزتن الإنسان الباطل

ليضل كما في قوله تعالى: «ولهم أطنافه منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم<sup>(١)</sup>»، أي مجرون أفعالاً يقصدون بها أن تضلّ فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم كما في قوله— عليه السلام—: مضلّ لمن اقتدى به.

الهدى: الهداية؛ دلالة بلطف، وستعرف أنواع هداية الله للإنسان في موضعه

إن شاء الله.

الحمال: اسم فاعل شدد للمبالغة كضراب.

القمش: جمع الشيء من ههنا وههنا، وكذلك التقميش، والشيء الذي

جمع من المواضع المتفرقة، قش الجهل على ضريين:

الأول: هو خلق النفس من العلم ويسمى هذا جهلاً بسيطاً، وقد جعل

ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام.

الثاني: إعتقاد الشيء بخلاف ما كان عليه، يعني لا يعلمه كما هو ويعلم

أنه يعلمه ويسمى هذا جهلاً مركباً لكونه مركباً من خلق النفس عن العلم وأعتقاد أنها عالمة به، وهو مبدأ فساد كثير في العالم وهو المراد هنا.

الموضع: المسرع؛ يقال أوضع الرجل أي أسرع وسار من موضع إلى موضع

تعيريان وحسره<sup>(٢)</sup> الرجل الموضع إذا كان متزلزل الخلق سريع الانقلاب.

الغاز: بالراء المشددة الخادع الغافل عن أمور الآخرة.

الأغباش: جمع غباش بفتح الباء وهو البقية من الليل، ويقال ظلمة آخر

الليل، وأراد بها الظلمات.

يقال عمى فعمى فهو عم: وجماعة عمون، والعمى يقال في افتقاد البصر

وافترق البصيرة وأراد به هنا.

الاول: والعماء السحاب وأيضاً الجهالة، وعلى الثاني حمل بعضهم ما روي أنه قيل: أين كان ربنا قبل أن خلق السماء والأرض؟ فقال: في عماء تحته عماء وفوقه عماء، ويمكن أن يكون العمى الاحتجاب ويحمل الرواية عليه، وهو احتمال جيد. العقد: الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك لغة في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما.

الهدنة: إستمالة للقلوب التي تفرق بعضها عن بعض توجب اجتماعها بالمحبة، من تهادن الأمر أي أستقام.

الأشباه: جمع شبه وهو المماثل للشيء في إحدى الكيفيات كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، وكذا الشبه والشبيه. قال أبو زيد<sup>(١)</sup>: كل من بادر إلى الشيء فقد أبكر إليه وبكر أي وقت كان، فالتبكير: الإسراع إلى الشيء في أي وقت كان، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله -: في الجمعة من بكر وابتكر وجبت له الجنة.

يقال بكر: أي أسرع وابتكر أي سمع أوائل الخطبة.

يقال رويت من الماء: بكسر العين في الماضي والفتح في الغابر ريتاً وروى مثل رضى ورضى.

إرتويت وترويت كله بمعنى، والرّيان ضدّ العطشان.

اكتنز الشيء: إجتمع وامتلاً. الطائل ما فيه غناء وكفاية.

(١) سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي البصري؛ اللّغوي المشهور كلماته بين القوم، كان من أئمة الأدب، وغلبت عليه اللّغة والتّوادر والغريب، قيل هو يحفظ ثلثي اللّغة، وقد جاء الأصمعي إلى حلقتة فقيل رأسه وجلس بين يديه وقال له: أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة. له في الأدب مصنفات مفيدة، توفى بالبصرة سنة ٢١٥.

هَيْبًا هَيْبِيٌّ وَتَهَيْبَةٌ: أَي اَعْدَ.

الظلول: الفضل. المبهمات: جمع مبهم، هو الأمر الخافي في التاس.

الحشو: أي الرذيلة، يقال لقيت حشو القوم أي أردتهم، ويقال أيضاً هو من حشوبني فلان أي من رذائلهم، وأصله من الحاشية وهي التاحية، والمرء إذا كان في الحاشية من القوم ولا مدخل له في أوساطهم يعد من أرداهم، ويقال أيضاً لمن تكلم بكلام ركيك كلامه على الحاشية وكلامه حشو.

الرَث: الشيء البالي، وجمعه رثا، يقال فلان رث الهيئة وفي هيأته رثاثة أي بذاذة، والرأي الرث هو الرأي الضعيف الفاسد.

اللبس بفتح اللام: مصدر قولك لبست عليه الأمر ألبس أي خلطت، ومنه قوله تعالى: وللبسنا عليهم ما يلبسون<sup>(١)</sup>، واللبس اختلاط الظلام.

نسج الثوب ينسجه نسجاً.

العنكبوت فعلكوت وهي التاسجة والغالب عليها التأنيث، والجمع العناكب والعنكباه، وقيل إنه ثلاثي الأصل من العكوب بالفتح وهو الغبار، لأن نسجها يشبه الغبار، وقيل من العكب على وزن هَجَفَ وهو القصير الضخم.

الصواب: يقال على وجهين: أحدهما: باعتبار الشيء في نفسه، فيقال هذا صواب إذا كان في نفسه محموداً ومرضياً بحسب مقتضى العقل والشرع، نحو قولك: تحزني العدل صواب والكرم صواب، الثاني: يقال باعتبار القاصد إذا أدرك المقصود بحسب ما يقصده، فيقال أصاب كذا أي وجد ما طلب، وإذا لم يدرك ما طلب يقال إنه أخطأ.

الخطأ: هو العدول عن الجهة وذلك يقع على أضرب:

الأول: أن يريد - عليه السلام - ما يحسن بإرادته فيفعله وهذا هو الخطأ التام المؤاخذ به الإنسان، ويقال فيه خطأ يخطئ خطأ وخطيء.



الثاني: أن يقصد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال أخطأ خطأ فهو مخطئ، وهذا قد أخطأ في الفعل وأصاب في الإرادة، وهذا هو المعنى بقوله - عليه السلام -: رفع عن أمتي الخطأ والتسيان، وبقوله - عليه السلام -: من آجته فأخطأ فله أجر.

الثالث: أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه، فهذا مخطئ في الإرادة مصيب في الفعل، فهو يقصده مذموم وغير محمود على فعله، وجلة الأمر: أن من أراد شيئاً واتفق منه غيره يقال أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال أصاب، ويقال لمن فعل فعلاً لا يحسن وأراد إرادة لا تجعل أخطأ.

لهذا يقال أصاب الخطأ وأخطأ الصواب، وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ، الحاصل: أن الأقسام لا تزيد على أربعة، ووجه الحصر: أن ما قصده لا يخلو من أن يكون حسناً أو قبيحاً، فإن كان حسناً فلا يخلو من أن يقع منه أم لا، فإن وقع فهو الصواب التام.

ويقال: إنه أصاب الصواب وإن لم يقع منه، فهو المصيب في الفعل المخطئ في الإرادة، ويقال: إنه أخطأ الصواب وإن كان قبيحاً، فلا يخلو أن يقع منه أم لا، فإن وقع فهو الخطأ التام، ويقال إنه أصاب الخطأ وإن لم يقع فهو المصيب في الفعل المخطئ في الإرادة، ويقال إنه أخطأ الخطأ، وإذا عرفت أن هاتين اللفظتين مشتركتان فلا بد من أن يعرف المقصد ويتأمل.

فالظاهر أنه أراد بأصاب: أصاب الصواب، وبأخطأ: أخطأ الصواب. الخوف: توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة.

الجهلات: جمع جهلة؛ مثل تمرات وتمر، وهي فعلة من الجهل.  
العاشي: السائر على غير بصيرة، والعشا مقصور مصدر الأعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالتهار، والمرأة عشواء، والعشواء أيضاً التافة التي لا تبصر

أمامها فهي تحبب بيديها كل شيء، وركب فلان العشواء إذا خبط أمره على غير بصيرة، تقول: عشوت الطريق بضوء التار فهو عاش أي سار في الليل بضوئها، ولا يكون ذلك إلا على ضعفٍ من البصر.

العشوات جمع عشوة: وهي أن تركب أمراً على غير شان، يقال أوطأتني عشوة بالحركات الثلاث في العين أي أمراً ملبساً، وذلك إذا أخبرته بما أوقعته به في حيرة أو بليّة. الأذر: التفريق والتبديل والإلقاء أيضاً.

يقال ذرى الناس الحنطة: وأذرى أي نثر وبنذر، وأذريت الشيء إذا ألقيته كإلقائك الحب للزرع، فأذراه عن ظهر دابته أي ألقاه، والمراد هنا المعنى الأول، والقرينة الإضافة إلى الريح.

الهشم: التبات اليابس من الهشم وهو كسر الشيء الرخو كاللّبات. المليء بالهمزة: الثقة والغنى، يقال ملئ الرجل أي صار مليء أي ثقة غنياً، والزّواية الباء المدغمة وأصله ما ذكرناه.

يقال أصدرته فصدر: أي رجعته فرجع، والموضع مصدر ومنه مصادر

الأفعال.

في يحسب: روايتان: إحداهما كسر السين، وهي من حسبته صالحاً أحسبه بالفتح والكسر معاً محسبة ومحسبة وحساباً بالكسر أي ظننته وهي الأصح.

الثانية ضمّ السين، وهي من حسبه أحسبه بالضم حسب وحساباً حسبانه إذا أعدده.

النكرة: ضدّ المعرفة، وقد نكرت الرجل بالكسر نكراً ونكوراً وأنكرته واستنكرته كلّه بمعنى.

لا يرى: أي لا يعلم، روي لا يرى بضمّ الياء أي لا يظنّ والأولى أشهر. الكتمان: ستر الحديث، يقال: كتمته كتماً، واكتتم به مثله معنى.

الصَّراخ: الصَّوت للمستغيث، يقال صرخ يصرخ صرخة وصراخاً؛ إذا استغاث عالياً بصوته، والمصرخ المغيث .

العج: رفع الصَّوت، وعجج أي صَوَّت، ونهر عجاج أي لمانه صوت، وفحل عجاج في هديره أي صياح، وقد يجيء ذلك في كلِّ ذي صوت من قوس وريح .

الوراثه: إنتقال قنية إليك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد والميراث اسم للقنية الموروثة، وأصله موراث انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، ومن ثم يردّ الجمع إلى أصله ويقال المواريث .

المعشر: جماعة الناس والجمع معاشر.

العيش: الحياة المختصة بالحيوان وهو أخصّ من الحياة لأنّ الحياة تقال في الحيوان وفي الباري تعالى وفي الملك .

السَّلعة: بالكسر لفظ مشترك بين المتاع وزيادة تحدث في الجسد كالعدة يتحرّك إذا حرّكت، وقد تكون من حمّصة إلى بطيخة، وهنا أراد الأول وجعل أبور وأنفق قرينتين له وبالفتح الشّجة .

يقال سلعت رأسه أسلعه سلعاً: أي شققته .

أبور أفعال التفضيل: من بار يبور بوراً أي هلك، وأباره الله أي أهلكه، البور الرّجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه .

التلاوة: تختصّ باتّباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وهي أعمّ من القراءة، وكلّ قراءة تلاوة، ولا ينعكس، وهنا أراد الارتسام، إذ حقّ التلاوة أن يمثّل ما أشتمل عليه .

أنفق: أي أروج من نفق البيع نفاقاً بالفتح أي راج .

أغلى: أي أكثر ثمناً من غلا السّعر غلاء. تحريف الكلام عن مواضعه: أي

تغييره .

يقال أنحرف عنه وتحرّف وأحروف: أي مال وعدل. أعرف: من عرفته

معرفة وعرفاناً.

والمعرفة: إدراك الشيء وتفكر وتدبر أخص من العلم، ويضادها الإنكار كما يضاد العلم الجهل. والمعروف: إسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه. والمنكر: ما ينكر بهما ومن ثم تعلق الأمر بالمعروف والتهي بالمنكر، قال الله تعالى: وأمر بالمعروف وانه عن المنكر<sup>(١)</sup>.

### الإعراب

رجل وكله الله: يحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف دل عليه سياق الكلام، تقديره أحدهما رجل، وأن يكون مبتدأ وخبره محذوف تقديره رجل وكله الله أحدهما، وكذا التقدير في ورجل قش جهلاً، الواو في وليس به للحال، والضمير به للعالم، في من جمع ما قلّ منه روايتان:

إحدهما: تنوين جمع، وتكون الجملة بعده حينئذٍ نعتاً له والجمع محتمل أن يكون مصدرراً استعمل مقام اسم المفعول، أي من مجموع.

الثانية: إضافة إلى ما بعده من غير تنوين، وقد اختلفوا في تقديره على قولين:

أحدهما: أنّ ما ههنا يحتاج في تمام الكلام إلى تقدير مثلها معها حتى تكون ما الأولى هي المضاف إليها.

والثانية: هي المبتدأ، والتقدير: من جمع ما الذي قلّ منه خير ممّا كثر، لكته لما كان إظهار ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجته في الكلام، وكانت ما الواحدة تعطي الغنى عن المقدرة، كان حذفها أولى، الثاني: أنّ المقدر المحذوف ان على طريقة قولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه؛ أي من جمع ما إن قلّ خير ممّا كثر، أي من جمع ما قليله خير من كثيره، وهذا التقدير أقرب إلى الصواب.

قاصياً: حال من الصّمير في جلس، والعامل فيه جلس، وضامناً يحتمل أن يكون حالاً بما، وأن يكون وصفاً للأول. قوله إلى الله: متعلّق بفعل محذوف مثل أشكو، كما هو مصرّح به في بعض النسخ أو أبرأ، أو ما ضاهاهم. في أبور: روي الرّفع على أنه نعت سلعة وخبر ليس فيهم، والتصب على أنه الخبر، وكذا في انفق.

### المعاني

في إن أبغض الخلائق رجلان ثلاث خواص:

إحداها: تصدير الجملة بأنّ ليؤذن تحقيق مضمونها في أذهان المخاطبين المتردّدين في هذا الحكم.

الثانية: إيراد أفعال التّفصيل مضافاً إلى الجمع المحلّي باللام المفيد للاستغراق، ليفيدا المبالغة والتأكّد.

الثالثة: إيراد قوله رجلان على سبيل الإجمال، ثمّ الإتيان بهما على سبيل التّفصيل ليكون أوقع في النفس.

في رجل وكله الله إلى نفسه فائدتان: إحداهما: كونه منعوتاً بجملة فعلية دالة على الوقوع والتجدّد لحظة فلحظة.

الثانية: الإتيان بنكرة ثمّ الإتيان بصفتها، ليدلّ على لحوق الذّم به من نفس الوصف، ويفيد الإجمال والتّفصيل.

كذا في رجل قش جهلاً. الفاء في فهو للسببية المؤذنة بأنّ اعتمادها على نفسه سبب لبيانه على العدول عن الصراط المستقيم، وعلى الشّعف بدعا ضلالة الدالّ عليه كون الجملة إسمية، والفاء في فهو أيضاً للسببية الدالة على أنّ كونه مشعوقاً بدعا ضلالة سبب لبيانه على افتتان الخلق نفسه وضلالة في نفسه إلى الآخر الدالّ عليه كون الجمل اسمية، وستعرف سلسلة تلك الأسباب والمسببات الواقعة في تلك الأوصاف في الفحوى إن شاء الله تعالى.

إنما حذف المسند إليه من موضع في جهال الأمة، لأنّ هذا الخبر لا يصلح  
إلاّ لضمير غائب يرجع إلى الرّجل المنعوت حقيقة للاختصار المطلوب، وليؤذن  
بالثّبات الدالّ عليه الاسميّة.

إنما قطع بكر فاستكثر: ليكون جملة استينافيّة مؤذنة بتعليل سبب تسميتهم  
عالمًا على أنّه ليس بعالم.

جاهل خباط جهالات: أيضاً حذف منه المسند إليه لما ذكرنا، وإنّما قال  
يذري بلفظ الاستقبال ليدلّ على الاستمرار والتجدد لحظة فلحظة، وإنّما استأنف  
قوله لا يحسب العلم ليؤذن بتعليل عدم مداين<sup>(١)</sup> على إصدار ما ورد عليه من  
المسائل العويصة، والثاني معلوم من القواعد السالفة.

### البيان

في قش: إستعارة مكنتى بها عن أجتماع الأمور المجهول في ذهنه، مستلزمة  
لتشبيه الجهل وهو معقول، بالمتاع وهو محسوس، ووجه الشّبه: اشتراكها في صلاحية  
الجمع، وهو أيضاً معقول.

في حتّى إذا أرتوى من آجن: إستعارة تخيلية مرشحة مكنتى بها عن الجهل  
والآراء الباطلة على عقائدهم، مستدعية لتشبيه اشتراكها في الفساد وعدم التّفاوت  
خاطر العاقل إليهما، ورشح تلك الإستعارة بذكر الإرتواء.

في فهو من لبس الشّبهات إلى العنكبوت: تشبيه لهيئة المعقولة الحاصلة  
من وقوع ذهنه في حلّ الشّبهات التي ترد عليه، بالهيئة المحسوسة الحاصلة من وقوع  
الدّباب في نسج العنكبوت، ووجه الشّبه: أنّ ذهن هذا الرّجل الموصوف لا يقدر  
على حلّ الشّبهات التي ترد عليه، ولا يهتدي إلى وجه الحقّ منها لقلة علمه، وضعفه  
عن المعرفة باستنباط المشكلات، كما أنّ الدّباب لضعفه لا يتمكّن من خلاص

(١) كذا في الأصل.

نفسه عن شبك العنكبوت، وفيه أيضاً تشبيه الشبّات بنسج العنكبوت، ووجه المشابهة اشتراكهما في الوهن الحاصل لهما.

في خبّاط جهالات: إستعارة مكّتى بها عن كثرة الأغلاط التي تقع منه في القضايا والوقائع الواردة عليه، مستدعية لتشبيه الهيئة المعقولة الحاصلة من استخراج الأجوبة الصحيحة عن المقدمات الفاسدة، فالتي لا تعلق لها بتلك الأجوبة الصحيحة عن المقدمات الفاسدة التي لا تعلق لها بتلك الأجوبة بالهيئة المحسوسة الحاصلة من سير البعير بغير طريق.

ووجه الشبه: أنّ من أراد أن يستخرجها من المقدمات الفاسدة فلا يصل إلى المقصد، وإنّما يقع في الفتن المهلكة، كما أنّ البعير القاصد إلى مقصد معيّن إذا سار في غير الطريق المسلك إليه، وعدل عنه لا يصل إليه أصلاً، وربّما يقع في المهاوي المهلكة.

في غاش: إستعارة مكّتى بها عن نقصان ضوء بصيرته، وعدم اهتدائه إلى نور الحقّ في ظلمات الجهل، مستدعية لتشبيه الهيئة المعقولة الحاصلة من ظهور نور الحقّ أحياناً للسالك في ظلمات الجهل الذي لم يكن له القدرة على العلم التام لضعف ضوء بصيرته، بالهيئة المحسوسة الحاصلة من ظهور الطريق أحياناً للماشي في ظلمة الليل.

ووجه الشبه: أنّ السالك في طريق الدين إذا لم يستكمل له نور بصيرته بقواعد الدين، ولم يحصل له العلم التام بكيفيّة السلوك إلى الله، يظهر له نور الحقّ تارة في سبيله فيلذ بادراكه، ويخفى عليه أخرى فيتألم بخفاء السبيل عليه، فيخبط كما أنّ الماشي في ظلمة الليل تبين له تارة الطريق المسلك فيسلك فيه، ويخفى عليه أخرى فيضلّ عنه فيخبط.

قوله لم يعضّ على العلم بضرر قاطع: إستعارة تمثيلية تحييلية مكّتى بها عن عدم تمكّنه في العلم بالقوانين الشرعيّة، مستدعية لتشبيه هيئة عدم الأحكام

في العلم والقدرة على التقصي من حرمانه وهي معقولة، بهيئة عدم المضغ الجيد للطعام الذي يحصل بالعض الشديد عليه وهي محسوسة.

وجه الشبه: أنه يضر في تحصيل أسباب الإحاطة بالعلوم من الثبات فيه والدوام عليه والتعب الشديد، وكذا لم يتهيأ له الخروج عن عهده الآخر عن الأحكام الشرعية، كما أن الماضغ إذا لم يجد المضغ ولا يتعب الأضراس بتحريكها لا يقدر على بلع اللقمة، ولولبعها لم يبلغ، وربما يقضي إلى الهلاك، ولتشبيه العلم وهو معقول بالطعام المحسوس.

وجه الشبه: اشتراكهما في الانتفاع الحاصل منها، واحتياج كل منهما في صيرورته مدداً للحياة إلى تعب شديد، وتخيل أنه فرد من أفراد الطعام وإلا لم يصح أن يجعل معضوضاً بالضرس، ثم صار هذا مثلاً شايعاً لكل من لم يحكم قواعد العلم، وما يحتاج إليه في الدين من الأحكام.

قوله يذري الروايات إذراء الريح الهشيم: تشبيه لهيئة إلقاء الروايات عن الرسول - عليه السلام - والأئمة الهداة ونقلها واحدة بعد أخرى، بنسبة هيئة إذراء الريح المنكسر من الثبات اليابس منه وهي معقولة، ووجه الشبه: أن الراوي لتلك الروايات لما لم يكن مطلعاً على فوائدها المقصودة منها، كان يبثها ويخرجها عن حد الانتفاع المقصود منها، كما أن الريح بإذراء الهشيم تخرجه عن حد الانتفاع بالكسر، وفيه تشبيه دقيق لطيف وهو تشبيه الراوي بالريح.

وجه الشبه: اشتراكهما في عدم العلم بما يلقيها، وهذا تشبيه المركب بالمركب طرفاه مذكوران، وحرف التشبيه ووجه الشبه محذوفان.

قوله تصرخ إلى المواريث: إن كان ممّا حذف فيه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تقديره أهل الدماء وأولياء المواريث، فهو كلام مجازي الحذف كقوله تعالى: وأسأل القرية، وإلا ففيه أستعارة تخيلية تصريحية مستلزمة لتشبيه الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة بالأحكام الباطلة بالمظلوم المشتكي.



وجه الشبه: اشتراكهما في الانظلام وتخيل أنها من أفرادها، وإلا لم يصح إسناد الصراخ والعج إليها، وذلك كقولهم نطقت الحال بكذا وافترست المنية. في قوله ليس فيهم سلعة إلى آخره: إستعارة أيضاً تخيلية مرشحة مكتى بها عن عدم التفاتهم إلى الكتاب ونبذهم إياه وراء ظهورهم، إذا فسر على الوجه الذي يدل عليه، وشدة ميلهم إليه ولعهم به إذا عبّر عن مواضعه وفسر على حسب آرائهم، مستلزماً لتشبيه الكتاب المتلوحق تلاوته بالمتاع الخسيس كثر وجوده.

وجه الشبه: اشتراكهما في عدم رغبات الناس إليهما، ولتشبيه الكتاب المغير عن مواضعه بالمتاع الثمين الذي قلّ وجوده، ووجه الشبه: اشتراكهما في ميل الخواطر إليهما، وكثرة رغبات الناس إليهما والتخيل، وإلا لم يصح جعل الكتاب مفضلاً عليه، وبذكر البور والتفاق رشح.

### البديع

راعى وضالّ عن هدي من كان قبله: المقابلة، حيث قابل الضلال بالهدى، وفي مصلّ إلى وفاته أيضاً، حيث قابل الحياة بالوفاة، كما في يعيشون جهالاً ويموتون، وبين الفتنة الهدنة: المتوازي، وبين آجن وطائل: المتوازي، وبين جهالات وعشوات: المتوازي والترصيع، وبين عاش وعشوات: ردّ العجز إلى الصدر، وكذا بين جهالات وجاهل.

في لما يعلم من جهل نفسه: المقابلة حيث قابل العلم بالجهل، وكذا في ليس إلى مواضعه: المطابقة حيث طلب البور بالتفاق، والمقابلة حيث جعل البور مشتركاً بين السلعة الخسيسة والكتاب المتلوحق تلاوته، كما جعل التفاق في مقابله مشتركاً بين السلعة النفيسة والكتاب المحرف عن مواضعه، وفي قوله ولا عندهم إلى الآخر: المطابقة، حيث طابق التكرة بالمعرفة والمعروف بالمنكر، وفيه أيضاً ردّ العجز

إلى الصدر.

### الفحوى

إعلم أنه — عليه السلام — بدأ أولاً بتنفيذ الخلق عن الرجلين المشار إليهما بقوله وإن أبغض إليّ رجلان، يعني: إن أبعد الخلائق من رحمة الله تعالى ورضاه المستلزم لمحبة رجلان، وذلك لأن محبة تعالى للخلق راجعة إلى كون أفعالهم جارية على وجه يحفظ نظام العالم، وتلتزم به أحوال بني آدم، فيكون بغضه تعالى عائداً إلى كون أفعالهم خارجة عن قانون النظام الشرعي، غير مستمرة على قواعد العقل.

ولما كانت أفعال هذين الرجلين وأعمالها ماثلة بالكلية عن سنن الشريعة ونهج الطريقة، كانا أبغض الخلائق إلى الله، ثم أخذ بفصل كل منها عن الآخر بأوصاف مختصة، وذكر للرجل الأول أوصافاً ثمانية كل سابق منها سبب لللاحق: الأول: أنه وكله الله إلى نفسه؛ إعلم أن التوكل مشتق من الوكالة، يقال وكل أمره إلى فلان: أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمى الموكول إليه وكيلاً، ويسمى المفوض عليه متوكلاً عليه ومتوكلاً عليه، فالتوكل عبارة عن اعتماد على الوكيل، إعتقد جزماً أو ظناً أنه لا فاعل إلا الله تعالى، وجميع الأسباب والمسببات منتهية إلى قدرته، وأعتقد مع ذلك أنه تام العلم والقدرة على كفاية العباد، وتام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد وبالآحاد.

وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة، ولا وراء منتهى علمه علم، ولا وراء منتهى عنايته بك علم وعناية، فقد فوض أمره بالكلية إليه، وجعله متوكلاً عليه، وانخرط في سلك من أحبه الله تعالى من المتوكلين، على ما ينبى عنه قوله تعالى: إن الله يحب المتوكلين.

ومن اعتقد ظناً أو جزماً أن نفسه أو واحداً غير الله تعالى ممن يتأتى منه تحصيل أسباب معاشه في الدنيا، ويقدر على إيصاله إلى المراد، أفاض الله على قلبه

أطميناناً بذلك المعتقد فيه، واتكالياً عليه، فيصير بذلك من المتعذرين من رحمة الله تعالى وعنايته، الخارجين عن نظام المتوكلين الذين أحبتهم الله تعالى.

هذا هو المعنى بما قال الرسول— عليه السلام—: من انقطع إلى الله تعالى كفاه كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله تعالى إليها. وسيعرف بعيد هذا تمام التحقيق في التوكل إن شاء الله تعالى.

الثاني: أشار إليه بقوله فهو إلى السبيل؛ أي أنه يتمكن في الجور الذي هو رذيلة واقعة في طرف الإفراط من فضيلة العبد التي هي الصراط المستقيم والنهج القويم، وهذا مسبب من اعتماده بالكلية على نفسه الأمارة بالسوء.

الثالث: أشار إليه بقوله مشعوف إلى ضلالة: أي مولع حريص بإحداث الأمور التي تخالف قواعد الدين، يدعو بها الناس إلى الضلالة عن سلوك الصراط المستقيم، وهذا كناية وصف لازم للجور عن قصد السبيل، وذلك لأن من انحرف عنه معتقداً أن الحق غيره، فبالضرورة كان يحدث البدع ويتخيلها كمالات قد حصلت له وفقدت عن غيره، يحرّض الناس على اقتنائها، فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

الرابع: أشار إليه بقوله فهو إلى به؛ أي أنه بلاء عظيم لمن اقتدى به واتبع آثاره محبباً لطريقته مقتفياً بسيرته، وهذا أيضاً مسبب عن السابق عليه وهو ظاهر، ويحتمل أن يكون مسبباً عن الوصف الأول، وكذا أعاد اللفظ، والحاصل أن الوصف الأول قد استلزم لازمين: أحدهما بالنسبة إلى نفسه وهو أيضاً له لازم كما عرفت، والآخر بالقياس إلى غيره وله لوازم مترتبة بعضها بالقياس إلى نفسه، وبعضها بالقياس إلى غيره.

الخامس: أشار إليه بقوله ضال إلى قبله؛ أي عادل عن سلوك السلوك إلى الحق الهادي إليه الذي كان عليه الأسلاف المتقدمون من الأنبياء والأئمة الهداة والعلماء الذهاة، فإن قيل هذا مثل الوصف الأول، قلنا لا، فإن الأول أعم، وذلك

لأنَّ الجور ربّما كان بسبب عدم الاهتداء إلى هدى يقيني أثره، وهنا جائر مع وجود هدى يتبعه، فيكون كلّ ضالّ عن هدى من كان قبله جائراً عن قصد السبيل، من غير عكس، فلا يكون تكرار، وهذا وصف مسبّب عن الرابع، وذلك لأنّ من كان فتنة لمن اتّبعه، ضالّاً عن هدى من كان قبله، وإلا لم يكن فتنة.

السادس: أشار إليه بقوله مضلّ إلى وفاته: أي؛ هو سبب إضلال غيره في حياته عن سلوك الجادة التي نهجها الشّارع، ولضلال الصّالّين بعد وفاته بسبب اللقاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه، وهذا أيضاً مسبّب عن الخامس، لأنّ كلّ من كان ضالّاً في نفسه مضالّاً لمن اقتدى به بالضرورة، وهذا الوصف مشتمل على زيادة ليست في الوصف الرابع وهي كونها سبباً لضلال الصّالّين بعده.

السابع: أشار إليه بقوله حمّال خطايا غيره؛ أي؛ أنّه حامل لأوزار من يضلّه كاملة يوم القيامة «ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم لأساء ما يزرون»، وقول النبيّ - صلى الله عليه وآله -: من سنّ سيئة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، وقوله - صلوات الرحمن عليه -: أيّما داع دعّا إلى الهدى فاتّبع، كان له مثل أجر من تبعه ولا ينقص منه شيء.

فإن قيل: كيف يمكن أن يوصل الله تعالى العقاب الذي يستحقّه الأتباع الضالّون إلى الأئمة الطّغاة المضلّين وقد قال الله تعالى: «وأنّ ليس للإنسان إلّا ما سعى<sup>(١)</sup>»، وقال تعالى أيضاً: «ولا تزر وازرة وزر أخرى<sup>(٢)</sup>».

قلنا: المراد أنّ الرؤساء المضلّين إذا أحدثوا في الدّين بدعاً يضلّون بها النّاس عن سلوك الصّراط المستقيم لم يحدثوا إلّا عن نفوس تراكمت عليها حجب الظّلمات ناشئة من الجهل المركّب والاعتقادات التي حبّسها صحيحة، صارت ملكات راسخة عليها، قد اسودت ألواحها عن قبول الأنوار الإلهية، وحوائل يحول

(١) النجم: ٣٩.

(٢) الانعام: ١٦٤.

بين أربابها والرحمة.

بحيث يكون في الشدة والقوة أضعاف الحجب الظارية على قلوب المهتدين بضلالتهم المقتفين بآثارهم، وكلما كانت الحجب أكثر وأكثف كان البعد من رحمة الله تعالى الذي هو عين الوزر أكثر، فلا جرم كانت أوزار المضلين وسيئاتهم أكثر من أوزار الصالحين التابعين لهم.

وقد أشار النبي - صلى الله عليه وآله - في الحديث المذكور إلى هذا المعنى بقوله: كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء، وإذا عرفت هذا في جانب السيئة فاعتبر مثله في جانب الحسنة وتدبر في قوله تعالى: «إن الحسنات (١)»، وقول النبي - عليه السلام -: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ترى ما ترى، ولا خفاء في أن هذا الوصف لازم عما قبله.

الثامن: أشار إليه بقوله رهن بخطيئته؛ أي مرهون به التي صارت أغللاً وسلاسل يمنعه عن الصعود إلى مطالعة أنوار الملكوت، والانخراط في سلك المقربين الساكنين في حظائر القدس، فتمحّض مما ذكر أن كونه وكله الله إلى نفسه هو السبب الأول لهذه الأسباب والمسببات على الترتيب الذي تلوناه عليه، واعلم أنه - عليه السلام - ذكر للرجل الثاني عشرين وصفا:

الأول: أشار بقوله قش جهلاً؛ أي جمع في نفسه أسباب الجهل من مواضع متفرقة، وصار نفسه يجمع أنواع الجهل.

الثاني: أشار إليه بقوله موضع إلى الأمة؛ أي سائر في جهال الأمة «من عرمان ولا حره (٢)» أي يمشي على غير طريقة الحق ويقتدي بأفعال جهال الأمة، قيل معناه مطرح ليس من أشرف الناس، وما ظفرت في كتب اللغة بهذا المعنى للمسرع.

الثالث: أشار إليه بقوله غار في أغباش الفتنة؛ أي غافل في ظلمات

الخصومات، غير عالم بطريق الاهتداء إلى وجه الخلاص عن تقصيصها، وإخراج نور العلم، وفي بعض التسخ عاد بالبدال المهملة، أي ساع في إثارة الفتن المظلمة.

الرابع: أشار إليه بقوله عم بما في عقد الهدنة؛ أي أنه أعمى البصيرة بما يحفظ نظام العالم من الاتفاق الذي يحصل بالصلح والمسالمة بعد وقوع المهاجرة والمحاربة، جاهل لمصالح الناس.

الخامس: أشار إليه بقوله قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به؛ أي أنه قد حسبه الجهال المقلدون الذين يشابهون الإنسان الحقيقي في الصورة المحسوسة دون الصورة المعقولة المستلزمة للكمال وللعلم عالماً، والحال أنه في نفس الأمر خالٍ من العلم.

السادس: أشار إليه بقوله بكر إلى كثرة؛ أي أنه من أول العمر أسرع في جمع الشبهات والآراء الباطلة، جمع منها ما كان قليلاً خيراً من كثيره بكثير، وكاذبه أكثر من صادقه، وهذا يصلح تعليلاً للوصف السابق الذي هولتسميتهم إياه عالماً، وقد عرفته في المعاني.

السابع: أشار إليه بقوله حتى إذا إلى قاضياً؛ واستكثر منها حتى إذا حصل الاستغناء من غيره في جمعها لكثرتها عنده، جلس بين الناس قاضياً يجعل الغاية من الاستكثار الشرطية المذكورة.

الثامن: أشار إليه بقوله ضامناً لتخليص ما التبس على غيره؛ أي ملتزم بفصل الحكومات بين الناس، وحسم مواد الخصومات التي أشكلت على غيره.

التاسع: أشار إليه بقوله فإن إلى رأيه؛ أي إن عرضت عليه إحدى الوقائع المهمة الخافية على أكثر الناس الملتبس حلها عليهم، أعد حلها كلاماً كثيراً لا طائل تحته، ساقطاً عن نظر الغلواء الراسخين من رأيه الضعيف، وليس حلاً لها، ثم حكم بكونه قطعياً لا يمكن أن يكون غيره حلاً لها وهذا يدل على اعتقاد العلم في حقه مع أنه ليس بعالم، وكأنه تفصيل لقوله وليس به.

العاشر: أشار إليه بقوله فهو إلى العنكبوت؛ أي أنه في إدراك وجوه الخلاص والتقصي عن عهدة أجوبة الوقائع المشكلة والقضايا المبهمة، كالأذباب الواقع في شباك العنكبوت، ضعيف عاجز حتى يموت على عجزه وضعفه.

الحادي عشر: أشار إليه بقوله لا يدري إلى أن يكون قد أخطأ؛ أي غير متقن بما يحكم به، بل إنما يتبع مجرد ظنه الذي أكثره على الخطأ المحض، لكونه ليس جارياً على قانون الاجتهاد المعتبر.

الثاني عشر: أشار إليه بقوله جاهل؛ أي أنه جاهل عظيم يقع في الأغلاط الكثيرة، لعدم علمه بالقوانين الشرعية، وقد عرفت وجه الإستعارة فيه.

الثالث عشر: أشار إليه بقوله عاش ركاب عشوات؛ أي أنه سائر على غير طريقة الحق، ركاب أمور ملتبسة، لا يشتم منها رائحة الحق، وقد عرفت التحقيق فيه في البيان.

الرابع عشر: أشار إليه بقوله لم يعرض على العلم بضرر قاطع؛ أي لم يكن متقناً علمه بالقوانين الشرعية، ولا محيطاً بها وقد عرفته أيضاً.

الخامس عشر: أشار إليه بقوله يذري إلى الهشيم؛ أي ينقل الروايات واحدة بعد أخرى من غير أن يكون لها إفادة للتاس، بل يخرجها عن حد الإفادة لعدم علمه بمصادرها ومواردها ورعايتها، وقد عرفته أيضاً في البيان.

السادس عشر: أشار إليه بقوله لا مليء إلى عليه؛ أي ليس له قوة بإصدار الأجوبة عن المسائل المشكلة التي ترد عليه، لعدم إحاطة علمه بالأصول التي يستخرج منها الفروع.

السابع عشر: أشار إليه بقوله لا يحسب إلى أنكره؛ أي لا يعد العلم الحقيقي الذي ينبغي أن يتعب في تحصيله، ويبدل المهجة في طلبه، شيئاً من جملة ما أنكره، أي أنه لا يلتفت إلى العلم أصلاً، ولا يعده شيئاً يمكن أن ينكر عليه،

بل يعدّه أقلّ من المنكر «عنده بالمن دوجه»<sup>(١)</sup> «أولا يظنّ العلم الحقيقي فضيلة يجب اعتقادها والإذعان لها، بل لا يظنّه شيئاً من جملة ما أنكره، لعدم اعتباره عنده بالكلّيّة.

الثامن عشر: أشار إليه بقوله ولا يرى إلى لغيره؛ يعني إذا حصل عنده ظنّ في مسألة مشكلة جزم به، ولو عرض عليه قول آخر لغيره أظهر يعضده العقل والتقل لم يلتفت إليه، ولم يعبأ به، ولم يرى في الوجود قولاً أوفق ممّا ذهب إليه.

التاسع عشر: أشار إليه بقوله إن أظلم إلى نفسه؛ يعني إذا أشكلت عليه واقعة من الوقائع الواردة عليه تغافل عن سماعها وسترها عن العلماء بحلّها كيلا يطلع على جهله أرباب العلم ويفضح بينهم وتحتل قواعد منصبه، وهكذا جرت عادة قضاة زماننا لجهلهم وغوايتهم لا يعلمهم إلّا هو— عليه السلام—.

العشرون: أشار إليه: «بقوله...»<sup>(٢)</sup> «إلى المواريث؛ وقد عرفت معناه في البيان، ثمّ لمّا فرغ من بيان أوصاف الرّجلين ممّا يوجب أن يكون أبغض الخلائق إلى الله تعالى، أردف ذلك بالتنفّر عنها وعن طريقتها المجلبة للبعضاء بالتشكّي أو الإبراء منها ومن غيرها من الجهال، ليكون أبلغ في القبول، وهو قوله إلى الله: أي أشكو إلى الله من طائفة تكون حياتهم مستمرة على الشبات على الجهل المركّب الحزني في الدنيا والآخرة، وماتهم على العدول عمّا هو الجادّة.

وهذا الوصف أي الموت على الضلال لازم عن العيش على الجهل، فإن من عاش جاهلاً مات ضالاً، وإليه أشار قوله تعالى: «يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً»<sup>(٣)</sup>، وأشار النبي— صلى الله عليه وآله—: «إنّها هي أعمالكم تردّ إليكم، ثمّ ذكر لازمين من لوازم عيش الجهال:

(٣) آل عمران: ٣٠.

(١) كذا.

(٢) كذا بيّض في الاصل.



أحدهما: أشار إليه بقوله ليس فيهم إلى عن مواضعه؛ أي إذا حمل الكتاب على المطالب المنزل هو عليها والمقاصد المطلوبة من إنزاله نبذوه وراء ظهورهم، معرضين عنه إعراضهم عن السلعة الخسيسة التي لا أحتياج لهم بها، وإذا حمل على مقاصدهم محرقاً عمّا نزل عليه أقبلوا إليه وتنافسوا فيه أقبالهم على السلعة التّفيسة التي مسّت حاجتهم إليها ومالت نفوسهم إلى اقتنائها.

الثاني: أشار إليه بقوله ولا عندهم إلى المنكر؛ أي ليس عندهم أنكر من المعروف لمخالفته، وإعراضهم، ولأنّ المعروف إنّما يعرف من آتقن آثار العقل والشرع، ويميّز بها الحسن عن القبيح، وهم معزولون عنها ولا عندهم أعرف من المنكر لكونه على منوال مآرهم، ولأنّ من أنكر المعروف لكونه قبيحاً عنده، فقد عرف المنكر واعترف به لكونه حسناً عند رأيه.

«قال ابن ميثم<sup>(١)</sup>» — رحمه الله — ما معناه: أنّ أمير المؤمنين — عليه السلام — قسم في موضع آخر التّاس إلى ثلاثة أقسام: عالم ومتعلّم وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، والرّجالان المشار إليهما لكونهما على طرف الجهل المضادّ للعلم ومتبوعين ليسا من القسم الأوّل ولا من الثالث، فيكونان من الثاني بالضرورة.

المراد من المتعلّم من ترفعه درجته عن درجة الهمج، واكتسب ذهنه شيئاً من الاعتقادات، ولكن لم ينته إلى درجة العلماء القادرين على الاستنباط والتصرف في المسائل العويصة، فاعتقاد أنّه إمّا أن تكون مطابقة كلّها أو بعضها أو ليست مطابقة أصلاً، وعلى التقديرات الثلاث، إمّا أن يتصدّى بنفسه للحكم بين التّاس من القضاء والإفتاء أو لا فهذه أقسام ستّة:

- أ — من اعتقد المطابق ولم يتصدّى لشيء من المناصب.  
ب — من اعتقد كذلك وتصدّى.

(١) كمال الدين: ميثم بن علي بن ميثم البحراني، العالم الزباني والحكيم المتأله، جامع المعقول والمنقول، صاحب الشروح على نهج البلاغة، يروي عن المحقق نصيرالدين الطوسي، ويروي عنه العلامة الخلي، توفي سنة ٦٧٩.

ج- اعتقد المطابق ولم يتصد لشيء منها.

د- من اعتقده وتصدى.

هـ- من اعتقده ولم يتصد.

و- من اعتقدهما وتصدى. فالأول خارج عن الرجلين المذكورين بأوصافها، أما الثاني والرابع والسادس فهما منهم، الأول هو من تصدى لسائر المناصب سوى القضاء، والثاني هو من تصدى للقضاء، وأما الثالث والخامس فهما داخلان في المعشر الذين قد شكوا إلى الله منهم، وهو تقرير لطيف ولكن يمكن انقسام آخر يطول الكتاب بذكرها.

\* \* \*

## ١٧- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنَيْهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الَّذِي <sup>(١)</sup> اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَتَبِيئُهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ!

أَفَأَمْرَهُمْ اللهُ تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً فَقَصَرَ الرُّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟  
وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (مَا قَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وَقَالَ:

(١) في ض وح ول وش: عند الإمام الأئمة.

(فِيهِ تَبَيُّانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ) وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا  
 اخْتِلَافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ  
 اخْتِلَافًا كَثِيرًا). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنَيْقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْتَنِي  
 عَجَائِبُهُ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ.

### اللغة

يقال استفتيت الفقيه في مسألة فأفتاني: أي طلبت جوابها منه فأجابني  
 عنها، والاسم الفتيا والفتوى وهما اسمان للجواب عما يشكل من الأحكام. أحد:  
 يستعمل في التني لاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق  
 الاجتماع والافتراق نحو: ما في الدار أحد أي لا واحد ولا اثنان فصاعداً لا  
 بالاجتماع ولا بالافتراق، ويستعمل في الإثبات على ثلاثة أوجه:

- أ- أن يكون مضمماً إلى العشرات نحو أحد عشر وأحد عشرين.
- ب- أن يكون مضافاً لقوله تعالى: أما أحد كما فيسقي ربّه، كقوله—  
 عليه السلام:—ترد على أحدهم، أو مضافاً إليه بمعنى الأول نحو يوم الأحد.
- ج- أن يكون مطلقاً وصفاً وليس ذلك إلا في وصف الله سبحانه نحو قوله  
 تعالى: قل هو الله أحد.

قال الجوهري: القضاء: الحكم، والجمع الأفضية، والقضية مثله والجمع  
 القضايا، وقيل: القضاء فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً.

القضية: يقال لكل أمر مقطوع به من قولك هو كذا أو ليس، وهو قريب  
 مما قالوا في تعريفها قول يصح أن يقال لقائله صدقت أم كذبت.

الرأي: إعتقاد النفس أحد التقيضين عن غلبة الظن.  
 عصي يعصي عصياناً ومعصية: إذا خرج عن الطاعة فهو عاصٍ وعصي.

التبليغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد.

فرط: إذا تقدم تقدماً بالقصد يفرط، والتفريط أن يقصر في الفرط، يقال ما فرطت في كذا أي ما قصرت.

القرآن: في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان، قال الله تعالى: إن علينا جمعه وقرآنه<sup>(١)</sup>، وقد خصص بالكتاب المنزل على محمد - صلى الله عليه وآله - وصار له كالعلم، كما أن التوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل لما أنزل على عيسى.

قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار إليه تعالى بقوله: ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون<sup>(٢)</sup>، وبقوله في وصفه: تبياناً لكل شيء، الظاهر والباطن من العلم، والقرآن تارة يراد بها المعارف الجليلة والمعارف الخفية، وتارة العلوم الدنيوية والعلوم الأخروية، وأراد بها هنا الأول. يقال شيء أنيق: أي حسن يعجب، وأنقني الشيء أي أعجبي، وأصله من أنق بكسر العين في الماضي، والفتح في الغابر، أنقأ أي فرح، والأنيق الفرح والتسرور. العمق: والعمق قعر البئر والفتح والوادي، وتعميق البئر وأعماقها جعلها عميقة، يقال عمق فهو عميق.

فنى الشيء يفنى: وأفناه غيره، أنقضى انقضاءً أي انتهى وكذا تقضى. الغرائب جمع غريب: وهو أسم لكل شيء فيما بين جنسه عديم التظير، وللمتباعد أيضاً عن مكانه، وأراد هنا المعاني التي لا يوجد نظائرها في جنس المعنى.

### الإعراب

إذا قوبل به همزة الإستفهام فعناه، أي نحو أزيد في أآدار أم عمرو، أي أيتهما وهنا كذلك، وقد عرفت تمام الكلام فيه في المعنى، وفي أنّ القرآن روايتان

إحداهما بالفتح ويكون عطفاً على أنّ الكتاب والعامل فيها ذكر، الثانية بالكسر وهي للابتداء، والباقي ظاهر.

### المعاني

الإتيان بألف الاستفهام مع أم للتقرير والإنكار، قوله لا تفنى عجائبه: جملة استثنائية دالة على الجواب عمن سأل عن كمية كون باطنه عميقاً، والباقي معلوم مما سلف.

### البيان

في باطنه عميق: إستعارة تخيلية مكنتى بها عن أشتماله على كثرة المعارف الخفية التي لا يدركها إلا الحائض في بحر التوحيد، مستلزمة لتشبيه باطنه وهو معقول، بالبئر البعيد قعرها وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكها في البعد الحاصل لهما والكثرة.

### البدیع

بين كلّ من أنيق وعميق وعجائبه وغرائبه: السجع المتوازي والترصيع، وبين الظاهر والباطن: المطابقة.

### الفحوى

إعلم أنه— عليه السلام— ساق هذا الكلام لبيان الرّد على من زعم أنّ كلّ مجتهد مصيب، وأنّ الحقّ ليس إلّا مع واحد، وهذه مسألة مستفاضة في علم الأصول فلا نطول الكتاب بذكرها، وأيضاً لردّ القائلين بالقياس الظنّي الذي ليس سنده التّصّ القاطع، قوله ترد على أحدهم إلى جميعاً: إشارة إلى حالهم التي

يسلكونها وهو— عليه السلام— ينكرها من المخالفة في مسألة واحدة، وتصويب الإمام جميع الأقوال.

قوله وإلهمم إلى نبيهم واحد: إشارة إلى حجة تزييف ما ذهبوا إليه هي قياس الصمير، وهذه المقدمه صغرى والكبرى محذوفة، وهي كل قوم كانوا كذلك فلا يسوغ لهم أن يخالفوا في حكم واحد، لينتج أنّ هؤلاء لا يجوز لهم الاختلاف في حكم واحد.

أما الصغرى فضرورية مسلمة لا اختلاف فيها، وأما الكبرى فقد أشار إلى بيانها بقوله أفامرهم إلى وأدائه: يعني إن جاز لهم الاختلاف فلا يخلو من أن يكون لأمر الله تعالى لهم فائتقاً، أم لنبيه تعالى إياهم، فلما انتهوا وعصوه، أم بسكوت منه في الأمرين.

وعلى التقدير الثالث: فجاوز الاختلاف إما أن يكون لأنّ الدين كان ناقصاً واستعان بهم على إتمامه، أو كانوا شركاء له فعليه أن يرضى بما يقولون وهم أن يقولوا ما تعلقت به إرادتهم كما هو دأب الشركاء، أو لأنّه تام ولكن قصر الرسول— صلى الله عليه وآله وسلم— عن ادائه إلى الناس وتكميله، فهذه أقسام خمسة لا يمكن المزيد عليها بحسب اطراد العرف والعادة بين الناس وكلها باطلة.

أما بطلان الأول: فإنّ الذين مأخوذ من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصدق بعضه بعضاً، وأنّه لا اختلاف فيه، وأكد هذا بقوله فقال: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، يعني: لكن لم يكن فيه اختلاف أصلاً فلا يكون من عند غير الله فيكون من عند الله، وكلّ ما كان كذلك فلا يتشعب عنه إلاّ الأقوال التي لا اختلاف فيها إذ الفرع بحد (١) ولاصل ويقفو أثره، فلا تكون الأقوال المختلفة مستندة إلى كتاب الله تعالى الذي هو مجمع الأوامر الإلهية.

(١) كذا في الأصل.

أما بطلان الثاني: فظاهر، لأن عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف.

أما بطلان الثالث: فلقوله تعالى: ما فرطنا في الكتاب من شيء، وفيه تبيان كل شيء.

أما بطلان الرابع والخامس: فلوضوحها أعرض عن الدليل عليه، ثم دلّ بقوله إن القرآن إلى آخر: على أن ألفاظ القرآن المنزل من عند الله إذا حققوا معانيها واطلموا على جلائلها وأتعبوا أنفسهم في استخراج دقائقها، كان كافلاً بجميع مطالب الناس، أي ألفاظه التي صبّت المعارف الإلهية في قوالها لكونها في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مما يعجب الناس المتأملين فيها، الذين قرعت أسماعهم وباتوا متحيرين في أساليب تراكيبها، وإن العلوم الظاهرة التي تفهمها العلماء ألفاظه<sup>(١)</sup> حسنها مما يونقهم، وإن العلوم الخفية التي أدرجها الله تحت هذه الألفاظ وسترها عن أعين القاصرين بعيدة المدرك، لا يصل إلى جواهرها إلا الراضة من العلماء الراسخين الذين أيدهم الله بحكمه وفصل خطاب.

لأن معانيه العجيبة التي اشتمل عليها غير متناهية لا تفي بمرور الأعوام ومرور الأيام، ولا تنتهي بكثرة التردد، ولأن التكت الغريبة التي لا توجد نظائرها في غيره من الكتب أكثر من عديد الحصى، واحدى من تفاريق العصا، لا ينقضي بتضارم ضوارم الأذهان، وتوارد خواطف الأبصار، ولا يكشف الظلمات المتراكمة على مرآة النفس الحاجبة إياها عن مقابلة الفيض الإلهي الناشئة من الجهل البسيط، إلا بأنواره الساطعة وأسراره اللامعة.

\* \* \*

## ١٨ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة بخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه فقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض عليه السلام - إليه بصره ثم قال:

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي! عَلَيْنِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكُ ابْنِ حَائِكٍ، مُتَنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أُسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ وَلَا حَسْبُكَ، وَإِنَّ أَمْرَاءَ<sup>(١)</sup> دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفِ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَثْفَ، لَحْرِيٌّ أَنْ يَمُفَّتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ.

أقول: يريد - عليه السلام - أنه أُسْرِيَ في الكفر مرة، وفي الإسلام مرة. وأما قوله - عليه السلام - دلَّ على قومه السيف: فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة، فإنه غرَّ قومه ومكرهم حتى أوقع بهم خالد، وكان قومه بعد ذلك يسمونه عُرف الثار، وهو اسم للغادر عندهم.

### اللغة

دريته ودريت به درياً ودرية ودراية: أي علمت به وأدريته أي أعلمته.  
اللعن: طرد وإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء.  
حاك الثوب يحوكه حوكاً وحياكة: نسجه فهو حائك، وقوم حاكة وحوكة أيضاً، ونسوة حوائك والموضع محاكة، وقد جاء حاك يحيك حيكاً وحياكة فهو حائك إذا حرك بين منكببيه وفجج بين رجله، وسيعرف في الفحوى تحقيق أنه من أيهما.

(١) في ش: فان امرا دل.



الكافر في اللّغة: الذي كفر درعه بثوب أي غطاه ولبسه فوقه، وكلّ شيء غطى شيئاً فقد كفره، والكافر أيضاً الزّارع لأنّه يغطي البذر بالتراب، وقد يوصف به اللّيل أيضاً لستره الأشخاص، وفي المتعارف صار اسماً لمن يحدد الوجدانيّة أو النبوّة والشريعة أو يلبسها، وإنّا سمّي به لأنّه يستر نعم الله عليه والشريعة.

يقال: كفر لمن أخلّ بالشريعة وترك ما لزمه من شكر الله، والكفر ستر الإيمان بجموده، وقد كفر بالله كفراً، والكفر أيضاً جحود التعمّة وهو ضدّ الشكر، أي سترها بترك أداء شكرها، يقال قد كفره كفراناً وكفوراً، والكفران في جحود التعمّة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيها جميعاً.

قال الله تعالى: «فأبى أكثر الناس إلاّ كفوراً<sup>(١)</sup>»، هذا في الدين، وقال تعالى في جحود التعمّة: «ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنّا يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّي غنيّ كريم<sup>(٢)</sup>»، وأراد عليه السلام — بالكفر هنا الكفر في الدين. يقال أسرت الرّجل أسراً وإساراً فهو أسير ومأسور، أسره يأسره أسراً شدّه بالأسار وهو القيد، ومنه سمّي الأسير، وكانوا يشدّونه بالقيد فسّمّي كل أخذ أسيراً وإن لم يشدّ به.

الإسلام: في أصل اللّغة الدخول في السّلم وهو الصّلاح، وفي الشّرع يطلق على معنيين: أحدهما أعمّ والآخر أخصّ. أحدهما: هو الاعتراف باللسان سواء كان معه اعتقاد أم لا، وهو أعمّ من الإيمان، وكذا قال تعالى: «قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا<sup>(٣)</sup>».

فأثبت العامّ ونفي الخاصّ، والآخر: هو مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله تعالى في جميع ما قضى وقدر، فهو أخصّ من الإيمان إن

لم يدخل الوفاء فيه، وإيَّاه عنى تعالى حكاية عن ابراهيم بقوله: «أسلمت لرب العالمين»، وبقوله: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ».

فداه وفاداه: إذا أعطى فداه، والفداء والفداء حفظ الإنسان عن النائبة، عنه يقال أيضاً: فديته بما وفديته نفسي وفاديته بكذا. الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارة والرموز والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممتن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، والدلالة في الأصل مصدر، يقال: قد دلَّه على الطريق يدلُّه دلالة ودلالة ودلولة، والفتح أعلى، والدال من حصل منه ذلك.

يقال ساق الماشية يسوقها سوقاً وسياًقاً فهو سائق وسواق: شدد للمبالغة أي حرَّضها على المشي بإكراه.

الحتف بالباء المنقطة بنقطتين من فوق: الموت، يقال: مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب، وقد يروى بالياء المنقطة بنقطتين من تحت: وهو الجور والظلم، يقال: حاف عليه يحيف أي جار.

قال الجوهري: يقال هو حرِّي أن يفعل بالفتح أي خليق جدير، لا يشنى ولا يجمع، وأنشد الكسائي<sup>(١)</sup>:

وهنَّ حرِّيَّ إن لا يشنك نقرة \* وأنت حرِّيَّ بالتارحين تثيب.

وإذا قلت هو حر بكسر الراء وحرى على فعيل، ثنيت وجمعت فقلت هما حرَّيان وهم حرَّيون وأحرياء وهي حرَّية وهنَّ حرَّيات وحررايا وأنتم أحرأ جمع حرو، منه اشتقَّ التحرِّي في الأشياء ونحوها، وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن. المقت: البغض الشديد لمن رآه متعاطياً لقبیح، يقال: مقت مقاته فهو

(١) أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي البغدادي النحوي اللغوي، أحد القراء السبعة، مؤدب محمد الأمين، كان الكسائي في مدينة السلام، وكان أول ما يقرئ الناس بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة فأقرأ بها الناس في خلافة هارون، مات الكسائي بالري في سنة ١٧٩، وكان مع هارون في رحلته إلى خراسان، ومات أيضاً معه محمد بن الحسن الشيباني الفقيه وصلى عليها هارون، وقال: اليوم دفنا الفقه والعريبة.

مقيت، ومقته مقتاً فهو مقيت وممقوت. أمن يأمن أمناً: أي اطمأنت نفسه وزال الخوف عنها.

### الإعراب

إعلم أنّ ما يقع في كلام العرب على عشرة أوجه: خمسة في الأسماء وخمسة في الحروف، وإذا كان اسماً يستوي فيها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث: فالأول من الأسماء موصولة بمعنى الذي نحو قوله تعالى: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم<sup>(١)</sup>»، وقوله— عليه السلام— ما عليّ ممّا لي. والثاني منها نكرة نحو قوله تعالى: «إنّ الله نعماً يعظكم به»، أي نعم شيء هي، وقد اجيز أن يكون ما في قوله: إنّ الله تعالى لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما زائدة، ونظيره في كلامه— عليه السلام—.

الثالث منها للاستفهام وقد عرفت في المعاني أنّ الاستفهام يقع به على وجهين، وذلك مثل قوله— عليه السلام—: ما يدريك.

الرابع منها للمجازات نحو قوله تعالى: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها<sup>(٢)</sup>».

الخامس منها للتعجب نحو قوله تعالى: «فما أصبرهم على النار<sup>(٣)</sup>». وأما الحروف: فالأول منها: أن يكون مع ما بعده بمنزلة المصدر كأن التاصبة مع الفعل المستقبل الداخلة عليه نحو قوله تعالى: «وممّا رزقناهم ينفقون<sup>(٤)</sup>»، والدليل خلو الكلام من الضمير العائد لفظاً وتقديراً، وقوله— عليه السلام—: لما يعلم من جهل نفسه.

والثاني منها: أن يكون للتقي نحو قوله— عليه السلام—: والله ما أنكروا عليّ

(١) يونس: ١٨. (٢) فاطر: ٢. (٣) البقرة: ١٧٥. (٤) الأنفال: ٣.

منكراً، ونظائره أكثر من أن يحصى .

الثالث: الكافة وهي التي تكف أن وأخواتها عن العمل لفظاً، وتفيد الحصر معنى نحو قوله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء<sup>(١)</sup>، وقوله— عليه السلام—: إنما ينتظر بأولكم آخركم.

والرابع منها: المسلطة وهي التي تسلط اللفظ على العمل بعد أن لم يكن عاملاً، كما في إذما وحيثا، فإن إذ وحيث لا يعملان بمجردهما في الشرط، ويعملان عند دخول ما عليهما، نحو: إذما تفعل أفعال، وحيثا تخرج أخرج.

والخامس منها: الزائدة لتوكيد اللفظ، في قوله: إذ ما فعلت كذا، وقولهم: إتما تخرج أخرج، ومثله قوله تعالى: «فإتما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن<sup>(٢)</sup>».

### المعاني

ما يدريك مما عليّ متالي: إستفهام عن التسبة على سبيل الإنكار والتوبيخ.

حائك ابن حائك: قد حذف منه المسند إليه أما للاعتماد على القرائن المقالية والحالية، أو لأنّ الخبر لا يصلح إلا له حقيقة، فذكره خارج عن البلاغة، أو لتطهير اللسان عنه، والتسبة على أنه ينبغي أن لا يذكر باللسان، وقطع عما قبله ليؤذن بتعليل الاستفهام على سبيل الإنكار المستلزم لجهله وغباوته.

كذا في منافق ابن كافر: قد حذف منه المسند إليه أيضاً لما ذكرنا، وقطع ليؤذن بتعليل استحقاقه اللعن الكثير.

والحاصل أنه ذكر جلتين أولاً: إحداهما أستفهامية مؤذنة بالجهل، والأخرى اسمية دالة على استحقاقه اللعنة من الله تعالى ومن اللاعنين بأجمعهم، ثم راعى

على طريقة اللَّف والتَّشْرِ، وأتىَّ بمجملتين مستأنفتين دالتين على... (١) التعليل لما ذكر أولاً على الترتيب، وهذا من البلاغة فن لا يدرك... (٢)، ولا يشقَّ غباره. ثم أتىَّ بمجملته مصدرة بالقسم ولامه ليثبت مضمونها عند من كان ذهنه غير حازم به، وكذا الجملة المصدرة بأن واللام إنما أورد هاليرد بها المنكرين لما قالوا إليه، وردعهم عما اعتقدوا في حقه.

الفاء في فما فداك : فصيحة مفصحة عن أنّ عدم الفداء مسبب عن سبب محذوف تقديره رضيت بها، وما هزت أعطاف رجوليتك، ولا ثارت نار حمتك، فما فداك .

### البيان

حائك ابن حائك : إستعارة تخيلية مكنتى بها عن قلة تدبره بالعواقب، وبزارة عقله، ونقصان استعداده لوضع الأشياء في مواضعها، مستدعية لتسمية هذا الرجل بالحائك ابن حائك وهما محسوسان، ووجه الشبه: ألا يهتمّ بالأمر الكليّة التي ينتظر بها أمور معاشه ومعاده، بل لا يتفكر إلا في الأمور الجزئية المحسوسة، كما أنّ الحائك، لاشتغال فكره بأوضاع الخيوط المتفرقة المحسوسة، وترتيبها ونظامها على الوجه الذي يتهيأ منه التسج، لا يتدبر في عواقب الأمور الكليّة، بل هو غافل عنه بالكليّة وهو عقلي، ويحتمل أن يكون قد كتى بها عن كونه كاذباً، فإن من لوازم الحياكة الكذب.

إعلم أنّ نسبة الأسر إلى الكفر والإسلام مجازية عقلية، إذ العقل يشهد على أنّ الأسر هو أهل الكفر وأهل الاسلام من باب الحذف، كما في قوله تعالى: «(وسأل القرية)»: وهي كناية عن الضعف مع جبن وقد أثبت (١)، إذ كونه قد أسر مرتين من لوازمهما، وكذا نسبة الفداء إلى المال والحسب نسبة

مجازية عقلية، إذ الفعل يشهد على الفادي هو الأشعث دونهما، من باب إسناد الفعل إلى السبب الصوري أو المادي، وإنما خصهما بالذكر للتأكيد والمبالغة، وليكون كناية عن البخل وقلة عرضه وما يعدّ من المفارخ.

وفي قوله دلّ على قومه السيف: مجاز عقليّ، وقد روي أنّ رسول الله— صلى الله عليه وآله— رفع غزلاً إلى حائك من بني التجار لينسج له صوفاً، وكان— عليه السلام— يأتيه متقاضياً، ويقف على بابه ويقول ردّوا علينا غزلنا استجمل به في الناس، والحائك يكذب ويعدّه مواعيد عرقوبية، ولم يزل يماطله حتّى توفى رسول الله— صلى الله عليه وآله—، ومن كان مرتكباً للأخلاق الخسيسة، مباشراً هو وأبوه للأعمال الركيكة الدنية، لم يكن من شأنه الاعتراض على مثله— عليه السلام—.

اعلم أنّ الناس قد اختلفوا في هذا على أقوال:

الأول: أنّه كان هو وأبوه ينسجان برود اليمن، وإنما عيّر به بذلك لاستلزام تلك الحرفة الأخلاق الخسيسة ودناءة الهمة لاعتبار نفسها، لأنّه— عليه السلام— لا يعيّر أحداً بما هو جازف في الشرع، فمنها الكذب الذي هو رأس كلّ خطيئة، وكناية عن الظلم والغدر، وكذا في ساق إليهم الحتف، ويحتمل أن يكون استعارة تخيلية مكنياً بها عن ظلمه وعن كونه سبباً... والموت إليهم مستدعية لتشبيه الحتف وهو معقول بالماشية وهي محسوسة.

الثاني: قال بعض الشارحين: إنّ الأشعث كان من ملوك كندة واکابرها، وإنما عيّر بذلك لأنّه إذا مشى يحرك منكبیه، ويفجج بين رجليه كمشية المخانيث، ويعضد هذا القول قوله— عليه السلام—: فما فداك من واحدة منها مالك ولا حسبك، الدالّة على أنّ له مالاً وحسباً.

الثالث: قال بعض المحقّقين: حرفة خسيسة، والحائك والغزّال والقطن والمعلم ضعفاء العقول، لأنّ معاملتهم ومخالطتهم مع النساء اللواتي عقولهنّ ضعيفة،

والصبيان لا عقول لهم، ومن كان يختلط مع ضعفاء العقول كان قليل العقل  
ضعيفه، كما أنّ المخالط لرزين العقل يكتسب دراية العقل وقوته. ومما يؤيد هذا  
القول ما روي عن الثقات، عن الصادق - عليه السلام - أنه قال:

عقل أربعين معلماً عقل حائك، وعقل حائك عقل امرأة، والمرأة لا عقل  
لها. عن موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال: لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة،  
فإن الله تعالى قد سلبهم عقولهم، وهذا القول مناسب للاستعارة التي تلوتها عليك .

الرابع: أنه مأخوذ من حاك الشعر يعني أنه يكسب بالشعر الذي أحسنه  
أكذبه مالا، ومن كان فكره دائماً مشغولاً بترتيب الأكاذيب الموزونة، فلا يكون له  
منصب الاعتراض على من لم يعزم البتة على أن يقع في حمى الكذب، فضلاً عن  
الكذب، وما ذكرناه من الاستعارة<sup>(١)</sup> ... بالمقام وأليق بنظام الكلام، ثم دلّ على  
سبب استحقاقه اللعن بقوله: منافق أبين كافر الدالّة بالمطابقة على أنه مبطن للكفر  
معلن للإيمان حقناً لنفسه عن السيف والسنان.

ثم نبّه على قلّة عقله وغاية جبنه وعدم ... في المحاربة والقيام بين يدي  
الخصم دفعاً مكائده عن نفسه وماله بقوله: والله لقد أسرك إلى أخرى. روي أنه  
كان الأشعث في الجاهليّة في الأسر، ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ووفد على  
النبي - عليه السلام - في سبعين رجلاً من كندة فأسلم على يديه، ولما توفّى  
رسول الله - صلى الله عليه وآله - ارتدّ بخضر موت، ومنع أهلها من تسليم  
الصدقات وأبي البيعة لأبي بكر.

فبعث إليه زياد بن لبيد بعد ان كان عاملاً عليها ورجع عنها، ثم أمده  
بعكرمة بن أبي جهل في فئّة عظيمة من جند الإسلام، فقَاتلهم الأشعث بقبائل  
كندة قتالاً شديداً في وقائع كثيرة، وكان رئيسهم الأشعث، فالتحق بقومه إلى  
حصنهم، فحاصروهم زياد وبلغ العطش، فبعث الأشعث إلى زياد يطلب منه الأمان

لأهله ولبعض قومه، وكان من عقله أنه لم يطلب نفسه بالمتعين فلما نزل أمره وبعث مقتيداً إلى أبي بكر بالمدينة، فالتمس من أبي بكر أن يستبقه لحرمة ويزوجه أخته ام فروة، فبذل التماسه أبو بكر وفعل ذلك.

قد روي ما يدل على عدم اهتمامه بأمر الدين وقواعد الإسلام، وهو أنه بعد أن خرج من مجلس عقده بأم فروة، أصلت سيفه ودخل ونحر كل بعير رآه، وذبح كل غنم استقبله، ودخل داراً من دور الأنصار فصاح به الناس من كل جانب، وقالوا: قد ارتد الأشعث مرة ثالثة.

فأشرف عليهم من السطح، وقال يا أهل المدينة إني غريب ببلدكم أولت بما نخرت وذبحت... كل إنسان ما وجدته، وليعد إلي من كان له حق علي حتى أرضيه، وفعل ذلك، فلم يبق دار من دور المدينة إلا وقد أوقد فيها بسبب تلك اللحوم، فضرب بالمدينة المثل وقالوا: أولم من الأشعث، وفيه قال الشاعر:

لقد أولم الكندي يوم ملاكه	وليمة حمال لنقل العظام
لقد سل سيفاً كان مذكراً مغمداً	لذي الحرب منه في الظل والجماجم
فاغمده في كل بكر وسايح	وعيروثور في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكندي يوم لقائه	ذهبت بأسنى ذكر أولاد دارم

هذا الأشعث هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، ثم دل على بخله وشدة اهتمامه بالمال الدنيوي وقلة الحسب بقوله: فما فداك أي ما حفظك من الوقوع في واحدة من المرتين مالك وحسبك، أي قبل الأسر، أما بعد الأسر فقد عرفت أنه فدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ثم دل بقوله: وإن امرأ إلى الأبعد على شدة ظلمه بقومه وغدره إياهم.

فما ندري أي الأمرين أرشد، فوجد الأشعث بذلك شبهة في تركه— عليه السلام— وجه المصلحة وأتباع الآراء الباطلة، وأراد إفحامه فقال هذه عليك لا لك، وجهل وتجاهل أن وجه المصلحة قد يترك محافظة على بيضة الدين،



فقال— عليه السلام—: هذا جزاؤكم حيث تركتم الجزم، فظنّ الأشعث أنّه قال هذا جزائي، فقال الكلمة.

فنظر— عليه السلام— إليه نظر مغضب، ثمّ أنكر عليه إنكاراً على سبيل التوبيخ، ونسبه إلى الجهل وقال ما يدريك ما عليّ ممّا لي: أي من أين علمت التمييز بين ما يعود نفعه إليّ وبين ما يرجع ضرره إليّ، وممّن علمت ومن أعلمك بهذا التمييز، ومفهومه أنّك جاهل بحالي، ولا يليق بالجاهل أن يعترض على من هو أعلى منزلة منه، بل لا يجوز له، ومن اعترض على إمام وقته جاهلاً بما يعترض به جهل مركّب.

فلا يكون إلّا بسبب كفر تمكّن في سويداء قلبه، وشبهة ترشّحت في باطنه، ومن كان حاله كذا فهو مستحقّ للعن والإبعاد من رحمة الله تعالى في الدنيا، والعقوبة في العقبى على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «وأولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، ثمّ دلّ على جهله ونقصان عقله حائك ابن حائك.

وجه الشبه: اشتراكها في الانقياد وقبول الإكراه من المكّر، وفي عرف التار استعارة تخييلية مكتى بها عن كونه علماً واضحاً للغدر المستلزم للعباد إلى التار، مستدعية لتشبيهه بالأعلام المنصوبة في المواضع العالية، يستدلّ بها الخابطون على الطرق.

وجه الشبه: اشتراكها في الظهور والاستلزام، يعني: كما أنّ الأعلام من استدلّ بها تهديه إلى الطريق القويم، كذا هذا الرّجل من انقاد لأمره وآتبعه قاده إلى التار.

ويحتمل أن يكون استعارة تخييلية مكتياً بها عن تغريز قومه بالأكاذيب المموهة، واخفائه العواقب من نار الحرب أو الآخرة عنهم مستدعية لتشبيهه بعرف الضّبع، ووجه الشبه: أنه بمكره وكثرة مكائده وحييله قد ستر عنهم ما وراه ممّا ذكرنا، كما أنّ العرف لكثرتة وتزاحمه يستر ما وراه.

### البديع

ما يدريك إلى كافر: اللّف والتشر على ما عرفت، وبين السيف والحتف:  
السجع المتوازي والترصيع، وبين الأقرب والأبعد: المطابقة والمتوازن.

### الفحوى

إعلم أنه — عليه السلام — خطب بالكوفة وذكر أمر الحكيم وانباء القوم  
عما اقتضت الأوقات من المصالح المخلفة بحسبها، فقام إليه رجل من أصحابه وقال:  
نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا.

قد روي: أنه لما طلب الأمان من زياد بن لبيد، طلبه ليفتر بنفر من  
أشراف قومه، فظنّ الباقر أنه أخذ الأمان لجميعهم، فنزلوا من الحصن ساكنين  
بناء على ظنهم، فلما خرج الأشعث مع من طلب الأمان له دخل زياد الحصن  
فقتل مقاتلة صبراً فذكروه الأمان، فقال: إن الأشعث لم يطلب الأمان إلا لعشرة  
من قومه فوفاه كتاب أبي بكر بالكفت عنهم وحملهم إليه، فحملهم إليه.

هذا هو المراد بقوله دلّ على قومه السيف وساق إليهم الحتف: حيث  
ساقهم إلى الحرب وقاد الحرب إليهم وسلّمهم إلى القتل، ومن يدك السيف على  
قومه فحريّ جدير أن يبغضه أقرابه، ولا يأمن من مكائده أجنبيّه، وقد أورد أكثر  
الشارحين أنّ ما حكاه السيّد رضي الله عنه — من حكاية الأشعث مع خالد بن  
الوليد باليمامة غير موجود في وقائع خالد باليمامة، ولكن جناب السيّد أن يقع في  
جمعه الافتراء، فضلاً عن الافتراء، وعدم الوجدان لا يدلّ على العدم.

فتمتخص ممّا ذكرنا: أنه — عليه السلام — نسبه إلى جمع الرذائل من الجهل  
والغبوة الدالّ عليها ما يدريك، وحائك ابن حائك، والجور المستفاد من قوله  
منافق ابن كافر، والإنظلام والقتل الدالّ عليها والله لقد أسرك، والبخل واللّوم  
الدالّ عليها فما فداك من واحدة منها مالك ولا حسبك، كدلالته على قلّة العقل

والظلم والغدر الدالّ عليها وإنّ أمراً إلى آخره، ومن كان مستجمعاً للزّذائل لا يستحقّ أن يعترض على من استجمع الفضائل النفسانية.

\* \* \*

### ١٩- وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّكُمْ لَوْ<sup>(١)</sup> عَايَنْتُمْ مَا قَدَّ عَايَنَ مِنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ  
وَوَهَلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلَكِنْ مَخْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدَّ عَايَنُوا<sup>(٢)</sup>،  
وَقَرِيبٌ مَا يُظَرِّحُ الْحِجَابُ، وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأَسْمِعْتُمْ إِنْ  
سَمِعْتُمْ، وَهَدَيْتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ، بِحَقِّ<sup>(٣)</sup> أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ  
الْعَبْرُ وَزَجَرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا  
الْبَشَرُ.

### اللغة

الجزع: ضدّ الصبر، وقد جزع من الشيء بالكسر في الماضي والفتح في  
الغابر، وأجزعه غيره.

الوهل: بفتح الهاء الفرع مع الدهشة، يقال وهل يوهل وهلاً، ووهلت إليه  
أي دهشت برؤيته، ولقيته في أول وهلة أي قبل كلّ شيء، والوهلة ههنا إشارة  
إلى الدهشة التي ينبغي أن تعلم.

إنّ السمع: تارة يعبر به عن الأذن نحو قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم  
وعلى سمعهم»<sup>(٤)</sup>، وتارة عن فعله أي عن السماع، نحو قوله: «إنهم عن السمع

(١) في ح ول وش: لوقعايتهم.

(٢) في ح: ويحق أقول.

(٣) في ح: البقرة: ٧.

(٤) في ش: ما عاينوا.

لمعزولون<sup>(١)</sup>»، وتارة عن الفهم يقول اسمع ما أقول لك، ولم تسمع ما قلت يعني ولم تفهم، وقوله تعالى، «سمعنا وعصينا» أي فهمنا ولم نأتمر لك، وهنا المراد الفهم.

يقال: أمره فأطاع له: أي انقاد، ومثله طاع له يطوع طوعاً، والطاعة أيضاً مثل الطوع ولكن أكثر ما يقال في الائتمار لارتسام فيما رومس<sup>(٢)</sup>.

يقال حجه يحجبه حجياً: أي منعه عن الوصول، فالمحجوب الممنوع عنه، والمحجاب الستر. يقال طرحت الشيء وبالشئ إذا رميته، فالطرح: هو إلقاء الشيء وإبعاده، وأطرحة أي أبعدته، والطرح بالتحريك: المكان البعيد.

يقال أبصر يبصر تبصيراً: أي عرف وأوضح، وأبصرت الشيء أي رأيت، والبصر لفظ مشترك بين حاسة الرؤية كما في قوله تعالى: «كلمح بالبصر<sup>(٣)</sup>»، وبين العلم كما في قوله تعالى: «ما زاغ البصر وما طغى<sup>(٤)</sup>»، ويقال أيضاً لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر، نحو قوله: «فبصرك اليوم حديد<sup>(٥)</sup>»، ومن الثاني يقال بصرت به أي علمته، قال تعالى: بصرت بما لم يبصروا به، والبصير العالم.

الهداية: دلالة بلطف، يقال: هدى فاهتدى أي دل على الطريق فأخذ الدلالة وطفق في سلوكها، والإهتداء أيضاً يقال لما تحراه الإنسان على طريق الاختيار، أما في الأمور الدنيوية كما في قوله تعالى: «وهو الذي جعل لكم التجوم لتهدوا بها<sup>(٦)</sup>»، وفي الأمور الأخروية كما في قوله تعالى: «وإنا إن شاء الله لمهتدون<sup>(٧)</sup>»، ويقال أيضاً لطلب الهداية ولتحريها.

الجهر: يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر، نحو قوله تعالى: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة<sup>(٨)</sup>»، أو حاسة السمع، نحو قوله تعالى: «وإن تجهر

(١) الشعراء: ٢١٢. (٥) ق: ٢٢.

(٢) كذا. (٦) الانعام: ٩٧.

(٣) القمر: ٥٠. (٧) البقرة: ٧٠.

(٤) النجم: ١٧. (٨) البقرة: ٥٥.

بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى<sup>(١)</sup>»، والمجاهرة في الحرب المبارة بها. العبر: جمع عبرة، والعبرة والاعتبار اسمان للحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد الظاهر إلى معرفة غير المشاهد الباطن، وقد عرفت تمام التحقيق في أول الكتاب.

الزجر: المنع والتهبي، يقال زجره وازدجره فانزجروا وازدجروا، يقال أيضاً زجرت الإبل فانزجرت أي؛ كلفتها السير السريع فأسرعت، والزجر الفال لتسارعه إلى الوهم، والمعنيان محتملان هنا، ولكن الثاني أدق. البشرة: ظاهر الجلد، والأدمة باطنه، كذا قال عامة الأدباء، وقال أبو يزيد بعكس ذلك، وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً لطهارة جلده من الشعر، بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر.

### الإعراب

ما في ما قد عاينوا وما قد عاين: موصولة، وما قد عاينوا في محلّ الرفع على أنّه مفعول محجوب، وما في قريب: ما مصدرية، وهي مع ما بعدها في موضع الرفع بالابتداء، وقريب خبره قدم عليه، تقديره: طرح الحجاب عنكم قريب، والباقي واضح.

### المعاني

إنّما قال محجوب عنكم ولم يقل حجب، ليؤذن باستقرار هذا الحجاب وثباته، وإنّما أتى بالصلة مع الموصول، ليؤذن بتفخيم أمر ما عاينوه وتعظيم شأنه، وفي قريب ما يطرح الحجاب: قدم المسند للاهتمام بشأنه ولأنّه المقصود بالذكر، وليؤذن بالقصر للإفراد والقلب، على تقدير تنزيل المخاطبين منزلة المعتقدين بخلافه، ان كان الخطاب مع المؤمنين الذين اعتقدوه ولكن لم يعملوا بمقتضاه، أو تصوّروا

غيره مشاركاً له في القرب، وإلا فهو جارٍ على أصله ونكره، إما لأن المقصود ليس  
إلا مجرد إسناد المسند إليه إلى المسند، أو للدلالة على تعظيم القرب وتحويله.

وجعل المسند إليه فعلاً مع ما المصدرية ليكون في تقدير المصدر، ليؤذن  
بتجدد الطرح، وإنه ليس بأمر ثابت، بل هو مما يطرح لحظة فلحظة، غير أن ليس  
للمطروح منه شعورية، فإن كل ساعة انقضت من عمره فقد طرح شيئاً من  
الحجاب، وهذه خواص لا يدرك قعرها إلا المتدرب بعلم المعاني والدّوق السليم  
والطبع المستقيم.

في لقد بصرتم إن أبصرتم: إن قلنا أن الشرط جزاؤه محذوف تقديره إن  
أبصرتم فقد انتفعتم به في الدنيا والعقبى وهو الأظهر، قد جعل الفعل الماضي شرطاً  
إما للإظهار في رغبة الوقوع، وإما لإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل، وقدم  
الجملة القسمية عليها، ليؤذن بأن الكلام سيق لرد المتردد إلى الصواب.

وإن قلنا إن جزاءه الجملة القسمية قدم على الشرط للاهتمام بشأنه، وأن  
مضمونها بالحقيقة واقع، ولكن لما كان المقصود من التبصر الإبصار، والإبصار غير  
حاصل، كان التبصير غير حاصل، وهو دقيق فاعتبر مثل ما قلنا في الجملتين  
الأخرين وفي ما يبلغ إلى البشر: القصر للقلب إن كان الخطاب مع المنكرين،  
لكون المبلغ هو البشر، أو مع المعترفين به والتنازلين منزلهم، حيث لم يعملوا بما هو  
طريقة المعترفين، وإن كان مع المعترفين العاملين ولكن اعتقدوا المشاركة بالقصر،  
قصر أفراد هذا وهو القدر الضروري بهذا العلم، فيه أضعاف ما ذكرنا.

## البيان

ظاهر وكذا البديع.

## الفحوى

إعلم أن كشف الغطاء عن تحقيق هذه الكلمات البسيطة المحتوية على

المعاني الكثيرة الجمة مسبوق بتقديم مقدمة. أعلم أنّ النفس الإنسانية الهابطة من مشاهدة أنوار كبريائه تعالى، ما دامت متعلقة بهذا البدن المحسوس، مشغولة بالتصرف فيه وتدير ما ينتظم به أحوال معاشه، فإنها محجوبة عن مطالعة أنوار عالم الغيب والملكوت بظلمة الهيئات البدنية والمعارضات الوهمية والخيالية، والتصرفات المحسوسة الجزئية العائد نفعها إلى البدن وتوابعه، ولكن ذلك الحجاب يتفاوت تفاوتاً عظيماً في الضعف والقوة والزيادة والتقصان.

التاس فيه على منازل متباينة ومراتب متفاضلة، فأشدهم حجباً وأكثرهم حجباً الكفار، كما أشار التنزيل الإلهي إلى كثافة حجابهم وقال: «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون»<sup>(١)</sup>، وأشار بالسّد الأول إلى الصفات السبعية الباغثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمفاخرة وسائر الرذائل التابعة للقوة العصبية، وبالسد الثاني إلى اقتناء الشهوات البدنية، والانهمك في اللذات الوهمية الفانية المنبعثة من القوة الشهوية في التأخير، وهي متأخره عنها.

وكذا إذا هاج الغضب خمدت نار الشهوة، وأشار بأغشيناهم إلى الاعتقادات الفاسدة والخيالات الباطلة، الناشئة من غلبة قوتي العصبية والشهوية على القوة الملكية الداعية إلى الخير والصلاح، ولما كان من شأن السّد منع من وراءه عن الاطلاع على ما في الطرف الآخر، بحيث لا يمكن الارتقاء إلا بتعب شديد وزمان كثير، كأنّ الكفار منعت أبصار بصائرهم عن مشاهدة أنوار الحق، كما أنّ الحجب المحسوسة تمنع الأبصار الظاهرة عن نور الشمس.

وإلى هذا أشار تعالى بقوله: وهم لا يبصرون، وبقوله: وعلى أبصارهم غشاوة، وبقوله: صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون<sup>(٢)</sup>، وهذا المقام لا يسع أكثر من هذا، وأرقهم حجباً وأحقهم حجباً الأنبياء والأولياء، الذين أفنوا طاقتهم في

تصفية بواطنهم بتسخير ما سواه تعالى أولاً عن ألواح نفوسهم، ثم بالتثبث بالأوامر الإلهية والاجتناب عن نواهيها، وصقلوا مرأى قلوبهم بإلقاء حجب الغفلة والركون إلى اقتناء الشهوات البدنية، وقهر القوتين الباعثتين عليها، واستشرقوا من شمس المعارف الإلهية، فأشرق من آفاق قلوبهم فاطلعوا على سرادقات العزة.

وإلى هذا المقام أشار أمير المؤمنين — عليه السلام — بقوله: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، ولكن مع غاية جهدهم أنهم ما داموا في هذه الأبدان فهم في اغطية من هباتها وان ضعفت، واغشية من أستارها وان دقت، وبين هاتين المرتبتين مراتب أخرى لا تزال تتفاوت شدة وضعفاً وزيادة ونقصاناً، إلى ان يتصل بأحد الطرفين، وبحسب تفاوتهم في الحجب، وقع التفاوت بين منازلهم في إدراك الحق، وبالوقوف على أسرار الدين، وحصل التباين بين ورودهم في التار الذي لا بد لكل منهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى:

«وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً»<sup>(١)</sup>، ولن يصل الإنسان إلى مشاهدة اليقين إلا بعد مفارقة النفس من هذا البدن المحسوس، وحينئذ يوم تبلى السرائر «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً»<sup>(٢)</sup>، وأما قبل المفارقة فلا يحصل الإدراك ومشاهدة الأمور كما هي، لأن البدن يمنعها وإن حصلت على اعتقاد جازم برهاني أو نوع من المكاشفة، كما في حق الأولياء الذين رباهم الله في حجر الولاية، وأرضعهم رضاع المحبة، وهتك الحجب النورانية عليهم.

غير أن تلك المشاهدة مشوبة بشائبة من معارضة الوهم والخيال، ولذلك لم يزل رسول الله — صلى الله عليه وآله — يكثر في دعائه: اللهم أرنا الأشياء كما هي، وأشار إلى عدم مفارقة الوهم بحال ما: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وبقوله: أعدى عدوك نفسك آتي بين جنبيك، وقال في دعائه: اللهم أهمني



رشدي، وأعدني من شر نفسي، ولا تكلمي إلى نفسي طرفة عين فأهلك .  
 وإذا عرفت هذه فاعلم أنه — عليه السلام — أيقظ الغافلين من رقدة الغفلة  
 وما كانوا مهالكين عليه، وينبئهم على أن وراءهم أحوال الآخرة وعذابها لو  
 عرفتموها لما حصلت منكم الغفلة أصلاً، فضلاً عن الركون إلى الدنيا، بشرطية  
 متصلة مصدرية بأن للتحقيق والتوكيد مشار إليه بقوله:

فإنكم لو عاينتم إلى أطعمتم: يعني أنكم لو شاهدتم بعين اليقين ما شاهد  
 من سبق منهم إلى الآخرة، ورفع حجاب البدل من أمام بصائرهم من الأهوال  
 والتكال، لجزعتم على ما فرطتم في جنب الله وفرعتم ودهشتم مما شاهدتموه  
 تمسكتم بالأوامر الواردة على السنة الأنبياء وأطعمتم لداعي الله تعالى.

وقدم الجزع لأنه السبب للفرع، لأن من لم يفرط أصلاً لم يخش من  
 التكال، ثم الفرع لأنه السبب الداعي إلى فهم الأوامر الإلهية وسماعها، ثم  
 السماع لأنه هو السبب في الطاعة، والقرينة الحالية مشعرة بأن الواو هنا للترتيب،  
 ومما يشهد على صحة هذه الملازمة قوله تعالى: «ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل  
 صالحاً إنا موقنون<sup>(١)</sup>»، فيجيبهم لسان الغزة: «أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر  
 وجاءكم التذير فذوقوا فما للظالمين من نصير<sup>(٢)</sup>».

ثم نبه على نقيض اللازم بوجود ما يستلزمه، وهو الحجب الحائلة بين  
 بصائرهم وبين تلك الأهوال، إذ لولاها لشاهدوها، ولو شاهدوها لجزعوا وفرعوا  
 وسمعوا وأطاعوا، وكأنه اعتذار عن لسان حالهم، ثم أشار إلى تزييف هذا الاعتذار  
 مهدداً لهم وموبخاً إياهم تشبيطهم في العمل معولين على هذا الاعتذار بقوله:

وقريب ما يطرح الحجاب: أي إن الموت الذي هو رافع لحجب الأبدان،  
 وكاشف عن أهوال القيامة وأحوال الطامة ليس ببعيد عنكم، بل مما يتوقع لحظة  
 فلحظة وقوعه، وما هو متيقن الوقوع كالواقف، فلا ينبغي لكم أن تعبروا بهذه الدنيا

وما هو لذات أبدانكم، وتجعلوا عمدة تقصيركم في طاعة الله سبحانه الخيال المجرد، وإلى هذا أشار القرآن الكريم وقال: «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»<sup>(١)</sup>.

ثم أردف هذا الكلام بما يمكن أن يكون تزييفاً ثانياً لهذا العذر، وقال ولقد بصرتكم: يعني وإن كانت الأبدان صاحبة<sup>(٢)</sup> من مشاهدة ما يوجب الفزع والجزع والسماع والإطاعة، ولكن لقد عرفتم به بإرسال الأنبياء المتواترة المخبرين عنها، ولكن إننا ينفعكم لأنكم ما فتحتم بصائركم إليها، واسمعتم إياه في الكتب الإلهية والأخبار النبوية.

ولكن إننا لم نجدكم لأنكم ما أصغيتم إليه، ولا عملتم بمقتضاه، وهديتم عليه بالدلائل الواضحة والبراهين اللائحة، بحيث ارتفع اللبس بالكلية، وصار كالمشاهد عياناً، ولكن لم يندكم فائدة، لأنكم ما اهتديتم به، وهذا توبيخ لهم عما كانوا عليه وما بدان بال<sup>(٣)</sup> «السمع والبصر والعقل إننا تنفع صاحبها إذا سمع كلام الله، وعمل بمقتضاه، ونظر إلى العبر والأمثال، واعتبر بأمور الآخرة، واقتنى العقل آثار حكمه تعالى، وتنبه لهم على الفرار إلى الله بطريق الاعتبار.

وإنما خصّ السمع والبصر بالذكر لأن الاعتبار لا يمكن إلاّ بها أو بأحدهما، ثم لما كان ما بصروا به وأسمعوا به أمرين ربّما ينكرونها، أردف بكلام يشعر ببائتها وهو قوله: بحق أقول لكم لقد جاهرتكم العبر: أي أقول لكم بحق لا بباطل؛ والله لقد برزلكم واستقبلكم من الباطن إلى الظاهر ما يوجبكم إلى التفوذ من الظاهر إلى الباطن، وكشف لكم ما يعرفكم بأمر الآخرة من المصائب التازلة بهم وبمن سلف، ونهيم بالتواهي المنهية إليهم الوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة.

ويحتمل أن يكون معناه سلك بكم بأمر يكون الوصول إلى معناه الباطل

في أسرع مدة، وأشار القرآن الكريم إلى هذا وقال: «ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني التذر<sup>(١)</sup>»، ثم دلّ على أنّ الإنصاح والإرشاد إلى التهج القويم والصراط المستقيم لا يمكن فوق ما جاءت به الكتب السماوية، ونطقت به ألسنة الرّسل بقوله وما يبلغ إلى البشر: أي لا يمكن أن يبلغ إليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي الملائكة المؤدّون أوامر الحقّ إلى الأنبياء إلا الرّسل الذين قد شاركوكم في الصورة البشرية.

ولا يمكن الإيضاح أزيد من هذا، وقد تواتر إليكم الأنبياء وليعرفوكم» بما هو بعد للعصاة فلا تركنوا إلى الذين ظلموا وتطيعوهم وتنقادوا لأوامرهم، والتفتوا إلى الله تعالى فإنّ ما بلغ إليكم كافٍ في الالتفات إلى الله تعالى، والله الهادي إلى التوفيق.

\* \* \*

## ٢٠- وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ؛ تَخَفُّوْا تَلَحُّوْا فَإِنَّمَا تَنْتَظِرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرَكُمْ.

قال الشريف: أقول: إنّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد<sup>(٢)</sup> كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، بكلّ كلام لمال به راجحاً<sup>(٣)</sup>، وبرز عليه سابقاً. فأما قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» فاسمع كلام أقلّ منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطقها من حكمة، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها.

(٣) في ش: رجحاناً.

(١) القمر: ٥-٦.

(٢) في ش: وكلام رسوله.

## اللغة

الغاية من كل شيء: نهايته.

الأمام: بفتح الألف المقصد، من أم يؤم إذا قصد، يقال وراء أجد كذا أي خلفه هو مأخوذ من وارت كذا أي سترته، وخلف الشيء جهة لازمة له متوارية عنه.

قال المفسرون معنى قوله تعالى: «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً»، أي كان قدامهم وتلك الجهة متوارية عنهم، وقيل وراءهم الساعة: جزء من أجزاء الزمان وهو الحال، وقد يعبر به عن القيامة. قال تعالى: «اقتربت الساعة<sup>(١)</sup>»، قال: وعنده علم الساعة، سميت بها لسرعة حسابه، وقيل الساعات التي هي القيامة ثلاثة: الساعة الكبرى وهي بعث الناس للمحاسبة، وهي التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله بقوله: لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وحتى يعبد الدرهم والدينار.

والساعة: وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما روي أنه رأى عبدالله بن أنيس، فقال: إن يطل عمر هذا الغلام لم يميت حتى تقوم الساعة، فقيل إنه آخر من مات من الصحابة. والساعة الصغرى: وهي موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته، وهي المشار إليها بقوله: حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة. الحدو: سوق الإبل والغناء لها، يقال حدوت الإبل حدواً وحداءً، ويقال للشمال حدواء لأنها تحدو السحاب أي تساقه.

لحقه ولحق به لحاقاً: بالفتح أي أدركه وألحقه به غيره وألحقه بمعنى، ولحق لحوقاً أي ضم. الأول: هو الذي يترتب عليه غيره ويستعمل على أربعة أوجه:  
الأول: المقدم بالزمان، كقولك: علي عليه السلام أول ثم جعفر عليه السلام.

الثاني: التقدم بالرتبة، كقولك: الملك أول ثم الوزير.

الثالث: التقديم بالمكان، كقولك للخارج من فارس إلى تبريز: اصفاهان

أول ثم قاشان، وللخارج من تبريز إلى فارس: قاشان أول ثم اصفاهان.

الرابع: التقدم بالصناعة، كقولك: الأساس أول ثم البناء، وهنا قسم آخر

يقال له التقدم بالذات، كقولك: حركة الإصبع أول ثم حركة الخاتم، ويقال للأول

في الاقسام آخر، وهنا أراد التقدم والتأخر الزمانيين، يقال: برز الرجل أي فاق

على أصحابه، وبرزت الشيء تبريزاً أي أظهرته وبيّنته. غور كل شيء: قعره،

يقال فلان بعيد الغور، والغور المطمئن من الأرض.

انقع بالقاف: من نقع الماء العطش نقعاً ونقوعاً؛ أي سكنه، في المثل:

الرشف أنقع أي أن الشراب الذي يترشّف قليلاً قليلاً أقطع للعطش وانجح وان

كان فيه بطء. النطفة: لفظ مشترك بين معنيين أحدهما: الماء الصافي قلّ أو كثر

والجمع النطاف، والثاني: ماء الرجل، والجمع نطف وقوله: أنقع قرينة معينة لأنّ

المراد الأول.

## الإعراب

محدوكم: يحتمل أن يكون صلة لموصول قد حذف تعويلاً على القرائن

الحالية المعينة تقديره الساعة التي محدوكم، وأن يكون خبر مبتدأ قد حذف، لان

الظاهر يشعر به وهو أنسب بالمقام، ويلحقوا مجزوم على أنه جواب الأمر.

## المعاني

إنما صدرت الجملتين بياناً لتحقق مضمونها في أذهان المخاطبين الباقين في

التردد المقصرين بالعمل بما هو مقتضاهما، ثم قطع تحدوكم ليؤذن بالتحليل وحذف

المسند إليه إما لأن الخبر لا يصلح إلّا له حقيقة أو ادعاء، أو للتعليل على شهادة

العقل، وإنما ينتظر القصر للقلب على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين المعتقدين خلافه، واشتمال الكلمات الأربع على الإيجاز الذي هو فن عظيم القدر من البلاغة اظهر من البيان.

### البيان

في إن وراء كم الساعة: استعارة تخيلية مكتى بها عن أنهم يفرون من الموت ويسبقون عليه، والموت يتأخر عنهم يطلبهم تأخر المهروب منه من الهارب، مستدعية لتشبيه تأخر الموت عن وجود الإنسان ولحوقه إليه لحوقاً طبيعياً عقلياً بتأخر المهروب منه اللاحق بالهارب لحوقاً حسياً، ووجه الشبه: اشتراكهما في التأخر، وتخييل أن التأخر العقلي من أفراد التأخر الحسي، وإنما ذهبنا الى هذا التشبيه لأن لفظه وراء موضوعة للجهة المحسوسة.

وفي يحدوكم: استعارة تخيلية مكتى بها عن أن الموت يقودهم إلى الآخرة التي هي المقصد الاصلي لكل قسمة على غفلة منهم، مستدعية لتشبيه أحدهما: تشبيه الموت وهو معقول بالحدادي للإبل وهو محسوس، ووجه الشبه: أن الموت ذكره حامل للنفوس الإنسانية على قطع عقبات طريق الآخرة ومزعج لها كما أن الحدادي<sup>(١)</sup> ... يحمل الإبل على قطع الطريق البعيدة الوعرة وهو عقلي. الثاني: تشبيه الناس المخاطبين بالإبل وهما محسوسان.

ووجه الشبه: اشتراكهما في حصول الغفلة عما يتعلق بصلاح حالهما، من رعاية البدن عن التعب الكثير، وحدّهما في السير لاشتغالهما بأهوال الموت والحداء السائقين، ويحتمل أن نقول إن الساعة عبارة عن الزمان، وحينئذ يكون استعارة تخيلية مكتى بها عن سرعة لحوقهم إلى الموت الذي هو غاية كلّ سالك في طريق الآخرة، مع غفلة منهم مستدعية لتشبيه الزمان بالحدادي.

(١) كذا بياض في الأصل.

ووجه الشبه: أنّ الزمان يسيرهم ويمتتهم التسوية، ويذهلهم عن أحوال أنفسهم، كما أنّ الحادي يسيرها ويشغلها عن مراعاة نفسها بعناية، وهو عقلي، وهو جيد.

في تحفّوا: استعارة تخيلية مكنتى بها عن الأمر بالزهد الحقيقي، الذي هو تنحية كل ما سوى الحق عن درجة الاعتبار، مستدعية لتشبيه هيئة الأعراض الحاملين للأوزار المانعة من الصعود الى درجات الأبرار، الملتفتين إلى طبيبات الدنيا التي هي كالأحمال الثقيلة على القلب المتوجه الى المقصد الاصيلي عن لذاتها بالكلية، وحذف كلّ شاغل عن درجة الاعتبار وهي معقولة، بهيئة تخفيف الحامل للأشياء الثقيلة المانعة إياه السير في الطريق النافذة إلى مقصده الاصيلي وهي محسوسة.

وجه الشبه: أنّ الهيئة الأولى معينة على قطع عقبات الآخرة على أسرع زمان وأقرب دوران، كما أنّ التخفيف معين له على قطع الطريق وهو عقلي، وستعرف تمام الكلام فيه في الفحوى. في فإنما ينتظر بأولكم آخركم: استعارة تخيلية مكنتى بها عن أنّ الذين درجوا أولاً ينتظرون وصول الباقيين بموتهم إليهم، ليجمعهم البعث الأكبر في مجمع واحد، مستدعية لتشبيه طلب الحكمة الإلهية وصول جميع الخلق إلى غايتهم وهو معقول، بانتظار قوم أرادوا وصول أو آخرهم إلى أوائلهم، ووجه الشبه: اشتراكهما في الإرادة والطلب.

### البديع

راعى في أمامكم وراءكم: المطابقة، وكذا في أولكم وآخركم.

### الفحوى

اعلم أنّه عليه السلام أدرج معاني جمّة ومواعظ حسنة وحكماء بالغة في

كلمات أربع يسيرة وجيزة، وهي في الحقيقة لطف العبارات وأبلغ الإشارات. الأولى: قوله: فإنَّ الغاية أمامكم، اعلم أن الغاية من خلق الإنسان هي أن يعبد الله تعالى ويعرفه، ويرتقي من مدارج الحيوانية إلى معارج الإنسانية، ويحصل الحياة الأبدية والسلامة الباقية، ويعدّ نفسه لأن ينخرط في سلك السابقين المقربين الذين لا يكون أنسهم إلا بذكر الله تعالى، ولما كانت الغاية من كلّ ذي غاية متأخرة عنه وكان ذو الغاية متوجهاً إليها، كانت الغاية قدام الشيء، فتكون الغاية من خلق الإنسان أمامه.

فمن أقبل إلى الطريق المسلوك إليها، وشتمّ الذليل مجدداً في سلوكها، فقد قاربها وحصلت له درجات الأبرار، ومن أعرض عن السير فيها أو تواني، أو سلك سبيلاً غير مسلوك إليها، فقد خسر خسراً مبيئاً واتصل بدار البوار، وإلى تلك الغاية أشار بقوله تعالى: وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون<sup>(١)</sup>، ودلّ بهذه أنّ كلّ من لم يتوجه إليها لم يكن له خلاق من الانسانية ولا شرف.

وذلك لأن كل ما أوجد لفعل وغاية فتمّ لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم. ولذلك يسلب كثيراً ما عن الشيء اسمه إذا وجد فعله ناقصاً، كقولهم للفرس الردي ليس بفرس، وللإنسان الرذل ليس بإنسان، ويقال أيضاً فلان لا عين له ولا سمع إذا بطل فعل عينه وأذنه وإن كان شحمها باقياً، ولهذا نفي السمع والبصر والنطق عن الكفار حيث لم يعملوها في مواضعها.

وقال: صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون<sup>(٢)</sup>، فالإنسان تحصل له الإنسانية، بقدر ما يحصل له القرب من الغاية، فمن قام بالعبادة حق العبادة فقد استكمل الانسانية، ومن رفضها فقد انسلخ منها فصار حيواناً دون الحيوان، كما قال في حق الكفار: إن هم إلا كالأنعام بل هم اضلّ سبيلاً<sup>(٣)</sup>، وقال: إن شرّ الدوابّ— الآية،

(٣) الفرقان: ٤٤.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) البقرة: ١٨.



وأخرج كلامهم من جملة البيان فقال: وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدياً<sup>(١)</sup>. والكلام في هذا المقام طويل فليقتصر على ما أوردناه، فانه كاف لمن تيسر له، ولا ينتفع بالأكثر منه من يعسر عليه.

الثانية: قوله: وإن وراءكم الساعة، أي وإن الموت الذي كتب عليكم واتم تفرون منه فرار الشاة من الذئب يكون متأخراً عنكم تأخراً عقلياً متوارياً عنكم يوم وروده، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا إلا بالتهيئة لأسباب القرب منه، ولا تضيعوا أعماركم في طلب اللذات الفانية التي لا تبقى لكم بعد وصول الموت.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عمر: إذا أصبحت فلا تصبحك ولا تمشك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدد نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، فانك يا عبدالله لا تدري ما اسمك غداً.

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه ونعم ما قال: ثلاث أعجبتني حتى أضحكنتي: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك لا يدري أساخط عليه رب العالمين أم راض عنه. وتحذوكم<sup>(٢)</sup> قد عرفته.

الثالثة: قوله: تحففوا تلحقوا، أي اقطعوا العلائق الدنيوية، وحقفوا ظهور قلوبكم عن أثقال الأوزار المانعة من السير في سبيل الله، واهدموا الشواغل عن قبالة أعينكم، ووجهوا وجوه قلوبكم نقية من أدناس التعلقات الخارجية إلى القبلة الحقيقية التي امروا بالتوجه إليها، لتلحقوا بدرجات الأبرار السابقين، الواصلين إلى ساحل عزته، النابذين كلّ ماله في الوجود العارضي وراء ظهورهم، غير ناظرين إلا إلى وجوده الباقي السرمدي الذي هو ينبوع كل وجود.

فإن سبب وصولهم ليس إلا التخفيف، وذلك لأن الفيض الإلهي لا يحل فيه، وإنما المانع من بدو أثره عدم استعداد النفس الإنسانية، فإذا استعدت بقطع العلائق والتوجه إليه بالكلية، أشرق عليها شمس المعارف الإلهية، وأجرى في

أودية القلوب ينابيع الحكمة، على ما ينبئ عنه قول النبي صلى الله عليه وآله: من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وإلى هذا الأمر أشار صلوات الله عليه بقوله: نجا المحقون وهلك المثقلون.

قال بعض الشارحين: من وقعت سفينته في لجة البحر، وهبت الرياح العواصف، واضطربت الأمواج، فلا بدّ له من التخفيف والقاء الأمتعة في الماء حتى ينجو، لأن النجاة في تلك الحال أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة، وأمواج التخيلات والتوهمات أعظم التطاماً من أمواج البحر، والتخفيف الحقيقي هو خلو القلب من حب الدنيا والأهل والمال وجميع الشهوات، وهو عين ما قلناه، غير أن فيه تشبيهاً لطيفاً.

الرابعة: قوله فإنما ينتظر بأولكم آخركم: هذا تحريض على الجد في التخفيف المأمور به، وذلك لأن من علم أنه منتظر للسابقين الذين ماتوا أولاً، ولا يدري في أي وقت يصل إليهم، استعدّ دائماً لورود الموت الذي يقطع انتظارهم ولا يشغل بغير أسبابه، وقد عرفت تمام الكلام فيه.

إعلم أنّ هذه ألفاظ يسيرة في الوجازة هي أعلام على التار، ومواعظ حسنة تسوق المستمعين إلى الإذعان، وحكم بالغة تجري في القلوب مجرى الماء في عروق الأغصان، لتوليت على الحجارة لانتفجرت منها عيون الماء، أو على الكواكب لا نثرت من آفاق السماء ميسرت<sup>(١)</sup> نواصعها إلّا في أذهان البلغاء، ولا يتغلغل ركايبها إلّا في أفكار الفصحاء، وكفى بما أورد السيد رضي الله عنه في مدحه.

اعلم أنه راعى في قوله: ما أنقع نطقها من حكمة استعارة تخيلية مرشحة مستعدية لتشبيه الحكمة المشتملة هي عليها بالماء الصافي، ووجه الشبه: اشتراكها في الصفاء وافتقار الخلق إليها، وإن الحكمة مادة للحياة الأبدية الباقية، كما أن الماء الصافي مادة للحياة الدنيوية، ورشّحها بذكر أنقع، والباقي ظاهر.

\* \* \*

## ٢١- وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ، وَأَسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ. لِيَعُودَ  
الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ. وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ  
مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ (١)  
تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَلَيْسَ (٢) كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ  
لَنَنْصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَيْسَ كَانُوا وَلِيُّهُ (٣) ذُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ  
أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ! يَرْتَضِعُونَ أُمَّا قَدْ فَطَمَتْ وَيُخَيِّونَ  
بِدَعَةٍ قَدْ أُمِيتَتْ!!

يَا حَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا؟ وَإِلَّا (٤) مَا أُجِيبُ؟ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ  
اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلِيمٍ فِيهِمْ؛ فَإِنِ أَبَوْا أَغْظَيْتُهُمْ حَدَّ السِّيفِ وَكَفَى بِهِ  
شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَمِنْ الْعَجَبِ (٥) بَعَثْتُهُمْ إِلَيَّ أَنْ  
أُبْرَزَ لِبَلَطْعَانٍ! وَأَنْ أَضْبِرَ لِلْجَلَادِ، هَبَلْتُهُمْ الْهَبُوكَ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا  
أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَزْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَعَظِيمٍ  
شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

### اللغة

ذمرته ذمره ذمراً: أي حثثته، وتذامر القوم أي حث بعضهم بعضاً، هذا  
على رواية التخفيف وهي الأشهر، أما على الرواية الأخرى وهي التثقيل، فيحتمل  
أن يكون من التذمير التشجيع، وهو من الذم وهو الرجل الشجاع، وأن يكون من  
تذمر إذا غضب، ويكون معناه اغضب، والأول أليق. الجلب: الجماعة الرفيعة

(٤) في ض وج: إلى أم أجيب.

(٥) في ض وب: من العجب بعثهم.

(١) في ش: حقا تركوه.

(٢) في ش: فان كنت.

(٣) في ش: كانوا تركوه.

أصواتهم من الزحام، وأصله من جلب على فرسه يجلب بالضم جلباً إذا صاح به من خلفه واستحثه ليسبق.

العود: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما بالذات أو بالعزيمة والقول، والرجوع والعود إلى ما كان منه البدء، وتقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً، وبذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه، فيكون الرجوع أعم من العود، فقال: عاد إليه يعود عودة وعوداً، وفي المثل: العود أحمد، والمعاد المصير والمرجع، والآخرة معاد الخلق.

رجع نفسه يرجع رجوعاً: ورجعه غيره، وهنا قد استعمله لازماً. النصاب، والمنصب الأصل، يقال جعلت كذا أجعله جعلاً وجعلاً، وهو لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها ويستعمل على خمسة أوجه:

أ- استعمل مقام طفق فلا يتعدى، نحو جعل زيد يقول كذا.

ب- استعمل استعمال أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد، نحو قوله تعالى: «وجعل الظلمات والنور»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة».

ج- في اتخاذ شيء من شيء وتكوينه منه، نحو قوله: وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً.

د- في تصيير الشيء على حالة دون حالة، فيتعدى إلى مفعولين نحو جعله نبياً أي صيره، ونظيره قوله تعالى: «الذي جعل لكم الأرض فراشاً»<sup>(٢)</sup>.

هـ- الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلاً.

أما الحق فنحو قوله تعالى: «وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً»<sup>(٣)</sup>، وأما الباطل فنحو قوله تعالى: «ويجعلون لله البنات»<sup>(٤)</sup>. وهنا هذا

(٣) الانعام: ١٣٦.

(١) الانعام: ١.

(٤) النحل: ٥٧.

(٢) البقرة: ٢٢.

القسم بين: موضوع للخلل بين الشيتين ووسطهما، ولا يستعمل بين إلا فيما كان له مسافة نحو بين البلدان، أو عدد ما اثنان فصاعداً نحو بين الرجلين وبين القوم، ولا يضاف إلى ما يقتضي الوحدة إلا إذا كرر نحو ومن بيننا وبينك حجاب، ونحو قوله عليه السلام: بيني وبينهم نصفاً، ويقال هذا الشيء بين يديك أي متقدماً لك، ويقال هو بين يديك أي قريب منك. النصف: مشترك بين أحد شقي الشيء، والنصفة وهو الاسم من الإنصاف، قال الفرزدق (١):

ولكن نصفاً لوسببت وسبني بنوعبد شمس من مناف وهاشم  
والإنصاف في المعاملة العدالة، وذلك أن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا مثل ما يناله، والانتصاف والاستنصاف طلب النصفة. سفكت الدم والدمع أسفكه سفكاً: أي هرقته. يقال ولّى الرجل البيع ولاية أي تقلده، وأصل ولوه وليوه استثقلت الضمة على الياء، فحذفت كسرة اللام وابدلت منها الضمة ليناسب الواو. التبعة: ما يلحق الإنسان من درك. الحجة: البرهان، يقال حاجه يحجّه أي غلبه بالحجة. الأم بإزاء الأب: وهي الوالدة القرية التي ولدته والبعيدة التي ولدت من ولدته، ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو مبدئه أم.

قال الخليل: كل شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أمماً. قال تعالى: «وإنه في أم الكتاب»، أي اللوح، وذلك لكون العلوم كلها منسوبة إليه ومتولدة منه، وقيل: الفاتحة أم الكتاب لكونها مبدأ الكتاب، وقيل لمكة أم القرى: وذلك لما روي أن الدنيا دحيت من تحتها. الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع، وليس كل امتناع إباء، قال الله تعالى: ويأبى الله إلا أن يتّم نوره. أعطاه يعطيه مالاً،

(١) أبو فراس همام بن غالب الشاعر المشهور كان أبوه من أجلة قومه، سيد بادية تميم، وله مناقب مشهورة وعامد مأثورة، والفرزدق صاحب القصيدة المعروفة في مدح الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، وهذه القصيدة ذكرها أبو الفرج في الاغانى وابن خلكان في وفيات الأعيان.

أعطاه: أي أناله ويتعدى إلى مفعولين، والاسم العطاء.

قد حدّ السيف يحدّ حدّة: أي صار حدّاً وحدّاً وسيوف حداد وألسنة حداد، والحدّة ما يعتري الانسان من الغضب، تقول حددت على الرجل أحد حدّة وحدّاً. عن الكسائي. برز الرجل يبرز بروزاً: خرج وأبرزه غيره، البراز والمبارزة في الحرب. الطعان: المضاربة بالرمح، الطعن الضرب بالرمح وبالقرن وما يجري مجراها. الجلاد: المضاربة بالسيف، يقال يجالّد القوم بالسيف، وأصله من جلده الحد جلداً أي ضربه وأصاب جلده.

هبل: أي ثكل، والثكل والثكل فقدان المرأة ولدها، والهبول المرأة التي لا يبقى لها ولد، والثكول التي ثكلت ولدها. يقال: هددت فلاناً وتهدّته إذا زعزعته بالوعيد. الرهبة والرهب والرهب: مخافة مع تحرّز واضطراب، قال مقاتل: خرجت التمس تفسير الرهب فلقيت اعرابية وأنا آكل، فقالت: تصدّق عليّ فلأت كفيّ لأدفع إليها، فقالت: ههنا في رهي أي كمي. والترهيب: التخويف، والترهب التعبّد، وهو استعمال الرهبة، والرهبانية غلوف في تحمّل التعبّد من فرط الرهبة.

### الاعراب

مفعول فطمت محذوف دلّ عليه سياق الكلام: أي فطمتهم، خيبة: مصدر اقيم مقام اسم الفاعل، وهي في التقدير نعت للداعي، أي الداعي الخائب، ثم أتى بالمصدر وجعلنه مضافاً الى الموصوف لأنه المقصود بالذكر، وليعلم من أول النظر أن دعاءه لا ينال ما طلب، ومفعول ما لم يسمّ، فاعل اجيب ضمير عائد إلى الداعي، وإلى من تتمّة اجيب، وما استفهامية تقديره: إلى أي شيء اجيب هذا الداعي.

إعلم أنّ أن على أربعة أوجه:

أ— الداخلة على الفعلين الماضي والمستقبل، ويكون ما بعده في تقدير المصدر وينصب المستقبل، نحو: أعجبتني أن تخرج، وان خرجت أن خروجك.

بـ المخفضة من الثقيلة نحو: أعجبني أن زيدا منطلق.

جـ المؤكدة نحو قوله تعالى: «لما أن جاء البشير».

دـ المفسرة لما يكون بمعنى القول نحو: ان امشوا واصبروا، وهنا هي المفسدة اذ يعينهم بمعنى القول وابرز أمر وكذا أصبر، وروي ان ابرز وان اصبر بفتح الزاء والراء على أن ناصبة جاعلة للفعل في تقدير المصدر، والأولى أشهر. الواو في قوله وما اهدد بالحرب للحال. وكان تامة بمعنى: والله لقد ثبت من أول عمري الى الآن حال كوني غير مضطرب بالوعيد بالحرب، ولا خائف من الضرب.

### المعاني

إنما صدر عليه السلام أكثر الجمل بأن وحرف القسم واللام، الكلام انما ساقه على المنكرين المضمونها. قوله: هم سفكوه أفاد القصر للافراد، إذ الكلام مع من نسب الدم إليه وحده ونفى عن غيره. والا عندهم: أيضا للقصر للافراد. انما قطع يرتضعون عما قبله ليؤذن بتعليل مضمون الجملة السابقة عليه. من دعا: استفهام على سبيل الانكار والتحقير، وكذا ما اجيب. وحد السيف: الحد مصدر كان في التقدير وصفاً للسيف بمعنى حاد ثم قدم على الموصوف، جعله مضافاً الى السيف للاهتمام بشأنه ولأنه المقصود بالذكر، واشتمال أكثر هذه الكلمات على الايجاز الذي هو من أعلى افانين البلاغة أبين من البيان.

### البيان

في يرتضعون أما قد فطمت: استعاره مكنتى بها عن إثارة الفتن التي انخمدت بمكان رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن التماسهم منه عليه السلام أن يخصصهم بالصلوات من ثلث المال، ويفضل بعضهم على بعض، مستدعية على الأول لتشبيهات أربعة:

الأول: تشبيهه رسول الله صلى الله عليه وآله بالآم وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في احتياج الفروع الى تربيتها.

الثاني: تشبيه الذين أسلموا بالأولاد وهما أيضا محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في احتياج الحاصل لهم الى الرسول والآم ليطلعوا على ما به صلاح معادهم ومعاشهم.

الثالث: تشبيه هيشة دعوة الرسول إياهم إلى ما ألفت به نفوسهم، وانقطعوا بسبب اشتغالهم بما دعاهم إليه عما كانوا عليه قبلها، من العقائد الفاسدة والخيالات الباطلة، بهيشة قطع الآم أولادها المرتضين عن الارتضاع، باشتغالهم بالمألوفات المحددة من المأكول الطيبة، ووجه الشبه: اشتراكهما في قطع الاطعام عما كانوا عليه، وهو عقلي.

الرابع: تشبيه هيشة إثارتهم الفتن التي قد تولوا عنها، بهيشة طلب الأولاد المفظومين من اللبن، ووجه الشبه: اشتراكهما في طلب ما قطعت أطماعهم عنه، وعلى التقدير الثاني أيضا يستدعي تشبيهات أربعة: تشبيه نفسه عليه السلام أو الخلافة بالآم، ووجه الشبه ما عرفت، والباقية معلومة مما ذكرنا.

### البديع

بين حربه وجلبه: المتوازي، وبين أوطانه ونصابه: المطرف، ولوقلنا انه المتوازن لكان أولى، وبين تركوه وسفكوه: المتوازن والترصيع، وقد راعى في كفى به شافياً المطابقة، حيث طابق الباطل بالحق، وبين الطعان والجلاد: المطرف، وبين الحرب والضرب: المتوازي والترصيع.

### الفحوى

إعلم أنه عليه السلام نقرأ أصحاب الجمل عما كانوا عليه من التثبث



بالشبهة الباطلة التي أخذوا بها. قوله: ألا وإن الشيطان إلى نصابه قد عرفت تفسيره فيما سبق فلا يحتاج هنا إلى العودة. وفي ليعود: إشارة إلى أن المذاهب الباطلة والعدول عن الطريق قد زالت بمقارها بمقدم الرسول عليه السلام، ويحث الشيطان حزبه على إثارة الفتن والمحاربة لتعود إلى مقارها، وترجع إلى الحالة التي كانت عليها قبل مبعث الرسول عليه السلام.

وفي هذا تنفير السامعين عن مخالفته، وجذب لهم إلى موافقته، ثم دل على ما ادعوه من تخلفه عن عثمان أنه منكم وأنكروا عليه بسببه ليس بمنكر، بل المنكر انكارهم عليه بقوله: ما أنكروا عليّ منكرًا الدال بالمطابقة على انكارهم المنكر وان زعموا أنه منكر، وبالالتزام على أنهم قد أقدموا على منكر وهو انكارهم ما ليس بمنكر.

ثم نبههم على أنهم لو عملوا بالعدل وعرفوه لعلوا أن دعواهم باطلة كاذبة بقوله: ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً. قوله: وإنهم ليطلبون حقاً إلى سفكوه؛ أي أنهم ليطلبون حقاً مني هودم عثمان ما تركه إلا هم، فلا ينبغي أن يطلبوا مني مافات بسببهم، روى أبو جعفر الطبري: أن علياً عليه السلام أتى عثمان فقدم المدينة والناس يجتمعون على طلحة في داره، فبعث عثمان إليه يشكو من طلحة، فقال عليه السلام: أنا أكفيك، فانطلق إلى دار طلحة وهي مملوءة بالناس.

فقال له: يا طلحة ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان؟ فقال طلحة: يا أبا الحسن بعد أن مس الحزام الطبيين. فانصرف علي عليه السلام إلى بيت المال فأمر بفتحه فلم يجدوا المفتاح، فكسر الباب وفرق ما فيه على الناس، فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده، فسّر عثمان، وجاء طلحة إلى عثمان فقال له: يا أمير المؤمنين اني أردت أمراً فحال الله بيني وبينه، جئتك ثانياً، قال عثمان: والله ما جئت ثانياً ولكن جئت مغلوباً، الله حسبك يا طلحة.

روى أبو جعفر أيضاً: أنه كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفاً،

فقال له طلحة يوماً: قد تهبأ مالك فاقبضه، فقال: هولك معونة على مروءتك، فلما حضر عثمان قال علي عليه السلام لطلحة: انشدك الله الا<sup>(١)</sup>... عن عثمان فقال: لا والله حتى يعطي بنو أمية الحق من أنفسها، وكان علي عليه السلام يقول بعد ذلك: لحا الله ابن الصعبة أعطى عثمان ما أعطى وفعل، وبالجمله فدخلهم في قتل عثمان ظاهر معلوم لمن مارس كتب التواريخ وطالعها.

وهذا توطئة لتقرير الحجة عليهم وهو أنهم قد دخلوا فيه، وكل من دخل في أمر فلا يخلو من أن يكون بالانفراد أو بالشركة لا غير، وعلى التقديرين: ليس أن يطلبوا دمه، وأشار الى القسم الثاني بقوله: فلئن كنت الى منه؛ أي لئن كنت شريكهم في هذا الدم فان لهم لنصيبهم من الدم المطلوب بالضرورة، فعليهم أن يبدأوا بتسليم أنفسهم الى أوليائه.

أشار الى القسم الاول بقوله: ولئن الى عندهم؛ أي لئن تقلدوا هذا الأمر من غير مشاركة فالطلب لا يتأق الى منهم، فلا ينبغي لهم أن يطلبوا من غيرهم، ثم اكد مضمون هذه الحجة بقوله: وان أعظم حجتهم لعل أنفسهم لكون دخولهم فيه أمراً بيناً لا يدفع، ومكشوفاً لا يتقنع، ثم دل على أن مطلوبهم من هذا الأمر ليس دم عثمان بل إثارة الفتنة التي نامت بمقدم رسول الله صلى الله عليه وآله، واحياء البدع والأهواء الباطلة التي اندرست بظهور دعوته عليه السلام بقوله: يرتضعون الى اميت، وقد عرفت الاحتمال الآخر.

ثم عجب من عظيم خيبة الدعاة الى قتاله بقوله: يا خيبة الداعي، واستحقر المدعويين لقتاله واستفهم منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية بقوله: من دعا، أي ليس المدعويون إلا أعوام الناس الذين جعلوه ذريعة الى قتاله عليه السلام بقوله: والى ما أجيب، ثم دل على رضائه بمقتضى حجة الله عليهم وعلمه بما يصنعون بقوله: وإني لراض الى فيهم.

(١) كذا بياض في الأصل.

وحجة الله تعالى عليهم هي الأوامر الصادرة عن الله الأمرة بقتال البغاة، مثل قوله تعالى: «فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله<sup>(١)</sup>»، وحاصل المعنى يرجع الى أنه راض بترك مقاتلتهم ورجوعهم عما كانوا يطلبون منه، وعفوه عنهم بسبب ما نسبوه إليه، وتفويضه الى امر الله تعالى وعلمه بحالهم.

قوله فان إلى الحق: أي إن امتنعوا من الرجوع وثبتوا على الباطل أعطيتهم حد السيف، أي اقاتلهم قتالاً شديداً بحيث يستقيم أودهم، وكفى بالسيف شافياً من داء الباطل وناصرراً للحق، ثم تعجب من حالهم، حيث هددوه بالحرب وطلبوا منه المطاعنة، مع علمهم بحاله عليه السلام في الشجاعة وتحمله في المكاره بقوله ومن العجب الى للجلاد. قوله هبلتهم الهبول: دعاء يدعوه العرب على من تصور أمراً عجباً من نفسه، أي ثكلتهم الثواكل.

أشار الى عدم مبالاته بالحرب وشدة قيامه بالضرب، وجذب السامعين الى موافقته بقوله: واني على يقين من ربي: أي أنني ثابت مستقر على اليقين الذي لا يحوم حول حماه ريب، وحصل من ربي بلا واسطة وليس لي شبهة على ديني، وهذا تعريض بحالهم بأنهم ليسوا مستقرين بالحق ولا ضالين عن الشبهة في الدين — والله اعلم—.

\* \* \*

## ٢٢- وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ (١) الْمَطَرِ: إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ، فَإِذَا (٢) رَأَى أَحَدَكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِئْتَةً؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ ذَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا دُكِرَتْ، وَتُغْرَى بِهَا لِسَامِ النَّاسِ؛ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ (٣) فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْتَمَ، وَيُرْفَعُ عَنْهُ بِهَا الْمَغْرَمُ (٤)، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ.

يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: إِذَا دَاعَى اللَّهُ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِنَّمَا رِزْقُ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلِ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ، إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا (٥) اللَّهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشِيَةً لَيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمَلَ (٦) لَهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ، وَمُرَاقَبَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ، عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَغْظَمُ النَّاسِ حِيْظَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلْمَهُمْ لِشَعْبِهِ، وَأَغْظَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ (٧) بِهِ. وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ

(١) في ض وب: كقطرات المطر. (٥) في ش: وقد جمعها الله.

(٢) في ح: فان رأى. (٦) في ض: لمن عمل له.

(٣) في ر: وروي ينتظر من الله اول. (٧) في ش: ان نزلت به.

(٤) في ض وب: ويرفع بها عنه المغرم.

### اللغة

الأمر: الشأن وجمعه أمور، ومصدر أمرته اذا كلفته أن يفعل شيئاً، وهو لفظ عام شامل للأفعال والأقوال كلها، وعليه ورد قوله تعالى: «وإليه يرجع الأمر كله<sup>(١)</sup>»، ويقال للإبداع أمر، وعليه ورد قوله تعالى: «ألا له الخلق والأمر<sup>(٢)</sup>»، وهو يختص بالله تعالى دون غيره، وعليه حمل قوله تعالى: «إنما أمرنا لشيء»، الآية فيعتبر عن<sup>(٣)</sup>... بأقصر لفظ أبلغ ما يقدم به بيتا يفعل الشيء، ويقال لحكم القدرة الالهية على الممكنات في الأزل بما يمكن ان يكون لكل منها بحسب استعداده، وعليه ورد: «أوحى في كل سماء أمرها<sup>(٤)</sup>»، وهنا أراد المعنى الثالث.

القطر: المطر؛ والقطر أيضا جمع قطرة، وأيضا مصدر لقولك قد قطر الماء وغيره يقطر وقطرته إما يتعدى ولا يتعدى، وهنا الاضافة الى المطر عيّنت المعنى الثاني. القسم: اقر اذا النصيب<sup>(٥)</sup>.

يقال: قسمت كذا قسماً.

الغفيرة: الزيادة والفضل؛ يقال: ما فيهم غفيرة أي فضل يحملهم على المغفرة للذنوب، والغفر في الأصل التغطية، ولأن الزائد على الشيء سائر له يقال الغفر وروي عفو، والعفو: الخيار من الشيء؛ يقال أكلت عفو الطعام أي خيارها، والعفو مثل الصفوة.

أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراها من صناعة وبيت وبلد؛ فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم

(٤) فصلت: ١٢.

(٥) كذا.

(١) هود: ١٢٣.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) كذا بياض.

تجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإيآهم نسب، ويعرف في اسرة النبي عليه السلام اذا قيل أهل البيت، وعبر بأهل الرجل عن امراته. يقال غشيه يغشاه غشياناً: أي جاءه وأغشاه إياه غيره. الدناءة: الخساسة والحقارة، و الدنيء بالهمز الدون الخسيس .

الخشوع: والخضوع بغض الطرف والتطامن في أصل الوضع، يقال خشع خشوعاً أي خضع، ثم كثر استعماله في الضراعة في القلب لله تعالى، وقد روي: اذا خشع القلب خشعت الجوارح.

يقال غرى بالأمر يغرى: أي أولع به ولهج، والاسم الغراء بالفتح والمد، وأصل ذلك من الغراء بالكسر وهو ما يلصق به، وأغريت فلاناً بكذا أي ألهجت به.

قال تعالى: «فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء» (١).

اللثام: جمع لثيم؛ وهو الذي أكسب نفسه أمراً خسيماً استحق به الملامة.

السهم الفاليج: الفائز من الفلج؛ يقال قد أفلج الرجل على خصمه يفلج فلجاً وأفلجه الله عليه، والاسم الفُلج بالضم.

القيّاح: جمع قيّح بكسر القاف وهو سهم الميسر؛ وأيضاً السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله، ويجمع أيضاً على أقدح وأقاديح.

الغنم في الأصل: اصابة الغنم والفوز به ثم يستعمل في كل مظفور به من جهة العدى أو غيرهم، والمغنم اسم يغنم وجمعه مغانم.

المغرم: ما يصيب الإنسان في ماله من ضرر الغير جناية منه؛ يقال غرم كذا غرمًا ومغرمًا، والغرم يقال لمن له الدين ولن عليه الدين، والغرام ما يصيب الإنسان من شدة وبلاء. البريء: اسم فاعل من البراءة والنزاهة. الخيانة والنفاق:

واحد إلا أنّ الخيانة يقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين ثم تداخلا.

فالخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد في السر ونقيضها الأمانة، يقال خنت فلاناً وخنت أمانة فلان، وعليه ورد قوله تعالى: «لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم<sup>(١)</sup>»، والاختيان مراودة الخيانة، وأنها قال تعالى: تختانون أنفسكم<sup>(٢)</sup>، ولم يقل يخونون لأنه لم يكن منهم الخيانة بل كان الاختيان، فان الاختيان تحرك شهوة الانسان لتحريّ الخيانة على ما أشار إليه بقوله: إنّ النفس لأمارة بالسوء.

الحسن: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، واستحسانه إمّا من جهة العقل أو الهوى أو الحس، والحسنة عبارة عن كل ما يسر من نعمة ينال الانسان في نفسه وبدنه وأحواله، والحسنى ما يثبت الحسن ولكن الفرق بين الثلاثة أن الحسن يقال في الأعيان والاحداث؛ يقال رجل حسن وعلم حسن، وكذلك الحسنة اذا كانت وصفاً واذا كانت اسماً فتعارف في الأحداث، وأمّا الحسنى فلا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، والحسن أكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر، وأكثر ما جاء في القرآن للمستحسن بالبصيرة.

الخير: ما يترتب فيه الكل كالعقل والعدل والعلم والشيء النافع، والشر ضده؛ قيل الخير ضربان: خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد، كما وصف عليه السلام به الجنة فقال: لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة، وخير وشر مقيدان وهو يكون خيراً لواحد وشرّاً لآخر، كالمال الذي يكون ربما كان خيراً لزيد وشرّاً لعمر.

لا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً ومن مكان طيب. روي أنّ علياً عليه السلام دخل على مولى له فقال: الا أوصي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: إن ترك خيراً وليس لك مال كثير. والخير والشر يقالان على وجهين:

أحدهما: أن يكونا اسمين كما تقدم نحو قوله تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير<sup>(١)</sup>، والثاني: أن يكونا وصفين ويقدرهما بقدر أفعال منه نحو هذا خير من ذاك وأفضل، وقوله تعالى: نأت بخير منها<sup>(٢)</sup>، ونحو قوله عليه السلام: فما عند الله خير له.

الرزق لمعان ثلاثة: العطاء الجاري دنيوياً كان أو آخروياً: النصيب نحو قوله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون<sup>(٣)</sup>، ونحو قوله عليه السلام: رزق الله، ويحتمل أن يكون المراد به الأولى وهو أظهر، وأول ما يصل إلى الجوف ويتغذى به، وقد يقال الرزق ما ينتفع به، والجمع الارزاق، وبمعنى العطاء هو مصدر قولك رزقه الله الحرت كسب المال وجمعه، وفي الخبر: احرت لندياك كأنك تعيش أبداً، والحرث أيضاً الزرع، والحرات الزراع، وقد حرث واحترث مثل زرع وازرع، الثاني أظهر، والأول محتمل هنا.

الصلاح: ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، نحو قوله تعالى: ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها<sup>(٤)</sup>، وأخرى بالسيئة، نحو قوله تعالى: خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً<sup>(٥)</sup>. الحذر والحذر: التحرز، يقال حذرت الشيء بالكسر في الماضي والفتح في الغابر حذراً، ورجل حذر وحذراً أي متيقظ متحزر.

والتحذّر التخويف. الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، قال الله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء<sup>(٦)</sup>، والخوف توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة؛ فيكون الخوف أعم من الخشية.

التعذير في الأمر: التقصير فيه؛ والمعذر المتهاون في الأمر، وقيل: من يرى أنّ له عذراً ولا عذر له. العمل: كل فعل يكون من الحيوان بقصد فيكون الفعل

(١) آل عمران: ١٠٤. (٤) الأعراف: ٥٦.

(٢) البقرة: ١٠٦. (٥) التوبة: ١٠٢.

(٣) الذاريات: ٢٢. (٦) فاطر: ٢٨.



أعم، لان الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها العمل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلماً ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم البقر العوامل، يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة.

الرياء: اسم من آراءت الشاة أي عظم ضرعها فهي مراء، ورجل مراء وقوم مراؤون، وفي العرب حقيقته طلب المنزلة بالعبادات وأعمال الخير، ويقال فعله رياء او سمعة أي ليراه الناس ويستمعوا به.

الشهداء: جمع شهيد، والشهيد هو في الاصل الشاهد والمشهد للشيء، نحو قوله تعالى: معها سائق وشهيد<sup>(١)</sup>، واختص في العرف بالقتيل في سبيل الله، وإنما سمي بذلك لحضور الملائكة إياه على ما يدل عليه قوله تعالى: تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا<sup>(٢)</sup>، ولأن أرواحهم تحضر عند الله تعالى على ما ينسب عنه قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم<sup>(٣)</sup>، وقوله: والشهداء عند ربهم<sup>(٤)</sup>.

السعادة: معاونة الامور الالهية على نيل الخير وعضادها الشقاوة، يقال منه سعد الرجل فهو سعيد، مثل سلم فهو سليم، وسعد فهو مسعود، ولا يقال مسعد، وجمع السعيد السعداء، والسعادة ضربان: دنيوية واخروية، والدنيوية ثلاثة أضرب: نفسية وبدنية وخارجية، وأراد هنا السعيد المأخوذ من السعادة الأخروية وان كان يحتمل العموم.

العشيرة: أهل الرجل الذين يتكثرون بهم أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشيرة هو العدد الكامل، فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثرون بهم.

والعشير: المعاشرة؛ وفي الخبر أتكّن تكثرن العشير أي الزوج، لأنه يعاشرها

(٣) آل عمران: ١٦٩.

(١) ق: ٢١.

(٤) الحديد: ١٩.

(٢) فصلت: ٣٠.

وتعاشره. دافع عنه ودفع بمعنى، تقول دافع الله عنك السوء دفاعاً. الحيطه: بالكسر الحياطة، وهما من الواو، وقد حاطه يحوطه حيطاً وحيطة وحياطة أي كلاءة ورعاة، وقد جاءت الرواية بها، والأصح الحيطه على وزن البيئته، وهي اسم للإحاطة حفظاً. يقال: لمت الشيء أي جمعته وأصلحته.

الشعث: انتشار الأمر، يقال لمّ الله شعثك؛ أي جمع أمرك المنتشر، وأيضاً مصدر الأشعث: أي المغبر الرأس، وتشعث الشيء تفرقه، والتشعث التفرق. العطف: في الأصل يقال في الشيء إذا ثني أحد طرفيه إلى الآخر، كعطف (١)!. والوسادة، وقد يستعار للمثل، والشفقة إذا عذّي بعلى، يقال عطف عليه أي أشفقت، وأعطفهم أفعال التفضيل منه، والدليل عليه تعديته بعلى. النازلة: الشدة والمصيبة؛ يقال فلان أصابته نازلة أي شدة، وكذا يقال نزلت به نازلة.

لسان الصدق: قيل الذكر الجميل بين الناس، والاولى أن نقول: هو الثناء على الرجل بعده بما لم يكن المثنى فيه كاذباً، بل صادقاً، ويكون كما قال الشاعر:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نشي وفوق الذي تشنى  
ونخير: هنا أيضاً بمعنى أفعال من كذا.

### الأعراب

الى كل نفس: متعلق بينزل، وهو مع متعلقه في محلّ الرقع على أنه خبر إن. ما في ما لم يغش: للمدة، ويظهر صفة لدناءة، الفاء في فيخشع عطف على يظهر إن حملنا الخشوع على المعنى اللغوي، وإن حملناه على المعنى العرفي الذي هو الخشوع لله، فقيل الفاء للابتداء ومعناه هنا بل، والاولى أن نقول جواب إذا للشرط قدم عليه للاهتمام بشأنه، ويعضده وجود الواو في قوله: وتغرى بها لثام الناس.

(١) بياض في الأصل.

في تغرى روايتان: التاء للتأنيث باعتبار الجمع الذي اقيم مقام فاعله وهو ثام الناس، والتاء للتذكير باعتبار تقديم الفعل المؤنث غير الحقيقي نحو طلعت الشمس، في به أيضاً روايتان: إحداهما: ضمير المذكر العائد الى ظهور الدنائة، أو ذكرها الدال عليه الفعل، كقولهم: من كذب كان شراً له.

الثانية: ضمير التأنيث العائد الى لفظ الدنائة وهي أظهر دراية، وتلك أصح رواية، وكالفالج خبر والياسر نعته.

توجب: يحتمل أن يكون نعتاً لفوزه، وأن يكون جملة استثنائية، داعي الله منصوب على أنه بدل من إحدى، وما في فا موصولة، وعند الله جملة ظرفية، المجموع في محل الرفع على الابتداء وخبره وخبره، وإذا فاذا للمفأجاة، وتجيء بعدها الجملة الاسمية في الاكثر، والواو في ومعه للحال، في العمل الصالح روايتان:

إحداهما: الرفع على الابتداء، والثانية: النصب على أنه اسم إن وهو المال، وليست بتعذير نعت لخشية، وفي غير رياء نعت لمصدر محذوف تقديره عملاً مستقراً في غير رياء، الضمير في إنه لا يستغني للشأن، والباقي واضح.

### المعاني

تصدير الجملة الأولى بأن مع اشتماله على تشبيه المعقول بالمحسوس دال على أن المراد بايرادها رد المنكر المخطئ في الحكم الى الصواب، وأنه قد نزل المخاطبين منزلة الاغنياء الذين لا يعرفون إلا المحسوسات.

الفاء في فإن للتشبيه الدالة على أن عدم الكون له فتنة سبب لأن ينخرط في سلك من حاز الفضيلة المشتملة عليها الجملة بعدها، أو على أن الكون سبب للخروج عن سلكهم.

تصدير قوله إن المال الى آخره بأن مع قطعه عما قبله يؤذن بتعليل ما قبله، وبأن المقصود بالإيراد والمخطئ المتردد إلى الثبات على الصواب، واشتماله على

الايجاز سيما؛

قوله والعمل الصالح: أيضاً من البلاغة، وتصدير يجمعها الله بقدر يشعر بأن اجتماعها قليل نادر قلماً يتفق، واحذروا من الله ما حذركم: آية في الايجاز لأنه كتى بها عن جميع المناهي المترتب عليها الوعيد كما في قوله تعالى: «فغشيم من اليمّ ما غشيم<sup>(١)</sup>»، وايراد المصدر الموصوف بعد الأمر بالخشية للدلالة على تربية الفائدة والاهتمام بشأن المأمور به، واشتمال التراكيب الباقية على الخواص المعلومة من القواعد السالفة أظهر من البيان.

### البيان

في قوله إن الأمر ينزل الى آخره: تشبيه هيئة نزول الأمر الإلهي من السماء وهي معقولة، بهيئة نزول قطرات المطر وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكها في التتابع والتتالي وفي الاختلاف؛ يعني كما أن البقاع تختلف بكثرة إصابة المطر وقلتها، كذلك النفوس الانسانية تتفاوت في المقسوم بالزيادة والنقصان، وان حملنا السماء على غير معناها ففيه أيضاً استعارة تصريحية مستدعية لتشبيه الجود الإلهي وهي معقولة، بالساء وهي محسوسة.

ووجه الشبه: اشتراكها في العلو والارتفاع، وكون النازل منها يقع على المجاري من غير تفاوت، وستعرف تمام التقرير في الفحوى، وكذا في الارض استعارة مستدعية لتشبيه عالم الكون والفساد بالأرض، ووجه الشبه: اشتراكها في الاسفلية والقبول.

في قوله فإنّ المرء المسلم الى قوله وحسبه: تشبيه للرجل الموصوف بالصفات المذكورة بالفالج الياسر وهما محسوسان، ووجه الشبه ما أشار إليه بقوله: وكذلك المرء الى آخره، وستعرف تمام التقرير فيه في الفحوى، والباقي حال عما فيه طائل.

### البديع

فإن الأمر الى نقصان: راعى المطابقة؛ حيث قابل السواء بالأرض،  
والزيادة بالنقصان، كما في المغنم والمغرم، وبين الشهداء والسعداء: المتوازي  
والترصيع، وبينها وبين الانبياء: المتوازن، والباقي ظاهر.

### الفحوى

إعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الفصل إلى تأديب الفقراء بترك الحسد  
وسائر الرذائل التابعة لدناءة النفس وخساسة الهمة، وثانياً إلى إرشاد الأغنياء إلى  
بذل الفضل من الأموال للفقراء سيّما اذا كانوا اقارب لهم، وترغيبهم الى اقتناء  
الذكر الجميل، وتزهيدهم عن جمع المال لغيره، المقصود منها تنفير ضعفاء النفوس  
عن الإصغاء الى معاوية والاعتزاز سرورسه<sup>(١)</sup>، ودعوتهم الى متابعتها، وهنامقصدان،  
وقبل الخوض في المقصود ذكر السبب الحامل له عليه السلام على إنشاء هذه  
الخطبة:

روي: انه لما فشا في الناس عطايا معاوية في أهل الشام، ولم يكن عند علي  
عليه السلام مال ولم يكن كمعاوية مال<sup>(٢)</sup>... ذلك مالت قلوب الناس الى  
معاوية حتى استبان ذلك في أهل العراق<sup>(٢)</sup>... بعض القوم لثلا يلحقوا بالشام،  
فقام عليه السلام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أما بعد... الى آخره.

المقصد الأولى: في تأديب الفقراء بترك الرذائل؛ اعلم أنه عليه السلام مهّد  
أولاً قاعدة كلية مبيّنة أنّ كل ما يصل الى كل نفس من زيادة مال أو جاه أو خدم  
وحشم وولد، ونقصان في ذلك فإنه بمقتضى القسمة التي تولّاها بنفسها على ما  
ينبئ عنه قوله تعالى: «اعطى كل شيء خلقه ثم هدى<sup>(٣)</sup>»، وقوله: «نحن قسمنا

(١) كذا. (٣) طه: ٥٠.

(٢) كذا.

(٣) كذا بياض في الاصل.

بينهم معيشتهم<sup>(١)</sup>»، وأثبتها في اللوح المحفوظ، فيه ما جرى ويجري في الكائنات بالقلم الإلهي بقوله: فان الأمر أي بحكم القدرة الإلهية على الممكنات بالوجود المشار إليه بقوله: كن ينزل من السماء الجود الإلهي إلى كل نفس بما قسم لها نزولاً قد عبّر عنه قوله تعالى: «وما ننزله إلا بقدر معلوم<sup>(٢)</sup>».

ويحتمل أن يكون المراد بالسماء والأرض حقيقتها؛ على معنى أن الحركات الفلكية لما كانت أسباباً معدة لما يحدث في الأرض، صح نسبة النزول إليها، وإلى هذا أشار تعالى بقوله: «وفي السماء رزقكم وما توعدون<sup>(٣)</sup>»، وإنما قدّم هذه القاعدة ليبيّن عليها ما هو المقصود من عقد الفصل، ثم لما فرغ من تمهيدها طفق عليه السلام في تأديب من حصل النقصان في حقه من النفس أو المال أو الأهل، بالنهي عن الانسان بما حصل لغيره من الأمور والنفاسة، وقال: فاذا رأى إلى فتنة.

قال بعض الشارحين: أراد بالفتنة هنا الحسد لا غير، ويحتمل أن يكون المراد بها أعمّ وهو الضلال عن طريق الحق، بالتفتات نفسه إلى أحد الأمور المذكورة والاشتغال بما لا يعنيه ولا يهيمه، ويلهيه عن الاشتغال بما هو الواجب عليه، أي إذا وقع نظر أحدكم على من حصلت له الزيادة في أحدها، وأنت ممن حصل له النقصان في أحدها، فلا تعدلنّ عن سلوك الطريق بالحسد عليه، أو جعل نفسه من توابعه طمعاً في مال وغيرهما، فإنها أمور يذهل الشاغل بأحدها عن القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها، ويضلّه عن الصراط المستقيم، فيكون المنهَى بالحقيقة الضلال المتبع للردائل.

ثم لما نهى عليه السلام عن الافتتان بأحد الأمور المذكورة، وأراد أن يشير إلى فضيلة والانتهاز عليها، أو هي إلى كون الفتنة دناءة بقوله: ما لم يعشش دناءة، ثم أتى بتشبيه مفصح عن حال من انتهى عنه، وقال عليه السلام: فإنّ المرء إلى آخره؛

(٣) الذاريات: ٢٢.

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) الحجر: ٢١.

أي ان المرء المذعن لأوامره تعالى بالقلب واللسان المنقاد لها، ما دام لم يرتكب أمراً خسيئاً يظهر عنه، فتكسب نفسه خلقاً رديئاً، ويصير نفسه ذليلاً له إذا لم يذكر بين الناس من غاية الخجالة، ويستحيي من فعله إذا ذكر، ويولع لثام الناس به وعوامهم في مثل فعله.

هذا على المعنى اللغوي، أما على المعنى العرفي للخشوع فعناه: ما لم يرتكب أمراً خسيئاً يظهر عنه ويولع به لثام الناس، وأراد بهم بأن يأتوا بمثله ويقتدوا به، بل إذا ذكر بين الخلق تضرع إلى الله تعالى ويطلب الاستغفار منه، ويخاف من أن يقع مثله منه مرة أخرى تفادياً عن عقابه المعد للعاصي، فيكون قوله ويفرى بها لثام الناس: مقدماً في التقدير على فيخشع.

أما وجه التشبيه فقد أشار إليه عليه السلام بقوله: وكذلك؛ أي كالفالج الياسر في الصفة المذكورة للمرء المسلم، وبقوله البريء من الخيانة: بين أن مراده بالإسلام هنا الاسلام الذي هو فوق الإيمان؛ يعني المنقاد لأوامره المجتنب عن نواهيه بجوارحه، الطاهر البريء من مخالفة عهد الحق في السر الذي لا يعلمه إلا هو؛ أي المصدق لما يأتي به من الأعمال بالقلب.

ينتظر من الله تعالى الفوز باحدى الخصلتين الحسنين إما أن يجيب داعي الله<sup>(١)</sup>... تعالى عن هذه الدنيا الدنية نقياً عن أدناس الذنوب، فاعند الله ممّا أعده لاوليائه المقربين ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، خير له من الأمور الحاصلة له في الدنيا من التعب والنصب.

وإلى هذا أشار تعالى بقوله: «وما عند الله خير للأبرار<sup>(٢)</sup>»، وقوله: «والله عنده حسن المآب»، فيفوز بالنعيم الدائم والحياة الأبدية التي هي الحياة الطيبة، وإذا فاز بها أمن من الوقوع في الخسران بالضرورة، فيكون كالفالج الياسر الذي فاز بالقدح الذي أثبت له الغنم ونفى عنه الغرم.

لوقلنا أنّ المراد بداعي الله الحوادث الربانية والسوانح الالهية، التي تسنح له وتفيض على ساحة القلب حقيقة الزهد الحقيقي، والاتلفات عما سواه تعالى، فيطلع بها على حقائق الأشياء فيهن عند ميزان عقله كل موجود سواه، ويرى ما أعده الله تعالى للمقبلين إليه المدبرين عمّا سواه لكان قريباً من الصواب.

وإما أن يخصّه الله تعالى في الدنيا بكثرة الرزق ويفتح عليه أبوابه، فيصبح وقد فاز بالجمع بين المال الجمّ والبنين، مع بقاء الحسب والدين له، فيفوز في الدنيا بالمغانم الكثيرة، ويأمن من العقاب الأليم المعد لأعدائه.

فيكون أيضاً كالفالج الياسر، وانتظار احدى الحسينين أفضل عند من له أدنى مسكة من الافتتان بفتنة الحسد وغيره، وتدنيس لوح النفس برذائل الأخلاق وكمال النهى بغليه<sup>(١)</sup> المشتملة على التشبيه، يدلّ بالمطابقة على النهي عن الرذائل، كذا يدلّ بالالتزام على الصبر على بلاء الله.

فان قيل الاطلاع على هذا التشبيه مسبوق بالاطلاع على كيفية اللعب بالميسر الذي نهى الله تعالى عنه، فلا بدّ من الإشارة إليها.

فنقول أنّ السهام المسماة بالقداح سبعة الفذّ بالذال المعجمة وله فرض واحد، التوأم وله فرضان، الضريب بالضاد المعجمة وله ثلاثة فروض.

الحلس: بكسر الحاء في الصحاح وفي المجمل بفتح الحاء وكسر اللام وله أربعة فروض، النافس وله خمسة فروض، والمسبل وله ستة فروض، المعلى وله سبعة فروض، وليس بعد هذه السهام سهم له فرض، إلّا أنهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة أخرى يسمونها أوغاد أو أسماؤها المصدر، ثم المضعف ثم المسح ثم السفيح.

فاذا اجتمع ايسارا يجيء أخذ كل منهم قدحاً وكتب عليه اسمه أو علمه بعلامته، ثم أتوا بجزور فينحرها صاحبها ويقسمها عشرة أجزاء، ثم أتى برجل معروف بأنه لم يأكل لحماً قط بضمن، إلّا أن يصيبه عند غيره ويسمى الحرصة،



فيجعل على يديه ثوب و يعصّب رؤوس أصابعه بعصابة لثلاً يلبس الفروض، ثم يدفع إليه القداح، ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع إليه قدحاً منها من غير أن ينظر إليها، فن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه. ومن لم يخرج قدحه حتى استوقب أجزاء الجزور، غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور، من جزور أخرى بصاحب الجزور الذي نحرها، فان اتفق أن خرج المعلى أولاً فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من الجزور، ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه إلا ثلاثة أجزاء أخذها وغرم له من لم يفز قدحه ثلاثة أجزاء من جزور أخرى، واما الأوغاد فليس في خروج أحدها غم ولا غرم.

قوله عليه السلام إن المال إلى الآخر: إشارة إلى تحقير أسباب الدنيا بالنسبة إلى العمل الصالح الذي هو سبب لتحصيل ما في الآخرة، فإشاراً أولاً إلى ما هو أعظمها وحقّرها بقوله: ان المال والبنين حرث الدنيا، وأننا قلنا أنّهما أعظم المعيشات الدنيوية بقوله تعالى:

«المال والبنون زينة الحياة الدنيا»<sup>(١)</sup>، وهذا في تقدير قياس ضمير قد حذف كبراه، تقدير القياس: المال والبنون حرث الدنيا، وحرث الدنيا حقير بالنسبة إلى حرث الآخرة، لينتج أنّ المال والبنين حقيران بالنسبة إلى حرث الآخرة الذي هو العمل الصالح.

فيكون الإتيان بالعمل الصالح أولى عند العاقل من إحراز المال والبنين، أما الصغرى: تشبيه بذاتها، وأما الكبرى: فللمنقول والمعقول، أما المنقول فلقوله تعالى: «فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل»<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: «والآخرة خير وأبقى»<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: «أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو»<sup>(٤)</sup>، «وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان»، ولا ريب في أن اللعب لا مجال له في مقايسة بما هو الواهب للحياة

(٣) الأعلى: ١٧.

(١) الكهف: ٤٦.

(٤) عمده: ٣٦.

(٢) التوبة: ٣٨.

الطيبة.

وأما المعقول فلأنها من الأمور الفانية، والعمل الصالح من الأمور الباقية، وما هو به أبقى خير مما ليس كذلك، فضلاً عن الفاني، وهذا ترغيب في الاقبال إلى الله تعالى بالكلية، وتنفير عن الافتتان باللذات الدنيوية، ثم دل على وجوب التوكل على الله فيما هو قصارى أمانيتكم، وهو الجمع بين الجزئين لواحد، فانه الجامع لا غيره تعالى بقوله: وقد يجمعها الله لأقوام، ويدل أيضاً بالالتزام على أن الصبر في الطلب من اللوازم، لأن الله تعالى قلماً يجمعها لأحد.

ثم لما فرغ عليه السلام بالكلية لا بدونه، وأراد أن يشير إلى طريق الاقبال إليه على سبيل الإجمال أشار أولاً إلى الاجتناب عن نواهيته تعالى بما هو مستلزم له، وقال: فاحذروا من الله ما حذركم؛ أي تحرزوا من عذاب الله تعالى المعد للعاصين المتعزدين.

احذروا ممّا خوّفكم من نفسه وهتدكم عليه لو خرجتم عن طاعته، واخشوه من الله خشية صادقة سوبه<sup>(١)</sup> من التقصير في طاعته، مستلزمة لمحافظة أوامره والاجتناب عن نواهيته، فإنّ الخوف سوط يسوق العبد إلى نيل السعادة الأبدية على ما ينبت عنه قوله تعالى: رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه.

إعلم أن الخوف من لوازم العرفان، فن عرف الله تعالى خاف منه بالضرورة، وكلما كانت الخشية أكثر كان صاحبها أكمل في العرفان، وإلى هذا أشار تعالى بقوله: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء<sup>(٢)</sup>»، وأشار الرسول صلوات الله عليه بقوله: أنا أخوفكم بالله، ولكن ينبغي أن لا يكون الخوف... العظيم لمن خشي منه.

(٣) كذا بياض في الأصل.

(١) كذا في الأصل.

(٢) فاطر: ٢٨.

وإليه أشار صلى الله عليه وآله بقوله: من خاف الله تعالى خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء، وروي أنه تعالى أوحى إلى داود: خفني كما تخاف السبع الضاري، وأقل الخوف هو أن يستلزم الإعراض عن الذنوب المهلكة، وأعلاه أن يستلزم الزهد الحقيقي.

ثم أشار إلى إخلاص العمل لله بقوله: واعملوا إلى آخره؛ أي اعملوا خالصاً لله تعالى من غير أن يشوبه رياء للناس أو سمعة، فإن الرياء محبط للعمل على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون»<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى:

«فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً»<sup>(٢)</sup>، وقوله صلى الله عليه وآله: إن المرأى ينادى يوم القيامة باربعة أسماء: يا مرأى، يا غاوي، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجر لك عندنا.

وقد عرفت معنى يكله الله إلى من عمل له في السابق، وهذا الخبر دال عليه عاضد له، وعلامة الرياء ما أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: للمرأى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم، ثم لما كانت همته عليه السلام مقصورة على طلب السعادة الأبدية والحياة الطيبة، طلب من الله أولاً الحياة الباقية ببقاء الرب، التي هي سبب لتحصيل السعادة والانخراط في سلك السعداء.

قال: فاسأل الله منازل الشهداء التي هي الحياة عند ربهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله»<sup>(٣)</sup>، ومعايشة السعداء أي... معهم في<sup>(٤)</sup>

(٣) آل عمران: ١٧٠-١٧١.

(١) الماعون: ٥-٦.

(٤) كذا بياض في الأصل.

(٢) الكهف: ١١٠.

الخلد على ما ينبيء عنه قوله تعالى: «وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين<sup>(١)</sup>»، ومرافقة الأنبياء أي المصاحبة معهم التي لا تحصل إلا باطاعة الله ورسوله على ما دلّ عليه قوله تعالى: «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً<sup>(٢)</sup>».

هذا تأديب للفقراء بما هو اللائق بمآلهم، وإيدان لهم بأن المطلوب ينبغي أن لا يكون إلاّ المراتب الثلاث المرتبة بالترتيب المذكور، والحياة مقدّمة على التعيش، إذ لولاها لما أمكن، ثم هو مقدم على المرافقة، ولا يمكن لأحد تقرير المراتب على ما هي عليه إلاّ مثله عليه السلام.

المقصد الثاني: في تأديب الأغنياء وحثهم على التعطف في حقّ الفقراء ذوي الأرحام والإحسان إليهم، وأشار إلى أمرين: أحدهما: عدم استغنائهم عن معاونتهم، والآخر: أنّ البذل خير من الحفظ، وقال مشيراً إلى الأول: أيها الناس إلى آخره؛ أي ان الناس وإن كانوا ذوي ثروة ومال عظيم، لا يستغنون بمآلهم عن الأعداء والأنصار يذّبون عنهم بأيديهم صولة صائل، ويدفعون عنهم بأسنتهم افتراء قائل.

وأولى الناس بعدم استغناء الرجل عنه: العشيرة والقبيلة؛ فانهم أعظم الناس حفظاً من ورائه، وأشدّهم دفاعاً عنه، وأتمهم لشعته؛ أي أشدّهم جمعاً لانتشار أموره في الدنيا، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به؛ أي أشفقهم عليه في دفع الأذى إن نزلت به نازلة من شدة ومحنة أو بلاء، وذلك لأنّ القرابة مظنة الشفقة ومظنة التحنن والرحمة.

قال مشيراً إلى الثاني: ولسان الصدق إلى آخره: يعني أن الغاية من المال أمران: أحدهما: الجمع والإدخار ليرث منه غيره بعد موته، والآخر: البذل والايثار واكتساب الذكر الجميل والثناء الحسن بما صدق بين الناس، ولا ريب أن الثاني

عند كلِّ عاقل أفضل وأرجح، وكفى بذكر جمع المال وهو توريث الغير، المستلزمة لذكر الموت الذي هو هادم اللذات، باعثاً على البذل والإيثار وترك محبته، والنزول عن الجمع لمن لمح ببصيرته عاقبة أمره والله الموفق.

\* \* \*

ومنها: أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ عَنِ الْقَرَابَةِ بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَمْسِكُهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِذْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيُّدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلِينُ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِيمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ<sup>(١)</sup>.

قال الشريف: أقول: الغفيرة ههنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجَمُّ الغفير، والجماء الغفير. ويروى «عفوة من أهل أومال»، والعفوة: الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوة الطعام؛ أي خياره، وما أحسن المعنى الذي أراداه عليه السلام بقوله: «ومن يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام»، فَإِنَّ الْمُمْسِكُ خَيْرُهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ، فَإِذَا أَحْتَاجَ إِلَى نُضْرَتِهِمْ وَأَضْطَرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنْ نُضْرِهِ، وَتَشَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهَضَ الْأَقْدَامَ الْجَمَّةَ.

### اللغة

العدول: الانحراف.

الخصاصة والخصاص: الفقر، وأصلها من الخصاصة بمعنى الثلثة والخلل،

يقال: بدت الشمس من خصاصة الغيم أي من خلله، والخصاص الفرج بين

(١) في م: من قومه المحبة.

الأثافي، وإنما سمي الفقير بها لاختلال حال الفقر، كما أنّ العرب سمّت البيت من قصب خصصاً لانه لا يخلو من فرج وثلم.

يقال سدّدت الثلمة: ونحوها أسدها سداً أصلحتها وأوثقتها.

إمساك الشيء: التعلق به وحفظه، قال الله تعالى: «فامسك بمعروف»،

الإهلاك: هنا بمعنى الإتلاف والإعطاء.

قبض الشيء يقبض قبضاً: أي أخذه، والقبض خلاف البسط، يقال:

صار الشيء في قبضك وفي قبضتك؛ أي في ملكك، وقيل: القبض تناول الشيء

بجميع الكفّ نحو قبض السيف، فقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله وذلك

إمساك، ومنه قيل لإمساك اليد عن البذل قبض.

قال تعالى: «ويقبضون أيديهم»: أي يمنعون من الانفاق وهو تحقيق جيد

جداً، وهنا أراد إمساك اليد عن البذل.

اليد الجارحة: وأصله يدي؛ لقولهم في جمعه أيد، وأيد افعال، وافعل في جمع

فقل نحو أفلس، وقيل يدي نحو عبید، وقد جاء في جمع افعال؛ نحو أزمّن وأجبل

وأصله يدتان يدل على أنّ أصله فعل، واستعير اليد للنعمة وجمع على أياد، يقال:

يديت إليه؛ أي أحسنت إليه، وللحوز والملك مرة، يقال هذا في يد فلان؛ أي في

حوزه وملكه، وللقوة مرة، يقال: فلان يد على كذا ومالي يد عليه، ويده مطلقة عبارة

عن ايتاء النعم، ويده مغلولة عبارة عن إمساك النعم، وستعرف تمام البحث فيه

في موضعه.

اللين: ضدّ الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق ولغيره

من المعاني، يقال: فلان لين وفلان خشن، وكلّ واحد منها يمدح به طوراً ويذمّ به

طوراً، بحسب اختلاف المواقع. حاشية الرجل: جانبه وأيضاً أخدامه وأتباعه.

المرافدة والترافد: التعاون.

## الاعراب

يرى بها: في موضع النصب على الحال والضمير بها للقرابة.  
وأن يسدّها: بدل الاشتمال من القرابة، والباقي ظاهر.

## المعاني

قوله: ألا إلى أهلكه: مشتمل على أنواع من المؤكّدات المعنوية الدالّة على المبالغة، ألا لتنبهه عما كان عليه إلى سماع الكلام ولا يفوت عليه شيء، إدخال نون التأكيد في يعدلن مجسيء أحدكم ثم الايتان بحال منه، الإيتان بالمبدل ثم المبدل الدال على أن المراد به تكرير الحكم لزيادة التقرير والايضاح، إدخال الباء للاستعانة على أنّ الموصول والصلة الدال على أن السد أمر سهل وما يحصل به السد أمر حقير، ثم أكد هذا المقصود بمجملتين شرطيتين دالين على العموم ليكون أقرب إلى القبول، والباقي ظاهر.

## البيان

في أن يسدّها: استعارة تخيلية مكنتى بها عن اصلاح حال الفقراء ذوي الأرحام، ببذل المال لهم ومعاونتهم في المضائق والشدائد، مستلزمة تشبيه هيئة منع الاختلال إلى حالهم بالايثار وهي معقولة، بهيئة منع جسم لجسم وهي محسوسة، ووجه الشبه: أن الباذل يمنع ظهور اختلال حال لقريب للناس بايتاء النعمة، كما أن السادّ يمنع ظهور ما وراء الجسم لمن لا يريد أن يظهر عليه بضرب الحاجز وهو عقلي، ولجعل أن الهيئة الأولى من أفراد الهيئة الثانية.

وفي من تلتن حاشيته: استعارة تخيلية أيضاً مكنتى بها عن التواضع، مستدعية لتشبيهه جانب الرجل في التذلل واظهار الخشوع وهو معقول، بالجسم اللتين وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في نعومة المس والمخالطة، لكن كل بالنسبة

إلى جنسه وهو معقول.

### البدع

راعى في بالذي: المقابلة؛ حيث قابل الزيادة بالنقصان، والامسك بالاهلاك، وفي أمسكه وأهلكه: المتوازي.

### الفحوى

إعلم أنه عليه السلام أراد بهذا الكلام التهي عن العدول والانحراف عن سد حاجات الأقرباء الفقراء ذوي المسكنة والمتربة، ببذل الفاضل من أموالهم، بقوله الذي لا يزيد ان أمسكه: نبه على تحقير ما يسد به اختلال أحوالهم في قلوبهم، أي بالقدر الذي لا يؤثر زيادته في صلاح حاله إن أمسكه، ولا نقصانه في فساد حاله إن أتلفه بالبذل، لمرارته وقلته بالنسبة إلى ماله وثروته.

وهذا قول القائل لمن يريد أن يسهل عليه أمراً حقيراً يتشدد عليه طلبه؛ هذا الأمر لا يضرّك إن تركته، ولا ينفعك إن أخذته بالنسبة إلى صلاح حالك، قيل: ويحتمل أن يريد بالزيادة والنقصان الثواب في الآجل والذكر الجميل في العاجل، بل يكون سبباً لفساد حاله، أما في العاجل فلائّن من يمك خيره عن محتاج إليه مع استغناء عنه استحقّ العذاب الأليم بمقتضى قوله تعالى:

«والذين يكنزون<sup>(١)</sup>»، وأما في الآجل فلائّن المسك منخرط في سلك البخلاء المذمومين عند الناس، وأما إتلافه فلا ينقص ثواباً ولا لحوق عاربل يكون سبباً للثواب الكثير بدلالة قوله تعالى: «الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون»، وللمذكر الجميل في الدنيا بدلالة المقالات الصادرة من أولي التهي في مدح الكرماء والأسخياء، والأول أظهر، والثاني بعيد.



ثم دلّ على أنّ البذل خير من الإمساك بالنسبة إلى الباذل نفسه بقوله: ومن يقبض يده إلى أيدٍ كثيرة؛ ومعناه ما ذكره السيّد الرضوي رضي الله عنه، وترتيب هذا الدليل على النظم الطبيعي أن يقال: من أمسك خيره عن عشيرته فقد أمسك عنهم نفع يد واحدة، وكل من أمسك عنهم نفع يد واحدة فقد منع من نفسه نفع أيد كثيرة بالضرورة العادية، ينتج أنّ من أمسك خيره عن عشيرته فقد منع من نفسه نفع أيد كثيرة، ولكن منع نفع الأيدي الكثيرة عن نفسه باطل، لا يقدم عليه إلا جاهل، والملزوم أيضاً مثله.

ثم أشار إلى لين الجانب والتواضع المستجلبين لاستدامة المودة التي هي سبب لانتظام حال المتواضع في المعاش والمعاد، وميل القلوب إلى قبول أقواله ومتابعة أفعاله، بقوله: ومن تلت حاشيته إلى آخره؛ وبمثل هذا التأديب قال الله تعالى لنبيه في غير موضع: «واخفض جناحك<sup>(١)</sup>»، وإذا كان المتواضع سبباً لائتلاف القلوب والألفة، كان الغلظ والتكبر سبباً للتباعد والتنافر، على ما يدلّ عليه قوله تعالى: «ولو كنت فظاً غليظ القلب<sup>(٢)</sup>».

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فضيلة التواضع حيث قال: إنّ التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله، وقال: إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة، وقال عيسى عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة.

طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يؤتون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمتطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى، والأخبار والآثار في هذا الباب أكثر من أن تحصى، ولو حملنا الحاشية على الاتباع والخدم فعناه أيضاً ظاهر مما قلنا.

\* \* \*

## ٢٣- وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وَخَابِطَ الْغَيِّ،  
مِنْ إِذْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ،  
وَأَمُّصُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ. فَعَلَيَّ ضَامِنٌ  
لِفَلْحِكُمْ أَجْلاً، إِنْ لَمْ تُنْتَحُوهُ عَاجِلاً.

### اللغة

الغَيِّ: جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أن الجهل قد يكون كون الانسان غير معتمد أصلاً لا صالحاً ولا فاسداً، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، ويقال للقسم الثاني أنه غَيٌّ، يقال: قد غوى بالفتح يغوي غيياً وغيواً فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوي على وزن فعيل، والغَيّ الخيبة.

الإذهان: الغش، والمداهنة التلطف مع الخداع والغش.

الإيهان: التقتير والإضعاف، يقال أوهنه إيهاناً.

العبد: يقال على ثلاثة أضرب: الأول: عبد بحكم الشرع وهو الذي يصح

بيعه وابتياعه، ومنه قوله تعالى: العبد بالعبد، الثاني: عبد بالإيجاد وذلك لا يكون إلا لله تعالى، الثالث: عبد بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان:

الأول: عبد الله مخلصاً وإياه عنى بقوله: إن عبادي ليس لك عليهم

سلطان<sup>(١)</sup>، والثاني: عبد الدنيا واغراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها،

وإياه عنى عليه السلام بقوله: تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار، وعلى هذا التقرير

يصح أن يقال ليس كل انسان عبد الله، فان عبد الله بهذا المعنى هو العابد المخلص

في خدمته، ولكن الناس كلهم عباد الله إما اختياراً أو تسخييراً، وجمع العبد الذي

هو سبوق عبید، وجمع العبد الذي هو العابد عباد.

فالعباد اذا اضعف الى الله تعالى أراد بهم العابدين. فرّ يفرّ فراراً: أي هرب، والمفرّ: موضع الفرار ووقته. مضى الشيء يمضي مضيّاً: أي ذهب. نهجت الطريق: إذا أثبتته وأوضحته، يقال: اعمل على ما نهجتك، ونهجت الطريق أيضاً إذا سلكته، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجاً واضحاً بيناً، قاله الجوهري. وقيل أوضح عصبه أي علقه وربطه بكم كالعصابة. الفلج: الفوز والظفر الآجل. والآجلة ضد العاجل والعاجلة. المنح: العطاء يقال منحه ويمنحه، والاسم المنحة وهي العطية، واستمنحه أي طلب منحته.

### الاعراب

ما في قوله ما عليّ: للنفس، والظاهر أن من في من قتال بمعنى في، ومن في إدهان للبيان، واسم ما بمعنى ليس محذوف تقديره: ما عليّ في قتال من خالف الحق وخابط الغي شيء من إدهان ولا إيهان. وعباد الله قد حذف منه حرف النداء.

أجلاً وعاجلاً: منصوبان على الظرف. ومنح: يقتضي مفعولين وهنا أحدهما المخاطبون الذين اقيموا مقام الفاعل، والآخر الضمير المنصوب العائد إلى الفلج. ما في بما عصبه موصولة بمعنى الذي.

### المعاني

الفاء في فاتقوا الله: يحتمل أن يكون للسببية الدالة على أنّ مضمون الجملة السابقة جملة على الأمر بالتقوى، وأن تكون فصيحة مفصحة من سبب محذوف تقديره: إذا لم يكن في إدهان في قتال من خالف الحق فلا تخالفوا في الحق واتقوا الله.

الفاء في فعليّ ضامن: ظاهراً لربط الجملة الاسمية بالفعلية على سبيل

العطف، وباطناً فصيحة مفصحة عن محذوف هو سبب لما بعدها، الا تيان بالصلة مع الموصول في الذي نهجه لكم وعصبه بكم للايذان بتعليل الأمر به، وايراد هذا المعنى في الجملة الاسمية الدالة على السوب<sup>(١)</sup> صريح في استقرار الضمان عليه عليه السلام.

### البيان

في فعليّ ضامن لفلجكم: استعارة تخيلية مكنتى بها عن توطين قلوبهم على حصول الفوز لهم بالضرورة، مستدعية لتشبيه التزامه عليه السلام فلجهم، بهيئة التزام الضامن دين المضمون له، الثابت في ذمة المضمون عنه، ووجه الشبه: اشتراكهما في الالتزام، وتوجه المطالبة، وحصول التوطن.

### البديع

بين الحق والغيّ: المطابقة والمتوازن، وكذا بين آجلاً وعاجلاً.

### الفحوى

إعلم أنه عليه السلام ردّ أولاً قول من قال إن مدهانتة عليه السلام في محاربة أعدائه المخالفين في الحق الخاطبين في الغيّ أولى له من النهوض للحرب، وقال ما عليّ أي ليس مصانعتهم واجبة عليّ من طريق الدين ولا عليّ في قتالهم عجز، وفي ذكره عليه السلام اياهم بصفة مخالفة الحق ومحابطة الغيّ ينبّه السامعين على أن استحقاقهم للقتال بسبب اتصافهم بالصفتين، وعلى أنّ كلّ من اتّصف بها واجب على إمام الوقت زجرهم عمّا كانوا عليه بالقتال، وان من لم يتّصف بإحداها فلا يستحقّ إلاّ الفوز.

ثم أردف عليه السلام هذا بأربعة أوامر دالة على كيفية السلوك الى الله تعالى المستلزمة لأن من تكيّف بها سلم من الوقوع في مخالفة الحق والخطب في الغي: الاول: قوله: فاتقوا الله؛ وهو أمر بتقوى الله تعالى المستلزم للاجتناب عن مناهيه، بل عن الالتفات عن كلّ ما سواه تعالى اليه تعالى، وتخصيص عباد الله بالخطاب بعد الأمر المتناول للعموم للإشارة إلى أنّ امتثال هذا الأمر لا يهيباً الا لمن شمر عن ساق الجرد وتوجه الى السبيل المسلولك إليه تعالى.

الثاني: وفرّوا الى الله من الله: قيل معناه فرّوا من الله باعتبار ذنوبكم، وفرّوا الى الله باعتبار توبتكم وإيابكم، الأولى أن يكون إشارة الى تخليص السير عن كل موجود سوى الله اعتبارياً كان أو تحقيقياً، والاقبال بالكلية الى قبله وجوده القائم الباقي الذي لا اعتبار لوجود آخر بالنسبة اليه.

قال بعض المحققين: فرار العبد الى الله تعالى على ثلاث مراتب بعد نقص كل موجود سواه تعالى: أدناها: الفرار من بعض آثار أفعاله الى بعض؛ كالفرار من أثر غضبه إلى أثر رحته، واليه أشارت تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرّع اليه تعالى: «ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا»<sup>(١)</sup>، وهذه المرتبة لمن لم يرف في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله. وأوسطها: الفرار من بعض صفاته إلى بعض، وذلك عند الترقّي من مشاهدة الأفعال إلى مصادرها.

وهذه لمن لم يرف في الوجود إلا الله تعالى وصفاته. وأعلاها: الفرار من الذات إليها لقوله تعالى: لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذه مرتبة من ارتقى من مقام الصفات إلى ملاحظة الذات، ولم يرفي الوجود إلا ذاته تعالى وتقدس، ونفى جميع صفاته تعالى. وإلى المقامات الثلاثة أشار رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله في دعائه: أعوذ بعفوك من عقابك، وهو كلام صادر عن مشاهدة الأفعال.

ثم ترقّى عن هذا المقام إلى مصادرها وهي الصفات، وقال: أعوذ برضاك

من سخطك ، ثم لما رأى ذلك نقصاناً في التوحيد ترقى عن مقام مشاهدة الصفات إلى ملاحظة الذات، وقال: أعوذ بك منك ، وهذا فرار منه إليه بعد قطع النظر عن الأفعال والصفات، وإذا حققت هذا فاعلم أنه عليه السلام أمر باحراز قصب السبق في مراتب التوحيد.

الثالث: قوله: وامضوا في الذي نهجه لكم.

أي اذهبوا في الطريق الذي أوضحه لكم من الطريق الواضح العدل والصراف المستقيم، اللذين قد نصب عليهما الأوامر الالهية والأحكام الشرعية دلائل واضحة ومناراً بينة لا يحدها غيرها إلا المخالف للحق الخاطب في الغي.

الرابع: قوله قوموا بما عصبه بكم: أي قوموا بما ناط بكم من التكليف الواردة على ألسنة المرسلين، واستقيموا فيه واثبتوا عليه، وهذا أمر بالشبات والاستقامة. إعلم أنه عليه السلام بين هذه الأوامر الأربعة كيفية السير إلى الله والسلوك ، وراعى الترتيب المرعيّ فيه.

فأشار بالأمر الأول إلى مقام التنحية والنقض والتفريق الذي هو أول مقام السالكين، وبالأمر الثاني إلى تخلص السير بالكلية عما سواه إلى التوحيد المحض، الذي هو أيضاً المقام الثاني للكاملين في السلوك إلى الله تعالى، ولو قلنا أنه غاية سلوك السالكين لكان حسناً، وبالأمر الثالث إلى التشبث بالأوامر الشرعية والسلوك في الطريق الذي أوضحه الشارع، وبالأمر الرابع إلى الاستقامة فيما أمر به وهي مقام صعب للسالك .

ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما خوطب بقوله تعالى: «فاستقم كما أمرت<sup>(١)</sup>»: شتبتني سورة هود. فعليّ ضامن إلى آخره: أي إذا امتثلتم بالأوامر المذكورة، وصقيتم بواطنكم عن الحجب المانعة من إفاضة الحق، وحصلتم الاستعداد المستلزم لقبول الفيض الذي لا يخل فيه، حصل لكم الفوز

بجنات تجري من تحتها الأنهار التي هي العباب<sup>(١)</sup> بالحقيقية لمن أطاع الله تعالى ورسوله على ما ينبيئ عنه قوله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار<sup>(٢)</sup>» في الآجل إن لم يتم استعدادكم في الدار العاجلة فتعطوه فيها. ولما كان هذا ترتيب الفوز بالسعادتين أو بالسعادة الأصلية أمراً واجباً في الحكمة الإلهية، وظن عليه السلام نفوسهم وضمن لهم عنه وقال: فعليّ ضامن، وهذه الكلمات اليسيرة في غاية الجزالة معنى، ونهاية الوجازة لفظاً، لوتليت على الصخرة الصماء لأرعبت لها وتفجرت منها الأنهار، لا يعقلها إلا من تمرّن في البلاغة والفصاحة، وراض نفسه القدسية في رياض التوحيد، وبلغ إلى نهاية مراتب التفريد.

\* \* \*

### ٢٤- وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران لما غلب عليها بُسر بن أبي أرتاة، فقام عليه السلام على المنبر ضجراً بتناقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال:-

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَفْبِضْهَا وَأَبْسُطْهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ  
تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ . فَقَبَّحِكَ اللَّهُ .

وتمثل بقول الشاعر:

لَعَمْرُأَبِيكَ الْخَيْرِيَا عَمْرُوإِنِّي عَلَى وَصْرِي مَنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ

ثم قال عليه السلام:

أَنْبِئْتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لِأَطْنُ أَنْ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ

سَيَدَاؤُنَ مِنْكُمْ: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنِ حَقِّكُمْ،  
وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ،  
وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ  
وَفَسَادِكُمْ. فَلَمَّا أُنْتَمَتُّ أَحَدَكُمْ عَلَى قُغْبٍ لَخَشِيْتُ أَنْ يَذْهَبَ  
بِعِلَاقَتِهِ!

اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَيِّمْتُهُمْ وَسَيِّمُونِي، فَأَبْدِلْنِي  
بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، اللَّهُمَّ مَثُ قُلُوبَهُمْ كَمَا  
يُمَاتُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ قَارِسٍ مِنْ  
بَنِي قَارِسِ بْنِ عَنَمٍ:

هَتَالِكَ، لَوَدَعَوْتُ، أَتَاكَ مِنْهُمْ قَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قال الشريف: أقول: الأرمية جمع رمي وهو السحاب، والحميم ههنا:  
وقت الصيف، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولاً وأسرع  
خفولاً لأنه لأماء فيه. وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلأته بالماء، وذلك لا  
يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا،  
والإغاثة إذا استغيثوا، والدليل على ذلك: قوله: هنالك لودعوت أذاك منهم.

### اللغة

البلاد: جمع بلد وبلدة وكذا البلدان جمع، والبلد في العرب اسم للمكان  
المختص المحدود المتأثر باجتماع قطنهم واقامتهم فيه؛ من قولهم بلد من مكان أي  
أقام به فهو بالذ وبقي البلد أي الأثر، والجمع بلاد، والبلدة أيضاً الأرض وأيضاً  
الصدر يقال اللفظي المقيمة للوجود الذهني مقام اللفظي وإن يكون ضمير القصة  
فعلى الأولين.



أقبضها: يحتمل أن يكون خبراً ثانياً بعد خبر وأن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا أقبضها، وهي أقرب الى البلاغة وعلى الثالث أقبضها خبر الكوفة. أنت في قوله فان لم تكوني إلا أنت بدل من الضمير الذي قبل إلا في تكوني، وخبر كان محذوف، والجملته الفعلية وهي:

تهب أعاصيرك : يحتمل أن تكون جملة معترضة بين الشرط والجزاء دعاء عليها أو إخبار عنها بضمونها وأن تكون حالاً منها، ونظيره قوله تعالى: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا»<sup>(١)</sup>، فقبحك جواب الشرط. في ذا الإناء روايتان: إحداهما: ذا الإناء: بالألف، وذا اسم إشارة حذف منه ها، تقديره هذا الإناء وهي الأشهر.

الثانية: ذي الإناء: بالياء وهو بمعنى الذي، يعني الذي في الإناء وهو اللبن، يقال ضربه حتى ألقى ذا بطنه أي رجيعة، ويقال الذئب يغط بذي بطنه أي بما في بطنه، ونظير هذا البيت قول الراعي<sup>(٢)</sup>:

ولما قضت من ذي الإناء لبانة \* أرادت إلينا حاجة لانريدها  
يعني أنه رغب عن امرأة رغبته عنه، وقليل نعت لو ضرر. أنبا إذا كان بمعنى أعلم يقتضي ثلاثة مفاعيل، وهنا الأول الضمير لنفس المتكلم الذي اقيم مقام الفاعل، والثاني بسراً، والثالث قد اطلع اليمن، والباقي واضح.

### المعاني

ما هي إلا الكوفة: فيه القصر للإفراد، وأقبضها وأبسطها جملة استثنائية دالة على الجواب عن السؤال المقدر عن سبب هذا الحصر، ثم التفتت من الغيبة إلى الخطاب، وجعل الكوفة مخاطبة مريداً أهلها، وقال فان لم تكوني إلا أنت، وجاء بالقصر ثانياً للتأكيد والاحتقار بشأنها، الباء في باجتماعهم للاستعانة.

(١) البقرة: ٢٤.

(١) الراعي شاعر من بني نخير، وهو عبيد بن الحصين، والراعي لقب له، وهو من رجال الحماسة.

الفاء في فأبدلني: للسببية الدالة على أن سأمته عليه السلام منهم وسأمتهم منه عليه السلام صارتا باعنتين له عليه السلام على هذا الدعاء، والباقي معلوم من الضوابط المذكورة.

### البيان

أقبضها وأبسطها: كنايةتان عن وجوه التصرف فيها تصرف الحكام في مملكتهم، وذلك لأن القبض والبسط من لوازم القدرة النافذة المستلزمة لوجوه التصرف.

الأعاصير: إن كانت باقية على حقيقتها فعناها واضح، وإلا فهي استعارة تخيلية مكنتى بها عن حدوث الآراء المختلفة والأهواء المتفرقة، المقلقلة للأحشاء، المفرقة للخواطر، المشوشة لنظام العالم، مرشحة مستلزمة لتشبيه الأهواء والبدع وهي معقولة، بالرياح المثيرة للسحاب وهي محسوسة.

ووجه الشبه: اشتراكهما في الأذى الحاصل منها والانزعاج وهو عقلي، وتخيل أنها من أفراد الأعاصير، وأما كونها مرشحة فلان الهبوب من لوازم المشبه به، وفي تمثله عليه السلام بالبيت المذكور راعى تمثيلاً على وجه الاستعارة، ولو قلنا استعارة تمليحية لكان أقرب الى ما قررناه في البيان، وهذه الاستعارة مستدعية ما هيئة مملكته بالقياس الى ما استولى عليه خصمه من البلاد، بهيئة ما اشتمل عليه الإناء من البقية بالنسبة إلى الطعام الذي اشتمل عليه.

وجه المشابهة: اشتراكهما في الحقارة بالنسبة، أو لتشبيه الكوفة بالوضر الباقي في الإناء وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في الحقارة والقلّة وهو عقلي، ولتشبيه الدنيا بالإناء المملوء من الطعام، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في العزّة والكثرة.

قوله فلو ائتمنت الى بعلاقته: كناية عن خيانتهم لأمانتهم في عهده على

قبول أوامره، وذلك لأن من يخون في الشيء اليسير من متاع الدنيا، فبالضرورة ان يخون بالشيء الكثير من أمور الدين، فالذهن ينتقل من هذه الخيانة في العهود الموثوقة على الامور الدينية، ومنها إلى الخيانة في عهده عليه السلام على قبول أوامره. قوله عليه السلام اللهم مث الى الماء: راعى عليه السلام فيه تشبيهاً احد طرفيه معقول؛ وهو الموث في القلوب، الذي هو عبارة عن تبددها بمخالطة الخوف العظيم والقلق الجسيم واحاطتها بهما، والآخر محسوس وهو ذوبان الملح في الماء، ووجه الشبه اشتراكهما في التفرق واستيلاء الغير عليهما.

### البديع

راعى عليه السلام في اقبضها وأبسطها: المطابقة، وفي التمثل: إرسال المثل. في قوله باجتماعهم إلى فسادكم: أيضا المقابلة؛ حيث قابل الاجتماع بالفراق، والحق بالباطل، والمعصية بالطاعة، والأمانة بالخيانة، والصلاح بالفساد، والباقي بين.

### الفحوى

إعلم أن السبب الباعث له عليه السلام على انشاء هذه الكلمات هو أن قوماً كانوا من «صنعا<sup>(١)</sup>» من شيعة عثمان يعظمون قتله، فبايعوا علياً عليه السلام على سبيل النفاق، فلما اختلف الناس عليه بالعراق، وتحرك في بواطنهم داعية الخلاف، وكان العامل من قبله عليه السلام يومئذ على صنعاء عبيدالله بن العباس<sup>(٢)</sup>، وعلى الجند بها سعيد بن نمران، فلما قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه

(١) صنعاء عاصمة بلاد اليمن، قال عمارة بن أبي الحسن: ليس بجميع اليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء، وهو بلد في حقل الإستواء، وهي من الاعتدال من الهواء بحيث لا يتحول الانسان من مكان طول عمره صيفاً ولا شتاءً، وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف.

(٢) عبيدالله بن عباس بن عبدالمطلب أبو محمد الهاشمي؛ أمه أم الفضل، رأى النبي صلى الله عليه وآله وروى

بمصر، وكثرت غارات أهل الشام، أظهر هؤلاء الشقاق طالبين بدم عثمان، فأنكر عليهم عبيدالله بن العباس، فاتفقت كلمتهم على منابذة علي عليه السلام فحبسهم.

فكتبوا إلى أصحابهم بالجند، فعزلوا سعيد بن نمران<sup>(١)</sup> عنهم، وأظهروا أمرهم من الخلاف، ونبذوا العهد وراء ظهورهم، وشقوا عصا الوفاق، فوافقهم خلق كثير ممن ليس لهم من الدين خلاق، فنعموا أداء الزكوات، فكتب عبيدالله وسعيد إليه عليه السلام كتاباً ينهي إليه الخبر، فكتب عليه السلام إلى أهل اليمن والجند كتاباً يوتخهم على ما أظهوره ويهددهم فيه، ويخوفهم من الله تعالى، فأجابوه بأنا منخرطون في سلك المطيعين إن عزلت عنا هذين الرجلين: عبيدالله وسعيداً.

ثم كتبوا إلى معاوية مخبرين إتياءه ما كانوا عليه، فوجه إليهم بسر بن أرطأة<sup>(٢)</sup>، وكان قائداً من قواد معاوية فظاً سفاكاً للدماء، فقتل في طريقه بمكة داود وسليمان ابني عبيدالله بن العباس، وبالطائف عبدالله بن المدان وكان صهراً لابن عباس، ثم انتهى إلى صنعاء وقد خرج عبيدالله وسعيد واستخلفا عليها عبيدالله بن عمر الثقفي، فقتله بسر وأخذ صنعاء، فلما قدم ابن عباس وسعيد على علي عليه السلام بالكوفة أخذ يحث عليه السلام الناس على الجهاد فتثاقفوا فقام إلى

عنه، وعنه ابنه عبدالله وسليمان بن يسار ومحمد بن سيرين، قال ابن سعد: وكان أصغر سناً من عبدالله، وكان سخياً جواداً، وكان تاجراً، استعمله علي عليه السلام على اليمن، وحجج بالناس سنة ٣٤ و٣٧، ومات بالمدينة سنة ٨٧.

(١) سعيد بن نمران الهمداني؛ من نساب العرب وذوي رأيهم وعقلانهم، استعمله علي عليه السلام على جند اليمن، وبعد وقعة بسرين أرطأة رجع إلى الكوفة، وكان يكتب لعلي، وكان مقيماً بالكوفة إلى أن استشهد علي عليه السلام، ولما تسلط معاوية على بلاد المسلمين واستعمل زياداً على العراق، أخذ سعيد بن نمران مع حجر بن عدي وأرسله إلى معاوية، وخطى معاوية سبيله بشفاعه حمزة بن مالك الهمداني، ورجع إلى الكوفة، وفي أيام عبدالله بن الزبير كان على قضاء الكوفة.

(٢) بسرين أرطأة العامري القرشي؛ أبو عبدالله الرحان، قال ابن عساکر: سكن دمشق وشهد صفين مع معاوية وكان على الرحالة، وولاه معاوية اليمن وكانت له بها آثار غير محمودة، وقيل أنه خرف قبل موته، وفعل بمكة والمدينة فعلاً قبيحاً، حكى السعدي أن علياً دعا على بسر أن يذهب عقله، وأنه خرف ومات في سنة ٧٤.

المنبر وقال:

ما هي إلا الكوفة: وهو كلام يقال في معرض الحقارة والقلّة، يعني ليس لي من البلاد التي انفذ الحكم فيها إلا الكوفة، وانها بالنسبة الى البلاد التي استولى عليها الخضم حقيرة، فما أفعل بها وكيف أتمكّن من مقاومة الخضم ودفعهم بأهلها، وهذا كقول من في يده مال قليل لمن طلب منه أمراً عظيماً لا يهتأ الا بمال عظيم: ما في يدي إلا هذا القدر اليسير من المال، فكيف يتهياً الفوز به والقيام بطلبه.

ثم التفت وقال إن لم تكوني الا أنت: عدة لي وجنة اتقي بها من العدو نصيباً من الملك والخلافة، فلا أريدك فأبعدك عن الخير، وهذا ذم لها بعد ذكر حقارتها لكون أهلها بعيدين عن الخير والصلاح، ثم نبه على حقارتها بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من البلاد، بتمثله عليه السلام بالبيت؛ أي أتى على شيء حقير من هذا الأمر كالدردن الباقي في الاناء، ثم خاض عليه السلام أولاً بقوله: انبثت الى استيلاء بسر على اليمن وخروجها من التصرف، يعني: اعلمت أن بسراً قد استولى على اليمن.

ثم خوفهم بما غلب على ظنّه الذي لا يخطئ من صيرورة الدولة منهم الى مخالفيهم بقوله:

وآتي لاظنُّ إلى فسادهم، ثم أردف ذلك بذكر إمارات مغلبة لوقوع ذلك المظنون في الخارج، فذكر أربعة امور من قبلهم هي أسباب الانقهار، واربعة اخرى يقابلها من قبل الخضم هي إمارات القهر، وقابل كلّ فعل منهم رديء بفعل حسن هو ضده من قبل الخضم، ليرتدعوا بذلك عن اختيار الافعال القبيحة إلى الفرار إلى الأفعال الجميلة.

الأول من أفعال الخضم: اجتماعهم وان كان على باطل؛ وهو التصرف بغير الحق في البلاد، ومن أفعالهم التفرق عن الحق، وهو تصرفهم المستحق باذن ولي الأمر.

الثاني من أفعال الخصم: انقيادهم لأوامر الإمام الجائر في الباطل، ومن أفعالهم خروجهم عن امتثال اوامر الإمام العادل في الحق.

الثالث من أفعال الخصم: أداؤهم الأمانة الى صاحبهم وهي الوفاء بالعهود والمواثيق، ومن أفعالهم الخيانة في الامانات والغدر في العهود، حتى صار الغدر سجية لأهل الكوفة.

الرابع من أفعال الخصم: رعاية الصلاح في امورهم لئلا تختلّ قواعد نظام أحوالهم، ومن أفعالهم اظهار الفساد المهتم لقواعد الدين، وهما تابعان لطاعة الامام ومعصيته، ثم أردف ذلك بما يفهم منه كل أحد أنهم غير ثابتين على طريق الوفاء بالعهود.

وقال فلواتتمنت الى بعلاقته: أي لو اتخذت احدكم أميناً على قرح لا قيمة له لخشيت أن يذهب مني، مع علاقة لغلبة الخيانة والغدر على طباعكم، واذا كان حالكم في الامور الخسيسة الحقيرة بهذه المثابة في الخيانة، فما أتوقع منكم الوفاء بالعهد على قبول أمري.

وهذا تعبير لهم بنقض العهد، وتوبيخهم عما كانوا عليه من التثاقل والقعود عن نصره، ثم شككهم الى الله، وأعلن ما في ضميره وضمائرهم من الملاله والسامة بحسب ما شهدت به قرائن أحوالهم بقوله: اللهم مللتم وملوني وسئتمهم وسئموني، والسامة والملاله اسمان مترادفان.

ولو قلنا أن الملاله عبارة عن إعراض النفس عن الشيء بواسطة تطرّق الفتور الى القوى البدنية، لكثرة صدور الأفاعيل منها، والسامة عبارة عن الإعراض بواسطة دلالة دليل بان عندها أن ما يطلب غير ممكن حصوله، لكان أنسب للمقام وأليق لمراعاة كلامه عليه السلام من التكرار.

أما ملالته عليه السلام فلأنه عليه السلام لم يظهر الشكوى منهم إلا بعد أن

عجزت قواه عن اصلاح أودهم من الانسان<sup>(١)</sup> والأفعال، وأما سآمته عليه السلام فلانه لم ييأس منهم إلا بعد أن بان عند نفسه بمشاهدة القرائن الحالية أن تقويمهم غير ممكن له، وأما ملالته من عليه السلام فلان قواهم الضيقة فترت عن ذب تكرار أوامره المترادفة عليهم بالجهاد، واما سآمتهم فلاعتقادهم أن مآربهم لا يتأتى منه عليه السلام بوساطة قرائن خارجية لا حسب<sup>(٢)</sup> عند نفوسهم.

ثم اردف تلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى في الخلاص منهم بقوله: فأبدلني خيراً منهم؛ أي في الدنيا بان يكونوا قوماً صالحين يلوح من أفعالهم آثار الانقياد، ويبوح من أقوالهم إمارات الاعتقاد، لكون نظرهم لا يكون إلا بنور الله في الآخرة، ثم دعا الله عليهم بقوله: وأبدلهم بي شراً مني ليستريحوا مني واستريح منهم، فإن قلت: في هذا الدعاء اشكال من وجهين: أحدهما: يقتضي ان يكون هو ذا شرّاً، جلّ جنباه الملعون أن يحوم حول الشرّ، الثاني: أنه عليه السلام دعا بالشرّ.

قلنا: أما الجواب عن الأول فهو: أنه كلام وارد على اعتقادهم في حقّه لا في نفس الأمر، يعني شراً مني بحسب اعتقادهم أنّ فيّ شراً عليهم، ويحتمل أن يكون هذا على سبيل التهكم بهم، كقوله تعالى: «فبشّرهم بعذاب أليم»، أما الجواب عن الثاني فن وجهين: أحدهما: أنه إنّما دعا عليهم بان يبدله شراً منهم، لأن فيه رعاية لمصلحة عائدة إليهم في المعاد، وهي إمّا جذبهم الى الله تعالى، وذلك لأن ذلك الدعاء بمشهد طائفة عظيمة منهم، أو نزول المدعوبه عليهم عقيب دعائه عليه السلام، ليعلموا فضله عليه السلام ويقروا بولايته، وليعرفوا أن ذلك بسبب تركهم الجهاد ومخالفتهم طاعته.

الثاني: أنه إنّما دعا عليهم لعلهم بأنهم ممن لا يرجى صلاح حاله في المعاش أو المعاد، ومن كان كذلك فعدمه أولى من وجوده، ولذلك بسط بساط الجهاد وحثّ الشرع عليه، وعلى ذلك حمل قوله: اللهم مُثّ قلوبهم كما يمثّ الملح في الماء؛

أي أذب قلوبهم في الغم والحزن وإصابة المشقة، بحيث لا يبقى لها رسم ولا اسم، كما يذاب الملح في الماء.

روي: أنه ولد الحجاج بن يوسف في اليوم الذي دعا عليه السلام، وقيل في ليلته، وقيل بعد زمان قريب، وعمل الحجاج بالكوفة .

## ٢٥- وَمَنْ حُظِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةِ خَشْنٍ، وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشْبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَ كُفْمٍ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِينَكُمْ مَنُصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

من الصفو<sup>(١)</sup>، وقد كدر الماء بالكسر في الماضي، والفتح في الغابر كدراً فهو كدر وكدر أيضاً مثل فخذ وفخذ، كدر الماء بالضم فيهما كدورة مثله، وكذلك يكدر وكدره غيره تكديراً. الجشب: الطعام الرديء، وقيل الطعام الذي لا آدم معه، الأرحام: جمع رحم، والرحم رحم المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة، لكونهم خارجين من رحم واحد. الأصنام: جمع صنم وهو اسم الجثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب يعبدونها متقربين به الى الله تعالى.

(١) سقط هنا بقية شرح الخطبة وكذا سقطت الخطبة التي تليها مع شرح لغاتها وتفسيرها .



قال بعض المحققين: كلّ ما عبد من دون الله تعالى، بل كلّ ما يشغل عن الله تعالى يقال له صنم، وعلى هذا الوجه قال الله حكاية عن ابراهيم (ع): «وجنبي وبنّي أن نعبد الاصنام»<sup>(٢)</sup>، اذ نحن نعلم بالضرورة أن ابراهيم (ع) مع تحقّقه بمعرفة الله تعالى واطّلاعه على حكمته، لم يكن ممّن يخاف أن يعود الى عبادة تلك الخشب التي كانوا يعبدونها، فكأنه قال: اجنبي عن الاشتغال بما يصرفني عنك.

### اللغة

النصب: عبارة عن وضع الشيء وضعاً ثانياً كنصب الريح والبناء والحجر، يقال نصبت الشيء إذا أقمته. الآثام: جمع اثم، وهو اسم للافعال المبثّثة عن الثواب، وما قال عليه السلام: البرّ ما اطمان اليه النفس والاثم ما حكّ في صدرك حكم البرّ والاثم لا تفسيرهما. العصب: اطناب المفاصل ولحم عصب كثير العصب، والمعصوب في الأصل المسدود بالعصب المزروع من الحيوانات، ثم يقال لكل شدّ عصب.

### الإعراب

نذيراً: مفعول له. الواو في قوله وانتم معشر العرب: للحال؛ أي أنّ الله بعث محمداً ليكون نذيراً للعالمين وحال كونكم على شرّ دين، فمعشر العرب منادى مضاف حذف منه حرف النداء.  
منيخون: خبر، والاولى ان يكون خبر مبتدأ محذوف يدلّ عليه سياق الكلام، والباقي واضح.

### المعاني

إنّما صدرّ الجملة الاولى بأنّ ليردعهم عن الانكار إلى الإقرار بنبوته، ولما كانت الجملة الواقعة هنا حالاً وهي، أنتم على شرّدين غير واردة على أصل الحال، لكونها اسمية دالة على الثبوت، وان كانت واردة على نهجها لكونها مثبتة، أدخل الواو لما سبق في الضابط المذكور في المعاني من افتقارها الى الواو اذا كانت اسمية مثبتة، وتقديم معشر العرب على خبر المبتدأ للإيدان بأنهم المقصودون للخطاب دون غيرهم، وأنّ المحاطين ليسوا إلا طائفة مخصوصة، وانما أورد على ليؤذن بأنهم مشتغلون على شرّدين لا بالعكس.

وفي هذا مبالغة عظيمة في ثباتهم على الكفر.

في منيخون بين حجارة: فائدتان: احدهما: الاختصار الحاصل من حذف المسند إليه، للتحويل على القرائن الحالية التي يستدل بها العقل على وجوده. والثانية: قطعه عما قبله مع كونه جملة اسمية، ليؤذن بتعليل استقرارهم في شرّدان وقطع أيضاً تشربون الكدر مع إيراد المعنى الذي يتضمنه في الجملة الفعلية، ليؤذن أيضاً بتعليل استقرارهم في شرّدار بوجه آخر مغاير للوجه الأول، ثم قطع الاصنام فيكم منصوبة مع أنه عليه السلام أورد مضمونه في الجملة الاسمية، ليؤذن بتعليل كونهم على شرّدين<sup>(١)</sup>... نصب الأصنام مستقرّ بينهم، والباقي معلوم من القواعد السالفة.

### البيان

في منيخون: راعى استعارة تخيلية مكتياً بها عن عدم تدبّرهم في الأمور المحسوسة التي يدركها كلّ بليد، مستدعية لتشبيهم بالجمل وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في عدم العقل، وتخييل أنهم من افراد الجمل.

في الآثام بكم معصوبة: استعارة تخيلية مكنتى بها عن لزوم الآثام لهم في تلك الحال، مستدعية لتشبيه هيئة لزوم الآثام بهم وهي معقولة، بهيئة إحدى الشيين إذا شد بالأخر وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكها في عدم الانفكاك والملازمة.

### البديع

راعى بين خشن وبين صمّ: التحسين والمتوازن، كذا بين الكدر والجش، وبين منصوبة ومعصوبة: المتوازن مع التصحيح.

### الفحوى

إعلم أن هذا الفصل من خطبة طويلة خطب بها قيل مسيره الى النهروان، ومقصوده من ايراده ترفيق قلوب العرب التي هي أشد قسوة من الحجارة، وجذبهم من الالتفات الى الدنيا الموبق للملتفت، المبعد عن ملاحظة أنوار كبرياته، فذكر أولاً: ان النبي صلى الله عليه وآله مبعوث من قبل الحق، وذكر أحد شقي الغاية من البعثة: وهي كونه نذيراً للعالمين، وذلك لأنها بالنذارة والبشارة معاً، وانما خصها بالذكر لأنها اقوامها في الردع عما كانوا عليه من الانهماك في استيفاء اللذات الحاضرة التي تجدها كل نفس.

فان المشتغلين بها المقيدين بالأمر المحسوسة وهم أكثرهم، قلما يلتفتون إلى ما وعدوا به من الجنة وأنواع اللذات العقلية التي لا تدرك إلا بوجود شرائط قلما تحصل، ويتركون اللذات الحاضرة، ولأجل أن أذهان أكثر الخلق مربوطة بالمحسوسات. ما أخبر الله تعالى عن اللذات العقلية إلا على مثال اللذات الحسية ليلتفتوا إليها، ثم عقب ذلك بكونه أميناً على التنزيل، ليتنبهوا أن الإنذارات الواردة على لسانه هي من عند الله تعالى، جاء بها الرسول الأمين غير خائن فيها بتحريف

ولا تبديل.

فيتأكد في قلوبهم ما فهموه من الانذارات الملقاة إليهم، ليكون أدهى إلى القبول والانفعال عن أقواله، ثم أتى بجملة واقعة حالاً في معرض مدحه عليه السلام وذمهم وهي قوله: أنتم على شردين؛ أي مستقرون ثابتون على شردين هي عبادة الأصنام من دون الله، واتخاذ الأنداد، ثم أردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شردين، قيل: أراد بالدار نجد وتهامة والحجاز، وقيل: الدار: القبيلة كما في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أخبركم بخير دور الأنصار.

ثم استأنف جملاً لبيان كون دارهم شراً وبين شرته من وجوه تتعلق بالمعاش والمعاد، أما الوجوه المتعلقة بالمعاش فهي: كون المساكن رديئة والماء كدرأ والطعام رديئاً، ومع هذه فبينهم بساط الظلم بالطفل<sup>(١)</sup> وقطع الأرحام مبسوط فنبه بقوله: منيخون بين حجارة خشن وحيات صم على أن مساكنهم بين الحجارة الخشن التي لا نداوة بها ولا نبات، ومع هذا فهي مواضع للحيات الصم التي لا علاج لسمومها لكونها في غاية الشدة، وبقوله: تشربون الكدر على أن ماءهم غير صاف بل هو كدر لا يشربونه إلا عند غلبة العطش عليهم وخوفهم من التلف، ومثل هذا الشرب ينافي التنعم والالتذاذ.

وبقوله: وتأكلون الجشب على أن ماكلهم في غاية الرداءة، وقد سئل بعض العرب: أي الحيوانات يأكلون من البادية فقال: نأكل كل ما دب ودرج إلا أم حنين، وأم حنين: دويبة قدر كفت الانسان. وبقوله: تسفكون إلى أرحامكم على أن مراسم الأمن والأمان والشفقة مرفوعة بينهم بالكلية، وبقوله: الأصنام فيكم منصوبة على كونهم على شردين، فان قيل: لم قدم بيان كونهم على شرار على بيان كونهم على شردين؟

قلنا: ليتذكروا بذلك نعم الله تعالى الجسام عليهم بواسطة مقدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيرتدعوا عن الفساد و (١). إلى الصلاح، فيعلموا أنهم على شردين ويصدقوه في إخباره عن حالهم، فكان بيان كونهم على شردين، وهذا كله وإن كان في معرض الذم لهم، ولكنته مدح للنبي صلوات الله عليه وآله.

\* \* \*

ومنها: فَتَنَزَّرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَصَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَنِ الْقَدَى، وَشَرِبْتُ عَلى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلى أَخْذِ الْكُظْمِ، وَعَلى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ.

### اللغة

صننت بالكسر في الماضي والفتح أيضا أضن ضناً: أي بخلت، وهو ضنين أي بخيل. الاغضاء: ستر العين بادناء الجفون.

أغضى الليل: أي أظلم، وليلة غاضية شديدة الظلمة.

القذى: ما تتأذى العين به إما رؤية واما مماسة، يقال قذيت عينه تقذي قذى فهو رجل قذي العين في وزن فعل إذا سقطت في عينه قذاة، قال الأصمعي: قذت عينه يقذي قذياً؛ رمت بالقذى، وأقذيت عينه أي جعلت فيها القذى، وقذيتها تقذية أي أخرجت منها القذى.

الشجى: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره، وقيل: الشجى الغصّة التي تأخذ الحلق من همّ أو حزن وهو الشجو وهو الحزن، يقال: شجاه يشجوه بالكسر يشجي شجى، فيكون الشجى اسماً ومصدرأ.

الصبر: الامسك في ضيق، في الأصل وفي العرف هو حبس النفس على

(١) كذا في الأصل.

ما يقتضيه العقل أو الشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عامّ وربّما خولف من أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس بمصيبة صبراً لا غير ويضاة الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاة الجبن. وإن كان في مائه<sup>(١)</sup> مضجرة سمي رجب الصدر ويضاة الضجر، وإن كان في امسك كلام سمي كتماناً ويضاة المبذر، وقد يعبر عن الانتظار بالصبر لما كان حق الانتظار أن لا ينفك على الصبر بل هو نوع من الصبر، وأراد به هنا رجب الصدر، ويحتمل أن يكون بمعنى اضطرب .

الكظم: مخرج النفس؛ يقال: أخذ بكظمه أي بمخرج نفسه، والكظم أيضاً تجرّع الغيظ، ومنه قوله تعالى: «والكاظمين الغيظ<sup>(٢)</sup>». المرارة: ضدّ الحلاوة؛ يقال هذا شيء مرّ، والجمع أمرار، وهذا أمر من كذا. والعقم: أصول الخنظل؛ وهو شيء يشبه به المرارة لأنّ مرارته لذاعة.

### الاعراب

أهل بيتي: مرفوع على انه بدل من معين، وأمرّ أفعال التفضيل، وهونعت لمنعت محذوف، الباقي واضح.

### المعاني

في قوله ليس لي معين إلا أهل بيتي: الحصر للإفراد على تنزيل المخاطبين منزلة من يرى أنّ له معيناً غيرهم، الفاء في فضنت للسببية الدالة على أن القصر المذكور حاسبا<sup>(٣)</sup> للضنة بهم.

(٣) كذا في الأصل.

(١) كذا في الأصل.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

## البيان

في أغضيت على القذى: استعارة تخيلية مكثى بها عن فتوره عن المقاومة، وعوده عن القيام إليهم، مع مشاهدته ما يكون ظلماً في حقه، مستدعية لتشبيه هيئة ستره عليه السلام ظلمهم عليه عن الناظرين بالتحمل والصبر على المشقة، وهي معقولة، بهيئة ستر المغضي عينه عن الناظرين بادناء الجفون، والصبر على تحمل ما وقع فيها من المؤذي وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكها في الايذاء البالغ والتحمل والستر.

في شربت على الشجى: أيضاً استعارة تخيلية مكثى بها عن تحمله الظلم عليه وصبره على الانظام، مستدعية لتشبيه هيئة قعوده عليه السلام عن المقاومة معهم وحمل نفسه على الصبر، مع مشاهدته لحظة فلحظة أموراً جارية على غير نظام الشريعة، خصوصاً الظلم في حقه وهي معقولة، بهيئة شرب الماء على الشجى وهي محسوسة، وجه الشبه: اشتراكها في الألم الشديد وعدم الالتذاذ والإساعة، وهو عقلي.

وفي صبرت على أخذ الكظم: أيضاً استعارة تخيلية مكثى بها عن صعوبة الصبر على الانظام وما يفوت من حقه، مستدعية للتشبيه المذكور وقريب منه.

في وعلى أمر من طعم العلقم: أيضاً استعارة تخيلية مكثى بها عما يجده من شدة الألم بسبب فوت حقه، مستدعية لتشبيه هيئة صبره على فوت حقه بهيئة الصبر على أكل العلقم وذوقه وطعمه، ووجه الشبه: اشتراكها في الأذى والألم، وإنما قال أمر لأن ما يجده من الألم نفساني، وبالجد أكل العلقم ألم بدني، والألم النفساني أشد من الألم البدني بكثير يجده كل عاقل، وهذه الاستعارات الأربع في غاية الحسن والنفاسة ونهاية الجمال واللطافة، لا يعرفها إلا المدرب بعلم البيان، والله أعلم.

## البديع

بين القذى والشجى: التجنيس المتوازي، وبين العلقم والكظم:  
المطرف.

## الفحوى

إعلم أنه عليه السلام ذكر في هذا الفصل بيان صورة حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر الخلافة، وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية لمن تلبس بها، وأشار أولاً إلى أنه قد أجال الفكر في أن الأولى بحاله القيام بطلبه، والمقاومة مع من أخذها، أو الصبر، فرأى أنه لا معين له إلا أهل بيته من العباس بن عبد المطلب وبنيه أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وغيرهم وهم قليلون بالنسبة إلى من لا يعينه ويعين عليه.

فبخل بهم عن الموت لأنه علم بالقرائن الحالية أنه لو قاوم بهم لقتلوا، ثم لا يحصل له مقصوده، ولما ضمن بهم عن الموت نسب بالصبر وكتى عنه بالاستعارات الأربع على ما عرفتها، والكلام في أن الشقاق هل وقع بين الصحابة في أمر الخلافة بين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع، لا يحققه إلا العاقل الذي يطرح العصبية والهوى عن نفسه، ويطلع كتب التواريخ المؤلفة، وليس علينا إلا بيان ما يتعلق بما اشتمل عليه نهج البلاغة، والباقي موكول إلى نظر المؤرخ، والله الهادي إلى التحقيق.



ومنها: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْمُبَايِعِ<sup>(١)</sup>، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ، فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا، وَأَعْدُوا لَهَا عُذَّتَهَا، فَقَدْ شُبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا (وَأَسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى التَّنْضُرِ)<sup>(٢)</sup>.

### اللغة

المبايعة والبيعة: اسمان للعهد الذي يجري بين طائفة على الطاعة لمعين، وإنما سمي بها لأن الباع عدده<sup>(٣)</sup> المبايع هو الذي يلي البيعة، والمبايع هو الذي يقبلها.

الفرق بين الإيتاء والإعطاء: أن الإيتاء إعطاء لشيء من غير تعبد وطلب، فكأنه إحضار للعطية بين يدي آخذها، وهو من أتى يأتي، ويتعدى بالألف فقال أتى يؤتي، كقولنا جاء وأجاء، وكلّ عطية من الله سبحانه إيتاء، لأنها من غير استحقاق وطلب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»<sup>(٤)</sup>.

والإعطاء: أعم من الإيتاء.

الخرزي: مهانة تشور صاحبها وتنجله، وخرزي الرجل يخزي خزيًا إذا تشور وخجل، والخرزيان للنادم الخجل.

الأخذ: حوز الشيء وتحصيله؛ وذلك يكون تارة بالعلول، نحو قوله تعالى: «معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده»<sup>(٥)</sup>، وتارة بالقهر نحو أخذته الحمى، ومنه قوله تعالى: «لا تأخذه سنة ولا نوم»<sup>(٦)</sup>، وهنا أراد الأول. الأهبة:

(١) في ض وح وب: يد البايغ. (٤) الحديد: ٢١.

(٢) ساقطة من ن ول وش. (٥) يوسف: ٧٩.

(٣) كذا في الأصل. (٦) البقرة: ٢٥٥.

عدّة يتقى بها الحوادث، وتأنّهب إذا استعد، يقال أعدّه لأمر كذا: هيأه له، والاستعداد للأمر: التهيؤ له.

العدّة بضمّ العين: الإستعداد؛ يقال كونوا على عدّة أي استعداد، والعدّة أيضاً ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح، يقال أخذ للأمر عدّة به، وعدّة الحرب ما يعدّ من الآلات والسلاح.

يقال شببت النار والحرب أشبّها شبّاً وشبواً: إذا أوقدتها، ولتوقّد الحرارة الغريزية في الشبان يعبر عن حالهم بالشباب.

اللظى: النار؛ وقيل اللهب الخالص، يقال لظيت النار وتلظّت، قال الله تعالى: «ناراً تَلْظَى<sup>(١)</sup>»، ولظى اسم من أسماء النار غير مصروفة، قال الله تعالى: «إنها لظى».

علا في المكان: يعلو علواً، وعلى في الشرف بالكسر يعلى علاء. السنا مقصوراً: ضوء البرق، وأيضاً نبت يتداوى به، وذكر علا قرينة معينة للمعنى الأول.

السنا ممدوداً: الرفعة، السني: الرفيع، وأسناه وسناه: أي رفعه. في بعض النسخ: استشعروا الصبر فانه أدعى إلى النصر. الاستشعار: اتخاذ الشيء شعاراً، والشعار ما يلي الجسد من الثياب ويلزمه.

### الاعراب

الضمير الفاعل في لم يبايع: عائد إلى عمرو بن العاص، وفي يؤتیه إلى معاوية، والضمير المنصوب فيه لعمر بن العاص، الحرب تؤنّث، يقال وقعت بينهم حرب ولذا أنث عليه السلام الضمائر العائدة إليها.

## المعاني

القاء في فلا: للسببية الدالة على أن المبالغة المشروطة علّة لدعائه عليه السلام بعدم الظفر والحزري، وفي فخذوا: فصيحة مفصحة عن سبب محذوف لهذا الأمر تقديره فأعطاه الثمن على البيعة وبايع هو اياه على مخالفتي، فخذوا<sup>(١)</sup> أو اشتمال هذه الكلمات على الايجاز أظهر من البيان، وفي فقد: الظاهر أنها لعطف الجملة الخبرية على الإنشائية، ويحتمل أن يكون سببية.

## البيان

في خزيت أمانة المتباع: مجاز في الأفراد والتركيب معاً، أما في الإفراء فلا أنه عليه السلام كنى عن بلاد المسلمين، التي تولّى معاوية حكمها بالاستيلاء بالأمانة، كناية بالاستعارة المستلزمة لتشبيه البلاد بالأمانة وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في المحافظة عن تسلّط غير المؤتمن عليها والخيانة والردّ إليه وهو عقلي، أما في التركيب فلا أنه عليه السلام أسند الحزري إلى الأمانة نظراً إلى أنها السبب للخيانة فيها المستلزمة للحوق الحزري بصاحبها.

في قوله شبّت لظاها: استعارة مكنتى بها عن بدء إمارات الحرب منهم، مستدعية لتشبيه إمارات الحرب بلهب النار وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها علامات على أمرين هما: مظنة الهلاك ومحلّ الفتنة وهو عقلي. وعلا سناها: يحتمل أن يكون ترشيحاً للاستعارة السابقة، وأن يكون استعارة مكنتياً بها عن ظهور علامات الحرب، بحيث اشتهر بين الناس وارتفع ذكره مستدعية للتشبيه المذكور.

## البديع

بين اهبثها وعدتها: السجع المتوازي، وكذا بين لظاها وسناها، والباقي ظاهر.

## الفحوى

روي: أنه عليه السلام لما نزل بالكوفة بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه فيه إلى البيعة، فأهّمه ذلك، فدعا قوماً من أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه، فأشار أخوه عتبة بن أبي سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة<sup>(١)</sup> فاستدعاه، فلما قدم عليه وعرف حاجته إليه، جعل يمدح علياً عليه السلام في وجهه ويفضّله ليخدعه عما يريد منه، وكان قبل ذلك قد طلب من معاوية مصر وهو يماطله وعمرو يمتنع عن مساعدته، حتى رضي معاوية أن يعطيه مصر.

فعاهده على ذلك وباع عمرو معاوية، وكتب له بمصر كتاباً، هذا هو المعنى بقوله: ولم يبايع أي عمرو معاوية حتى شرط أن يؤتبه؛ أي يعطي معاوية عمراً بيعته إياه ثمناً هو مصر، ثم دعا على المبايع البائع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب، أو بالثمن الذي أخذه على البيعة المذمومة لدينه بقوله: فلا ظفرت يد المبايع، وأردف ذلك الدعاء بالدعاء على المتباع الذي قبل البيعة منه بالثمن الذي التمس المبايع منه وهو معاوية بخزري أمانته التي هي بلاد المسلمين، وهو عبارة عن حقوق الخجالة يوم القيامة به، حيث خان في بلاد الإسلام، توبيخاً له وذمّاً.

قال وخزيت أمانة المتباع: وظهرت دعوة معاوية عمراً من الشام، ومبايعة

(١) هذا مخالف للتاريخ، ولم يقل به أحد، والصحيح أن عمرو بن العاص كان مقيماً بفلسطين حين قتل عثمان، وبعد مبايعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام وقتل طلحة والزبير استدعاه معاوية إلى دمشق، فأجابته وباع دينه بديناه.

عمرو له لاحت إمارات الشقاق والنفاق، فأمر عليه السلام أصحابه بالتأهب للحرب، وإعداد ما تحتاج الحرب إليه، والباقي معلوم مما ذكرنا، والله أعلم.

\* \* \*

## ٢٦- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَعْبَةً<sup>(١)</sup> عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ نُوبَ السُّذُلِ، وَشَمَلَةَ الْبَلَاءِ، وَذَيَّبَتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَضْرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْهَابِ<sup>(٣)</sup>، وَأَدِيلَ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسَيِّمِ الْحَسْفِ، وَمُنِيعَ النَّصْفِ.

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ<sup>(٤)</sup> هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: أَعَزُّوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوَكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُمْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمَلِكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ.

وَهَذَا أَخُوغَامِدِ<sup>(٥)</sup> وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُنْخَرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَنْتَزِعُ جِحْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا<sup>(٦)</sup>، مَا تَمْتَنِعُ<sup>(٧)</sup> مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ.

(٥) في ش: فهذا أخوغامد قد وردت.

(١) في ش: فن تركه ألبسه الله.

(٦) في ح: ورعها.

(٢) في ح وض: والقهاء.

(٧) في م وب: ما تمنع.

(٣) في ن: على قلبه بالاسداد.

(٤) في ش: إلى حرب.

ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ، وَلَا أَرِيْقَ (١) لَهُ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا؛ فَيَا عَجَبًا— وَاللَّهِ— يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَخْلِبُ الِهْمَّ أَجْتِمَاعُ (٢) هَوْلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَتُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى؛ يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ، وَتُغَزَوْنَ وَلَا تُغَزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ.

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ: هَذِهِ حِمَارَةٌ الْقَيْظِ، أَمَهْلِنَا يُسَيِّخُ عَنَّا الْحَرَّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ (٣) فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرَى، أَمَهْلِنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ (٤)، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرَى، (فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرَى تَفِرُونَ (٥)) فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ، يَا أَشْبَاهَةَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعَقُوقُ رِبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوِ دِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ! مَعْرِفَةٌ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا، وَأَعَقَبَتْ سَدَمًا (٦)، قَاتَلَكُمُ اللَّهُ!!

لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نُعَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِضْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ (٧): إِنَّ أَبْنَ أَبِي ظَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.

(١) في ض: وح: ولا أريق لهم دم.

(٢) في ش: من اجتماع.

(٣) في م: في السير في الشتاء.

(٤) في ش: يسخ عتا البرد.

(٥) ساقطه من م وب.

(٦) في م: واعقت ندماً، وفي ك: ون: واعقت ندماً، وفي ل: وش: واعقت ندماً.

(٧) في ح: لقد قالت قريش.

للهِ أَبُوهُمُ!! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا  
مِثِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا، وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ  
عَلَى السَّيْنِ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!!

### اللغة

الجهاد: مصدر جاهد، يقال جاهد في سبيل الله مجاهدة وجهاداً، والجهاد:  
هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو.

الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال وذلك ضربان: أحدهما: يدرك كفتح  
الباب ونحوه، وكفتح الغلق والقفل والمتاع، الثاني: ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم  
وهو إزالة الغم، وذلك ضربان:

أحدهما: في الأمور الدنيوية كفقريزال بإعطاء المال.

والثاني: فتح المنغلق من العلوم نحو قولك: فلان فتح باباً من العلم مغلقاً.  
الأولياء: جمع ولي، وولي الله: هو العبد المؤمن الذي فوض أمره الى الله بالكلية  
قاطعاً نظره عن غيره بحال ما، فيحبه الله ويرضى عن أفعاله وأقواله، وليس هذا  
مقام اطالة الكلام فيه.

الدرع: هي المتخذة من الحديد ليلبسها المحارب ويدفع بها تأثير السهام  
والسيف وغيرها وهي مؤنثة، والجمع القليل: أدرع وأدراع، وإذا أكثرته فهي  
الدروع الحصينة المحكمة.

الجنة: الترس؛ وهو ما يستر المرء عن الخصم حال المقاتلة ويقيه عن ضربه.  
الذلّ: ضدّ العزّ.

شملهم الأمر: يشملهم لغة فيه لم يعرفها الأصمعي.

البلاء: الغم الكثير، وأتوا سمي بلاءً لأنه يبلي الجسم.

ديّشه: أي ذلّله، وطريق مذلّل، وأتوا سمي الذي لا غيرة له، لأنه قد

ذلل نفسه لكل آت.

قال الجوهري: الصغار بالفتح: الذل والضم، وكذلك الصغر بالضم، والمصدر الصغر بالتحريك، يقال قد صغر الرجل بالكسر في الماضي والفتح في الغابر صغراً، والصاغر الراضي بالضم، قيل: الصغار الدناءة في النفس، وهو من الصغر دناءة الهيكل، وكلاهما محتمل.

يقال قو الرجل قواء: صار قيئاً وهو الصغير الذليل، وأقامته أي صغرتة وذلتة، فالقواء الذلة والحقارة، والقواء صغر القامة، ولكون القصر والحقارة متلازمين، يعبر بأحدهما عن الآخر.

قال الشاعر:

تبين لي أن القواء ذلة \* وأن أعزاء الرجال طواها

ضرب عليه: إذا حجر عليه، يقال ضربت على يد فلان أي منعته من التصرف، قال الله تعالى: فضربنا على آذانهم<sup>(١)</sup>، أي حجرنا عليها.

الاسهب: ذهاب العقل، يقال أسهب الرجل على البناء للمفعول إذا ذهب عقله من لذع الحية، وقيل: أصله من التوسع في الشيء، والسهب: الفلاة الواسعة والفرس الواسع الجري، وبئر سهبة أي بعيدة القعر واسعة، وإنما يقال لذهاب العقل المسهب لارتفاع ضبط العقل عنه، فهو متوسع في أحواله وأقواله وحركاته وسكناته.

يقال ادبل الحق منه: أي غلب عليه عدوه وأخذ الحق منه، من إدالة الغلبة. سيم: أي أذيق.

قال الله تعالى: يسومونكم سوء العذاب<sup>(٢)</sup>، أي يذيقونكم.

الخسف: النقصان؛ يقال رضي فلان بالخسف أي بالنقص، وبات فلان بالخسف أي جائعاً، ويقال سام الخسف وسامه خسفاً أو خُسفاً بالضم أي



أولاه ذلاً، ويقال كلفه المشقة والذل.

الينصف بكسر النون وسكون الصاد: الإسم من الانصاف.

القتال والمقاتلة: المحاربة وتجر القتل.

العلانية: ضد السر، واكثر ما يقال ذلك في المعاني دون الأعيان.

يقال: أعلنته يعلن، قال: ثم إني أعلنت لهم واسررت لهم اسراراً<sup>(١)</sup>،

أي سرّاً وعلانية.

الغزوة: الخروج إلى محاربة العدو، قال: غزا يغزو غزواً، فهو غاز، وجمعه غزاة

كقراض وقضاة، وغزى مثل سابق وسبق، وغزى مثل حاج وحجيج، وغزاه مثل فاسق وفساق.

قط: معناها الزمان، يقال ما رأيته قط، قال الكسائي: كانت قطط فلماً

سكنت الحرف الأول للادغام جعل الآخر متحرّكاً بإعرابه. عقر الدار: وسطها ومعظمها.

العقر: أصل الشيء؛ وإنما سمي معظمها عقراً لأنه أصل الدار. تواكل

القوم: إذا وكل كل واحد منهم الأمر إلى صاحبه.

شق الغارة: شقتها شناً إذا صبها وأفرغها، وشنّ أفرغ، من الشق وهو الدلو

المتمزق يتخذ من الجلد البالي فينصب عنه الماء.

الغارات: جمع غارة، والغارة اسم من الإغارة على العدو.

غامد: حيّ من اليمن.

الخيّل: أراد به الفرسان، كما في قوله تعالى: وأجلب عليهم بخيّلك

ورجلك<sup>(٢)</sup>، والقريظة الحالية والمقاتلة معنية إياهم.

الأنبار: اسم بلد قريب من بغداد على طريق الشام واقع على حافة

الفرات.

أزال: أي اخرج. والخيل هنا يحتمل أن يكون المراد بها الخيول وهو الأغلب، وأن يكون الفرسان.

المسالح: يحتمل أن يكون جمع مسلح وهو الاصطبل الذي هو موضع سلح الدواب وهو الروث، وحينئذ يكون المراد بالخيل الدواب، وأن يكون جمعاً لمسلحة هي القوم ذوو السلاح، والمسلحة أيضاً كالشعر والمرقب، وفي الخبر: كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب<sup>(١)</sup>، وحينئذ يكون المراد بالخيل الفرسان.

المعاهدة: الكافرة التي عاهدت أهل الاسلام فسكنت ديارهم، والمعاهد من المشركين كأهل الذمة من أهل الكتاب.

انتزع الشيء ينتزع انتزاعاً: أي أقلعه.

الحجل: بالفتح والكسر الخلل.

القلب: السوار، وإنما سمي به لتقلبه في الساعد والحلح<sup>(٢)</sup> إذا تحلقت سميت قلباً لمشابهتها السوار.

القلائد: جمع قلادة، وهي اسم لما في العنق من الطوق وغيره.

الرعاث: القرطة، واحدها: رعثة ورعثة بالتحريك، وترعثت المرأة أي تقرطت، قيل: الرعاث ضرب من الخرز والحلي، وقيل: كان يتخذ من مهن حلي يتزينون بها.

الامتناع: الاحتراس. الاسترجاع: قول المرء لثأبه أصابته: إنا لله وإنا إليه راجعون.

والاسترحام: طلب الرحمة.

الصرف: رد الشيء من حالة إلى حالة، أو ابداله بغيره، يقال: صرفته وانصرف، والانصراف هنا أراد به الرجوع.

(١) العذيب: تصغير العذب وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغنية، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل هو حد السواد، وكانت مسلحة للفرس، وقد أكثر الشعراء من ذكرها.  
(٢) كذا في الأصل.

الوفر: المال الكثير، والموفور الشيء التام، يقال وفرت الشيء أتممته وأكملته أفره وفرأ، ووفر الشيء بنفسه وفوراً، الوافر التام بالوفر أي الحامل له.  
الكلم: التأثير المدرك باحدى الحاستين: السمع والبصر، وكلمته جرحته جراحة بان أثرها.

الأسف: الغضب والحزن معاً، وقد يقال لكل واحد منها على الانفراد، وحقيقته ثوران دم القلب وشهوة الانتقام.

فتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً، ولذلك سئل ابن عباس رضي الله عنها عن الحزن والغضب، فقال: مخرجها واحد، واللفظ مختلف، فن نازع من يقوى عليه أظهر غيظاً وغضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهر حزناً وجزعاً.

اللوم: عدل الإنسان بنسبته الى ما فيه لوم، يقال: لمته فهو ملوم.  
يقال فلان جدير بكذا: أي خليق، وأنت جدير أن تفعل كذا، والجمع جدراء وجدرون.

جلب الشيء يجلبه جلباً وجلباً: اذا جذب به.  
الهم: الحزن الذي يذيب الإنسان، يقال هممت الشحم فانهم، والهم ما هممت به في نفسك، والقريئة الحالية معينة للأول.  
يقال قبحاً له وقبحاً: أي نحاه عن الخير.

الترح: ضد الفرح، وهو الحزن، يقال: ترحه تتريحاً أي أحزنه.  
الغرض: الهدف المقصود بالرمي، ثم جعل لكل غاية يتحرى إدراكها.

حمارة القيظ: بتشديد الراء شدة الحر في الصيف، وربما خفف في الشعر للضرورة، والجمع حمار، وأن العرب تعبر عن الشدة بالحمرة لأنها لون الدم الذي يتفق اراقته في الخطوب الشديدة، وموت أحمر إذا وصف بالشدة.

في الحديث: كذا إذا احمرَّ البأس اتقينا برسول الله. التسبيخ: التخفيف، يقال: سبَخَ اللهُ عنكَ الحَمَى أَي خَفَّفَهَا، وفي الحديث: أَنه عليه السلام قال لعائشة حين دعت على سارق سرقها: لا تسبِخِي عنه بدعائك عليه؛ أَي لا تخفِّي عنه إثمهُ، قال الشاعر:

فَسَبِّخْ عَلَيكَ الهمَّ واعلم بأنه • إذا قدر الرحمن شيئاً فكائن  
وسبِخ الحر: فتروخف.

صبارة الشتاء: بتشديد الراء؛ شدة برده لإحباس الناس فيه عن السعي والحركات، وأصلها من الصبر وهو الحبس.

القر: بضم القاف وتشديد الراء، البرد، يقال: يوم قر و ليلة قره أي باردة. الانسلاخ: الانفصال عن الشيء المحيط كالثوب والجلد واشباههما، يقال: انسلخ الشهر من سنته، والرجل من ثيابه، والحبة من قشرها، والنهار من الليل. الحجال: جمع حجلة بالتحريك، والحجلة للعروس: بيت يزين بالثياب والاسرة والستور وأراد بربات الحجال النساء.

الحلوم: جمع حلم؛ وهو ضبط النفس عن الغضب في الأصل، ويراد به العقل على سبيل المجاز اطلاقاً لاسم المسبب واردة السبب، وهنا يحتمل الأمران. المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأمره أخص من العلم، ويضاده الإنكار.

الندم والندامة: التحسر من تغيير رأي في أمرفانت. القيقح: المدة لا يخالطها دم، يقول: منه قاح الجرح يقيح وقيح الجرح وقيح. شحنتم: أي ملأتم.

الغيظ: غضب كامن للعاجز، يقال غاظه فهو مغیظ. جرعت الماء أجرعه جرعاً وجرعه غيره تجريعاً، يقال: جرعه غصص الغيظ فيجرعه؛ أي كظمه.

النعبة: بضم النون الجرعة، والجمع النغب، قال ابن السكيت: نغبت من الإناء بالكسر نغباً؛ أي جرعت منه جرعاً.

التهمام: تفعال من الهمم، وهو شدة الغم والحزن.

المراس: الممارسة والمعالجة وقوة الجلد والاصطبار على الشيء، يقال: رجل مرس إذا كان جلدأ شديد العلاج.

ذرف على المائة تذريراً: أي زاد.

### الاعراب

وافرين: حال من فاعل انصرفوا. أسفاً: مفعول له، أي: لومات لأجل الأسف على ما فات منه. عجباً: الأول منادى نكرة كقولهم: يا رجلاً خذ بيدي، الثاني: نصب على المصدر من المصادر التي يحذف منها أفعالها؛ مثل حمداً وشكراً، وأتأ كرره تأكيداً. الضمير في به ملوماً عائد إلى الموت الدالّ عليه مات، على طريقة قولهم: من كذب كان شرّاً له.

يحتمل أن يكون العجب الأول مصدرأ والثاني تأكيداً والمنادى محذوفاً تقديره: يا قوم اعجبوا عجباً. ويميت القلب نعت لعجباً.

فقبحاً لكم وترحاً: منصوبان على المصدر من المصادر المذكورة. فراراً نصب على المفعول له تقديره: كل هذا يقولونه لأجل الفرار. أنفاساً: حال من نغب التهمام. ها: للتنبيه. وأنا مبتدأ، والجملة بعده خبر.

### المعاني

إنها ذكر الجهاد وفصله أولاً على سبيل الإجمال، ثم فصل وخاطبهم بالخطاب الحالي عن الاقتصاد بالمقصود، بل المشتغل على توبيخهم على القعود حين دعاهم، ثم أتى بالمقصود ليكون أقبل لما مرّ غيره ان الكلام إذا سبق على

سبيل العموم ثم على الخصوص كان أقرب إلى المفعول، إنها أتى بالمسند إليه مضمراً غائباً في قوله: وهو لباس؛ لذكر المطهر أولاً والاهتمام بشانه.

الفاء في فن تركه رغبة ألبسه الدالة على أن ما قبل الجملة علة لما بعدها، وفي فوائده ما غزي إلى ذلوا خاصيتان: إحداهما: التصدير بالقسم المؤذن بأن الكلام مع المنكر، وبأنه إنما أوردته ليرده عن الخطأ إلى الصواب، الثانية: القصر للقلب؛ يعني ليس الأمر ما تصوّرتم من أنّ القعود عن المقاتلة والمقام في البيت أولى بالعزة، بل هما موجبان للذلة.

الفاء في فتواكلم: فصيحة مفصحة عن محذوف هو سبب للتواكل تقديره: فما أطعتموني وتناقلتم عن دعوتي وقعدتم عن نصري وجبنتم فتواكلم. هذا في قوله هذا أخو غامد: يحتمل أن يكون لإتمام توبيخهم والشروع في الغرض؛ أي مضى هذا أوتّم، وأن يكون للتحقير مثل قوله في الشقشقية إلى هذه النظائر، وهو أقرب إلى البلاغة، إذ كما أنه يؤذن بتحقير الرجل، كذا يؤذن بنسبتهم إلى الجبن والعجز على سبيل التعريض، حيث قعدوا عن مقاومته.

وافرين: حال على الأصل، وحيث كان وصفاً غير ثابت واسم فاعل، وعلى النهج حيث كان خالياً عن حرف النفي.

ما نال رجلاً منهم كلم: جملة استثنائية مقررة لمضمون الجملة السابقة.

الفاء في فقبجاً لكم: للسببية الدالة على أنّ التفريق على الحق سبب للدعاء عليهم مع اشتماله على الإيجاز.

يفار عليكم: جملة استثنائية دالة على تعليل صيرورتهم غرضاً يرمى.

حلم الأطفال: أيضاً جملة استثنائية مؤذنة بتعليل نفي الرجولية عنهم، وحذف منه المسند إليه تعويلاً على القرائن التي يشهد العقل بها على الوجود، أو لأن هذا الخبر لا يصلح أدعاً<sup>(١)</sup> إلا لهم.

(١) كذا في الأصل.

والله جرّت ندماً: أيضاً جملة استثنائية حذف منها المسند إليه لما عرفت، وقد صدرت بالقسم ليردّها المخالف لمضمونها إلى الموافقة تقديره: تلك معرفة والله جرّت ندماً هل أحد منهم: استفهام عن الثبوت على سبيل الإنكار، ومثل هذا التركيب أي ادخال هل على الاسم لا يصدر إلا من البليغ العارف بمواقع البلاغة، وذلك لأننا قد بيّنا في المعاني أنّ هل مختصّ بالفعل ولا يدخل على الاسم، إلا اذا كان مراد المتكلم عدم التجدد، بل الثبات على ما دخل عليه هل.

ومن ثمّ كان قوله تعالى: «فهل أنتم شاكرون<sup>(١)</sup>»، ادخل في الإنباء عن طلب الشكر من قوله فهل تشكرون، والله أعلم. ثمّ حقق ثباته في الحرب وممارسته لها بادخال اللام للقسم في: لقد نهضت، ولكن في: لكن لا رأي لردّة من اعتقد فيه عليه السلام أنّ ليس له رأي إلى أنّ له رأياً، ولكن يمنع من ظهور أثره مانع هو عدم اطاعة القوم، والله أعلم. أعلم أنّ تحت كلّ كلمة خواصّ لو أطلق أذكرها لخرج كتابنا هذا عن حدّ الاعتدال، ولأفضى إلى التطويل.

## البيان

في الجهاد باب من أبواب الجنة: تشبيه واقع في المرتبة العليا من بدايتها، وهي ذكر المشبه والمشبه به بدوات حرف التشبيه ووجه الشبه، وقد عرفت علوّها في المقصد الثاني في البيان من القاعدة الثانية، وهذا تشبيه للمعقول وهو الجهاد، بالمحسوس وهو الباب، ووجه الشبه: أنّ المسلم بسبب الجهاد يدخل الجنة ويستحقها كما ان با<sup>(٢)</sup> من الباب يدخل الدار وهو عقلي، في لباس التقوى: استعارة تصريحية، المستعار منه فيها وهو الثوب الذي يلبس محسوس، والمستعار له وهو الجهاد معقول. وجه الشبه: أنّ الجهاد يدفع حرارة العذاب وبرودته، كما أنّ اللباس يدفع به الحرّ الشديد والبرد الشديد، وهو عقلي.

(٢) كذا في الأصل.

في درع الله الحصينة: أيضاً استعارة تصريحية مرشحة، المستعار منه فيها وهو الدرع التي يلبسها المقاتل لردّ سهام الخصم حسي، والمستعار له وهو الجهاد عقلي، ووجه الشبه: أنّ الجهاد يدفع سهام مكائد الأعداء في الدنيا، وسوء العذاب في الآخرة، كما أن الدرع يتقى بها عن تأثير سهام العدو وهو عقلي، وقد رشحها بذكر الحصينة.

في جنته الوثيقة: أيضاً استعارة تصريحية مرشحة، المستعار منه فيها وهو الجنة التي يتقى بها من تسلط العدو بأثرة عليه حسي، والمستعار له وهو الجهاد عقلي، ووجه الشبه: أنّ الجهاد من تلبس به أمن من أن يتسلط العدو عليه، وزال عنه الخوف منه، كما أن الجنة يتخذها المقاتل قدّامه ليأمن من سطوات الخصم وتأثيراته وهو عقلي، وقد رشحها بذكر الوثيقة.

في ألبسه الله ثوب الذلّ: أيضاً استعارة تصريحية مرشحة، المستعار منه فيها هو الثوب محسوس، والمستعار له وهو الذلّ عقلي، ووجه المشابهة: أن الذلّ يحيط به احاطة الثوب لابسه وهو عقلي، وقد رشحها بذكر لباس.

ضرب على قلبه بالإسهاب: أيضاً استعارة تصريحية، المستعار منه فيها يضرب الخيمة وما شاكلها وهو أمر حسي، والمستعار له الثبت والدوام وهو عقلي، ووجه الشبه: اشتراكهما في الاحاطة؛ يعني قلّة العقل وذهابه يحيط به كما احاطة الخيمة بمن فيها، وتلك الاستعارة مثل ما في قوله تعالى: وضربت عليهم الذلّة والمسكنة.

إنّما أسند الامامة إلى العجب: إمّا لانه مثير للعجز الذي هو في آخر الأمر، وجزّ المرء إلى الهلاك، فيكون إطلاقاً لاسم الشيء باسم ما يؤول اليه، أو لانه استعارة بالامامة عن الاعجاز استعارة مكتئباً بها، مستدعية لتشبيه الموت وهما عقليان، ووجه الشبه: اشتراكهما في عدم حصول المطلوب معها، وهو ايضاً عقلي.

حين صرتم غرضاً يرمى: استعارة تخيلية مكتئباً بها عن غاية عجزهم في



مقاومة العدو، مستدعية لتشبيههم بالهدف الذي يجهل مقصوداً بالرمي وهما محسوسان.

وجه الشبه: اشتراكهما في عدم القدرة على الدفع والعجز وهو عقلي. في ينسلخ عتاً البرد: استعارة تصريحية؛ المستعار منه فيها وهو ظهور المسلوخ من جلده، والمستعار له وهو ظهور آثار الحرارة من آثار البرودة محسوسان، ووجه الشبه هو ما يعقل من (١) مديب أحدها على الآخر وهو عقلي، ومثلها في قوله تعالى: نسلخ منه النهار (٢).

حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال: تشبيه لحلومهم بحلوم الأطفال، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونهما في غير مواضعهما، وتشبيه لعقولهم بعقول النساء.

وجه الشبه: المشاركة في النقصان وعدم تعقل الأمور المختصة بتدبير المدن والحرب، وهذان التشبيهان واقعان في أعلى مراتب التشبيه وأقواها. في قاتلكم الله: مجاز من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللزوم، وذلك لأنّ المقاتلة غير ممكن إطلاقها على الله تعالى، والمراد بها حقيقتها، ولكن لما كانت مستلزمة للمداوة المستلزمة للطرد واللّعن والإبعاد عن الرحمة، كانت مستلزمة للطرد وغيره، لأن لازم اللزوم لازم، فيكون مجازاً من باب إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزوم البعيد.

ملائم قلبي قيحاً: استعارة تخيلية مكتى بها عن بلوغ ألم قلبه الحاصل من عدم طاعتهم لأوامره، وقعودهم عن نصره الى الغاية، مستدعية لتشبيهين:

أحدهما: تشبيه عدم طاعتهم لأمره وتشبّطهم بالجرح الواقع في العضو المجروح، وعدم طاعتهم يؤلم قلبه، الثاني: تشبيه غاية فعلهم بغاية فعل الجرح، ووجه الشبه: اشتراكهما في تحصيل الألم البالغ إلى الغاية وهو عقلي، ومن قال

عبر بالقبح عن ألم قلبه اطلاقاً لاسم الغاية على ذي الغاية فقد أخطأ، فإن القبح ليس غاية ألم القلب حتى يقول هذا.

في شحنتم صديري غيظاً: استعارة قريبة مما ذكرنا، في جرّعتوموني نغب التهام: استعارة مكنتى بها عن عدم مطاوعتهم لأوامره المترادفة عليهم، وعودهم عن نصره في المحرمات، مستدعية لتشبيه هيئة ادخالهم الهم على نفسه وتكرار ذلك منهم، بعدم انقيادهم، وهي معقولة، بهيئة ادخال المجرع الماء ونحوه في الحلق وعلى سبيل التكرار، وهي محسوسة.

وجه الشبه: اشتراكهما في حصول الأثر من الغير، وهو عقلي.

قوله أنفاساً: مجاز في الدرجة الثانية، وذلك لأنّ النفس حقيقة في الهواء الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة، ثم استعمل عرفاً لمقدار ما يشرب من الشراب في مدة ادخال الهواء بقدر الحاجة اطلاقاً لاسم المتعلق على المتعلق، ثم استعمله ههنا في كلّ مقدار يزداد عليه من الهم من قبل أصحابه وقتاً فوقتاً، فيكون واقعاً في الدرجة الثانية.

### البديع

بين الحصينة والوثيقة: السجع المتوازي، ولو لم يعتبر وجود التاء لكان السجع متوازياً.

بين البلاء والقماء: المتوازي مع الترصيع، كما بين الخسف والنصف، وبين كلم ودم: المطرف.

كذا بين الأطفال والحجال، وبين ندماً وصدماً: المتوازي والترصيع والتجنيس المضارع.

بين قيحاً وغيظاً: المتوازن، والباقي سهل استخراجة.

## الفحوى

إعلم أنّ هذه الخطبة مشهورة، ذكرها أبوالعباس المبرّد وغيره من أساطين التواريخ، والواعين لكلام الصحابة والتابعين، قال أبوالعباس المبرّد: روي أنّه لما انتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبيار، وقتل حسان بن الحسان البكري، خرج مغضباً، فجرّ داءه حتى اتى النخيلة<sup>(١)</sup> ومعه الناس، فرقى ربوة من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبی صلى الله عليه وآله ثم قال: أما بعد إلى آخره.

قوله فإنّ الجهاد السی منع النصف: إشارة الى حثّ السامعين على الجهاد بذكر فضائله حصول<sup>(٢)</sup> والامور التي تنفر عنها الطباع وتمجّجها الاسماع لمن تركه، فذكر من فضائله اموراً:

الاول: كونه باباً من أبواب الجنة، وذلك لأن الجهاد ثلاثة: جهاد العدو، وجهاد الشيطان الكامن الجاري في ابن آدم مجرى الدم في البدن، وجهاد النفس التي هي أعدى الاعداء، على ما ينبيئ عنه قوله عليه السلام: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك .

قوله عليه السلام: جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم، ويدخل وجوب عمومها في قوله تعالى: وجاهدوا في الله حقّ جهاده؛ لَمّا كان الطريق إلى الله تعالى هو العبادات المتّمة على تطويع النفس الأمانة بالسوء ومنها الجهاد، كان كلّ من أركانها باباً من أبواب الجنة، يدخل به إلى التي هي غاية سعي العارفين المجاهدين.

(١) نخيلة تصغير نخلة؛ موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج اليه علي لما بلغه ما فعل بالانبار من قتل عامله عليها، وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة، ونخيلة اليوم معروفة بخان النخيلة على منتصف الطريق من النجف الاشراف إلى كربلاء المقدسة.

(٢) كذا.

الثاني: كونه باباً ففتح الله لخواص من أوليائه، وأراد بالختلص: الأولياء الذين صدقوا ظنونهم بالله تعالى، وعرفوا النفس الكامنة وخالفوا أوامرها، وقطعوا العلائق الدنيوية وفوضوا أمورهم بالكليّة إلى الله، وسلموا نفوسهم إليه تعالى، وأخلصوا دينهم لله، وفارقوا أهلهم وأموالهم وأولادهم، وذنبوا الكفار عن حوزة الدين.

هم في جميع الأحوال صابرون وشاكرون معترفون لا يزول موثراً بالحقيقة ألا وهو الله، فن وصل الى هذه المرتبة في الاسلام فقد فرغ من جهاد الشيطان والنفس أو مع مقاومتها لا يقدر أن يصل اليها ولا يبالي بأن يلقى نفسه في الجهاد للذّب عن الدين، فلا جرم كان هذا الباب مفتوحاً دائماً.

فان قيل: فما معنى قول الصحابة لَمَّا<sup>(١)</sup> رجعوا عن جهاد المشركين: رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر؟ قلنا: أرادوا بالجهاد الأكبر: الجهاد مع النفس، وانما كان أكبر لوجوه:

أ— أنّ مضرة النفس لكونها مضرة أخروية باقية، أعظم من مضرة العدو الظاهر لكونها دنيوية فانية، وكلما كانت المضرة أعظم كان الجهاد أكبر.  
ب— أنّ النفس عدو كامن لازم لا يفارق بحال، بخلاف العدو فله ظاهر مبين لا يبرز نفسه للمقاتلة في كل سنة إلا مرة أو مرتين، ولا ريب أنّ جهاد العدو الملازم الكامن أعظم من جهاد من كان ظاهراً مفارقاً.

ج— أنّ مكائد النفس أمور محقنة مصبوبة في قوالب الصفاء والمودة لا يكاد يعرفها إلا العارف بالنفس كما هي، بخلاف مكائد العدو الظاهر فانها يعرفها كل أحد، ولا خفاء في أنّ دفع المكائد التي لا يمكن الوقوف عليها إلا بعد تعب عظيم بالجهاد، أشق واكبر من دفع المكائد التي لا يحتاج في معرفتها إلى مشقة وكلفة.

(١) في الحديث المشهور المستفيض: قال رسول الله صل الله عليه وآله حين رجع من احدى غزواته: رجعنا من الجهاد الأصغر وبقي علينا الجهاد الأكبر، قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النفس.

الثالث: كونه لباس التقوى إلى الوثيقة، وقد عرفت في البيان معناه، ثم عقب عليه السلام الكلام في الفضائل بلحوق الأمور المنبوذة طبعاً بمن تركه رغبة عنه من غير عذر يخلفه، وقال: فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل؛ أي أحاط الله به الذل كإحاطة الثوب به، وشمله البلاء: أي أصابه البلاء بسبب ظفر العدو عليه، وديث بالصغار والقماء: أي اذلل بالضم ودناءة النفس والحقارة من قبل العدو وضرب على قلبه بالاسهاب: أي حجر على قلبه بقلّة العقل العملي المرشد الى التدابير في الضرب، أما لاستيلاء الوهم عليه بحسب استيلاء الخوف، ولعدم مبالاته بالامور الشرعية بحسب استيلاء الخوف، أو لعدم مبالاته بالامور الشرعية.

ويتمثل أن يكون معناه لزم قلبه قلّة العقل لزوم المضروب على الخائط، وأن يكون معنى الاسهاب بكثرة الكلام: أي احيط به كثرة الكلام عن غير فائدة، لغلبة الخوف عليه، وهكذا شأن الخائف الجبان كثيراً ما يخبط في الكلام.

ثم لما فرغ من بيان فضائل الجهاد ولحوق الأمور المنبوذة طبعاً بمن تركه من غير عذر، خاض عليه السلام في توبيخهم على تركهم الجهاد وقال: ألا وإني؛ أي إني قد دعوتكم إلى قتال أصحاب معاوية ومحاربتهم في جميع الأزمنة والأوقات والأحوال، وقد نصحت لكم وقلت أخرجوا لغزوهم قبل خروجهم لغزوكم، وقد نبهتكم على ما كان انا أعلم به منكم من القاعدة الكلية التي لا ريب فيها، وهي المشار إليها بقوله:

فوالله ما غزي قوم إلا ذلّوا: يعني من لم يستقبل الحوادث خصوصاً قصد العدو بالدفع قبل وقوعها، وذهل عن وقوعها أو تغافل عنه وتكاسل حتى وقعت بحيث اضطرتّه إلى الدفع، كان ذلاً وصغاراً له.

وذلك لأن للأوهام أفعالاً عجيبة؛ تارة تشير في النفس قوة، وأخرى تثير ضعفاً وفتوراً وجبناً، وكان السبب في لحوق الذل بمن غزي في داره هو الأوهام، وذلك لأنّ وهمه يحكم بأن العدو ما قصده إلا لاعتقاد الضعف فيه والقوة في نفسه، فحينئذ نظراً لنفس ذلك المتوهم الفعال فينقهر عن المقاومة، وإذا حصل الانقهار نظراً لأن الضعف في النفس حصل الذل والعجز، وأما العدو القاصد فيحكم وهمه بضعف الخصم الذي توجه إليه، بسبب أنه لو كان قوياً شجاعاً لما مكّني من المجيء إلى باب داره، فيحصل له العزة والغلبة.

ثم دلّ بقوله فتواكلتم إلى الأوطان: على أنهم ما قبلوا نصيحته لغزو أعدائهم قبل أن يغزوههم، وقابلوها بالتواكل الذي يشتم منه رائحة التكاسل والتخاذل الذي يذاق منه الجبن، حتى ظهر العدو عليهم، وافزع الغارات عليهم، وأخذوا أملاكهم وأوطانهم بالقهر والاستيلاء، ثم عقب ذلك الكلام الدال على ذكر العدو المطلق بذكر العدو المعين، وابتدأ بقصة ما ورد على الانبار.

قال: هذا أخو غامد إلى آخر القصة، قيل اسمه سفيان بن عوف، وهو صاحب معاوية، أغار على عسكر أمير المؤمنين بعد صفين، يعني قد بلغت عسكره الأنبار، وقد قتل عامله من قبل أمير المؤمنين عليه السلام وهو حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها: أي أخرج دوابكم وافراسكم عن اصطبلها، أو دفع فرسانكم المقيمين على الثغور والمراقب عنها فانهمزوا، وفعل بالمسلمات والمعاهدات ما لا يفعل إلا بالأدلاء والعجزة، ونهب أموال المسلمين على ما ذكره عليه السلام مفصلاً، وهتكوا حرمتين.

ثم رجعوا حال كونهم تامين بالمال والمنال، ما أصاب رجلاً من ذلك العسكر جراحة، ولا قتل منهم واحد، بل انصرفوا غانمين غير غارمين، ثم دلّ بقوله:

فلو أن إلى جديراً على أن الأولى الحق لصاحب الغيرة والحمية أن يموت من الحزن على ما أصاب المسلمين من نهب أموالهم، وهتك حرمة ذرارهم، وتقاعدهم عن المقاومة معهم والمكاوحة، وبخهم على ما كانوا عليه من التكاسل في القيام بالحق، مع جدهم في الباطل، ونادى العجب وكرّر، هذا تنفير لهم عن التقاعد وحثهم على الجهاد.

ثم عقب ذلك التعجب بالدعاء عليهم ببعدهم عن الخير وإصابتهم الحزن بسبب تفریطهم.

قال: فقبحاً لكم وترحاً، ثم بين الموجب لاستحقاقهم كونهم ممن يدعى عليه، ووبخهم بما يأنف منه أهل المروءة، ويستحي منه من كان له أدنى رجولية، ويوجب لهم الخجل بسبب صيرورتهم أغراضاً للرماة يقصدها كل رام بالرمي، يغار عليهم، والأولى لهم أن يغيروا ويغزوا، وكانوا هم الأولى بالغزو، ويعصى الله وهم راضون به، ثم دلّ بقوله: فاذا إلى البرد على أنهم إذا طولبوا بالخروج للجهاد يجعلون تارة شدة الحر عذراً، وأخرى شدة البرد، وليس غرضهم إلا التكاسل والفتور عن الحرب، ليضعف نياتهم وعجزهم عن المقاومة.

ثم قبل عليه السلام أعذارهم واحتج عليهم بأنكم إذا كنتم تفرون من الحر والبرد اللذين هما مشقتان أسهل من مشقة السيف، فبالضرورة أن فراركم من السيف أكثر، ثم عقب ذلك الاحتجاج بثلاثة أوصاف في معرض الذم لهم:

الأول: أنه أطلق عليهم مشابهة الرجال بالصورة المحسوسة، ونفى عنهم الرجولية التي بها الصورة المعقولة للانسان، المستلزمة لصفات الكمال من الحمية والغيرة والأنفة، ليستلزم نفيها نفي هذه الكمالات، إذ نفي الملزوم المساوي مستلزم

لنفي اللزم.

الثاني: أنه أثبت أن حلومهم لكونها ليست واقعة في مواقعها كحلوم الأطفال، يعني إن تصوروا قعودهم عن المقاومة معهم حليماً محموداً فذلك تصور باطل، لأنه حلم في غير موضعه، فكل حلم في غير موضعه فهو مستلزم للجناب المجلب للذم.

الثالث: أثبت لهم نقصان العقول، وأنهم ليتنون يحبون التمتع والترفة، قاصرون همتهم على الأمور الحربية العائدة إلى اللذات الحسية، كالنساء المتفردات بالعودة في الحجال المزينة اللاتي ليس هنَّ همَّ إلا الالتذاذ بالأمور المحسوسة، غافلات عن تدبير المعاد وما يتعلَّق به من لوازم قلة العقل، ثم عرّفهم بقوله: لوددت إلى سدماً أنه متمنٍّ عدم رؤيتهم وعدم معرفتهم بالكلية، إذ معرفتهم ما أورثت له عليه السلام الآ ندامة على الدخول في أمرهم، والحزن على تقصيرهم في الذب عن الدين.

ثم عاد عليه السلام إلى الدعاء عليهم بقوله: قاتلكم الله أي أبعدمكم الله من رحمته السابقة على غضبه، قال المفسرون معنى قول العرب: قاتلكم الله: لعنكم الله، وقال ابن الأنباري: المقاتلة من القتل، فاذا أخبر الله بها كان معناها اللعنة، لأن من لعنه الله كان بمنزلة المقتول الهالك، ثم شككنا منهم بقوله: لقد ملأتم إلى أنفاساً وقد عرفت معناه في البيان.

قوله: وأفسدتم عليّ رأيي: إشارة إلى تمام شكايته عليه السلام منهم، يعني أنهم لم يلتفتوا إلى قولي وخذلوني، وخرجوا من طاعتي، وما قبلوا مني كل رأي القيت إليهم، وأقدموا على أمور خارجة عن نظام الرأي الشديد، فتوهّم القوم أن هذا من نتيجة رأي فحسبوه رأياً مني فاسداً، حتى قالت قريش ان ابن أبي طالب وان كان



رجلاً شجاعاً غير أنه لا علم له بالحرب، ثم رَدَّ عليه السلام بقوله: **لله أبوهم إلى آخره على قریش في نسبتهم له عليه السلام إلى قلة العلم بالحرب، قوله: لله أبوهم كلمة يتكلم العرب بها في معرض المدح.**

ثم انكر عليهم واستفهم منهم على سبيل الإنكار وسألهم عن رجل هو أشد ثباتاً للحرب منه وأقدم فيها مقاماً منه، يعني ليس رجل هو أشد معالجة مني، ثم نبههم على صدق هذه الدعوى اللازمة من الاستفهام على سبيل الإنكار، بقيامه في الحرب من حين بلوغ سنة عشرين إلى آخر عمره، وهو بعهد الستين.

يعني: كنت أربعين سنة مباشراً للحرب ممارساً لها، فكيف أحد غيري أعلم بأمرها مني، ثم بيّن أن فساد الرأي ليس حاصلًا مني على ما تتوهمه قریش في حقي، بل إنما نشأ من عدم مطاوعتهم، وذلك لأن أثر الرأي الشديد في الحروب في الخارج إنما يظهر بمطاوعة الأصحاب والجنود، هذا هو المعنى بقوله عليه السلام: ولكن لا رأي لمن لا يطاع، والله أعلم.

\* \* \*

## ٢٧- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ، وَأَذَنْتَ بَوْدَاعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ (أَقْبَلَتْ) <sup>(١)</sup> أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ؟ أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَدَا السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ؛ أَقْلًا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ.

فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ <sup>(٢)</sup>، وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ

(٢) في ح وضم: فقد نفعه.

(١) ساقطة من ب.

خَسِرَ عَمَلُهُ وَضَرَّةُ أَجَلُهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي  
الرَّهْبَةِ؟ أَلَا وَإِنِّي لَمَ أَرَّ كَالْجَنَّةِ نَامَ ظَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا.

أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ <sup>(١)</sup> الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَمْ  
يَسْتَقِيمْ بِهِ الْهُدَى يَجْرِبِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى. أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمِرْتُمْ  
بِالظَّنِّ، وَذُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى  
وَطُولَ الْأَمَلِ، تَزَوَّدُوا <sup>(٢)</sup> مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ <sup>(٣)</sup> أَنْفُسَكُمْ بِهِ عَدَاً.

قال الشريف: أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا  
ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال،  
وقادحاً زناد آلا تعاطوا والإزدجار، ومن أعجبه قوله عليه السلام: «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ  
الْمِضْمَارَ وَغَدَاً السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةَ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةَ النَّارُ»، فإن فيه — مع  
فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه — سرّاً عجبياً،  
ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «والسبقة الجنة، والغاية النار»، فخالف بين  
اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل «السبقة النار» كما قال «السبقة الجنة»؛ لأن  
الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة، وليس هذا  
المعنى موجوداً في النار نعوذ بالله منها، فلم يجوز أن يقول «والسبقة النار»، بل قال  
«والغاية النار»؛ لأن الغاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء ومن يسره ذلك، فصلح  
أن يعتبر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى:  
قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ»، ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم —  
بسكون الباء — إلى النار، فتأمل ذلك؛ فباطنه عجيب وغوره بعيد.

وكذلك أكثر كلامه عليه السلام، (وفي بعض النسخ، وقد جاء في رواية

(١) في م: من لم ينفعه الحق.

(٢) في ض وج: فتزودوا وفي ب: فتزودوا من الدنيا ما تحرزون.

(٣) في ش وحاشية م: تحوزون وفي ر: روي تحرزون.

أخرى «والسبقة الجنة» - بضم السين - والسبقة عندهم: اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض، والمعنيان متقاربان، لأن ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود).

### اللغة

الدنيا: مؤنث من الأدنى، والأدنى يحتمل أن يكون من الدنوّ لقرها من الناس، والأخرى لتأخرها عنها، ومن ثمّ قال بعض الصوقيّة: الدنيا مادنا من قلبك فشغلك عن ربك، وقال عزم من قائل: إذ هم بالعدوة الدنيا؛ أي القرى، وأن يكون من الدنيء المهموز ولين هزّه والدنى الدون السفلة، وسُمّيت دنيا لدناءتها وتسفلها، وقيل لميلها إلى السفلى والأدوان، ويقصد هذا الاحتمال ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ على شاة ميتة فقال: أترون هذه الشاة هيئة على أهلها؟ قالوا: من هوانها ألقوها.

قال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة. والأخبار في هذا الباب أكثر من أن تحصى، وأن يكون من الدنية وهي النقيصة.

الإدبار: ضدّ الإقبال؛ وهو التوجه إلى الشيء.

أذنت: أي أعلمت؛ الإيدان: الإعلام بطريق مخصوص، وذلك بإمرار القول على الأذن، ثم يستعمل في كلّ إعلام مجازاً.

التوديع: عند الرحيل، والاسم: الوداع، وهو من ودع يدع ودعا أي ترك، والمودع تارك للمودع.

يقال أشرفته: أي علوته، وأشرفت عليه أي إطلعت عليه من فوق، وذلك الموضع مشرف بحسب ما يمكن.

المطلع: المأتي الظاهر؛ ولهذا يقال للموت المطلق، قال عمر: لو أن لي  
 طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلق، وطلاع الأرض ما طلعت عليه  
 الشمس، والمطلع الموت.

قال الجوهري: تضمير الفرس: أن تعلفه حتى يسمن ثم تردّه إلى القوت  
 وذلك في أربعين يوماً، وهذه المدة يسمّى المضمار، والموضع الذي يضمرفيه الخيل  
 أيضاً مضمار.

السباق: هو مصدر مرادف للسابقة، ويحتمل أن يكون جمعاً لسبقة كمنظفة  
 ونظاف، وأن يكون جمع سبق كجمل وأجمال، والسبقة والسبق وكذا السبقة اسماً  
 لما يجعل للسابق من مال أو عرض.  
 المنيّة: الموت.

بئس الرجل يبأس ببؤساً وببئساً: اشتدّت حاجته، والبأس: العذاب،  
 والبأس: الشدة في الحرب، تقول منه بؤس الرجل ببؤس بأساً إذا كان شديد البأس  
 فهو ببئس على وزن فعيل أي شجاع، وعذاب ببئس أي شديد.

الأمل: امتداد النظر إلى ما يرجوه من بين يديه، يقال أمل خيره يأمله أملاً  
 وكذلك التأميل، قيل الأمل الاسم منه وأملته رجوته فهو مأمول.

الأجل: المدة للشيء، وهنا أراد به المدة المضروبة لكل نفس من العمر.

جار عن الطريق يبورجوراً: أي مال عن القصد.

الردى: الهلاك، يقال ردىء بالكسر يردى، ردىء أي هلك، أرداه  
 غيره، ورجل رداً أي هالك.

يقال ظعن يظعن ظعناً: إذا شخص من بلد إلى بلد أي ذهب.

قال تعالى: يوم ظعنكم.

الزاد: المتذخر الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت، وقال الجوهري: هو طعام

يتخذ للسفر، يقول منه زوّدت الرجل فترؤد، والمزود ما يجعل فيه الزاد، والمزادة ما

يجعل فيه الزاد من الماء.

المهوى: مقصور ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية.

تحرزون: أي تحفظون، وأصله من الحرز وهو الموضع الحصين، وتحزرت أي توقيت.

وفي بعض النسخ يجوزون أي يعيرون، وأصله من جزت الموضع أجوزه جوازاً أي سلكته وسرت فيه، وفي أصحها يجوزون أي يسوقون به سوقاً خفيفاً، من حاز الابل يجوزها ومحيزها حزاً وحيزاً أي ساقها ليناً، وحوز الابل ساقها إلى الماء، والباقي ظاهر، وليس في كلام السيد رضي الله عنه زيادة غلق فلا يحتاج إلى تفسير ما فيه.

### الاعراب

اعلم أن المضمار والسباق: قد وردا مرفوعين ومنصوبين؛ أما رفع المضمار فعلى أنه خبر إن واليوم اسمها، تقديره: إن اليوم المضمار، وأما نصب المضمار فعلى أنه اسم إن واليوم خبره، ولكن فيه اشكال منشؤه أن المضمار يحتل أن يكون عبارة عن الزمان، فلو أخبر عنه باليوم لكان ذلك اخباراً بوقوع الزمان في الزمان، فيكون الزمان محتاجاً الى زمان آخر وهو محال، والجواب: انا نقول اذا كان المضمار اسماً للمكان فلا إشكال فيه.

اما اذا كان بمعنى الزمان فلا نسلم أنه لو أخبر عنه باليوم لكان محوجاً الى أن يكون للزمان زمان، وهو محال، وأتينا يحوجه لو كان المضمار اسماً لمجرد الزمان وليس كذلك، اذ هو اسم لما هو الزمان جزؤه ويجوز مثل ذلك، نحو إن مصطبج القوم اليوم، واما نصب السباق فعلى أنه اسم إن وغداً خبره وهو ظاهر، وأما رفعه

فقال بعض الشارحين: على أنه خبر إن وهو باطل، لأنه لو كان خبراً لكان غداً اسماً، ولو كان غداً اسماً لكان مبتدأ في الأصل والسباق خبره.

ولكن لا يجوز هذا لأنه لو جاز هذا لكان السباق محمولاً على غداً بالضرورة، وإذا كان محمولاً عليه فإما أن يكون حمل هو، كحمل الحيوان على الانسان في قولنا: الانسان هو الحيوان، وهو المسمى في عرف أرباب الميزان بحمل المواطة، أو يكون محمولاً عليه بتوصل ذي، كحمل البياض على الجسم في قولنا: الجسم ذو بياض، اذ لا ثالث لها ولا يمكن هنا اعتبار الحمل بأحد المعنيين، فيمتنع أن يكون خبر إن، اللهم إلا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه، على تقدير: إن غداً مرفوعاً بالابتداء، خبره غداً، واسم إن ضمير الشأن.

ويمكن أن نقول حمله على الابتداء يستلزم حذف ضمير الشأن الذي هو الخبر، وحمله على الخبر يستلزم المجاز، وإذا تعارض المجاز والاضمار تساوي فلا أولوية. قوله: لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هارها.

اعلم أن أرى تقتضي مفعولين: أحدهما هنا محذوف هو المشبه، والآخر نام طالبها فيكون في محل النصب، والضمير في طالبها وهارها عائد الى المفعول الأول المحذوف الدال عليه القرينة المقالية والحالية، تقديره: لم أر نعمة كالجنة نام طالبها، ولا نعمة كالنار نام هارها. الضمير في أنه من لم ينفعه الحق للشأن، ويجر مجزوم على جواب الشرط، والضمير في به عائد الى من، والباقي ظاهر.

### المعاني

قد صدر أكثر الجمل الموردة في هذه الخطبة بالأ، لتنبه السامعين عن رقدة الغفلة، وتشفرهم لسماع ما ألقى اليهم، وبأن لتحقق مضمونها في أذهانهم، ويزيل الحيرة التي كانوا مبتلين بها، والباقي ليس فيه شيء دقيق محتاج الى ذكره، مما يسهل استخراجها من القواعد السالفة في المعاني.

## البيان

في أدبرت: استعارة تخيلية مستدعية لتشبيه هيئة تقضي أحوال الدنيا بالقياس الى شخص التحص<sup>(١)</sup>، من اسباب ومال وجاه وتغيرها، وهي معقولة، بهيئة مفارقة الحيوان وبعده عن الانسان، وهي محسوسة، ووجه الشبه اشتراكهما في البعد عن الانسان والمفارقة عنه.

وفي آذنت بوداع: استعارة تخيلية مكنى بها عن مفارقتها عن الانسان بوجه يحصل له الشعور بها بتقضي<sup>١</sup> أحوالها شيئاً شيئاً، مستدعية لتشبيه هيئة مفارقتها عن الانسان المحب لها وهي معقولة، بهيئة ارتحال الصديق عن صديقه المحب له، وهي محسوسة.

ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها المستلزمين لأسف المفارق عنه وحزنه، وهو عقلي، وتخيل انها من أفراد هيئة ارتحال الصديق، وان الدنيا من أفراد المودع، والا لم يصح اسناد الايدان بالوداع اليها، وذلك لقولهم: نطقت الحال بكذا، وافترست المنية.

وفي آذنت أيضاً استعارة تصريحية مستدعية لتشبيه هيئة دنوها من الانسان بتقضي العمر شيئاً فشيئاً، وهي معقولة، بهيئة اقبال الحيوان الى الانسان، وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في صلاحية الاتصال في العاقبة، وهو عقلي.

وفي أشرفت: استعارة تصريحية مستدعية لتشبيهها، وهي معقولة، بالمكان العلي المرتفع، وهو محسوس.

ووجه الشبه: أن الآخرة عالية بالنسبة إلى الدنيا وهي سافلة، كما ان المكان العالي عال بالنسبة الى السافل، وهو عقلي، فتكون استعارة المستعار منه فيها محسوس، والمستعار له معقول، ووجه الشبه عقلي. وفي باطلاع أيضاً استعارة مكنى بها عن احاطتها بجميع الأحوال التي يكون الانسان عليها علماً، المستعار منه فيها

(١) كذا في الأصل.

محسوس، وهو العالم المطلع على أحوال الشيء، والمستعار له معقول وهو الآخرة، ووجه الشبه: اشتراكهما في العلم وهو عقلي.

هذا ان اعتبرنا المسند إليه لاشرفت الآخرة بالحقيقة، اما لو كان بالحقيقة هورب الآخرة، وقد كنى بها عن تعظيمه كما يكنى عن الرجل الفاضل بحضرته ومجلسه، فلا يكون الاجاز بالحذف، والقرينة له الاطلاع، إذ الاطلاع لا يمكن أن يكون إلا للعالم العارف العاقل.

في اليوم المضمار: تشبيه لليوم الذي كنى به عن مدة عمر الانسان بالمضمار، وهما محسوسان، ووجه المشابهة: ان الانسان في مدة عمره يستعد بالتقوى والرياضة الشاقة والأعمال الصالحة، لأن ينخرط في سلك السابقين الى لقاء الله تعالى، المقربين في حضرته، كما يستعد الفرس بالتضمير لأن يسبق على مثله، ويكون من جملة الأفراس التي من شأنها السبق.

ويحتمل أن يكون فيه استعارة مكنياً بها عن أن الدنيا التي هي عبارة عن مدة عمر كل شخص بالنسبة إليه، محل العمل المعد للانخراط في مسلك السابقين مستدعية للتشبيه المذكور، وهو جيد.

وفي غداً السباق: استعارة مكنى بها عن أن الآخرة وقت مسابقة بعض الناس على بعض، بحسب تفاوتهم في الأعراض، عما عدا الواحد الحق، والاقبال إليه بالكلية، مستدعية لتشبيه هيئة مسابقة بعض الناس على عرصة القيامة التي هي محل اعتبار أحوالهم، بسبب الأعمال الصالحة والرياضة الشاقة في الدنيا.

وهي معقولة، بهيئة مسابقة بعض الأفراس على بعض في العرصة المعينة للتسابق التي هي محل اعتبار تفاوتها في الغد، وبحسب قلة الضمير وكثرتة، وهي محسوسة، ووجه الشبه: أن كل من كان أقطع لعلائق الدنيا عن قبله، وأشد توجهاً الى الله، وأخف ظهراً من تقبل الملكات الرديئة بعد الموت في الآخرة، بسبب كثرة نفسه بالطاعات والعبادات والرياضات الصعبة في الدنيا التي هي المضمار،



كان أسبق ممن كان اقل استكمالاً منه، واثقل ظهراً بأعباء الأوزان وأغلق قلباً بالدنيا، بسبب قلة سعيه في الاعراض والاستكمال.

كما ان الفرس التي اكثر تضيماً في المضمار، وأسبق في وقت السباق ممن ليس كذلك، وهو عقلي، والحاصل أن تفاوت النفوس الانسانية باتباع الشهوات والميل الى اللذات وقت المسابقة، كذا تفاوت النفوس الكلية، والاقبال الى القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه اليها بالكلية، انما تبين في الآخرة، وهذا هو معنى قول السيد رضي الله عنه: فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه.

اما ان جعلنا السباق جميعاً لسبق فعناه أن في الآخرة يحصل الأجر المعد لمن يسبق في الدنيا ويلحق، انما يحصل له بعد مفارقة النفس عن البدن وفي الآخرة، ولكن التشبيه المذكور باق، وذلك لأن السباق دائماً يقع بعد وجوده.

وفي قوله خسر عمله: استعارة تصريحية مستدعية لتشبيه العامل في الدنيا بالأعمال الصالحة المقصر فيها، بالتاجر الذي يتجر برأس المال ويفوت في يده بسبب تقصيره.

ووجه الشبه: أن المقصر في العمل فات منه العمل، كما أن المقصر في حفظ رأس المال فات منه، وفيه أيضاً تشبيه للعمل برأس المال، ووجه الشبه: أن العمل مما يكسب به الكمالات الأخروية التي هي الأرباح الباقية، كما أن رأس المال مما يكسب به الأرباح بالتجارة، وذلك لأن الخسران عبارة عن فوات رأس المال بالكلية، أو تطرق النقصان إليه.

قوله لم أركا لجنة: تشبيه للنعمة بالجنة، ووجه الشبه استراكماهما في كونهما مرغوباً إليهما. وفي ولا كالنار نام هاربها: تشبيه للنقمة بالنار، ووجه الشبه: اشتراكماهما في كونهما منفوراً عنهما.

في قوله ألا وانكم قد أمرتم بالظعن: استعارة تصريحية المستعار منه الانتقال من بلد الى آخر، وهو محسوس، والمستعار له الانتقال من عالم الحيوانية الذي هو عبارة عن السفر الى الله، وهو معقول، ووجه الشبه: اشتراكهما في قطع المراحل، غير أن المراحل في المستعار منه محسوسة تقطع بالرحل والحمل ونحوه، والمراحل في المستعار له معقولة تقطع بعقل وخطى النفس، وهو عقلي.

وفي دلتم على الزاد: استعارة أيضاً تصريحية، المستعار منه فيها الطعام المتخذ للسفر، وهو محسوس، والمستعار له هو الأعمال الصالحة، وبالجملة التقوى، وهو معقول، ووجه الشبه: أن الامور المقربة الى الله تعالى من العمل الصالح مما تقوى بها النفس على قطع المراحل المعقولة الى أن تصل الى جنبه المقدس، كما أن الطعام تقوى به الطبيعة على الحركة الحسية في قطع المراحل المحسوسة، الى أن تصل الى المقصد، وهو عقلي.

### البديع

بين وداع واطلاع: السجع المتوازي.

في قوله فان الدنيا الى آخره: راعى المقابلة؛ حيث قابل الدنيا بالآخرة،

والادبار بالاقبال، كما في قوله:

ألا فاعملوا: حيث قابل الرغبة بالرهبة.

في قوله: لم أر كالجنة؛ حيث قابل الطالب بالهارب، والجنة بالنار، وفي من

لم ينفعه؛ حيث قابل الحق بالباطل.

في قوله: من لا يستقيم؛ حيث قابل الاستقامة بالجور عن الطريق، والهدى

بالضلال، وراعى بين الهدى والردى: المتوازي.

## الفحوى

اعلم أن هذه الوصية من الخطبة (رقم ٤٥) التي أولها الحمد لله غير مقنوط من رحته، وسيجيء في بعد ان هذا الفصل مشتمل على احد عشر تنبيهاً:  
 الاول: أشار إليه بقوله: أما بعد فان الدنيا الى وداع؛ وهو اشارة الى تنفير الدنيا والركون اليها، لما أن أحوالها متقضية آيلة الى الزوال، وكل من أنس بها فهو سعب<sup>(١)</sup> من مفارقتها، ويقع في حزن عظيم وأسف جسيم، وقد عرفت في البيان تمام الكلام فيه.

الثاني: أشار إليه بقوله: وإن الآخرة قد أقبلت؛ وهو تنبيه على الاقبال إلى الآخرة المقبلة عليكم المطلعة على سرائركم، الكاشفة لكم ما تعملون اليوم، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً»<sup>(٢)</sup>.

قد قال أميرالمؤمنين عليه السلام: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا من النار مهرباً، أولها من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها، وقال<sup>(٣)</sup> الفضيل ونعم ما قال: لو كانت الدنيا من ذهب تفتى، والآخرة من خزف تبقى، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفتى، وكيف وقد اخترنا خزفاً يفتى على ذهب يبقى.

الثالث: أشار بقوله: ألا وان اليوم إلى الغاية النار؛ وهو تنبيه على أن تحصيل الأسباب المعدة للوصول إلى درجة السابقين المقربين انما يمكن في مدة عمر

(١) كذا في الأصل.

(٢) آل عمران: ٣٠.

(٣) فضيل بن عياض الايبودي؛ عابد زاهد مشهور، كان في ابتداء أمره يقطع الطريق بين نسا وبيوردي، ثم تاب ورحل إلى مكة، روى عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام اخباراً، وابنه محمد بن فضيل أيضاً من مشاهير الزهاد، ولهما قصص وحكايات مذكورة في كتب الرجال.

كل انسان، لا قبلها ولا بعدها، ومن راض نفسه فيها وقطعها عن العلائق المذهلة عن الإقبال إلى القبلة الحقيقية التي هي معرفة الواحد الحق، وضمورها بالأعمال الصالحة والطاعات، فقد فاز بعد أن مات وقامت قيامته بدرجات الجنة التي أعد الله للمتقين، وجعلها حظراً لمن سبق في عرصات القيامة بسبب ثقل موازينه بالحسنات.

ومن لم يرض نفسه وانهمك في اللذات الحسية، واشتغل باقتناص المقتنيات الفانية الدنيوية، وأعرض عن القبلة الحقيقية، فقد وقع في أسر الملكات الرديئة، ولذع عقارب الهيئات البدنية التي هي غاية كل نفس غرقت في لجاج بحار الدنيا، واستغرقت في حباها بعد المفارقة عن الدنيا، واستحق النار التي هي معدة للمتمردين الفاسقين عن أوامره تعالى، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب»<sup>(١)</sup>.

وبقوله والسبقة الجنة والغاية النار: أن المستبق إليه الذي أشار إليه أولاً على سبيل الاجمال للسابقين هو الجنة، وان غاية سعي المقصرين هو الدخول في النار، وما ذكره السيد الرضي رضي الله عنه في الفرق بين الغاية والسبقة واف بمراده عليه السلام، إلا أن ههنا بحثاً: وهو أن النار غاية عرضية أو ذاتية، ولما كان المقصود بالمقصد الأول للانسان المقبل إلى الدنيا هو تناول اللذات الحاضرة المستلزمة لدخول النار، إلا من شاء الله خلاصه، كانت الغاية الذاتية هو تناول والدخول هي العرضية.

الرابع: أشار إليه بقوله أفلا تائب من خطيئة قبل منيته؛ وهو تنبيه على أنّ الايمان بالتوبة التي هي عبارة عن انزجار النفس الأمارة بالرجوع إلى الله واجب قبل الموت، ولما كان تمام السلوك إلى الله بالتخلية والتولية، وكانت التخلية مقدمة في السير على التولية، قدم التنبيه على وجوب التوبة التي من التخلية، على

التنبيه على وجوب الاتيان بالأعمال الصالحة، التي هي من التحلية.  
الخامس: أشار إليه بقوله: ألا عامل إلى قوله وضره أجله؛ وهو تنبيه على وجوب العمل الصالح، لخلاص النفس من أسر الشيطان وقهره قبل يوم البؤس، الذي هو كناية عن الموت والعذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصير في العمل، ثم نههم على الزمان الذي يمكن لهم العمل فيه، وهو الأيام التي يصرفونها إلى الآمال المهتمة لقواعد الاعمال، وعلى أن تلك الفرصة ستنتقطع بالأجل القاطع لأيام امهال كل شخص.

ثم نبهه بقوله فن عمل إلى أجله: على أن من أتى بالأعمال الصالحة في الأيام التي عمل الاتيان بها فيها، قبل انقطاعها بالأجل، فقد نفعه عمله، حيث استحق به الثواب المعد للعاملين في الآخرة، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات<sup>(١)</sup>»، ومن نفعه عمله لم يضره أجله بالضرورة بل نفعه، إذ يرفع الحجاب بينه وبين مطلوبه المعد له.

قوله ومن قصر إلى أجله: على أن من غلبت عليه الشقوة ولم يأت بالأعمال في زمان الفرصة حتى ينقطع بوصول الأجل وبمضي الفرصة، فقد فات عمله الذي هو رأس مال الآخرة، ومن فات عنه عمله وخسره فقد ضره أجله إذا وصل إليه، لأنه يقربه إلى النار التي هي غاية المقصرين على ما عرفت، وقد قال الله تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين<sup>(٢)</sup>».

السادس: أشار إليه بقوله: ألا فاعملوا إلى الرهبة؛ وهو تنبيه على وجوه التسوية بين العمل في الرهبة والعمل في الرغبة على العاملين، يعني: الواجب على من عمل لله أن لا ينظر إلى الأمر الخارجي من اللذة والرهبة ويعمل مخلصاً له، ولا يعرض عنه حال صفاء اللذات الحاضرة بالطغيان، ويقبل إليه حال ما ابتلى بنازلة

نزلت به، فان مثل ذلك ليس من شأن المخلص في العبودية، بل من شأن من عمل للطمع.

إلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله: «وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً<sup>(١)</sup>»، وانما شأن المخلص الموقن أن لا ينظر إلى كونه عاملاً له، فضلاً عن العمل وعن الشدة والرخاء، ويجعل الصبر مع الله شعاراً في حالتي السراء والضراء، وهذا مقام العارفين بالله الكاملين في العبودية.

السابع: أشار إليه بقوله: ألا اني لم أراى هارها؛ وهو تنبيه للنائمين في مراد الغفلة عن الجنة والنار، وتعجب من حال طالب الجنة، كيف يغفل عنها ويقصر في طلبها بالأعمال الصالحة، ومن حال الهارب من النار، كيف ينام عن دفعها، ولا يعمل الصالح ليقرب من الجنة ويبعد من النار، تقدير الكلام: اني لم أعلم قط نعمة مثل الجنة في غاية الكمال وتمامها يصفه يوم الطالب، ولم ارنعمة مثل النار في عظيم العذاب يصفه يوم الهارب، والحاصل أن الذي يقضي منه العجب حال الجنة بالموقن كيف يقعد عن طلبها، وحال الموقن بالنار كيف ينام عن طلب الخلاص منها.

الثامن: أشار إليه بقوله: ألا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل؛ وهو تنبيه على أن مضرة الباطل لازمة لعدم منفعة الحق، وأراد بالحق الاقبال على الله بلزوم الأعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة لما في نفس الأمر، وبالباطل الالتفات عن طريق الحق بالاشتغال بما لا يجدي نفعاً في الآخرة، بيان الملازمة: أن بين الحق ومنفعته، وهي الوصول إلى حضرته المقدسة واستحقاق الأجر الجزيل والثواب الجميل، ملازمة على سبيل التوبة، كما بين الحق والباطل، وبين الباطل ومضرة وهي البعد عن رحمة الله تعالى واستحقاق دخول النار.

وإذا عرفت ذلك فاذا لم ينفعه الحق كان الحق بالنسبة إليه معدوماً، إذ لو كان موجوداً لكان نافعاً له، وإذا لم يكن الحق موجوداً بالنسبة إليه كان الباطل موجوداً، إذ عدم الحق مستلزم لوجود الباطل، وكلما كان الباطل موجوداً كان مضراً به، إذ وجود الباطل مستلزم لمضرتة، فثبت ان من لم ينفعه الحق لعدمه عنده، يضره الباطل لوجوده عنده.

التاسع: أشار إليه بقوله: ومن لا يستقم به الهدى يجرب به الضلال إلى

الردى؛

وهو بينة على وجوب الأخذ بزمام الهدى، وعلى أن عدم الاستقامة على الهدى مستلزم للانحراف عن سلوك الصراط إلى الوقوع في احد جانبي الافراط والتفريط الموجب للهلاك الأبدي، وأراد بالهدى الايمان بالله والاستضاءة بنور العلم وسلوك الصراط المستقيم وبالضلال الخروج عن طاعة الله سبحانه والجهل. يعني: من لم يجعل الايمان ونور العلم فائدة إلى الاستقامة على الصراط المستقيم، فالضرورة تقود الضلال عن الجادة إلى مهاوي الهلاك، وبأن الملازمة قريبة مما مر، وذلك لأنه إذا كان وجود الضلال المستلزم للجرب بالانسان إلى مهاوي الردى، والانحراف به عن الصراط المستقيم إلى سواء الجحيم.

العاشر: أشار إليه بقوله: ألا وانكم قد أمرتم بالظعن ودلتم على الزاد؛

وهو تنبيه على أنه تعالى قد أمرهم بالانتقال من دار الدنيا إلى دار البقاء بالاتباع بالأعمال الصالحة، حيث قال: «ففرّوا إلى الله إني لكم منه نذير مبين»<sup>(١)</sup>، وقال: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم»<sup>(٢)</sup>، وعلى أنه قد أمرهم باتخاذ الزاد، حيث قال: «وتزودوا فان خير الزاد التقوى»<sup>(٣)</sup>، وقد عرفت تمام الكلام فيه في البيان. الحادي عشر: أشار إليه بقوله: وان أخوف إلى آخره؛<sup>(٤)</sup>

(١) الذاريات: ٥٠.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) كذا في نسخة الاصل.

(٤) آل عمران: ١٣٣.

## ٢٨- وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ،  
كَلَامُكُمْ يُوْهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُظْمِعُ فَيْكُمْ الْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ  
فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيْدِي!  
مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ  
بِأَصَالِيلٍ، دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ.

لَا يَمْنَعُ الضَّنِيمَ الدَّلِيلُ. وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْحِدَى، أَيُّ دَارٍ  
بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْتَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ  
غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ (١) وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ (٢)، وَمَنْ رَمَى  
بِكُمْ، فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلِ.

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصْدَقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَظْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا  
أُوْعِدُ أَلْعَدُوْبِكُمْ، مَا بَالِكُمْ! مَا ذَا وَأُوْعِدُكُمْ! مَا طَبِكُمْ! الْقَوْمُ رِجَالٌ  
أَمْثَالِكُمْ! أَقْوَالاً (٣) بِيغْيِرِ عِلْمِي؟ وَغَفْلَةً مِنْ (٤) غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَظَمْعاً فِي غَيْرِ  
حَقِّ؟!

### البيان (٥)

هو تنبيه على الاجتناب (٤) فاز بالسهم الأخيب، راعى استعارة مكنياً بها  
عن ان حصولهم له عليه السلام لا يجديه نفعاً، بل ربما يجز ضرراً، مستدعية لتشبيهين:  
أحدهما: تشبيهه نفسه وخصومه باللاعبين بالميسر، وهما محسوسان، ووجه الشبه:

(١) في ض وج: فقد فاز.

(٢) في ك: روي بالقدح الاخيب.

(٤) في ش وك وحاشية م: وعفة من غير ورع.

(٥) كذا في الأصل.

(٣) في ل وش: أقولاً بغير علم.

• لقد سقط من الأصل بعض شرح الخطبة المتضمن للغة والإعراب والمعاني وقسم من البيان.



اشتراكهما في طلب الربح والفوز على الآخر، يعني: كما أن اللاعبين بالميسر يتوقعون باللعب خروج القداح الموجبة للغنم الرافعة للغرم، كذلك كلّ منه عليه السلام ومن خصومه يتوقع بالمقابلة الفوز على الآخر.

الثاني: تشبيه المخاطبين بالسهم الخائبة التي لا غنم لها، والتي فيها غرم، كالسهم الذي لم يخرج حتى استوفيت أجزاء الجزور ويوجب على صاحبه غرماً وخيبة، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في عدم الانتفاع وتوقع الغرامة، وهو عقلي، واطلاق الفوز هنا مجاز من باب اطلاق اسم الشيء باسم ضده، كما في قوله تعالى: «وجزاء سيئة سيئة مثلها<sup>(١)</sup>». وفي ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل: أيضاً استعارة مكنى بها عن تقاعدهم عن نصره وعدم تجاوزهم أوطانهم وعدم ايدائهم الخصوم مستدعية لتشبيهين:

أحدهما: تشبيه رجال الحرب بالسهم، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها عدة للحرب ودفع العدو، وهو عقلي، والثاني: لتشبيه المخاطبين بالسهم التي انكسرت فوقها ولا نصل لها، وهما محسوسان، ووجه الشبه: انهم لا يتجاوزون عن مقاعدهم ولا ينبعثون عن أوطانهم ولا يدفع بهم الخصوم، كما أن السهم الموصوفة بالوصفين لا تتجاوز عن القوس ولا يدفع بها العدو، وهو عقلي، والباقي ظاهر .

### البديع

بين أبدانهم وأهوائهم: المتوازي والترصيع، وبين علم وورع: المتوازن، والقسم المتخلل بين المغرور ومبتدئة حشومليح<sup>(٢)</sup>.

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) كذا في الأصل.

## الفحوى

روي أن السبب في هذه الخطبة: أن معاوية لما سمع باختلاف الناس على عليّ عليه السلام بعد قصة الحكيم، وتفرقهم عنه عليه السلام، وقتله من قتل من الخوارج، بعث الضحّاك بن قيس في نحو أربعة آلاف فارس وأشار إليه بالنهب والغارة، فأقبل الضحّاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية<sup>(١)</sup> فأغار وأخذ أمتعتهم.

وقتل عمرو بن عميش بن مسعود أخا عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتل معه ناساً من أصحابه، فلما بلغ الخبر أمير المؤمنين عليه السلام حث أصحابه على لقاء العدو وحرّضهم على الجهاد، فتقاعدوا عن صوته وتآخروا، فرأى منهم عليه السلام آثار التكاثر.

فخطبهم بهذه الخطبة ووبخهم فيها على ما يقدمون عليه في أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم، ونبههم على ذمه، وعلى أنه غير واقع على سنين حسن السيرة، أما أحوالهم فأشار إلى خروجها عن نظام الطريقة المعهودة الثابتة بالعقل والشرع بقوله: المجتمعمة أبدانهم المختلفة أهواؤهم، وذلك لأن الاجتماع بالأبدان مع التفرق بالأراء يوجب التخاذل، ويفرق شمل مصالحهم ويشق عصا وفاقهم، فلا يكون مطابقاً للامام المذكور، أما قولهم: وأشار إلى أنها غير جارية على قانون العدل.

يقول: كلامكم يوهي الصمّ الصلاب: أي أقوالكم في المجالس نحن نفعل كذا ولا محل لخصومنا في مقابلتنا يرخى القلوب.

الثانية: الشديدة التي لا يزعجها إلا مزعج قوي ويلينها ويلقي الرعب فيها، وإنما كانت خارجة عن القانون لأن من شرط الرجولية والعدالة في الأقوال أن لا يتلفظوا بما لا وجود له في الخارج، ولهذا ذم قوماً باظهارهم القول قبل إيقاعهم العمل، حيث قال:

(١) الثعلبية بفتح أوله من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق، قال الزجاجي: سميت الثعلبية بثعلبة بن دودان بن أسد، وهو أول من حفرها ونزلها.

أرعدوا وأبرقوا: وأما أفعالهم فأشار إلى ضعفها وامترامها<sup>(١)</sup> بالعجز بقوله: وفعلكم يطمع فيكم الأعداء: أي قعودكم عن الحرب وثناقلكم عن صوته، وطلبكم الفرار عند لقاء القتال، يحسر العدو عليكم. يبين عليه السلام كيفية اطماع فعلهم فيهم الأعداء بقوله: إذا جاء القتال قلم حيدي حياذ.

ثم اعتذر لنفسه متضجراً من تقاعدهم عن نصره، معرضاً بعدم ثباتهم على الرجولية والشجاعة.

قال: ما عزت دعوة من دعاكم: أي من دعاكم وقع في حصص الذلة، ومن عارضكم بالشدة والمفاسد فقد اختص بالبلية والتعب.

ثم نبه بقوله اعاليل بأضاليل: على أن ما يتعللون به حين يدعوهم إلى القتال ليس إلا ضلالاً عن سبيل الله وأموراً باطلة، وأن دفاعهم ليس إلا للتكاسل والطمع في عدم الاطاعة.

ثم نبه بقوله لا يمنع: على أن من اتخذ المذلة شعاره لا يقدر أن يدفع الظلم عن نفسه، مريداً به رجوعهم عن الجبن الذي هو عين المذلة إلى الشجاعة، وبقوله لا يدرك: على أن الانسان لا يدرك حقه إلا بان يبذل الطاقة في طلبه معرضاً بتوبيخهم على التواني، ثم بين لهم على سبيل التقرير عن تعيين الدار التي يحفظونها عن تسلط الغواة عليها، بعد دار الاسلام التي هي مأواهم ودار العز والكرامة، وعن تعيين الامام الذي يجعلونه مقتدى بعده بقوله: وأي دار إلى تقاتلون.

والحاصل: أن لكم لا بد من حماية دار ومتابعة امام، ولا نسبة لدار بدار الاسلام، ولا لامام غيري بامامي، فاقتدوا بي وذمروا الأعداء عن دار الاسلام، ثم دلّ بقوله:

المغرور: على أن ليس في الدنيا مخدوع مغرور إلا من غررتموه: بكلامكم،  
وبقوله:

وما فاز بكم إلى ناصل: على سوء حال من كانوا حزبه ويقوم للقتال بهم،  
يعني: من كان عسكريه وجنده أنتم فالخبيّة حاصلة له فيما يدوم باستعانتكم، ومن  
قاتل بكم عدوه فلا يحصل له نفع بكم أبداً.

ثم دلّ بقوله أصبحت إلى بكم: على أمور حصلت له من كثرة عن  
مواعيدهم، يعني: لا أصدق قولكم لأنكم قد أخلفتم مواعيدكم أكثر من مرة، ومن  
تخلف مرة فقد ارتفع الوثوق بوعده، فضلاً عن لم ينجز وعده أصلاً، ولا أطمع  
في نصركم لغلبة الكسالة والجبن والتخاذل عليكم، ولا أوعد العدو بكم، إذ الإيعاد  
بكم مع تخلفكم عن القيام يوجب جرأته وتسلطه إذا أحسّ به.

ثم استفهم منهم على سبيل الإنكار والتفريع عما يوجب لهم التخاذل  
بقوله: ما بالكم أي ما حالكم وما دواؤكم الذي يزيل هذا المرض الذي استولى  
عليكم من الجبن والتكاسل، ما علاجكم ان كان مرضكم من توهمكم أن  
أعداءكم قد برزوا في الشجاعة بحيث لا يكون لأحد مقاومتهم فليس بشيء،  
فانهم رجال أمثالكم في الشجاعة، فلا معنى للخوف منهم، وقد أشار إليه بقوله:

القوم رجال أمثالكم: وإن كان من نفاقكم وعدم ثباتكم على الإيمان  
وحسانكم ان الاتيان بالقول المجرد كاف فليس بشيء.

فان هذا يجلب المقت عند الله تعالى، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «لم  
تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون»<sup>(١)</sup>، وقد أشار إلى  
هذا القسم على سبيل الإنكار بقوله:

أقولاً بغير علم: أي تقولون بأفواهكم ما ليس في قلوبكم، وتتصورون ان  
بهذا القدر يحصل الإيمان، وان كان من تغافلكم عن مصالحكم التي ينبغي أن

تكونوا عليها فليس بعذر، وذلك لأن التغافل إذا كان مقروناً بالورع فهو محمود، وذلك بأن يلازم التقوى ويقبل إلى الله تعالى بالكلية، ويغفل عن الأمور الدنيوية بالكلية.

أما إذا كان خالياً عن الورع، بأن كان تغافلاً عن أمور الآخرة وما يكون به صلاح الحال، فهو مستقبح في العقل والشرع، وإن كان من طمعكم في أموال المسلمين بحيث لا ينهضون إلا بأن يمنحكم شيئاً من أموال المسلمين وزيادة على استحقاقكم، فذلك طمع باطل لأنه طمع في غير حق، والاقدام على وضع الحق في غير موضعه وإن صدر ممن سبق عليّ.

### اللطائف الرشيدية

سألت تلك الحضرة العلية لا زالت ملاذاً للاقبال وملجأً للكمال، ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، من شهر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، بحدود ميدان، عن تحقيق قوله عليه السلام:

غفلة من غير ورع: فأفاد مجيباً: أن مراده عليه السلام منه توبيخهم على ما يقدمون عليه من الغفلة عن الأمور الدينية، والحضور مع الأمور الدنيوية المورطة في الذنوب المخرجة عن دائرة الورع والعفة، وتقريعهم فيما يستقرون عليه من الغفلة الخالية عن الورع، ونفهم من هذا التقرير أن الغفلة على نوعين:

أحدهما: محمود وهو الغفلة عن الأمور الدنيوية، وثانيهما: مذموم وهو الغفلة عن الأمور الدينية، فالأول يستلزم الورع، فإن من غفل عن أمور الدنيا كان في الغالب بسبب كونه حاضراً للامور الدينية، الثاني يستلزم خلافه، لأن من كان منهمكاً في اللذات الدنيوية، مشغولاً بها غافلاً عن الأمور الأخروية، كان في غالب الأمر خارجاً عن دائرة الورع والعفة.

٢٩- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
(في معنى قتل عثمان)

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً؛ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً، غَيْرَ  
أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ  
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَةً:  
أَسْتَأْثِرُ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ، وَبِاللَّهِ حُكْمٌ وَقِيعٌ فِي  
الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ.

اللفظة

استأثر فلان بالشيء: أي استبد به، والاسم الأثرة بالتحريك،  
والمستأثر: المستبد بالشيء.

سَاءَ يَسُوءُ سُوءاً: بالفتح ومساءة نقيض سره، والاسم السوء بالضم،  
وأساء إليه نقيض أحسن إليه، والسوأى نقيض الحسنى.

الاستطاعة: استفعالة من الطوع وذلك موجود ما يصير به الفعل متأثراً،  
وهو عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الانسان فيما يريد من إحداث  
الفعل، وهي أربعة أشياء بينة مخصوصة للفاعل ومادة قالمه<sup>(١)</sup> لتأثيره وآله ان كان  
الفعل الماء كالكتابة.

فان الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة في إيجاده الكتابة، ولذلك يقال:  
فلان غير مستطيع للكتابة إذا فقد واحداً من هذه الأربعة فصاعداً، ويضاده العجز،  
وهو أن لا يجد أحد هذه الأربعة فصاعداً، ومتى وجد هذه الأربعة كلها فستطيع  
مطلقاً، فتي فقدها ف عاجز مطلقاً، ومتى وجد بعضها دون بعض فستطيع مطلقاً، فتي

(١) كذا في الاصل.

فقدتها فعاجز مطلقاً، ومتى وجد بعضها دون بعض فمستطيع من وجه عاجز من وجه، لأن يوصف العجز أولى، والاستطاعة أخص من القدرة، قال الجوهري: الاستطاعة الإطاعة.

### الاعراب

غير تقع في كلام العرب على أوجه: الأول: أن تكون لمجرد النفي من غير اثبات معنى به، نحو مررت برجل غير قائم؛ أي لا قائم، قال الجوهري: قد تكون غير بمعنى لا فتنصبها على الحال، كقوله تعالى: «فن اضطر غير باغ ولا عاد<sup>(١)</sup>»، كأنه قال فن اضطر خائفاً لا باغياً.

كذلك قوله: غير ناظرين إناه، وقوله: غير محلي الصيد.

الثاني: أن تكون بمعنى إلا فيستثنى به، فيعربها باعراب الاسم الواقع بعد إلا، نحو مررت بالقوم غير زيد؛ أي إلا زيداً، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: غير أن؛ أي إلا أن.

الثالث: أن تقع وصفاً للنكرة، نحو قوله تعالى: «هل من خالق غير الله»، فيعربها إعراب الموصوف المتقدم عليها.

الرابع: أن تكون لنفي صورة من غير مادتها، نحو قولك الماء إذا كان حاراً غيره إذا كان بارداً، ومنه قوله تعالى: «كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها».

الخامس: أن تكون متشاوراً لذات، نحو قوله تعالى: «تقولون على الله غير الحق»، أي الباطل، والباقي ليس فيه إشكال. الضمير المرفوع في استأثر لعثمان.

### المعاني

أنا جامع لكم أمره: يفيد القصر للإفراد، أي لا يقدر على أن يجمع لكم أمره إلا أنا دون غيري. استأثر: انما قطع ليؤذن جواب عن سؤال مقدر كان يسأله عليه السلام كيفية الجمع، والباقي معلوم.

### البيان

ليس فيه شيء، إلا أنه عليه السلام ذكر الجزع وكتى به عن إقدامهم على قتله.

### البديع

في لو أمرت إلى ناصرأ: راعى المقابلة؛ حيث قابل الأمر بالهني، والقاتلية بالناصرية.

### الفحوى

اعلم أنه عليه السلام ساق هذا الفصل لبراءة نفسه عن الدخول في دم عثمان، والرد على معاوية وغيره ممن ينسبونه إليه، قوله عليه السلام: لو أمرت به لكنت قاتلاً: ملازمة شرطية بيّن فيها لزوم كونه قاتلاً لكونه أمراً، وبيان الملازمة مبني على علم التعارف الحاكم بأن كل أمر بالقتل قاتل شريك فيه، وإن كان القاتل بحسب الوضع هو الذي صدر منه القتل، وأراد به نفي اللازم لينتج نفي الملزوم الذي هو مقصوده عليه السلام، أي لكن لم أكن قاتلاً، وذلك مما يقبل منه الخصوم.

فانهم متفقون على أن القتل لم يصدر منه بحال، غاية ما في الباب أنهم يدعون أنه عليه السلام قعد عن نصرته أو سكت على قتله، ولا ريب في أن القعود



عن النصر لا يستلزم كونه راضياً بقتله، لجواز أن يكون خاف على ثوران الفتنة، وعلى تفسير أهل بيته، أو يعلم أن الكاره لا يفيد مع القاصدين له بالقتل، ومن شرط النهي عن المنكر أن يعلم المنكر أو يغلب على ظنه قبول قوله، فضلاً عن كونه قاتلاً.

قوله او نهيت عنه لكنت ناصراً: ملازمة بيّن فيها لزوم كونه ناصراً لكونه ناهياً عنه، ووجهها ظاهر، ويحتمل أن يكون مراده عليه السلام أيضاً نفي اللزوم لينتج نفي الملزوم، ويكون مراده عليه السلام بايراد الملازمتين: أنه عليه السلام ما أمر به ولا نهى عنه، بل لم يتعرض له بحال، ويعضده ما نقل أنه لما سئل عليه السلام: أساءك قتل عثمان أم سرّك؟ فقال: ما ساءني ولا سرّني، وقيل: أرضيت بقتله؟ فقال: لم أرض، فقيل: اسخطت بقتله؟ فقال: لم أسخط، وأن يكون مراده وضع الملزوم لينتج ثبوت كونه ناصراً، وهو أنسب بحاله.

وهنا كلام مشتمل على اعتراضات وأجوبة مذكورة في الكتب المصنفة في معنى قتل عثمان، فليطلب فيها ان أردت الاطلاع عليها، فلا تطول كتابنا هذا بذكرها، لأنها خارجة عن الشرح، وكان في عزمنا أن لا يتجاوز عما يتعلق ألفاظه عليه السلام على الترتيب المذكور. قوله: غير أن من نصره الى خير مني: في معناه أقوال: الأول: قال الامام الويرى رحمه الله: معناه من انتصب لانتصار عثمان بعد قتله لا يمكنه أن يقول ان علياً عليه السلام خذل عثمان، فلم ينصره، ونحن نصرناه، فنحن خير من علي.

وذلك لأن علياً عليه السلام ما خذل عثمان ورمى الى داره منديلة، ونادى بصوته وعرض على عثمان نصرته ودفاعه، فأبى عثمان القتال بسبب الدفاع عنه، وقال: لأن اقتل قبل سفك الدماء أحب الي من ان اقتل بعد سفك الدماء. وقال لغلمانه: من وضع سلاحه منكم ولم يقاتل فهو حرج لوجه الله، ومن خذله أي خذل عثمان ولم يهتم بشأنه، لا يمكنه أن يقول نصره علي، فلكونه ناصراً

هو خير من خاذله، لأن علياً عليه السلام لم يسَلّ السيف بسبب الدفاع، ولم يستنصره عثمان ولم يقبل نصرته، وهذا القول مؤيد احتمال كون مراده عليه السلام من الملازمة الثانية وضع المزموم الثاني.

قال بعض النقاد: هي كلمة قرشية أي عسى<sup>(١)</sup>، عليهم المقصود وليس المقصود براءة عن كونه خاذلاً أو ناصراً، على ما فهمه السامعون منها، بل المراد أن الخاذلين لا يصيرون مفضولين بسبب الخذلان، والناصرين لا يصيرون فاضلين بسبب النصرة، وهذا يفهم من الكلام، غير أن براءة ذمته أيضاً عن كونه خاذلاً أو ناصراً مقصوده وصدر...<sup>(٢)</sup> من الملازمتين دليل عليه.

الثالث: قال المحققون من الشارحين: إن هذا كلام ورد ردّاً على إنكار من أنكروا بحضرته على من قعد عن نصرته، وإن الفتنة كلها عائدة الى الخاذل، معرضاً بأمر المؤمنين حيث خذله، وذلك لأنه وخواصه من أكابر الصحابة لو قاموا بنصرة عثمان لما اجترأ عليه طغام الأمة لها وجهاً ولما...<sup>(٣)</sup> على الناس أن خذلانه من الصغار، ولو كانوا رأوا أن قتله هو الحق، كان الواجب عليهم أن يعرفوا الناس ذلك، حتى ترتفع عنهم الشبهة التي عرضت لهم، وما وقع الاختلاف الكثير.

فلما لم يأتوا بأحد الأمرين ونفضوا أيديهم عنهم وتركوا الناس في فتنة مظلمة كانت دائرة السوء عليهم، وجواباً لهذا الإنكار بتلويح لا بتصريح، أو كان ذلك في محل يلزمه التوقي، يعني: أن من كان خاذلاً يعني نفسه ليس للناصر وشبهه أن يفضل نفسه عليه، لأن الذي يدعيه السائل أنه خاذل هو أنا وهو أفضل الناصرين بالوفاق، وإذا لم يكن له أن يفضل نفسه عليه فيكون الخاذل أفضل، وليس للمفضول أن يتعرض الفاضل، ولا يجب على الفاضل أن يتبع المفضول.

وهذا تقرير لما أنه عليه السلام ليس بخاذل ولا بناصر على ما دلت عليه الملازمتان، كأنه عليه السلام أنه من الخاذلين، وردة على اعتقاد المنكر في أن

الواجب على المفضول متابعة الفاضل والاعتداء به، فيجب على الناصرين كمروان وأشباهه لكونهم مفضولين أن تقديره بالخاذلين لعلي عليه السلام يزعم المنكر وطلحة واشباههما وتابعوهم، فلا يكون لأحد الإنكار على الفاضلين، وهو عكس اعتقاد المنكر.

قوله أنا جامع الى الجزع: إشارة الى أن كل واحد من عثمان وقاتليه، تجاوز عن العدالة التي هي الصراط المستقيم الى طرف الافراط، أما عثمان فلائنه استبد برأيه وترك المشاورة التي أوجها الله على النبي صلى الله عليه وآله، مع كمال ثباته على حاق الوسط، وتقدهسه عن أن يقع في أحد طرفي الافراط والتفريط بقوله: وشاورهم، ومع هذا فقد أساء الاستبداد، حيث فوض أمور الناس الى المائلين عن طريق الحق، المخذولين عن نظر النبي عليه السلام كمروان، حتى أفسد نظام الخلافة عليه، وأثار مروان الضغائن على نفسه.

أما قاتلوه فلائهم قد خرجوا عن حد الجزع الى طرف الافراط الذي هو القتل، إذ الحد الأوسط أن يثبتوا انفسهم على الصبر وينتظروا الفرج، فصلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل، قيل: فأسأتم الجزع بعد قتله، حيث أثمرت الفتنة، وكان الواجب عليهم أن يظهروا الجزع قبل وقوع قتله. قوله والله حكم واقع في المستأثر والجازع: يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون الحكم الواقع في كل منها في الدنيا، يعني: أن القتل الذي أصابه عثمان بمقتضى الحكم الالهي المقدر في حقه، بسبب اساءته في الاستبداد برأيه وجرأتهم على قتله، انما هي بمقتضى الحكم الالهي المقدر في حقهم بسبب اساءتهم الجزع، ومقصوده عليه السلام من هذا تبرؤه من دخوله في ذمه.

الثاني: أن يكون في الآخرة، يعني: أن الله تعالى حكماً واقعاً لكل منها من ثواب أو عقاب، كما قال الله تعالى: فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه

يختلفون<sup>(١)</sup>، أي ان كان عثمان مظلوماً فقد استحق درجة الشهادة التي أحكم الله بها لكل مقتول ظلماً، واستحق قاتلوه العذاب العظيم واللعن والغضب من الله، على ما ينسبُ عنه قوله تعالى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً<sup>(٢)</sup>، وإلا فحكمه إليه تعالى، فليس لكم الاعتراض على الخاذلين بلا موجب.

### اللطائف الرشيدية

سألت تلك الحضرة لا زالت فياضة على الاطلاع عما أنه عليه السلام كيف دفع ما نسب اليه من الرضا بقتل عثمان بقوله: لو أمرت به لكنت الى قوله والجازع، يوم الأحد سلخ جمادى الآخرة من شهور سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، بحدود كرد<sup>(٣)</sup> وخوشان، فأفاد راكباً مرتجلاً:

أنه عليه السلام ذكر أولاً شرطية موصحة لكونه قاتلاً لو كان أمراً بالقتل، وثانياً شرطية مفصحة عن كونه ناصراً لو كان ناهياً عنه، ثم بين على سبيل التعمية ان الناس في هذا الباب صنفان: ناصرون له وخاذلون اياه، ولا مجال لكل واحد من الصنفين الطعن في الآخر تفادياً عن وقوع الفتنة، ولا أن ينسب كل منها الخذلان الى الآخر.

فالناصرون لا استطاعة لهم أن يطلبوا التفوق على الخاذلين والا ابترب<sup>(٤)</sup>، بواتر الضغائن التباعض، وكذا الخاذلون لا مجال لهم أن ينسبوا النقصان الى أنفسهم بالاضافة الى الناصرين، ولا أن يضيفوا الفضيلة والمزيد للناصرين، والا ربما وقع التباعض بينهم، فيفهم من هذا الكلام المعنى أنه بريء

(١) البقرة: ١١٣.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) كرد بكسر الكاف: بلد مشهور بين كرمانشاهان وقصرشيرين.

(٤) كذا في الأصل.

من قتله، لأنه لم يكن أمراً به باتفاق، ولو كان ناهياً عنه لكان ناصراً، فلا يكون قاتلاً بالضرورة، ولا أتمكن من ترجيح الناصرين على الخاذلين ولا بالعكس، حذراً من ثوران الفتنة التي قد قيل فيها لعن الله من أيقظها.

ولو كنت أضم نفسي الى احدهما هاجت الفتنة، وأنا أبين حالي المقتول والقاتلين على وجه جامع خال عن المصيبة، وذلك ان المقتول استبد برأيه واختار كيفية الأشياء فأساء الاختيار والاستبداد، والقاتلين أفرطوا في القلق والاضطراب وأخرجوا أقدامهم عن دائرة الاعتدال، حيث عدلوا عن الأخف الى الأثقل، والله حكم واقع في المستأثر والجازع يوم القيامة.

\* \* \*

### ٣٠- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل  
لَا تَلْقَيْنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَحِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ  
يَرَكِبُ الصَّغْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُوكُ. وَلَكِنْ أَلِقِ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةٌ  
فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ،  
فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا.

قال الشريف: أقول: هو أول من سمعت منه هذه الكلمة، أعني «فاعدا

مما بدا».

### اللغة

نفذ الكتاب الى فلان نفاذاً ونفوذاً: أي أرسله اليه، وانفذته أنا والتنفيذ

مثله.

يستفيئه: أي يسترجعه الى الحالة المحمودة التي كان عليها قبل نكث

البيعة، وذلك لأن الفيئ والفيئة الرجوع الى حالة محمودة، ولهذا قال تعالى: حتى تتيء الى أمر الله<sup>(١)</sup>، وقال تعالى أيضاً: فان فاءت فأصلحوا بينها<sup>(٢)</sup>، وقال: فان فاؤوا فان الله غفور رحيم<sup>(٣)</sup>.

اللقاء: مقابلة الشيء ومصارفة معاً وقد يعبر به عن كل منها، يقال لقيه يلقاه لقاء ولقيا ولقيته، وقد يقال ذلك في الادراك بالحس بالبصر وبالبصيرة، وهنا النهي عن رؤيته الحسية وملاقاته.

الثور: من البقر، والأنثى ثورة والجمع ثورة، مثل عود وثيرة وثيران مثل جيرة وجيران. العاقص قرنه هو...<sup>(٤)</sup>.

العقص: الالتواء في القرن، يقال: تيس أعقص بين العقص وهو الذي التوى قرناه على اذنيه من خلفه، وقد عقص قرنه بالكسر عقصاً أي عوج، وهو لازم بالفتح متعد.

الصعب: الدابة الجموح.

الذلول: السهلة الساكنة.

العريكة: الطبيعة، وفلان لئى العريكة إذا كان سلساً، ويقال لانث عريكته اذا انكسرت نخوته.

قيل العريكة فعيل بمعنى مفعول والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية كما في أكيلة ونظيحة، وأصلها من عركت الشيء أعركه عركاً أي دلكه وهو جيد. عداه يعدوه: أي جاوزه، وعدوته عن الأمر صرفته عنه، والمصدر المعتدى، والمعنيان محتملان. وبدا يبدو بدواً: أي ظهر.

(٣) البقرة: ٢٢٦.

(١) الحجرات: ٩.

(٤) كذا بياض في الاصل.

(٢) الحجرات: ٩.

## الاعراب

عاقصاً: اسم فاعل وقع حالاً من الثور، والعامل فيه المقدر الدال عليه الظرف وهو كالثور وقرنه مفعول عاقصاً، ويحتمل أن يكون حالاً من الضمير الفاعل في تجده، والعائد الى طلحة وهو جيد، والاول أظهر، وضمير الفاعل في يركب لطلحة.

ألين: أفعل التفضيل وقد حذف المفضل عليه السلام به. عريكة: نصب على التمييز، أي أنه ألين من طلحة من جهة الطبيعة، والباقي ليس فيه شيء الا فيما عدا مما بدا، وستعرف بعيد هذا في الفحوى.

## المعاني

الفاء في فانك وفانه: لعطف الجملة الاسمية على الفعلية لفظاً، وللدلالة على السبعة معنى، وعاقصاً لكونه مشتقاً ومثبتاً حال جارية على أصلها ونهجها معاً. انما قطع يركب عما قبله ليؤذن بتعليل التشبيه السابق. في ألين عريكة: الإجمال والتفصيل، وما عدا استفهام على سبيل الإنكار عن حصول النسبة.

## البيان

في تجده كالثور عاقصاً قرنه: راعى تشبيهاً طرفاه وهما طلحة والثور محسوسان، ووجه الشبه: أن طلحة في رأيه ونيتته منحرف عنه عليه السلام وملتو كالنواء قرن الثور، فيكون عاقصاً قرنه اشارة الى وجه الشبه، واقعاً بين النواء رأي طلحة عن أميرالمؤمنين عليه السلام وانحرافه عنه، وهو معقول، وبين النواء قرن الثور، وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في الانحراف المطلق، وانما ذكر الثور وادخل الكاف عليه لتوطئة المقصود، والأول أشبه لأن كاف التشبيه لا تدخل

ظاهراً الا على المشبه به.

وأيضاً على التقدير الثاني يكون المشبه محذوفاً بخلاف الأول، فان المشبه المذكور عليه، هذا إن كان عاقصاً قرنه حالاً من الثور، أما اذا كان حالاً من الضمير المنصوب في تجده ففيه استعارتان: استعارة مكنى بها عن كونه شجاعاً المستعار منه فيها القرن، وهو محسوس، المستعار له وهو الشجاعة، وهو معقول، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها آلة لدفع الخصم وللتغلب، ويستدعي هذا كون شجاعته فرداً من أفراد بالتخيل.

الثانية: استعارة مكنى بها عن خشونة جانبه وتهيبته للقتال، اذ لقيه ابن عباس وخاطبه بالطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام، واطهاره الكبر والعجب لنفسه، مستدعية لتشبيهه هيئة منع جانبه وعدم انقياده للطاعة، وهي معقولة، بهيئة ارخاء الثور رأسه وعطف قرنيه ليدفع بها خصمه الذي اراد انقياده، وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في الكبر والعجب المستلزمين لعدم الانقياد، وهو عقلي، ويكون أيضاً إشارة الى وجه الشبه تقديره: تجده حال كونه عاقصاً قرنه كالثور عاقصاً قرنه. قوله: يركب الصعب ويقول هو الذلول: كناية عن شجاعته وقوته وغاية تكبره، وهو ظاهر.

في ألين عريكة: استعارة مكنى بها عن كون الزبير ممن يصغي الى قوله وينفعل بالمواعظ، مستدعية لتشبيه طبيعته وهي معقولة، بالجلد اللين، وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في سهولة المأخذ، وهو عقلي.

### البديع

راعى في يركب: المطابقة؛ حيث طابق الصعب بالذلول، وكذا في عرفني حيث طابق المعرفة بالنكرة.



## الفحوى

اعلم أنه عليه السلام نهي ابن عباس عن لقاء طلحة، وأشار بقوله فانك الى سبب النهي، يعني: أنك ان تلقه لا يفدك لقاؤه فائدة، بل ربما يقابلك بالكلام الخشن ولا يدعن لأمرك لكبره وعجبه برأيه، ولكن الق الزبير فانه أسهل جانباً منه وأقبل انفعالاً من الموعظة منه، فاذا نصرته.

فقل يقول لك ابن خالك أي ابن أبي طالب الذي هو اخصو صفة<sup>(١)</sup> ام الزبير، وهما من أولاد عبدالمطلب بن هاشم.

عرفتني بالحجاز: أي عرفت ولايتي وأقررت بطاعتي بالمدينة، حيث بايعت معي ودخلت تحت طاعتي، وانكرتني بالعراق حيث يظهر لا يليق بحال الموافق المبايع.

قوله: فإعدا مما بدا فيه أقوال: الأول: قال ابن الحديد في شرحه: عدا بمعنى صرف ومن ههنا بمعنى عن، ومعنى الكلام: فما صرفك عما كان بدا منك أي ظهر، أي ما الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها، وحذف الضمير المفعول كثير، نحو قوله تعالى: «وسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا» أي أرسلناه.

الثاني: قال قطب الدين الراوندي<sup>(٢)</sup> رحمه الله في شرحه: له معنيان: أحدهما: ما الذي منعك مما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة، الثاني: ما الذي عاقلك من البداء الذي يبدو للإنسان، ويكون المفعول الثاني لعدا محذوفاً يدل عليه الكلام، أي: ما عداك يريد ما منعك وما شغلك عما كان بدا لك من نصرتي، قال ابن ابي الحديد<sup>(٣)</sup>: ليس في المعنى الثاني زيادة فائدة على المعنى الأول، إلا زيادة

(١) صفة بنت عبدالمطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وشقيقة حمزة، توفيت بالمدينة سنة عشرين، وقبرها ببقيع الفرقد بزار.

(٢) أبو الحسن سعيد بن هبة الله المعروف بقطب الدين الراوندي؛ الفقيه المحدث الثقة الجليل، صاحب الآثار المعروفة والمصنفات المشهورة، منها: شرح نهج البلاغة، فضائله كثيرة ومناقبه معروفة، توفي سنة ٥٧٣هـ.

(٣) عز الدين عبدالحميد بن أبي الحديد المدائني؛ الفاضل الأديب المؤرخ المحدث، شارح نهج البلاغة، وصاحب

فاسدة، أما أنه لا زيادة فلأنه فسّر عدا في المعنيين بمعنى منع، وفسر قوله مما بدا فيها بتفسير واحد، أما اشتغال الثاني على الزيادة الفاسدة فلأنه ظنّ أنّ عدا يتعدى إلى مفعولين، وهو باطل باجماع النحاة.

الثالث: قال ابن ميثم (بيّض الله غرته) في شرحه: أقول: الوجه الذي ذكره ابن أبي الحديد هو الوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي، إذ لا تفاوت كثيراً بين صرف ومنع، وإن كان يفهم أن المنع أعمّ، وأما اعتراضه عليه بأنه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو عليه.

لأن معنى ما في الوجه الأول: ظهر للناس منك من البيعة لي، ومراده به في الثاني: ما ظهر لك في الرأي من نصرتي وطاعتي، وفرق بين ما يظهر من الانسان لغيره وبين ما يظهر له من نفسه أو من غيره، أما ما ذكره أنه زيادة فاسدة، فالظاهر أن لفظه الثاني في قوله المفعول الثاني زيادة من قلمه أو قلم الناسخ سهواً.

ثم أقول: وهذه الوجوه وإن احتملت أن تكون تفسيراً إلا أن في كل واحد عدولاً عن الظاهر من وجه، أما الوجه الذي ذكره المدائني فلأنه لما حمل عدا على الحقيقة وهي المجاورة، وحمل ما بدا على الطاعة السابقة، احتاج أن يجمل من بمعنى عن على ما قال، وهو خلاف الظاهر.

أما الراوندي فإنه فسّر عدا بمعنى عاق أو منع أو شغل، وحمل ما بدا على الطاعة السابقة أو على البيعة، ولا يتم ذلك إلا أن تكون من بمعنى عن، والحق أن يقال عدا بمعنى جاوز ومن لبيان الجنس.

والمراد: ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الأمور التي ظهرت لك، وحينئذ معنى الألفاظ على أوضاعها الأصلية واستقامة المعنى وحسنه وهو جيد، ولكن ما هذا لا يخلو من حذف وهو عن بيعتي، وما ذكره المدائني

القوائد السبع المشهورة، كان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه، كان مولده سنة ٥٨٦هـ، وتوفى ببغداد سنة ٦٥٥هـ، يروي العلامة الحليّ عن أبيه عنه.

مشمتمل على مجاز، والمجاز والاضمار سيان، فلا وجه لترجيح ما قاله على ما قال ابن أبي الحديد، ويحتمل أن تكون عدا بمعنى صرف ادنا<sup>(١)</sup> حد معينه، ومن للبيان، ويكون المعنى: ما صرفك عن طاعتي من الأمور التي ظهرت فينا بعدها، وهو جيد. روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن جده قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن تلك الرسالة فقال: بعثني فأتيت الزبير فقلت له، فقال: إني أريد ما تريد، كأنه يقول الملك، ولم يزدني على ذلك، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته.

وعن ابن عباس أيضاً أنه قال: قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على أن قال: إننا مع الخوف الشديد لنطمع، سئل ابن عباس ما يعني الزبير بقوله هذا، فقال: يقول إننا مع الخوف الشديد لنطمع...<sup>(٢)</sup> من الأمر ما وليتم، وقد فسر غيره بتفسير آخر يقال: أراد أنا مع الخوف الشديد من الله نطمع أن يغفر لنا هذا الذنب.

### اللطائف الرشيدية

سألت تلك الحضرة لا زالت فياضة، عن تحقيق قوله: لا تلقين إلى الذلول: فأفاد مرتجلاً: أن مراده عليه السلام منه بيان أنه جبار متكبر يرى الأشياء بخلاف ما هي عليه، فلا يجوز التعويل عليه ولا الاعتماد، فقوله: كالثور عاقصاً قرنه تنبيه على كونه جباراً متكبراً خالياً عن التواضع والاستكانة جالياً بالتكبر الموقع في المهواة والمهانة، وقوله: يركب الصعب ويقول هو الذلول تنبيه على أنه يظهر من نفسه بخلاف ما هي عليه، وهذا معنى لطيف جداً.

\* \* \*

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا بياض في الأصل.

### ٣١- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي ذَهْرِ عَثُودٍ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ (١) يُعَدُّ فِيهِ الْمُخْسِنُ مُسِيئًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُورًا، لَا نَسْتَفِيعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى نُجِلَّ بِهَا، فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْتَنِعُهُ الْفَسَادُ (فِي الْأَرْضِ) (٢) إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِيهِ، وَكِلَالَةً حَدِّهِ، وَنَضِيضٌ وَفِرِهِ.

وَمِنْهُمْ الْمُضِلُّ لِسِنْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجِلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِيهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحُطَامِ يَسْتَهْزُهُ، أَوْ مِقْتَبِ يَفُودُهُ، أَوْ مِثْبَرٍ يَفْرَعُهُ. وَلَيْسَ الْمَشْجَرُ أَنْ تَرَى السُّدْنِيَا لِنَفْسِكَ تَمَنًّا، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا.

قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِيهِ، وَقَارَبَ مِنْ حُطُوبِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِيهِ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِيهِ لِأَمَانَةٍ، وَأَتَّخَذَ سِتْرًا لِلَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ؛ وَمِنْهُمْ (٣) مَنْ اقْعَدَهُ عَن طَلَبِ الْمُلْكِ صُؤُولُهُ نَفْسِيهِ، وَأَنْقِطَاعُ سَبَبِيهِ. فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِيهِ، فَتَحَلَّى بِأَسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَّاحٍ وَلَا مَغْدَى. وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرَ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفَ الْمَخْشَرِ.

فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ؛ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْمُوعٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَتَكْلَانٍ مُوجِعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةَ، وَشَمَلَتْهُمْ الدَّلَّةَ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ (٤)، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، وَقَدْ وَعَظُوا

(١) فِي ضِوَابِ: زَمَنٍ كَنُودٍ. (٢) فِي ح وَب: مِنْ أَيْدِيهِ.

(٣) سَاقِطَةٌ مِنْ ب. (٤) فِي حَاشِيَةِ م: أَفْوَاهُهُمْ غَامِرَةٌ وَفِي ك وَش: ظَامِرَةٌ بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ.

حَتَّى مُلُّوْا، وَفَهَرُوا حَتَّى دَلُّوْا، وَفَتَلُّوْا حَتَّى قَلُّوْا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي  
أَعْيُنِكُمْ (١) مِنْ حُسَالَةِ الْقَرْظِ وَقُرَاصَةِ الْجَلَمِ، وَأَتَعِظُوا بِمَنْ كَانَ  
قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَأَرْفُضُوهَا دَمِيمَةً؛ فَإِنَّهَا  
رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْعَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال الشريف: أقول: هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية،  
وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من  
الرغام، والعذب من الأجاج؟ وقد دل على ذلك الدليل الخريّ، ونقده الناقد  
البصير عمرو بن بحر الجاحظ؛ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين،  
وذكر من نسبها إلى معاوية.

ثم قال: هي بكلام علي عليه السلام أشبهه، وبمذهبه في تصنيف الناس،  
وبالإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف — أليق، قال:  
ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب  
العباد؟؟!!

### اللغة

الصباح والصبح: أول النهار، وهو وقت ما احمر الأفق بحجاب الشمس،  
والمساء نقيض الصباح، وكذلك الصبيحة، تقول: منه أصبح الرجل وأصبحنا أي  
دخلنا في الصباح، وأصبح زيد عالماً: أي صار، والأول هنا أظهر، والآخر محتمل.

الدهر في الأصل: اسم لمدة العالم من مبدئ وجوده إلى انقضائه، ثم يعبر به  
عن كل مدة كثيرة، وهو أخص من الزمان، فإنه يقع على القليلة والكثيرة.

عند عن الطريق يعند: بالضّم عنوداً أي: عدل، فهو عنود عند يعند  
بالكسر عنوداً أي: حالف ورد الحق وهو يعرفه، فهو عنيد وعاند وهو قريب مما قيل:

(١) في ض وح: فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر.

العنيد المعجب بما عنده، والعنود الذي يعند عن القصد، وقال بعضهم: العنود هو العدول عن الطريق لكن خصّ العنود بالعدل<sup>(١)</sup> عن الطريق المحسوس، والعنيد العادل عن الطريق في الحكم، وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف، وجمع العنود عنده. كند كنوداً: أي كفر النعمة فهو كنود، وهو احدى الروايتين والكثري<sup>(١)</sup> هي شديد.

عتوت يا فلان تعتو عتواً وعتياً وعتياً: أي ظلمت وتجاوزت عن الحد. تحوّفت عليه الشيء: أي خفت وتحوّفتناهم أي تنقّصناهم تنقّصاً اقتضاء الخوف منه.

القارعة: الخطب الشديد من شدائد الدهر وهي الداهية، يقال: قرعتهم قوارع الدهر أصابتهم دواهيته، ونعوذ بالله من قوارع فلان ولوادعه، وأصلها من القرع وهو ضرب شيء على شيء، وذلك لأن الداهية كأنها تضرب النازل. حلّ بالمكان حلولاً وحلاً ومحلاً: أي نزل به الهوان، يقال على وجهين: أحدهما: تذلل الانسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيمدح به، ومنه قوله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً»، وقوله عليه السلام: المؤمنون هينون لينون.

والثاني: أن يكون من جهة متسلّط مستخف فيذم، ومنه قوله تعالى: «فأولئك لهم عذاب مهين».

قوله عليه السلام مهانة نفسه: أي حقارتها. كلّ حد السيف وغيره كلالاً: إذا وقف عن القطع، ثم يستعمل في كل ما يبطل مقصوده منه.

النضيض: الماء، والجمع نضااض، قال أبو عمرو: النضيضة: المطر القليل، والجمع نضائض.

(١) كذا في الأصل.

والوفر: المال الكثير.

أصلت سيفه: أي جرّده من غمده، فهو مصلت وذاك مصلت، وصلته بالسيف صلتاً: أي ضربه به.

أجلب: أي جمع، وقد مر تفسير خيله ورجله.

أشراط فلان نفسه: لأمر كذا؛ أي أعلمها وأعدّها، قال الأصمعي: ومنه

سُمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، الواحد شرطة وشرطي.

وبق ببق وبوقاً: أي هلك، وأوبقه: أي أهلكه.

الحطام: متاع الدنيا، وأصله من الحطم وهو كسر النبات.

النهزة: الفرصة، وانتهزتها: أي اغتنمتها.

المقنب: بكسر الميم وفتح النون ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل،

وأيضاً شيء يكون مع الصائد يجعل فيه ما يصيده ويقوده قرينة الأول.

قدت الفرس وغيره أقوده قوداً ومقادة وقيدودة.

نبرت الشيء أنبره نبراً: أي رفعته ومنه سُمي المنبر.

فرع المنبر يفرعه: أي علاه، يقال: فرعت الجبل: أي صعّدته، وفرعت

رأسه بالعصا: أي علوته، وفرعت قومي: أي علوتهم بالشرف أو بالجمال.

طامن من شخصه: أي خفض، والاسم: الطمأنينة، وهي السكون بعد

الانزعاج، واطمأن بمعناه.

قال سيبويه<sup>(١)</sup>: وزن طامن فعلك، واطمأنّ قلوب عنه ووزنه افععل، قال

الحرمي: طامن على وزن فعمل، واطمأن وزنه افععل.

شمر عن ثوبه: أي زخرف أي زين، وأصله من الزخرف الذهب الذي

(١) أبو الحسن عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البضاوي؛ النحوي المشتهر كلامه وكتابه في الافاق، أخذ عن الخليل ويونس والأخفش، توفي سنة ١٨٠ بشيراز وقبره معروف، وقد جدّدت عمارته، واقم له بشيراز حفلة علمية عالمية، والقيت كلمات حول حياته العلمية وخدماته الاسلامية.

يزين كلّ شيء، والمزخرف المزين.

الذريعة: الوسيلة، يقال: قد تذرّع فلان بذريعة: أي توسّل، والجمع الذرائع. قعد قعوداً ومقعداً: أي جلس وأقعده غيره.  
الملك: ضبط الشيء المتصرّف فيه بالحكم، والملك كالجنس للملك، فكلّ ملك ملك، وليس كلّ ملك ملكاً.

ضوؤل ضآلة وضؤولة: إذا صغر، ورجل ضئيل الجسم إذا كان صغير الجسم نحيفاً، وأراد بضؤولة نفسه حقارتها.  
السبب: في أصل اللغة الحبل الذي يصعد به النخل، وجمعه أسباب، ثمّ شاع في كلّ ما يتوصّل به إلى شيء.

قصرت الشيء أقصره قصراً: حبسته، ومنه مقصورة الجامع، وقصرت الشيء على كذا إذا لم يجاوزه إلى غيره، وهو المراد هنا.  
تحلّى بالحلّى: أي تزين به.

القناعة: بالفتح الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها، يقال: قنع بالكسر في الماضي والفتح في الغابر قناعة فهو قنوع، وقنع وأقنعه الشيء أي أرضاه، وقيل: قنع يقنع قنوعاً إذا سأل فهو قانع أي سائل، قال تعالى: «وأطعموا القانع والمعتر<sup>(١)</sup>».

قال بعضهم: القانع هو السائل الذي لا يلج في السؤال ويرضى بما يأتيه عفواً، والقنوع هو الراضي بالقليل.

المراح: بفتح الميم الموضع الذي يروح منه القوم أو يروحون إليه.  
المغدى: من الغداة، يقال ما ترك فلان من أبيه مغدى ولا مراحاً: إذا أشبهه في أحواله كلّها.

غضّ بصره: أي خفّضه.



قال الجوهري: المرجع: كالرجوع مصدر، ومنه قوله تعالى: «إلى ربكم مرجعكم»<sup>(١)</sup> أي رجوعكم، وهو شاذ لأن المصادر من فعل يفعل إنما تكون بالفتح.

أراق الماء وغيره أراقه: أي صبّه.

حشرت الناس أحشرهم: وأحشرهم حشراً جمعهم، ومنه يوم الحشر، والمحشر بكسر الشين موضع الحشر، والمحشر بالفتح هو الرواية، وهو مصدر. الشريد: الطريد، والتشريد التطريد، ومنه فشرّد بهم من خلفهم أي فرّق وبدّد جمعهم، وليس من شرد البعير يشرد شروداً أو شراداً، اسم الفاعل شارد وشرود لا شريد.

نذ البعير: يندّ نذاً ونداداً وندوداً إذا نفر وذهب على وجهه فهو ناد.

قعمته وأقعمته: بمعنى أي قهرته وأذلتته، فانقمع فهو قامع وذاك مقموع.

المكعوم: المنوع من كلام، كأنه سدّ فوه بالكعام، وهو شيء يجعل في فم البعير عند الهياج، يقال: كعمت البعير إذا شددت فاه بالكعام.

الشكل: فقدان المرأة ولدها، وكذلك الشكل بالتحريك، وامرأة شاكل

وثكلي وثكلان.

الوجع: المرض، والجمع أوجاع ووجاع، فلان يوجع ويبيجع وياجع فهو وجع، وأوجع فلاناً يوجعه ايجاعاً أي أوله، فهو موجه وذاك موجه.

أخلمتهم: أي اسقطتهم من الإخمال أي الاسقاط. التقية: الخوف، وكذا

التقوى.

شملتهم: أي عمّتهم.

ماء أجاج: أي ملح مر وقد أجم الماء يؤجج اججاً أي ملح.

أفواههم: جمع فم، وأصل فم فوه.

ضمز يضمز ضمزاً: سكت ولم يتكلم، وكلّ ساكت ضامز وضموز.  
 قرح جلده: بالكسري قرح قرحاً فهو قرح إذا خرجت به القروح، وقرحه قرحاً خرج به فهو قريح، وقوم قرحي، وقرحة من الأول.  
 الحثالة: ما يسقط من قشر الشعير والأرزو والتمر وكل ذي قشارة إذا نفي، وحثالة الدهن: ثقله، فكأنه الرديء من كل شيء.  
 القرظ: ورق السلم يدبغ به، ومنه أديم مقروظ.  
 قرضت الشيء وأقرضه: بالكسر قرضاً قطعته، والقراضة ما سقط بالقرض، ومنه قراضة الذهب.  
 الجلم: المقرض الذي يجزبه أوبار الإبل.  
 الرفض: الترك، وقد رفضه ويرفضه ويرفضه رفضاً ورفضاً، والشيء رفيض ومرفوض، والروافض جند تركوا قائدهم، والرافضة: فرقة من الشيعة، قال الأصمعي: سموا بذلك لتركهم زيد بن علي عليه السلام.  
 ذميمة: فعيلة من الذمامة الحقارة.  
 أشعف: من شغفه الحب أحرق قلبه، لا من شغفه الحب بالغين المعجمة أي بلغ شغافه وهو غلاف القلب، وإن احتمل دراية لأن الرواية لم تساعد.

### الاعراب

يعدّ فيه المحسن: وما عطف عليه جمل وقعت نعوتاً لدهر وزمن. منع انما يتعدى إلى المفعول الثاني بواسطة عن، يقال: منعتني عن الشيء فامتنع منه، وهنا في قوله لا يمنع الفساد، وقد حذف منه الخافض ونصب على نزعته، تقديره: لا يمنع عن الفساد.

الألف واللام في المصلى وأخويه: بمعنى الذي. ومما لك: عطف على ما قبله، تقديره: أن يرى الدنيا عوضاً مما لك عند الله. ذلك في قوله ليس في ذلك في

مراح ولا مغدى: اشارة إلى المذكور من التحلي باسم القناعة، والتزين بلباس أهل الزهادة.  
 ذميمة: حال من الضمير المنصوب في وارفصوها، والضمير في فانها ورفضت وبها للدنيا.

### المعاني

التنكير في دهر وزمن: للتعظيم والتهويل. ولا ننتفع بما علمنا إلى بنا: ساق الكلام على طريقة قوله تعالى: «إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين»، المسماة بالمنصف لأنه عليه السلام ليس ممن لم ينتفع، ولم يسأل عما جهله لو أمكن، ولم يتخوف قارعة تحلّ به ليكون أقرب إلى القبول، وهذه لها من البلاغة يد طولى على ما عرفتها في موضعها في المعاني.

قوله منهم من لا يمنعه إلى مهانة نفسه: القصر للإفراد على تنزيل المخاطبين منزلة المشاركين، وهو قصر المفعولية على الفاعلية.

يعني: كونه ممنوعاً عن الفساد، ليس له مانع إلا شيء واحد هو مجموع مهانة نفسه، وكلاله حدّه، ونضيض وفره، لا أن هذا المجموع لا يجوز أن يكون مانعاً لشيء آخر، وهو دقيق جداً، انما عدل في المصلت عن الذي إلى اللام رعاية للاختصار المطلوب، وايداناً ببيانه على الأمور المذكورة، قطع قد أشرط وقد طامن ليؤذن بتعليل السابق عليه. في تقديم عن طلب الملك على ضؤولة نفسه: فائدة القصر للإفراد على الوجه الذي عرفت آنفاً.

الفاء في فقصرته: يحتمل أن تكون فصيحة، وأن تكون سببية، وفي فتحلى الظاهر أنها فصيحة لأنها تفصح عن محذوف وهو سبب للتحلي، تقديره: لما قصرته الحال على حاله ولم يتهياً له الظفر بالمقصود وتحير<sup>(١)</sup> في الطريق الموصل إليه واختار

(١) كذا في الأصل.

المنكر والرزق فتحلى باسم القناعة . التنوين في رجال للتعظيم؛ أي رجال معظمون ذوو همم عالية وأولو عزوم جازمة .

الفاء في فهم: لعطف الجملة الاسمية على الفعلية لفظاً، فادة ولا السببية معنى، وذكرهم للاهتمام بشأنهم، وليدل على الثبات والاستقرار المستفادين من الجملة الاسمية، والنقل من الاسمية إلى الفعلية في قوله قد أخلتهم للدلالة على تعليل المذكور سابقاً، وأن الاسقاط أمر عارض لهم ليس بذاتي، وإعادة فهم للتأكيد، وقطع أفواههم عما قبله للإيذان بالتعليل.

الفاء في فليكن: للسببية. هذا كلام لوتلي على الحجارة لا نفجرت منها الأنهار، ولو وضع على الأرض لانغرست منها الأشجار، ولو ذكر لمرضى لأبل أوري به زمن لاستقل، أنظر كيف انشقت مبانیه، وانطبقت ألفاظه على معانيه، أعربت مسالك انجازة عما تضمنت من مدارك إعجازه.

### البيان

كلاية حدّه: كناية عن ضعفه عن الأمور وعجزه عن القيام بها.  
 المصلت بسيفه: كناية عن التغلب وتناول ما أمكن تناوله بالغلبة والقهر، إذ الاصلات من لوازم التغلب، والإعلان بالشر كناية عن المجاهرة برذائل الأخلاق، والاجلاب بالخييل والرجل: كناية عن جمع أسباب الظلم والقهر والتعدي على الغير في الحطام، استعارة مكنى بها عن أن الغاية التي أفسد دينه لنيلها في غاية الحقارة، مستدعية لتشبيه المال بالحطام، وهما محسوسان.  
 وجه الشبه: أن المال الدنيوي بالنسبة إلى النعم الأخروي المعد لمن أطاع الله ورسوله حقير، كما أن النبات اليابس حقير بالنسبة إلى الأخضر الناضر، أو أن المال لا نفع له بالقياس إلى العمل الصالح الباقية ثمرته في دار البقاء، كما أن اليابس من النبات لا نفع له بالقياس إلى المحضّر الذي له ثمرة.

وكتى بقوله مقنّب يقوده: عن تحصيل الأعوان والأنصار الكثيرة. ولبس المتجر الى عوضاً: راعى استعارة مكنياً بها عن أن من آثر الدنيا على الآخرة فهو معزل عن العقل. وفي غبن عظيم وخسران جسيم مستدعية لتشبيهات ثلاثة: أ— تشبيه النفس وهي معقولة، بالمتاع الخطير وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في النفاسة والعزّة، وكذا تشبيه ما عند الله من النعيم الدائم والسرور المقيم وهو عقلي، بالجواهر النفيس وهو حسي.

ووجه الشبه: اشتراكهما في كثرة رغبات نفس العقلاء اليها وهو عقلي. ب— تشبيه الدنيا بالثمن البخس وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في الحقارة والحساسة وهو عقلي، وهذا تشبيه المفرد بالمفرد.

ج— تشبيه هيئة المتعب نفسه في تحصيل الدنيا المعرض عن الله وعمّا أعد للمحسنين وهي معقولة، بهيئة باذل المتاع النفيس في مقابلة الثمن البخس، وهي محسوسة، ووجه الشبه: أنّ من أعرض عن الله تعالى وأتعب نفسه في طلب الدنيا فهو في غبن عظيم عند العقلاء، ومن يلومونه وينسبونهم إلى قلة العقل والبصارة، كما أنّ من رضي بثمان بخس في مقابلة جوهر نفيس يعدّ سفيهاً قليل العقل والتجربة مغبوناً، وهو عقلي.

في ستر الله: تخيلية مكنى بها عن أن التقوى تحمي المتقين عن أن يردوا موارد الهلكة وتستترهم عن الشياطين، مستدعية لتشبيه التقوى وهو معقول، بالستر وهو عقلي.

قوله ليس في ذلك من مراح ولا مغدى: كناية عن أنه ليس له من القناعة ولا من الزهادة خلاق. في ساكت مكعوم: استعارة مكنى بها عن كونه ممنوعاً من الكلام، مستدعية لتشبيه هيئة منعه التقية من الظالمين عن أن يتكلم بحسب المشية، وهي معقولة، بهيئة منع الكعوم البعير عن أن يتحرّك بحسب المشية، وهي محسوسة.

ووجه الشبه: اشتراكهما في المنع المطلق، وهو عقلي، وهذا التشبيه يستلزم تشبيه التقيّة وهي معقولة، بالكعام وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها آلة للمنع، وهو عقلي.

وفي ثكلان موجع: استعارة مكنى بها عن كونه مصاباً في الدين، مستدعية لتشبيه فوات الدين بغلبة الكفر والفسوق عليه، وهو معقول، بفوات الولد، وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في الفوات المطلق وفي كونها موجبين للتعب على صاحبها، ولتشبيهه صاحب الدين بالمرأة التي فقدت ولدها، ووجه الشبه: اشتراكهما في وقوع المصيبة.

بجر أجاج: استعارة مكنى بها عن كونهم في الدنيا في مشقة وتعب، مستدعية لتشبيه الدنيا بما هي عليه من الأحوال الباطلة، بالبحر المشتمل على الماء المالح المر، وهما محسوسان، ووجه الشبه: أن الدنيا لا تصلح أن يفتتنها من فيها وينتفع، لكونها سبباً للعذاب في الآخرة، كما لا يصلح البحر أن ينتفع بمائه المالح السابح فيه، لكونه سبباً لقطع الأمعاء والهلاك.

ويحتمل أن يكون التشبيه اللازم؛ تشبيه كون المتقين في الدنيا تكون السابحين في البحر المالح، ووجه الشبه: أن المتقين فيها لا يقدر أن يسكتوا عن المناهي لغلبة داعية النهي عن المنكر عليهم، ولا أن يتكلموا بالنهي عنها للخوف من غلبة الظالمين عليهم، كما أن السابحين لا يقدر أن يطبقوا أفواههم لثلاً يصب فيها الماء لغلبة داعية النفس عليهم والعطش، ولا أن يفتحوها للخوف من غلبة الماء المالح القاطع للاحشاء عليهم ودخوله فيها.

وهو احتمال لطيف جداً، وإلى مثل التشبيه أشار لقمان، حيث قال: إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان بالله، وشرائعها التوكل على الله، لعلك تنجو، وما أراك ناجياً. في أفواههم ضامرة: ان كان بالراء المهملة؛ استعارة مكنى بها عن كثرة صيامهم وبعدهم عن

الاتذاذ باللذات الحسية المألوفة، مستدعية لتشبيه أفواههم بالفرس الضامر، ووجه الشبه: اشتراكها في بعد العهد عن الطعام، وطريان الضعف اليها، وهو عقلي.

ولوقلنا إن فيه في المفرد والتركيب: أما في المفرد فلأنه أطلق الأفواه وأراد الأبدان، من باب اطلاق اسم الجزء وارادة الكل، وأما في التركيب فلأنه أسند الضمور الى الأفواه على أنه حقيقة في الفرس بناءً على التشبيه المذكور لكان حسناً قريباً الى المراد، وان كان بالزاي المعجمة ففيه مجاز في الاسناد حيث أسند السكوت الى الأفواه اعتباراً بأنها طريق الكلام على أنه من باب اطلاق الجزء وارادة الكل، لأن السكوت بالحقيقة لا يقع الا مسنداً الى الشخص.

قوله قتلوا حتى قتلوا: مجازاً في الاسناد، لأنه اسند القتل الى الكل مع بقائهم، من باب اطلاق الكل وارادة الجزء، أو من باب اطلاق السبب الغائي وارادة المسبب، اذهم مقصودون بالقتل وحتى مع خلق قرينه المجاز.

### البديع

بين عنود وكنود: المتوازي والترصيع، وبين عنود وشديد: المتوازي لا غير وقوله يعد: المطابقة؛ حيث طابق بين المحسن والمسيء، وفي قوله لا نتنع الى جهلنا: المقابلة؛ حيث قابل العلم بالجهل، وبين ثمنياً وعضواً: المتوازن، كما بين دينه ونفسه، وشخصه وخطوه وثوبه، وبين نفسه وسببه، وان اعتبر بالضمائر فالمطرف.

وبين القناعة والزهادة: المتوازي والترصيع.

بين المراح والمغدى: المقابلة، وبين المرجع والمحشر: المتوازي، كما بين مسموع ومكعوم، وبين التقية والذلة: المطرف، كما بين ضامرة وقرحة، وبين ملوا وذلوا وقلوا: المتوازي والترصيع، وبين القرظ والجلم المتوازي.

## الفحوى

اعلم أنه عليه السلام قد بيّن في هذه الخطبة وصف الزمان بالشدة، وتصنيف الناس الى اصناف، والتحذير عن الدنيا، فهنا مقاصد ثلاثة:

المقصد الأول: في بيان وصف الزمان بالشدة والجور: لما كان الزمان من الأسباب المعدّة لحدوث ما يحدث فيه من الامتزازات وما يتبعها مما يعد خيراً أو شراً، وكان يتفاوت في الأعداد، بأن يكون في بعضها يعد ما يعد شراً، وفي بعضها ما يعد خيراً كان نسبة الجور والشدة الى بعض الازمنة صحيحة، ونسبة العدل والحسن الى بعضها واقعاً على النظام، اذا عرفت ذلك.

فقوله إنا اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود:

إشارة الى أن الزمان الذي صار فيه خارجاً عن قانون نظام العالم الذي هو العدالة، جار على سنن الشدة، وذكر له أو صافاً خمسة بها صار موصوفاً بالجور والشدة:

الأول: أشار إليه بقوله: يعد المحسن مسيئاً:

وذلك لأن الغالب على طباع أهل ذلك الزمان التظاهر بالفسق والإساءة واطهار رذائل الاخلاق...<sup>(١)</sup>، أعنه الملكات الرديئة ديدناً لهم وعادة، يحسبون أن كل فعل حسن لكونه خارجاً عن قانون ما هو مقتضى طباعهم قبيحاً سيئاً، وكل فعل قبيح حسناً، وأيضاً لو علموا لنسبوا المحسنين الى الإساءة في الفعل، بأن قالوا أحسنوا رياء أو سمعة أو غيرها حسداً عليهم، وطمعاً في أن يلحقوا بهم في درجاتهم في الإساءة.

الثاني: أشار إليه بقوله: يزداد الظالم فيه عتواً:

وذلك لأن مظهر الظلم والطغيان النفس الأمارة بالسوء، وهي في زمان العدل ملحة بحكمه العدل مقهور دائماً أو في أكثر الأحوال، وهي طالبة للفوز بمطالبا

(١) كذا بياض في الاصل.



على سبيل الاختلاس بخلافها في زمان الجور فانها مطلقة العنان في كل ما أرادت، فالظالم في زمان العدل ونظام الشرعية كالسارق لا يأمن في كل لحظة أن يقع به المكروه فلا يقدر أن يقدم دائماً، وفي زمان الظلم كالناهب الذي ليس له التفات الى أحد فيأخذ بحسب مشيئته، ولهذا كان ظلم الظالم في زمان الجور أزيد زمانه عليه السلام بالنسبة الى زمان الرسول صلى الله عليه وآله كذلك .

الثالث: أشار إليه بقوله لا ننتفع بما علمنا:

وهو توبيخ للعالمين بما جاء به صاحب الشريعة نبينا صلوات الله عليه، المقصرين في الاعمال التي اقتضاها علمهم، اذ الانتفاع بالعلم أن يتخذه اماماً للعمل على ما ينبي عنه قوله صلى الله عليه وآله: العلم إمام العمل تابعه، فاذا لم يتفق العمل بما علم كان علمه وبالاً عليه في الدنيا والعقبى، أما في الدنيا فلا أنه يصير سبباً لضلال الناس، أما في العقبى فظاهر.

ومن ثم استعاذ الرسول صلى الله عليه وآله في دعائه من العلم الذي لا ينفع، حيث قال: اني أعوذ بك من علم لا ينفع، وحقها أن يتلازما، لأن العلم كالأس والعمل كالبناء، وكما لا يغني اس ما لم يكن بناء، ولا يثبت بناء ما لم يكن أساً، كذا لا يغني علم بغير عمل، ولا عمل بغير علم، وكذا قال تعالى: اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه<sup>(١)</sup>، فاذا انفك أحدهما عن الآخر ظهر الفساد وبان الجور.

الرابع: أشار إليه بقوله لا نسأل عما جهلنا:

وهو توبيخ للمقصرين في العلم بالسؤال عما جهلوا به لقلّة التفاتهم اليه، بواسطة انهاهم كهم في اللذات الحسية الحاضرة أو لجهلهم المركب، قد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت أكثر أهلها الفقراء، فقالوا: يا رسول الله من المال؟ قال: لا من العلم.

الخامس: أشار إليه بقوله ولا نتخوف قارعة حتى نحل بنا:

ذلك لعدم مبالاتهم لعواقب امورهم وعدم تدبرهم في مصالحهم الدينية، لاشتغالهم باللذات الحاضرة وحبهم اياها، وهو توبيخ للمقصرين في الجهاد حتى يضطرهم بأن يحل بهم بغتة، وقد أشار الى أن التقصير مثمر للذلة بقوله: ما غزي قوم قط في عقردارهم الا ذلوا، ولما كانت هذه الامور الخمسة خارجة عن نظام العدل كانت من معدات كون الزمان المشتمل عليها جائراً، والله أعلم.

المقصد الثاني: في بيان أقسام الناس، اعلم أنه عليه السلام ذكر من الناس الذين هم في زمان الجور، وقسمهم على أربعة اصناف وذكر صنفاً ليسوا من أهله، والحق ان الناس مطلقاً على خمسة اصناف: صنف ثابتون على الصراط المستقيم، وأربعة اصناف منحرفون عنه، ووجه هذه القسمة ان الناس اما طالبون لله أو للدنيا، والطالبون للدنيا إما قادرون عليها أو غير قادرين، وغير قادرين اما يحتالون لطلبها أم غير محتالين، والمحتالون لها إما أن يؤهلوا أنفسهم للإمارة والملك أم لا، فهذه أقسام خمسة لا غبار عليها:

الصنف الأول: الطالبون للدنيا غير القادرين عليها وغير المحتالين، وقد أشار اليهم بقوله: منهم من لا يمنعه الفساد الى وفره: أي بعضهم لا يمنهم عن الفساد في الأرض الا ثلاثة امور: حقارة نفسه وضعفه وقلته ماله، ولا خفاء في أن الطالب للدنيا المعرض عن الله اذا خلا من الموانع المذكورة ووجه الدنيا لم يكن سعيه فيها الا فاز.

الصنف الثاني: أشار اليهم بقوله ومنهم الى يفرعه: وهم القادرون على الدنيا الطالبون لها، أي أنهم الذين أطلقوا عنان الشهوة والغضب في تحصيل ما يتخيلونه كمالاً من الأعراض التي يتوجه اليها في الأغلب هم أرباب الدنيا، وهي جمع المال أو الرياسة الدنيوية بإفشاء الخيل والنعم على الأعوان والأنصار، أو الرياسة الدينية كافتراع المنابر وجعل نفسه مفتياً أو قاضياً أو واعظاً أو شيخاً، ثم

أشار الى وقوع هذا الصنف في الخسران العظيم بسبب توجههم الى الاعراض المذكورة بقوله: وليس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً.

وذلك لأن من جعل غرضه الدنيا قد جعل نفسه طالبة لها مغرضة عما سواها، فلم تكن نفسه ملتفتة الى الله تعالى، فكأنه بدل النفس ورضى بعوضها عن الدنيا ان نالها وهو غبن عظيم، لأنه تعالى جعل ثمنها الجنة التي هي الدار الباقية، حيث قال: ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وأي غبن أعظم من أن يعرض عن معاملته تعالى وعن الثمن الباقي ويرضى بمعاملة هواه والتمن البخس الفاني، اللهم أعذنا من هذه المعاملة النائرة والصفقة الخاسرة.

الصنف الثالث: غير القادرين عليها مع طلبهم لها المحتالون لها المعدون أنفسهم لأمر دون الملك، وهم المشار اليهم بقوله: ومنهم من يطلب الى المعصية، قوله من يطلب الدنيا بعمل الآخرة: إشارة الى وجه الحيلة لها على سبيل الاجمال من الرياء والسمعة؛ أي يأتون بالأعمال التي شابهت الأعمال الأخروية في الصورة دون الحقيقة لخلوها من الاخلاص الذي بمنزلة القلب منها والروح، ويجعلونها أسباباً لأقسام الدنيا وأعراضها.

قوله ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا: إشارة إلى عدم ارادتهم للآخرة واتعاب أنفسهم في الدنيا لطلبها.

قوله قد طامن إلى زخرف من نفسه:

إشارة إلى تفصيل ما أجل أولاً: أي أنه شعار الصالحين من الخضوع في الصورة وتقارب الخطي ورفع الذيل، وتزئيم النفس بالأعمال الصالحة ظاهراً سبباً لاقتناص الدنيا، واتخذ ستر الله الذي هو التقوى وسيلة إلى الظفر بالدنيا، بأن صام دائماً وقام بالليل، وسكت ظاهراً عن المناهي ليشتهرين أرباب الدنيا أنه رجل صالح معرض عن الدنيا مقبل إلى الله بالكلية، ويتوجهون إليه متقربين خاضعين له متقادين مطيعين، فيحصل منهم مقصوده من الدنيا هؤلاء بالحقيقة، قال الله

تعالى فيهم: «فويل للمصلين» الذين هم عن صلاتهم ساهون» الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون<sup>(١)</sup>».

الصنف الرابع: غير القادرين عليها المحتالون لها المؤهلون أنفسهم للإمارة والملك، وهم المشار إليهم بقوله ومنهم من أقعده إلى آخره: أي ليس المانع عما يرومه من الملك إلا أمرين: أحدهما: ضعف نفسه وتخيلها العجز عن طلب الملك، الثاني: هو سبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه أي سبب طلب الملك من المال والأعوان والأنصار.

قوله فقصرته الحال على حاله: أي بانقطاع سببه أفضاه إلى أن يتجاوز عما اقتضته حاله من العجز والسكوت عما لا قدرة له عليه، ولما عجز عن هذا الطريق عدل إلى الحيلة وتزين باسم القناعة، وأظهر بين الناس أنه قنع معرض عن الزيادة، وتزين بلباس أهل الزهادة بأن واطب على العبادات وجعلها كاللباس الظاهر لنفسه طلباً لمقصوده من الترويس، ثم أشار بقوله وليس إلى مفدى إلى أنه خال عما تزين.

الصنف الخامس: هم الطالبون لله تعالى المعرضون عن الدنيا وأعراضها بالكلية، وعم المشار إليهم بقوله: بقي رجال إلى قلوبا، وقد ذكر لهم أوصافاً عشرة: الأول: أشار إليه بقوله غض أبصارهم ذكر المرجع: وذلك لأن المقبل إلى الله بالكلية إذا استحضر في ذهنه أنه واقف بين يديه تعالى اعرض عن غيره، لاستغراقه في مطالعة أنوار جلاله وخوفه من أن يشتغل عنه تعالى، فلا يزال قلبه غريقاً في مراقبته بحيث لا يخطر به طرفه عين التفات إلى غيره.

فلم تكن بصيرة الحسنى أيضاً ملتفتة إلى غيره لأنه تابع للقلب، يكون ذكر المرجع إلى الله تعالى قد خفف أبصارهم عن أن يقع على الغير، وأيضاً من ذكر أن المرجع هو والمبدأ منه لم يقع نظره بحال من الأحوال إلى شيء لعدم وجوده في نظره،

ومن شرائط الإبصار وجود المبصر، فإذا لم يكن لشيء وجود بالنسبة إلى وجوده تعالى، لم يقع بصره على شيء البتة، وهو المراد بالغض.

الثاني: أشار إليه بقوله أراق دموعهم خوف المحشر: اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وهو ينتظم من علم وحال وعمل، أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن يكون جنانه الخائف، وذلك كمن جنى على ملك ووقع في يده فخاف القتل، ويجوز الإفلات بالعفو ولكن يألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله، وهو تفاحش خيافته وكون الملك حقوداً غضوباً قهاراً، وكونه محضوفاً بمن يحثه على الانتقام خالياً ممن يتشفع إليه، وكان هذا الخائف عاطلاً عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنائته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، وبحسب تفاوت هذه الأسباب بتفاوت الخوف بالضعف والقوة.

الثاني: أن يكون السبب هو صفة في الخوف وله احسار<sup>(١)</sup> كالذي وقع في بحال سيع، فانه يخاف السيع لصفة ذات السيع وهو سطوته وحرصه على الاقتراس غالباً، أو صفة خيلته للمخوف منه لخوف من وقع في مجرى مسيل أو جوار حريق، فان الماء يخاف منه لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق كالنار على الإحراق، فالعلم بأسباب المكروه وهو المثير لنار القلب وحررته وتألمه وهو الاحتراق انما يكون في القلب.

إذا عرفت ذلك فاعلم أن الخوف من الله تعالى قد يكون بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم ينل، وقد يكون لكثرة الخيانة من العبد بمقارفة المعاصي، ويكون بحسب معرفته بالله تعالى بجميع صفاته ومعرفته نفسه

جميعاً، فأخوف الناس لربه أعرفهم بربه وبنفسه، ولذلك قال النبي عليه السلام: «أخوفكم بالله، وقال تعالى: «أما يخشى الله من عباده العلماء»<sup>(١)</sup>».

ثم إذ كملت المعرفة أورثت حال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الخوف عن القلب على البدن والجوارح والصفات، أما على البدن فيقطع النظر عن غيره تعالى والاقبال إليه بالكلية، وهو المشار إليه بقوله: غصص أبصارهم ذكر المرجع، والتجوّل والصفاء والغشية على ما روينا: أن زين العابدين عليه السلام لما أراد أن يلتي ارتعد وغشي عليه في قوله عليه السلام فرض عليكم حج البيت والرغبة والبكاء، على ما روي أن داود النبي عليه السلام بقي أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى ينبت المرعى من دموعه، وقد ورد في فضيلة البكاء عن الخوف آيات وأخبار.

أما الآيات فمثل قوله تعالى: «يكونون يزيدهم خشوعاً»<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: «فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً»<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون»<sup>(٤)</sup>، أما الأخبار فقد قال النبي عليه السلام: ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموعاً وإن كان مثل رأس الذباب من خشية الله الآ حرمه على النار، وقال عليه السلام في دعائه: ألهم أرزقني عينين هطالين، وقال عليه السلام: ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله.

وأما في الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل، أما في الصفات فإنه يقمع الشهوات وتكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشبهه إذا عرف أن فيه سمّاً، فتحترق الشهوات بالخوف ويحصل في القلب الخشوع والذلّول

(٣) التوبة: ٨٢.

(١) فاطر: ٢٨.

(٤) النجم: ٥٩-٦٠.

(٢) الإسراء: ١٠٩.

والاستكانة ومفارقة الكبر والحسد والحقد، بل يصير مستوعب الهمّ بخوفه والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرّج لغيره ولا يكون له شغل إلاّ المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضّنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخضة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات.

ويكون حاله حال من وقع في مغالب سبع ضاري لا يدري أيغفل عنه فينفلت، أو يهجم عليه فيهلك، فيكون ظاهره وباطنه بما هو خائف منه لا يتّسع فيه غيره، هذا حال من غلب عليه الخوف واستولى عليه، وإذا عرفت حقيقة الخوف فاعلم أن المخوف منه المكروه على قسمين:

أحدهما: أن يكون مكروهاً لإفضائه إلى المكروه كالخوف من الموت قبل التوبة، وخوف نقض التوبة ونكث العهد، وخوف حال رقة القلب وتبدّلها بالقساوة، أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء أتباع الشهوات المألوفة على العبادة، أو خوف أن يكله الله إلى حسناته التي أتكل عليها واغترّبها، أو خوف البطن بكثرة نعم الله تعالى، أو خوف الاشتغال عن الله لغير الله، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم، أو خوف تبعات الناس عنده في الغشّ والخيانة.

أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والإفضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطلاع الله تعالى على سريرته في حال غفلته عنه، أو خوف الحميم<sup>(١)</sup> له عند السوء، فهذه كلّها مخاوف العارفين، ولكلّ واحد خصوص فائدة، وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المكروه لذاته.

الثاني: أن يكون مكروهاً لذاته مثل سكرات الموت وشدّته، وسؤال منكر ونكير، وعذاب القبر وهول المطلع، وهيئة الوقوف بين يدي الله تعالى، والحياء من كشف الستر، والسؤال عن النقيير والقطمير، والخوف من الصراط وحدّته وكيفية العبور عليه، والخوف من النار وأغلاها وأهوالها، والخوف من الحرمان عن الجنة دار

(١) كذا في الاصل.

النعم ونقصان الدرجات.

كل هذه أسباب مكروهة في أنفسها مخوفة منها وتختلف أحوال الخائفين فيها، وأعلىها رتبة خوف العارفين من القرآن والحجاب من الله تعالى وما قبلها، فهو خوف الصالحين والمتقين والزاهدين، ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم الفراق والبعد من الله تعالى، ومن كملت معرفته بالله فهو دائماً في درجة خوف الحجاب والفراق.

وقد روي: أنه سئل الجنيد<sup>(١)</sup> عن الصبر عن الله فزعم وغشي عليه، وتفصيل هذا المقام وشرحه حرام مع من ليس أهلاً له، أما من كان أهلاً له فهو غنيّ بانفتاح بصيرته وكمال معرفته عن أن له غيره<sup>(٢)</sup>، قوله خوف المحشر من القسم الثاني، وإنما أطنبت الكلام لأن كشف الغطاء عن المقام مسبوق بالإطناب، مع أن المتروك أكثر من المذكور بكثير.

الثالث: أشار إليه بقوله فهم إلى موجه: هذا يحتمل أن يكون إشارة إلى آحاد المتقين، يعني: بعضهم مطرود عن البلاد إما الكثرة نبيه عن المنكر أو لقلته صبره على مشاهدة المنكر، وبعضهم خائف عن أذى الظالمين وإيذائهم إياه مقهور بقهرهم، وبعضهم ممنوع عن الكلام أما لخوفه على نفسه أو لعلمه بأن كلامه لا يؤثر لو تكلم به، وبعضهم يتضرع إلى الله بالابتهال ويدعو بالدعوات النافعة من قلب خالص عن شوائب الرياء صاف عن حباله العجب.

منهم من صار حاله كامراً فقدت ولدها وتواظب على الجزع والبكاء، إما لمشاهدته فوات الدين، أو لعدم قدرته على تحمّل أذى الظالمين، ويحتمل أن يكون تفصيلاً لمن أراق دموعهم خوف المحشر أي خوف المحشر فرقمهم إلى فرق مختلفة على

(١) جنيد بن محمد ابوالقاسم الخزاز، ويقال القواريري، أصله من نهاوند، مولده ومنشؤه ببغداد، وسمع بها الحديث وتقي العلماء، شيخ وقته وفريد عصره في علم الاحوال والكلام على لسان الصوفية، وله اخبار مشهورة، راجع تاريخ بغداد ج: ٧ ص: ١٤١.

(٢) كذا.



التفصيل المذكور.

الرابع: أشار إليه بقوله قد اخلتهم التقية: أي أردلهم التقية أي الخوف من أذى الظالمين بين الناس واسقطتهم عن درجة الاعتبار بينهم.  
الخامس: أشار إليه بقوله شملتهم الذلة أي عمّتهم الذلة... (١) مخالفتهم للظالمين الأكثرين في الطريقة والسيرة.

السادس: أشار إليه بقوله: فهم في مجراج وقد عرفت معناه في البيان.  
السابع: أشار إليه بقوله أفواههم ضامرة: وهو لازم عما قبله وتأكيد لشدة حالهم في الدنيا، وقد عرفته أيضاً في البيان.  
الثامن: أشار إليه بقوله قلوبهم قرحة: أي قلوبهم قد خرجت بها القروح، إما للخوف من الله أو للذلة أو للتعطش إلى رحمته ورضوانه، أو لكثرة مشاهدة المنكرات وعدم التمكن من رفعها.

التاسع: أشار إليه بقوله: قد وعظوا حتى ملّوا أي خوّفوا الناس على أقدامهم على المنكرات من عقاب الله تعالى... (١) فيما أعدّ الله للمحسنين حتى أصابتهم الملامة لعدم نفعه فيهم واتعاضهم به.

العاشر: أشار إليه بقوله قهروا حتى ذلّوا وقتلوا حتى قتلوا وقد عرفته فيما قبل.  
المقصد الثالث في الأمر بالحذر عن الدنيا واقتنائها: اعلم أنه عليه السلام أشار إليه بقوله: فليكن إلى الحلم إلى الأمر باستصغار الدنيا واستحقارها إلى حدّ يكون أحقر في أعينهم ما لا يلتفت إليه خاطر بوجه ما، لغاية حقاظه ونهاية رداثته وهو حثالة القرظ وقراضة الجلم بالمطابقة وبالالتزام إلى تركها بالكلية والأعراض عنها رأساً، وذلك لأن استحقار الشيء يستلزم تركه والإعراض عنه.

وإنما وردت الآيات والأخبار والآثار عن أمير المؤمنين عليه السلام بتركها، لأننا نعلم بالضرورة أن المقصود من خلق الإنسان هو تحصيل السعادة الأخروية،

(١) كذا بياض في الاصل.

ولا تحصل إلا لمن قدم على الله تعالى عارفاً به محباً له، والعرفان لا يحصل إلا بالإعراض عن كل شيء سواه تعالى الذي هو التحلية ودوام الذكر والفكر الذي هو التخلية، والإعراض لا يحصل إلا لمن رفض الدنيا بالكلية أولاً، فن اشغل بالدنيا أو بأسبابها فهو بمنزل عن المعرفة وعن ذوق تحصيلها.

فعلم من هذه المقدمات تحقيق ما قال عليه السلام وما قاله النبي صلى الله عليه وآله: من أصبح والدنيا أكثرهمته فليس من الله في شيء، والزم قلبه أربع خصال: همماً لا ينقطع عنه، وشغلاً لا ينفرج منه أبداً، وقرراً لا يبلغ غناه أبداً، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً.

وقال صلى الله عليه وآله: من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم تأت الدنيا إلا ما كسب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له أمره، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.

ثم أشار بقوله واتعظوا بمن كان إلى من بعدكم: إلى الأمر بالتعاط بأحوال الأمم السالفة والقرون الخالية، فإن لهم نعيماً دائماً بالأموال الكثيرة والأعوان والأنصار والخيول المسومة والحرث والنسل، وقد تركوها نادمين على اقتنائها متحسرين على تضييع أعمارهم في طلبها، ثم أشار بقوله قبل أن يتعظ بكم من بعدكم: إلى أن المفارقة عما كنتم فيه من اللذات الحاضرة ضرورية لكم لا محيص لكم عنها، فإن لم تتعظوا بمن قبلكم فعن قريب يتعظ بكم من بعدكم.

روي: أن عيسى صلوات الله عليه كشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة، فقال لها: كم نكحت؟ فقالت: اني لا احصيهم، فقال: فطلقوك أو ماتوا عنك؟ قالت: بل قتلت كلهم، فقال عيسى صلوات الله عليه: بؤساً لأزواجك الباقيين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين. وهذا الأمر أيضاً بالالتزام دليل على الإعراض عنها، ثم عقب الأمرين السابقين بالأمر الدال

بالصريح على تركها.

وقال ورفضوها في أعينكم: باردة على قلوبكم، كأنه عليه السلام شرط الرفض بدمامتها ولذا قدم الأمر باستحقاقها على الأمر بالرفض، وذلك لأن وجود الشرط مقدّم على المشروط، ولأن من كانت الدنيا عظيمة في عينه لا يقدر أن يتركها، ولو تركها بالصورة لا...<sup>(١)</sup> ان يفرغ قلبه للإقبال إلى الله تعالى لاشتغال قلبه بها.

ثم أشار إلى ما يصلح تعليلاً لتركها وقال: فانها قد رفضت أي إن لم يرفضوها فانها لا تبقى لكم ولا تدوم، بل عن قريب تفارق عنكم وأنتم تبقون وحدكم، وكيف لا تترككم وقد تركت من كان أغلق قلباً بمحبته منكم، وإذا لم تدم لمن كان أشد حياً لها منكم، فبالأحرى أن لا تدوم لكم.

وإذا كان حالها في العاقبة المفارقة، فاللائق بحال من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يترفع عنها ويقبل على الله تعالى الباقي الدائم له النافع له صحبتته، والله أعلم، وما قال السيد رضي الله عنه ظاهر الالغام وهو النحاس والتراب والخزيت وهو الدليل الحاذق.

\* \* \*

### ٣٢- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(عند خروجه لقتال أهل البصرة)

قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله هي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً، ثم خرج فخطب الناس فقال:—

(١) كذا بياض في الاصل.

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ  
 الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ،  
 وَبَلَّغَهُمْ مَنَاجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَتَاتُهُمْ، وَأَظْمَأَتْ صَفَاتُهُمْ.  
 أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ<sup>(١)</sup> بِحَدِّهَا فِيرِهَا: مَا  
 عَجَزْتُ<sup>(٢)</sup> وَلَا جَبُنْتُ، وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا، فَلَا تُنْفِئَنَّ الْبَاطِلَ<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنِبِهِ، مَالِي وَلِقُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ  
 كَافِرِينَ وَلَا قَاتِلَتُهُمْ مَفْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ؛ كَمَا أَنَا  
 صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ<sup>(٤)</sup>!

### اللغة

الدخول: نقيض الخروج، ويستعمل ذلك في الزمان والمكان والأعمال.  
 ذوقان: منزل قريب من البصرة سمي به لأنه فيه بئراً وماؤها يشبه القارفي  
 السواد، وكانت فيه محاربة بين شيبان بسبب ودائع النعمان بن المنذر ملك العرب  
 وبين أبرويز نائب كسرى، فظفرت بنوشيبان، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله  
 حين انهزمت الفرس وغلبت العرب: هذا أول يوم انتصف العرب من العجم  
 وباسمي نصرُوا.

(١) في ض وح وف ون: حتى ولت.

(٢) في ض وح وع: ما ضعفت ولا جنت.

(٣) في ض وش: فلا بقرن الباطل وفي ر: وروي: لا تحقبن.

(٤) في ح هنا زيادة وهي: والله ما تنقم منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم فادخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال  
 الاول:

ادمت لعمري شربك المحض صابحاً  
 واكلتك بالزبد المقشرة البجرا  
 ونحن وهبناك العلاء ولم تكن  
 علياً وحطنا حولك الجرد والسمر

خصفت النعل: بفتح العين في الماضي وكسرهما في الغابر خصفاً أي خرزتها فهي نعل ... (١).

والخسف: نعل ذات الطراق وكل طراق منها خصفة. يقال أمر بالضم فيها امرأة بكسر الالف وإمارة: أي صار أميراً.

والأمرة: بالفتح المرة الواحدة من الأمر، يقال: لك علي أمرة مطاعة؛ أي لك علي أمرة اطيعك فيها.

ساق الماشية: يسوقها سوقاً وسياقاً فهو سائق وسواق شدة للمبالغة.

بؤاه تبولاً: أي أسكن وأعطى المكان.

الحلّة: منزل القوم. المنجاة: اسم موضع النجاء.

القناة: الرمح ويجمع على قنوات، وقنى على فعول، وقناة الظهر: عموده

المنتظم للفقار.

الصفة: بفتح الصاد المهملة صخرة ملساء، يقال في المثل: ما تبدى

صفاته، والجمع صفا مقصور، وأصفاء وصفي على وزن فعول.

الساقه جمع سائق. تولت أي أعرضت، يقال: تولى عنه أي أعرض،

وولت أي أدبرت.

حذافير الشيء أعاليه وجوانبه، يقال أعطاه الدنيا بحذافيرها: أي بأسرها،

الواحد حذفار.

العجز: أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر: أي مؤخره،

وصار في التعارف اسماً للقصور في فعل الشيء وهو ضد المقدرة.

والامرأة الكبيرة سميت عجوزاً لعجزها عن أكثر الأمور. نقب الجدار

نقباً: أي نقبه وشقه، ونقب البيطار سرّة الدابة ليخرج منه ماء اصفر: أي شقها

وهو المراد هنا، وفي بعض النسخ: بالثاء المثلثة من الثقب، وفي بعضها:

(١) كذا بياض في الأصل.

لأنفيع: بالنون والفاء من الالفاء أي لاديلن، والأول أشهر وأصح رواية.  
 القرش: الكسب والجمع وقد قرش يقرش، قال الفراء: وبه سميت  
 قريش وهي قبيلة، وأبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر.  
 وكلّ من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه، وربما  
 قالوا قريشي وهو القياس، فان أردت بقريش الحي صرّفته، وان أردت به القبيلة لم  
 تصرّفه، والباقي ظاهر.

### الاعراب

الواو في وهو يخصف نعله: للحال.  
 وكذا الواو الداخلتان على النبي في قوله وليس أحد الى نبوة. ان في أما  
 والله ان كنت: مخففة، والدليل عليه وجود اللام في لساقها.  
 والضمير في ساقها: للحرب وان بحر لها ذكر صريح تسويلاً على أن الوجود  
 العقلي كالوجود الحسي. وفي لمثلها روايتان: إحداهما: بكسر اللام ويكون متعلقاً  
 بمسيرى، الثانية: وهذا نعت لمسيرى بفتحها وهي الداخلة على... (١)، ان  
 وكافرين ومفتونين حالان.

### المعاني

الجملة المنفيتان الواقعتان حالين انما ادخل الواو عليها لكونها غير  
 واردين على نهج الحال، وان كانتا واردتين على أصل الحال بكونها فعليتين. الفاء  
 في فساق فصيحة مفضحة عن محذوف هوسبب، تقديره: بعث الله محمداً صلى الله عليه  
 وآله ودعا الناس الى الحق ونهاهم عن الباطل، فقبل بعضهم رغبة وقوى حاله  
 بالأعوان والأنصار. وفي فاستقامت للسببية الدالة على أن سكوتهم في محلهم

(١) كذا بياض في الأصل.

وبلوغهم الى منجاتهم سببان لاستقامة أمورهم تصريحية مستدعية لتشبيه قلوبهم بالصخرة الملساء، وهي محسوسة.

ووجه الشبه: اشتراكهما في الخلو والصفاء من كل شيء يناسب كليهما وعدم ثبات الشيء عليهما، يعني: أن القلوب الخالية من الحق والاعتقادات الصحيحة لا يستقر عليها أصلاً شيء لصلابتها وملاستها، خلو الصخرة من الشيء وعدم استقرار الأشياء عليها، وهو عقلي، وبذكر الأطمينان الذي هو سكون القلب وفي صفاته جرّدها.

وفي لأنقبت الباطل: استعارة مجردة تخيلية مكنتها عن اظهار الحق من الباطل، مستدعية لتشبيه الباطل الذي امتزج به الحق، وهو عقلي، بالدابة التي كان في بطنها ماء أصفر، وهو حسي، ووجه الشبه: اشتراكهما في الافتقار الى احتياجها الى تمييز الباطل عنها، وهو عقلي، وتخيل أن الباطل من أفرادها، وإلالم يصح جعله منقوباً، وبذكر النقب والجنب جرّدها.

### البديع

في إلا أن اقيم حقاً أو ادفع باطلاً: راعى المقابلة؛ حيث قابل الإقامة التي هي عبارة عن الإثبات بالدفع الذي هو النفي، والحق بالباطل كما في لأنقبت الباطل إلى جنبه. بين قناتهم وصفاتهم: المتوازي والترصيع، والباقي واضح.

### الفحوى

اعلم أنه عليه السلام بين بالقسم البار نظره الى الإمارة ليس باعتبار أنها رئاسة...<sup>(١)</sup>، للانقياد والغرة والحرمة بين الناس وتملك قلوبهم على ما هو مطمح نظر الأمراء والخلفاء السابقين اكثرهم خصوصاً من نازعهم فيها، بل باعتبار أنها مما

(١) كذا بياض في الأصل.

يقيم به الحق ويدفع الباطل على سبيل الالتزام، وعلى سبيل المطابقة: ان النعلة التي لا قيمة لها تكون أحب عنده من الامرة باعتبار أنها رياسة دنيوية، وقال في جواب عبدالله بن العباس رحمة الله عليهما: والله لمي أحب الى باطلاً. وغرضه عليه السلام من ذلك اعلامهم بأن طلبه عليه السلام اياها ليس كطلبهم، بل ليس الا ليجعلها آلة لإقامة الحق ودفع الباطل بخلافهم، فانهم يطلبونها للترقع وجمع المال وغيرها من الأسباب الدنيوية، وهذه الدعوى لا يقدر أن يأتي بها الا من ابتج بمطالعة انوار كبريائه وغرق في بحار عرفانه بالكلية، بحيث لا يبقى له التفات الى غير بوجه ما...<sup>(١)</sup>، الذي اذاق كأس معرفته عبارة المخلصين، وأسكروهم عن الكائنات بالقاء عشقه في سويداوات قلوبهم.

ثم مهّد قاعدة لنفسه بين بها فضيلة نفسه بالالتزام، وفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله بالمطابقة، ليعلموا أن مراده عليه السلام من القيام بالخلافة ليس الا مثل مراد الرسول عليه السلام من الرسالة وهو اقامة الحق ودفع الباطل، وقال: إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله الى كافة العالمين خصوصاً الى العرب، والحال أن ليس أحد منهم يقرأ كتاباً؛ أي تبع كتاباً منزلاً من عند الله سبحانه ولا ديناً، ولا أحد منهم يدعي نبوة؛ أي سفارة من الله تعالى الى الخلق.

بل حال ما كانت الأهواء الباطلة غالبية عليهم وانواع الكفر راکمة عليهم فدعاهم الى الحق، بعضهم بالترغيب وبعضهم بالترهيب، فساق الناس مما كانوا عليه من الباطل باظهار المعجزات الباهرات والدلائل الظاهرة حتى أنزلهم منزلتهم التي خلقوا لأجلها، وهي لزوم المقصد المسمى اسلاماً ودينياً، وبلغهم ما هو سبب نجاتهم وهو الدين الحقيقي الذي لا عوج فيه، ومن تمسك به نجا، ومن انحرف عنه فقد ضلّ وغوى.

فلما سكنوا في مواطنهم الأصلية بحسب الفطرة الأصلية التي هي الاسلام،

(١) كذا بياض في الأصل.



انتظمت امور دولتهم واستقامت أحوالهم وأطمأنت صفتهم، أي سكنت قلوبهم به التي كانت في القلق والاضطراب قبل بدء الاسلام.

كل ذلك بمقدم محمد صلى الله عليه وآله، فهو المنعم عليهم بانعام لا يوازيه شكر، فلا يوافق حالكم ان تخالفوا نصه وأخباره، فان قيل: كيف يصح أن يقال بعث في حال ليس أحد منهم يقرأ كتاباً واليهود يقرأون التوراة والنصارى الانجيل.

قلنا: التوراة لكونها قد حُرِّفوا تصدق عليها انها ليست بكتاب من حيث هي محرّفة، بل دليل قوله تعالى: قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً<sup>(١)</sup>، أما النصارى فلكونهم قائلين بالتثليث، لا يبق وثوق بنقلهم واعتماد على أخبارهم عما في أيديهم.

والنافون للتثليث قليل جداً، فلا يفيد قولهم: أن ما في أيديهم هو انجيل عيسى عليه السلام، فلم يكن المقر، وفي حال مبعث محمد عليه السلام كان منزلاً من عند الله سبحانه باليقين، قوله: أما والله إن كنت الى جنت إشارة الى اثبات فضيلة نفسه وأنه من ساقته أي ساقه الحرب، الدال عليها قوله: الله بعث على طريقة قولهم: من كذب كاتماً سرأ له الى أن تولت الحرب بأسرها أي انطفأت نار الفتنة والحرب واستقام الدين ولم يطرأ عليّ عجز وعليّ جبن، بل كنت شديد القلب ثابتة.

قيل: تقديره لساق الناس وهم يومئذ كتائب عليه فكنت في ساقها حتى تولت الكتائب بأسرها، والسوق قد يكون سوقاً الى الهدى وهو المطلوب لذاته، وقد يكون سوق طرد هو المقصود بالعرض، ولما لم يكن سوق الحلأ<sup>(٢)</sup> الى الهدى الا بايضاح السبيل اليه وذمهم عما كانوا عليه كان كونه من جمله.

ساقته حتى تولت بمخافيرها: مثبتاً لأن يكون من جملة الحامين للنبي عليه السلام والذابين عن حوزة الدين، بل من أعظمهم. قوله ما عجزت ولا

جئنت: دال بالمطابقة على العجز والجن الذي هو طرف التفریط من فضيلة الشجاعة عن نفسه وبالتزام على إثبات فضيلة الشجاعة.

قوله عليه السلام وان مسيري هذا مثلها: أي لمثل تلك الحال التي كنت عليها زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردهم من غير جن ولا ضعف، وهو زجرهم عما كانوا فيه وردع لهم عما اعتقدوا في حقه من فتور في الشجاعة والعقيدة، وبقوته لقلوب أوليائه وتوطين لنفوسهم، وحاصل المعنى يرجع الى ان حالي ما تغيرت بعد الرسول صلى الله عليه وآله عما كانت عليه في زمانه عليه السلام، لا في الشجاعة ولا في قوة الدين.

قوله فلا نقب الباطل الى جنبه: ايماء الى ان ما عليه خصومة باطل محض، وشارة الى اني لا اقرر الحق ماساً بالباطل أي معكم، بل اميز الحق من الباطل وأضع كلاً منها في موضعه تمييزاً للبيطار الماء الاصفر من بطن الدابة بالشق. قوله ما لي ولقريش: انكار عليهم فيما يفعلونه من الجحد لفضيلته وحسم لاعدادهم في مقاومته.

قوله ولقد قاتلتهم كافرين: أي حاربتهم حال كونهم كافرين وسبقتهم من الكفر الى الدين أولاً، وهو تعبير لهم بما كانوا عليه من الكفر ليقروا بفضيلته وأنه السابق في الدين.

فيكون الأولى بحماية حوزة الدين فلا يليق بحالهم مقابلته، وإثبات أيضاً لفضيلته.

قوله ولأقاتلتهم مفتونين: أي لأحاربتهم حال كونهم مفتونين ضالين عن الدين منحرفين عن سواء السبيل، فذكر كافرين ومفتونين يشعر أن علة مقاتلته اياهم كفرهم وفتنتهم، وان الفتنة مساوية الكفر في الاحواج إلى المقاتلة. قوله واني لصاحبهم بالأمس كما انا صاحبهم اليوم: توكيداً لما سبق وتذكيراً لهم بوقائعه في

بدء الاسلام وايماء الى ان الأمس<sup>(١)</sup>، لم يتغير، وأراد بالأمس حال كونهم كافرين، وباليوم حال كونهم مفتونين، والله أعلم.

\* \* \*

### ٣٢- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(في استنفار الناس إلى أهل الشام)

أَيُّ لَكُمْ، لَقَدْ سَيَّمْتُ عِتَابَكُمْ!! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ  
الْآخِرَةِ عِوَضًا؟ وَبِالذُّكِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ  
ذَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَمَا تُكُّمُ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ،  
يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَغْمَهُونَ. فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَالِوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا  
تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَّةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي.

وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ<sup>(٢)</sup> يُعَمَّاكُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ.

مَا أَنْتُمْ إِلَّا كِبَابِلٌ ضَلَّ رِعَاثَتُهَا، فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ  
أَنْتَشَرَتْ مِنْ آخِرٍ، لَيْسَ - لِعَمْرُ اللَّهِ - سَعْرُنَا - الْحَرْبِ أَنْتُمْ  
تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ<sup>(٣)</sup> فَلَا تَمْتَعِضُونَ، لَا يُنَامُ  
عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غَلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِلَهِي  
لَأُظَنُّ بِكُمْ، أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَعْسَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنِ  
أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْفِرَاجِ الرَّأْسِ<sup>(٤)</sup>.

وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ

(١) كذا بياض في الأصل.

(٢) في ض وح: وما انتم بركن.

(٣) في ب وش: تنقص وفي ع: وينتقص اطرافكم.

(٤) في م: انفراج الرأس من الجسد.

عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ؛ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ، ضَعِيفٍ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَائِحُ صَدْرِهِ، أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ (١) دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ (٢) ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيْهَا النَّاسُ، إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ (٣) فَالْتَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئَتِكُمْ عَلَيْنَا، وَتَغْلِيْبُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْوِيْبُكُمْ كَيْمَا تُعْلَمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالتَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيْبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةَ حِينَ أَمْرُكُمْ.

### اللغة

قال الجوهري: الالفار عن الشيء... (٤).

الاستنفار: ... (٥) العرق: العظم الذي أخذ منه اللحم والجمع عراق، وقد يقال العراق اللحم الذي أخذ منه، يقال فلان معروق العظم ومعترق: أي قليل اللحم.

هشم العظم، يهشمه هشماً: أي كسره ودقّه وأتما سمي هاشم به لهشمه الشريد في الجذوب، ولهذا قيل له:

عمرو العلى هشم الشريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف

في يفري روايتان: إحداهما: يفري بفتح الياء من فريت الشيء أفريه فرياً قطعت له لأصلحه، الثانية: يفري بضمها من أفريت الشيء شققته فانفري أي انشق،

(١) في ف: فاما انا والله.

(٥) بياض في الأصل.

(٢) في ض وح وب: ان اعطي ذلك وفي ب: فذاك ضرب.

(٣) في م: فاما حركم فالنصيحة لكم.

(٤) كذا بياض في الأصل.

قال الكسائي: أفريت الأديم: قطعته على جهة الافساد، وفريته: قطعته على جهة الاصلاح.

الضم: الجمع لشيثين فصاعداً.

الجوانح: الأضلاع تحت الترائب وهي مما يلي الصدر كالضلع مما يلي الظهر، الواحدة جانحة، وانما سميت بها لانعاطها عليه، يقال جنح يجنح وحنوحاً: أي مال. المشرفية: سيوف، قال أبو عبيدة: نسبت الى مشارف وهي قرى من ارض العرب تدنو من الريف، يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي، لأن الجمع لا ينسب اليه اذا كان على هذا الوزن، لا يقال مهالبي ولا جعافري ولا عباقري.

فراش الرأس: عظام دقاق تلي القحف، وانما سميت بها لانبساطها على سطح الرأس، وكل قريب يفترش على الأرض أو قريب منها فهو فرش، الفراشة: التي تطير وتهافت على السراج، وفي المثل: أطيش من فراشة، والجمع فراش، والفراش أيضاً ما يبس بعد الماء من الطين على وجه الأرض، والإضافة الى الهام وهو الرأس قرينة الاول.

طاح يطوح يطيح: سقط وهلك، وكذلك اذا تاه في الارض.

السواعد: جمع ساعد، قال الجوهري: ساعدا الانسان عضداه، وهو غلط

منه بل هما ذراعاها.

النصح: يجري<sup>(١)</sup>، فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، يقال: نصحتك نصحاً ونصاحة وهو استعماله باللام أفصح، قال تعالى: أنصح لكم، والاسم النصيحة، والنصيح الناصح، قيل: النصيحة ضم الأمر المتشعب بصدق في القول أو في الفعل، وانما سمي الخياط ناصحاً لأنه يضم شتات الثوب المتمزق. وفر عليه حقه: وفيراً واستوفره أي استوفاه.

النيء: الغنيمة، وقيل: النيء لا يقال الا للغنيمة التي لا يلحق فيها

مشقة، وقيل: سمي ذلك بالفيء الذي هو الظل تنبيهاً على ان أشرف أعراض الدنيا  
يجري مجرى ظل زائل، وعلى هذا قال الشاعر:  
ارى المال أفناء الظلال عشية

وقال الشاعر:

انما الدنيا كظل زائل

علمته وأعلمته: في الاصل واحد إلا ان الاعلام اختصّ بما كان ياخبار  
سريع، والتعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير، حتى يحصل منه أثر لتعورها.  
التأديب: الارشاد الى الطريق المحمود عقلاً وشرعاً، يقول: أدبته فتأدّب.  
المشهد: مصدر شاهده أي حضره، وكذا شهوداً.  
والمغيب: أيضاً مصدر، يقال: غاب عنه غيباً وغيبية وغيباباً وغيوباً ومغيباً:  
أي خفي عنه.

### الاعراب

عوضاً وخلفاً: منصوبان على التمييز.

يرتج عليكم حوارى: حال منهم، والتقدير من الدهول في سكوره حال  
كونكم مسدوداً عليكم جوابي.

في زوافر روايتان: إحداهما: النصب عطفاً على محل بركن، اذ في محل  
النصب على أنه اسم ما بمعنى: ليس، تقديره: ما أنتم ركننا يمال بكم، الثانية: الجر  
عطفاً على لفظ بركن.

ضلّ رعاتها: جملة وقعت نعتاً لابل.

ولبئس سعر نار الحرب: ستعرف الكلام فيه في علم المعاني.

اسم اني الضمير الراجع الى نفس المتكلم، وخبره لأظنّ.

وأن مخففة: من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والجملة الشرطية خبرها، وهي مع اسمها وخبرها قائمة مقام مفعول أظنّ.

ان امرأ: اسم ان امرأ، والجمل بعده نعوت له، وخبره لعظيم عجزه. ضعيف: خبر بعد خبر، وما: موصول وضمنت صلته، والضمير في عليه عائد الى الموصول.

وجوانح صدره: مفعول ما لم يسمّ فاعل ضمنّت، والموصول مع صلته في محل الرفع على أنه مفعول ضعيف، والباقي واضح.

### المعاني

في أرضيتم: استفهام على سبيل الإنكار عن حصول الرضا لهم، وأيضاً الاجمال والتفصيل، اذ كل تمييز مع مميّزه له مرتبة الإجمال والتفصيل. التنوين في غمرة وسكرة: للتفخيم.

ويرتج لكونه جملة واردة على أصل الحال لأنها فعلية وعلى نهجها لأنها مثبتة، ويكون فعلاً مضارعاً، حذفت الواو للربط لاستغنائها عنها في الكلام الفصيح.

الفاء في فتعمهون: للسببية الدالة على أن سدّ الكلام عليهم هو سبب لترددهم من الحسرة، ولما لم تكن أنتم لا تعقلون جملة واردة على أصل الحال لكونها اسمية، أتى بالواو، وانما قال أنتم لا تعقلون، ولم يقل لا تعقلون أنتم.

لأن مراده عليه السلام نفي العقل عنهم بالكلية واختصاصهم به، لأن المسلوب عنهم العقل هم دون غيرهم، والأول انما يفيد المراد دون الثاني، وذلك لأن أنتم فيما قال عليه السلام لتأكيد الحكم، وفي لا تعقلون أنتم لتأكيد المحكوم عليهم بأنهم هم لا غيرهم محورا<sup>(١)</sup>، او سهواً وقد عرفت تمام البحث فيه في المعاني.

نظيره قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ بِهِمْ لَا يَشْرِكُونَ<sup>(١)</sup>، وقوله: لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون<sup>(٢)</sup>، وفي تقديم لي على بثقة افاد التخصيص والقصر للإفراد، يعني: أنهم ليسوا بثقة لي خاصة لجواز ان يكونوا ثقة لغيره عليه السلام. وإنما قطع ما أنتم لي بثقة عما قبله لعدم الجامع بينه وبين السابق، قطع ما أنتم بركن وما أنتم إلا كابل ليدل على ان كلاً من الجمل يدل على السابقة وأنها غير وافية بتمام مراده، والمقام يقتضي الاعتناء بشأنه، ومعرفة مواقع الفصل من الوصل صعبة لا تهيأ إلا لمن له يد طويل في البلاغة.

في ما أنتم إلا كابل ضلّ رعاتها: القصر للقلب على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين، فانهم يفعلهم كأنهم منكرون لكونه عليه السلام سائقهم وإن كانوا بالقول المجرد قائلين، وقد عرفت اشتمال لبئس لعمر الله على الإجمال والتفصيل، ودلالة الجمل المصدرية بأن مع القسم واللام على أن الخطاب مع المنكرين قد عرفتها غير مرة، إيراد الجملة الدالة على الحكم العام ثم تعقيبه على الخصوص مع اقترانه بحرف الشرط من أوضح الامارات على كمال البلاغة، وذلك في قوله عليه السلام: والله ان امرأ الى ان شئت، والباقي معلوم من القواعد السالفة.

### البيان

في أرضيتم بالحياة الى خلفاً: كناية في الأفراد واستعارة، أما الكناية: فلائنه عليه السلام ذكر بالحياة الدنيا والذل فيها وأراد ملزومها وهو ترك الجهاد المستلزم للبقاء في الأغلب، ولطمع العدو فيهم المستلزم للذل، وذكر الآخرة والعزة وأراد ملزومها وهو الجهاد المستلزم للحياة في الآخرة ان قتل شهيداً، لقوله تعالى: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون<sup>(٣)</sup>، ولكسر قلوب

(٣) البقرة: ١٥٤.

(١) المؤمنون: ٥٩.

(٢) يس: ٧.



الاعداء المستلزم للعزة.

أما الاستعارة: فلأنه ذكر العوض والخلف اللذين من خواصّ المعاوضة، فيكون استعارة مكنياً بها عن لحوق الخسران العظيم بمن رضي بالحياة الدنيا الفانية والمذلة فيها، وأعرض عن الحياة الباقية الابدية والعزة السرمدية، مستدعية لتشبيه هيئة من استبدل الحياة الدنيا والذل، بل في غاية الخساسة بالآخرة والعزة، وهي معقولة، بهيئة من استبدل المتاع الخسيس بالمتاع النفيس، بل في غاية النفاسة، وهي محسوسة.

ووجه الشبه: اشتراكهما في الدلالة على غباوة المستبدل وجهله بمواقع الأمور، وفي لحوق الغبن العظيم، وهو عقلي.

في قوله دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة: كناية وتشبيه، أما الكناية: فلأنه عليه السلام ذكر دوران الأعين وأراد به ملزومها وهو الخيرة والخوف وهو ظاهر، أما التشبيه: فلأنه عليه السلام شبه حالتهم تلك في دوران أعينهم بحالة المغمور في شدة الموت أو سكراته، وهما محسوسان. ووجه الشبه: أنهم ساهون عن عواقب أمورهم، مشغولون بما كانوا مستغرقين فيه من الخيرة، كما أن المغمور لا اشتغاله بالألم الذي حضره ويجده من نفسه، غافل عن حاضر أحواله، وهو معقول، وأيضاً شبه حالتهم بحال السكران بقوله:

ومن الذهول في سكرة: ووجه الشبه قريب مما ذكرنا، ولما كان وجه الشبه متحداً فيها أو قريباً لأحدهما من الآخر اكتفى بذكر حرف التشبيه مرة واحدة، ثم شبه هيئة حالهم عند دعوتهم الى الجهاد من التحير والتردد بحال من اختلط عقله، أو بحال من تمكن في سويداء قلبه الغل والخيانة.

ووجه الشبه في الأول: اشتراكهما في عدم الاحاطة علماً بما يصدر منها من القول والفعل، وهو عقلي، وفي الثاني: أنهم يطلبون مهرباً عن دعوته وسبباً يتسببون به لدفعه كالحائث اذا دعاه المؤمن الى ردة الوديعه عليه يطلب دفعاً ومهرباً، وهو

عقلي ولطيف جداً.

في قوله ما أنتم لي بثقة: كناية عن كذبهم وخلفهم في المواعيد، إذ هما مستلزمان لعدم الاعتماد بالقول.

في ما أنتم بركن يمال بكم: استعارة تصريحية.

الافراء: رشح الاستعارة وكنى عن هتك عرضهم وتمرين حالهم، يحتمل أن يكون المستعار منه في الأول عرق اللحم، وهو محسوس، والمستعار له سلب المال، وهو أيضاً محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في الدلالة على العجز، وهو عقلي، فيكون استعارة تبعية غير مرشحة تصريحية.

في الثانية: المستعار منه هشم العظم، والمستعار له قتل النفوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في الأذى الشديد، وهو عقلي، فيكون استعارة تبعية غير مرشحة تصريحية.

في الثالث: المستعار منه افراء الجلد، والمستعار له هتك العرض، وهو عقلي، ووجه الشبه: اشتراكهما في اظهار المعائب وما هو مخفي بساتر، وهو عقلي، فيكون أيضاً استعارة تبعية غير مرشحة تصريحية، والاستعارات الثلاث على التقدير الأول أصليات مرشحات.

في قوله تطير منه فراش الهام: استعارة تحييلية أصلية مكنى بها عن شدة تأثير ضربه عليه السلام، مستدعية لتشبيه فرش الهام بالطير، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في شرعة النقل، وهو عقلي، وبذكر تطير رشح الاستعارة، ويحتمل أن يكون استعارة تبعية تصريحية مستدعية لتشبيه شرعة فراش الهام بالنقل بطيران الطائر، ووجه الشبه ما ذكرنا.

واضافة الطيران الى الفراش وهو جمع فراشة السراج صنعة لا يتيسر مثلها لغيره عليه السلام، وكذا اضافة الفراش للهام وهما أيضاً من جنس الطيور أيضاً

عربية، والعجب انها تهيأت له من غير قصد له ذلك لتمرسه (١) في الفصاحة وتمرته بالبلاغة، ومثل هذا لرسول الله صلى الله عليه وآله يتفق، فانه كان يسمع لسانه بكلمات موزونة من غير قصد ذلك .

### البديع

راعى في أرضيته الى خلفاً: من المحسنات المعنوية المقابلة، حيث قابل الدنيا بالآخرة، والعز بالذل، ومن اللفظية المتوازن، بين عوضاً وخلفاً وبين غمرة وسكرة: المتوازي والترصيع، كما بين لحمه وعظمه وجلده، وبين الهام والاقدام: المطرف، وفي تعليمكم الى تعلموا: المقابلة؛ حيث قابل الجهل بالعلم كما في المشهد والمغيب، لعمر الله في قوله لبئس لعمر الله سعرو والله في غلب والله المتخاذلون: حشو مليح.

### الفحوى

روي: أنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج وقد كان قام بالنهروان، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فان الله تعالى قد أحسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من أهل الشام، فقالوا له: قد كَلَّت سيوفنا، ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا، ولعل أمير المؤمنين عليه السلام يزيد في عدونا ميل من هلك منا ليستعين به، فأجابهم:

يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم (٢)، وتوكلوا عليه، فقالوا: ان البرد شديد، فقال: انهم يجدون البرد كما تجدون اف لكم، ثم تلا قوله تعالى: قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين (٣).

فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس، وطلبوا أن يرجع بهم الى الكوفة ثم يخرج بهم، فرجع بهم غير راض وأنزلهم نخيلة وأمرهم أن يلزموا بعسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، ويقبلوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة، حتى لم يبق معه إلا القليل منهم، فلما رأى ذلك دخل في الكوفة فخطب الناس فقال: أيها الناس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده، قوم حيارى عن الحق لا ينصرونه، ووصفهم بأوصاف دالة على عدولهم عن الحق وانعطافهم الى الباطل.

ثم قال: فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً، قال: فلم ينفروا، فتركهم اياماً ثم خطبهم بهذه الخطبة وقال لهم ضجراً من تشاقلهم عن الجهاد وتواكلهم: اف لكم ثم بين سبب باقيه<sup>(١)</sup>، لهم وقال: لقد سئمت عتابكم أي مللت من تخاذلكم بالعتاب واطهار ما لا يكون عذراً في التخلف عن الجهاد، ثم حثهم عليه منكرراً لعودهم مستفهماً اياهم على سبيل الانكار والتوبيخ، وقال: ارضيتم الى خلفاً، والكلام فيه قد عرفته.

ثم وبخهم على تشبيطهم وتكاسلهم عند دعوتهم الى الجهاد لعروض رذائل لهم، وقال: اذ دعوتكم الى قوله لا تعقلون، الأولى: أشار اليه بقوله دارت الى سكرة، وهذا الوصف لازم لغلبة الخوف عليهم اذا دعاهم وترددهم في أن القيام به اقدام على الموت، وفي التخلف عنه مخالفة لقول الامام بالحق، وفي الأمرين خطر عظيم، والتردد علامة الجبن أو عدم اليقين بما أعد الله للشهداء بقوله: ولكن احياء عند ربهم ولكن لا تشعرون.

الثاني: أشار إليه بقوله يرتج عليكم حوارى؛ أي دارت اعينكم من غاية التردد حال كونكم قد سد عليكم جوايي فتقعون في تيه الحيرة المستفادة من التردد. الثالث: أشار إليه بقوله كأن قلوبكم مالموسة: أي أنهم لكثرة ترددهم

وتحيرهم في التفصي عن عهدة جواب دعوته عليه السلام كمن أصاب قلبه منه لا يفهم ما يقول ولا يدري ما يتفوه به، وهذا التشبيه لوصفهم بقلّة العقل وعدم درايتهم بما ينتظم به حالهم.

الرابعة: أشار إليها بقوله ما أنتم إلى الليالي: أي إنهم ليسوا ممن يعتمد عليه السلام على أقوالهم ويشق إلى مواعيدهم أبداً لكثرة أكاذيبهم وخلفهم في المواعيد، كأنه عليه السلام بهذا سلب الصدق وانجاز الوعد عنهم، وأثبت رذيلة الكذب والخلف فيهم.

الخامسة: أشار إليها بقوله ما أنتم بركن يمال بكم: أي أنهم ليسوا بجانب قوي يعتصم به ويستد به ظهره ويلتجئ إليه عند نزول الخطوب الملمة وحدوث الكروب المدهمة، وهذا مستلزم للعجز والتخاذل وعدم الأنفة والحمية.

السادسة: أشار إليها بقوله: ولا زوافر عزيفتقر إليكم؛ أي أنهم ليسوا بأنصار وأعوان يحصل العزة بالاستنصار منهم عند الافتقار وعرض الحاجة إليهم، وهذا يستلزم ذلتهم وحقارتهم.

السابعة: أشار إليها بقوله: ما أنتم إلى قوله آخر: أي أنهم شتتوا الآراء ضعيفاً<sup>(١)</sup> العزوم لا اهتمام لهم بالجمع على مصلحة بها يكون نظام أحوالهم في الدارين، وهذا مستلزم لقلّة تدبرهم بعواقب الامون وعدم اطمينان قلبهم بالامام الحق، وحيرتهم في أمر الدين، وعدم عقلهم ورأيهم.

الثامنة: أشار إليها بقوله: ليس إلى أنتم: أي أنهم ليسوا مما يلتب به نار الحرب؛ أي ليسوا من رجالها، وذلك لأن مدارها على الشجاعة وإصابة الرأي، وهم معزولون عنها لما عرفت.

التاسعة: أشار إليها بقوله: تكادون ولا تكيدون؛ أي تخدعون ويمكر بكم العدو في ايقاع الحرب عليكم وتقع الحرب بكم، ولا تقاتلون عدوكم بايقاع الخداع

بهم والقاء الحرب إليهم، وهو وصف مستلزم للضعف في الرأي والجن.  
 العاشرة: أشار إليها بقوله تنتقص إلى تمتعضون: أي يستولي العدو في كل وقت عليكم، وينقصون من أطراف مملككم ويقتلون منكم كثيراً، فلا تنزعجون عن ذلك ولا تصيبكم أنفة ولا حمية، وهو وصف لهم برذيلة المهانة.  
 الحادية عشر: أشار إليها بقوله: لا ينام عنكم إلى ساهون: أي أن عدوكم متيقظ لكم ومترصّد لكائدكم وأنتم مستقرون في غفلة عظيمة عنهم ساهون، ليس لكم تدبير مصالح أحوالكم، وكل هذا تويخ لهم وحثّ لهم على الجهاد، وتنبيه لنفوسهم الراقدة في مراقد طباعها على ما ينبغي لهم من المصالح التي بها تنتظم أحوالهم على قانون الدين وأصول اليقين.

قوله غلب والله المتخاذلون: إشارة إلى أنهم سيغلبون بتخاذلهم، وإنما لم يخصصهم بالخطاب أورد على صورة المجهول ليكون إلى القبول أقرب، وذلك لأنه جعل التخاذل علة للمغلوبة لما بين في الكتب الأصولية أن الاسم المشتق إذا أعقب بحكم كان المشتق منه علة لذلك الحكم.

فكلما وجد التخاذل وجد المغلوبة، وهم إذا رجعوا إلى أنفسهم ووجدوها متخاذلين قطعوا بأنهم سيغلبون فينزجرون عن التخاذل ويكفون عنه ويقومون بالجهاد، وأيضاً ادخال الألف واللام في الجمع دليل على العموم، وهذا من دقائق الكتاب.

قوله وأيم الله إلى الرأس: قسم بوحدانية الله تعالى أنه ليظن بهم أنهم إذا اشتدت الحرب واستحرموت أي صار في غاية الشدة يتفرون عنه أشدّ تفريق، اعلم أن انفراج الرأس مثل قيل أول من تكلم به أكرم بن صيني<sup>(١)</sup> في وصفه له لابنه: يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس لأنكم بعد ذلك لا تجتمعون على غزو، وفي معناه للعلماء أقوال:

(١) أكرم بن صيني من حكام العرب مشهور.

الأول: قال ابن دريد<sup>(١)</sup> معناه: أن الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه، ولا يكون له اتصال بعده، وصار البدن منفصلاً عنه بحيث لا يصلح لأمر ما.  
الثاني: قال المفصل: إن الرأس اسم رجل تنسب إليه بلدة صغيرة بالشام بين رملة وغزة<sup>(٢)</sup> مولد الشافعي ومنشئه، يقال لها بنت الرأس وفيها يباع الخمر، قال حسان بن ثابت الأنصاري:

كأن سبيئة من بنت رأس      يكون مزاجها غسل وماء  
وكان هذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد إليه، فضرب به المثل في الانفصال الشديد.

الثالث: قال بعضهم: أن الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان لا يقبل الاتصال بعده إلا نادراً.

الرابع: قال بعضهم: انفرجتم عتي رأساً؛ أي قطعاً وبالكلية.  
الخامس: قال بعضهم: معناه انفراج من يريد أن ينجو برأسه.  
السادس: قال بعضهم: معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع، فانه في غاية الشدة وأيضاً لا يعود إليه البتة، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله في موضع آخر: انفراج المرأة عن قبلها.

السابع: قال بعضهم: معناه تفرقتم عتي وتفلقتم تفلقت الهام عن مخها، هذه استعارة تصريحية مستدعية لتشبيهه نفسه عليه السلام بمحلّ المخ المحرّر في أكتة العظام

(١) أبو بكر محمد بن دريد الأزدي البصري الشيعي الامامي، عالم، فاضل، أديب، شاعر، لغوي، كان واسع الرواية، لم ير أحفظ منه، يحكى: أنه كان إذا قرئ عليه ديوان شعر مرة واحدة حفظه، قام مقام الخليل بن أحمد، وأورد أشياء في اللغة، توفي ببغداد سنة ٣٢١.

(٢) رملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت رباط المسلمين، وقد نسب اليها قوم من العلماء، وغزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتححه مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان، وهي من نواحي فلسطين، وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وآله وبها قبره، ويقال لها غزة هاشم، وبها ولد أبو عبد الله الامام الشافعي وانتقل طفلاً إلى الحجاز.

وتشبيهم بالهام، ووجه الشبه في الأول: أنه أصل المسلمين وبه قوامهم كما أن المخ أصل الرأس وبه قوامه، وفي الثاني: أنهم بمنزلة المحافظين له عليه السلام عن اصابة الآفات، كما أن الهام وقاية للمخ، وهذان تشبيهان في المفرد.

وهنا تشبيه آخر في المركب هو تعبئة تفرقهم عنه عليه السلام بتفرق الهام عن المخ، ووجه الشبه: اشتراكهما في إبطال الانتفاع بالاجتماع بالكلية، وهذه الاستعارة تقرّباً بعجازها الأذهان، وتجراً لإيجازها الأذقان، لا يدرك شأوها، ولا يشقّ غبارها. قوله ووالله إلى صدره: اشارة إلى حكم عام: بأنّ من مكّن عدوّه من نفسه حتى يسلب ماله ويقصد نفسه بالقتل والنهب ويهتك عرضه، بحيث يبدو في التخاذل عن العدو والتضعيف والتكاسل للناظرين لكان في غاية الجبن ونهاية ضعف القلب.

ثم التفت منه وقال مخاطباً لمعين، مريداً به كل واحد ممن له صلاحية الدخول تحت الخطاب: أنت فكن ذاك؛ أي ذاك المرء الموصوف ان شئت أن تصير من جملته وتنخرط في سلكه، وهذا أمر وارد على سبيل التهديد والوعيد، وحاصل مقصوده يرجع إلى أن كل من يقعد عن الجهاد ويتكاسل عنه ويتخاذل يغلب عليه عدوه ويقهره، بحيث لا يبقى له مالأ ولا نفساً ويهتك عرضه، فانه في غاية العجز ونهاية الجبن.

فأنتم ان لم تقوموا بالجهاد ولم تبعدوا أعداءكم عن دمائكم فتقهروا ويفنى مالكم ونفوسكم وعرضكم في معرض الزوال، فقوموا ان كان لكم رجولية، وهو مبالغة عظيمة في الحث على الجهاد، وقيل: أراد بالخطاب مخصوصاً هو الأشعث بن قيس، ثم برأ نفسه عليه السلام عن أن يكون ممن يمكّن عدوه وان اختار المخاطب ذلك، وقال: أما أنا فوالله دون أن اعطي ذاك؛ أي أمكن عدوه من نفسه ذلك التمكين لا يأتي مني. ضرب بالمشرفية ينفصل عنه فراش الهام ويسقط منه السواعد والاقدام:



وذلك كناية عن أشد المجاهدة إذا وجه إليه العدو قاصداً آياه، ويفعل الله بعد ذلك أي بعد الضرب العظيم المستلزم للجهاد الجسمي ما يشاء من تمكين العدو وعدم تمكينه، فإن إليه مرجع الأمور وعواقبها، ثم لما فرغ من تهديدهم وزجرهم وتوبيخهم على أفعالهم القبيحة أردف ببيان ما لهم عليه من الحق وماله عليهم من الحق، وقدم ما لهم عليه على ما له ليكون أقرب إلى السماع وأنسب بالأدب، فإن البداية حق الغير.

قيل: حق النفس أليق بالأدب وأشار إلى ان ما عليه من حقوقهم قد وفيت، فيجب أن يوفوا ما عليهم من حقوقه، وقال: أيها الناس إلى آخره؛ وذكر أربعة أمور بها يكون صلاح حالهم في المعاد والمعاش، وقدم ما يرجع إليها غير مختص بأحدهما، ثم ما يختص بصلاحتهم في المعاش، ثم ذكر أمرين عائدتين إلى انتظام حالهم في المعاد ليكون أقرب إلى القبول:

الأول: النصيحة لهم؛ وهي تحريضهم على تحسين الأخلاق ودالاتهم على ما هو الأليق بنظام أمورهم في الدارين.

الثاني: توفير فيئتهم عليهم؛ أي يوفي حقهم إليهم من غير ظلم عليهم في تعريفه في غير ما يرجع إلى مصلحتهم، لينتظم به حالهم في الحياة الدنيا ويلتئم به أمرهم المتشعب.

الثالث: تعليمهم العلوم الواجبة على كل مكلف يعلمها على ما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لئلا يكونوا جاهلين بمواقع الأمور التي فرض الله عليهم العلم بها فيقعوا في مهاوي المهالك، وإنما قال كيلا تجهلوا ولم يقل كما تعلموا لأن اظهار المنة عليهم بنفي الجهل أشد من ظهورها في عرض ايجاد العلم لهم، يعرف ذلك بأدنى تأمل.

الرابع: تأديبهم أي إرشادهم إلى طريق العمل النافع لهم في الدنيا والعقبى، كيما يعلموا ما هو نظام لهم في العمل، فالسابق عليه راجع إلى تكميل القوة العلمية،

وهذا إلى تكميل القوة العملية، وهذه الأمور الأربعة واجبة على كل امام بالنسبة إلى رعيته، ثم ذكر أربعة أمور واجبة عليهم وهي حقوق الامام عليهم:

الأول: الوفاء بالبيعة؛ وهي أهم الأمور وأسناها إذ به انتظام أحوال الدين والتشام مصالح المسلمين، ولذا كرر الله تعالى الأمر بالوفاء في كتابه المجيد وتنزيله الحميد، وقال في مواضع: أوفوا بالعهد، أوفوا بالعقود، وغيرهما.

الثاني: النصيحة له في حضوره وغيبته بالذنب عن حريمه، إذ به تنتظم المصالح بينهم وبينه.

الثالث: إجابته حين يدعوهم إلى الجهاد وحفظ حوزة الدين من غير ثقافتهم عن دعوته، وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله: أجبوا داعي الله.

الرابع: طاعتهم حين يأمرهم بأي أمر كان، وإلى هذا أشار التنزيل الالهي بقوله: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم<sup>(١)</sup>»، من حيث الحقيقة هذه الأمور أيضاً راجعة إلى منافعهم في الدنيا والآخرة، وهو ظاهر.

\* \* \*

### ٣٤- وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد التحكيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنِّي أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدِيثُ الْجَلِيلِ.  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)<sup>(٢)</sup> لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ،  
وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تُورِثُ  
الْحَسْرَةَ<sup>(٣)</sup> وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي

(٣) في ض وب: تورث الحيرة.

(١) النساء: ٥٩.

(٢) ساقطة عن م وف ون ول وش.

وَنَخَلْتُ لَكُمْ (١) مَخْرُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٍ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ  
 إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءَ (٢)، وَالْمُتَابِذِينَ الْعُصَاةَ، حَتَّى أَرْثَابِ النَّاصِحِ  
 بِبُضْحِهِ، وَضَنَّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُوهُوَازِنَ:—  
 أَمْرُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ السَّلْوَى فَلَمْ تَسْتَبِيحُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

### اللغة

الخطب: الأمر العظيم.

الفادح: المهلك، يقال فدحه أي غاله وأهلكه، وفدحت الشيء إذا دسسته  
 تحت رجلك، قال الجوهري: فدحه الدين أي أثقله، وأمر فادح إذا غاله وأنهضه،  
 وهو محتمل هنا.

جل فلان يجل: بالكسر جلاله فهو جليل أي عظم قدره.

أشفقت عليه: فانا مشفق وشفيق.

المجرب: الذي قد جربته الأمور وأحكمته، فان كسرت الرء جعلته فاعلاً،

الا أن العرب تكلمت به بالفتح.

الحسرة: التلهف الشديد على الشيء الفائت، تقول منه حسر على الشيء

بالكسر في الماضي والفتح في الغابر حسراً وحسرة فهو حسير. يقال: اكل اكلة أعقبته  
 سقماً أي أورثته وانتجته.

الندم والندامة: التحسّر من تغيّر رأي في أمر فائت.

نخلت: أي خلصت.

الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع، وليس كل امتناع إباء.

الجفأة: جمع الجافي مثل الكفاة والكافي، والجافي من حسن طبعه وينبو

(١) في ش: ونخلت لكم.

(٢) في ب: المخالفين الجنة.

عن مصاحبة الناس فيفارق ببيان.

المنابذ: الذي نبذ العهد أي نقضه، قال الله تعالى: «فانبذ إليهم على سواء»، أي فانقض العهد الذي بينك وبينهم، ووبال ذلك راجع إليهم إذ هم بدأوا بذلك.

ارتاب فيه: أي شك وقيل اتهم، والريبة: التهمة.

الضنة: هو البخل بالشيء النفيس، ولهذا يقال علق مضنة ومضنة.

الزند: العود الذي ينقدح به النار وهو الأعلى، والزندة السفلى فيها نقب، فاذا اجتماعا فليل زندان والجمع زندان وأزناد.

قدحت النار قدحاً: أي أوريتها بالمقدحة وهي ما يقدح به النار، والباقي

ظاهر.

### الاعراب

ان في قوله وان أتى شرط: قدم جزاؤه وسيق للمبالغة، جواب لو كان يطاع محذوف؛ أي لو كان هو عليه السلام يطاع بأن أطاعوا أمره لوقع الأمر على ما ينبغي ولما أصابهم ما أصابهم، والباقي ظاهر.

### المعاني

تصدير ان معصية إلى الندامة بأن: يؤذن أن الكلام أورد لرد المنكرين إلى الصواب، وإضافة المعصية إلى الناصح يؤذن لتفخيمها وتعظيمها، ووصف الناصح بالأوصاف الثلاثة للتمييز وللإيذان بأن من لم يكن متصفاً بها من النصحاء لم تكن معصيته مؤدية للحسرة واستمال<sup>(١)</sup> لو كان على الاحداثين غني عن الشرح.

الفاء في فأبئتم: فصيحة تؤذن بمحذوف هو سبب للإباء، تقديره: لم

(١) كذا في الأصل.

تطيعوني وأبيتم، وفي فكنت أيضاً فصيحة تقديره: فأبيتم قبول أمري وأصبتم بالمصيبة وندمتم على مخالفة أمري فصادر حافي<sup>(١)</sup> وجاء لكم كما قال أخوهوازن.

### البيان

في نخلت لكم مخزون: استعارة تخيلية مكنى بها عن أنه عليه السلام استخلص لهم الرأي الثاقب ونقاه من كدورات الشهوة والغضب، مستدعية لتشبيه الرأي الأجود، وهو معقول، بالمنخول من الدقيق، وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في الاصفا<sup>(١)</sup> عما يمانع الانتفاع التام والاستخلاص، وهو عقلي، وتخييلي أنه من أفراد الدقيق، والا لم يصح جعله منخولاً.

ويحتمل أن يكون استعارة تبعية مستدعية لتشبيه هيئة اجتهاده عليه السلام في استخلاص أسد رأيه وأنفعه وهي معقولة، بهيئة اجتهاد الناخلة في تصفية أجود ما ينتفع به من الدقيق عن النخالة، وهي محسوسة.

وجه الشبه: اشتراكهما في أن الغرض تحصيل الأنفع والأصنى وهو عقلي، في لقصير أمر: استعارة تمثيلية مسبوقة ببيانها بأصل هذا المثل، قصته: أن جذية الأبرش ملك العرب خطب الزباء وهي ملكة الجزيرة فالتفت منه القدوم عليها.

فبذل التماسها وخرج متوجهاً إليها في ألف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن أخيه عمرو بن عدي، وكان لجذية صاحب يقال له قصير بن سعد اللخمي فاستشار منه، فأشار إليه بأن لا يتوجه إليها فلم يقبل نصيحته، فلما دنا جذية من الجزيرة استقبلته جنود الزبا مع الأسلحة والعدة وما ترجلوا لجذية ولم يوقروه توقير الملوك إذا قدموا بلداً.

فقال له قصير: ارجع فانها امرأة ومن عادة النساء الغدر، فلم يصغ إلى قوله، فدخل عليها فغدرت به وأخذته وفيكته<sup>(١)</sup> فيمدها قال قصير: لا يطاع لقصير أمر،

(١) كذا في الأصل.

فشاعت مثلاً لكل من كان مصيباً في نصيحة ولم يقبل نصحه.

إذا عرفت هذا فاعلم أنه عليه السلام شبه حاله عليه السلام في نصحه اياهم بحال قصير في نصيحة جذيمة، ووجه الشبه: اشتراكهما في سوء العاقبة، وظهور أن الناصح مصيب في رأيه وان عصيانه مجلب للندامة، وهو عقلي. في صن الزند بقده: استعارة تمثيلية مستدعية لتشبيهه هيئة بخل ذي الرأي باظهار ما هو الأنفع للناس من الرأي الصواب وهي معقولة، بهيئة عدم الزند النار وهي أيضاً معقولة. وجه الشبه: اشتراكهما في عدم ابراز ما هو الأصلاح، وهو أيضاً عقلي، قيل: هو مثل يضرب لمن ييخل بفوائده إذا لم ير لها قائلاً عارفاً بحقها ولم يتمكن من افادتها. وفي فكنت واياكم كما قال أخوهوازن: استعارة تمثيلية مستدعية لتشبيهه هو مسبوق بيان سبب هذا القول.

اعلم أن هذا البيت لدريد بن الصمة، والسبب الحامل له على إنشائه أن أخاه عبدالله بن الصمة غزابي بكر بن هوازن بن غطفان، فغتم منهم وساق ابلهم، فلما وصل إلى منعرج اللوى وهو اسم موضع أقام وقال: والله لا أبرح حتى أنخر البقيعة وهي اسم لجزور جزر للضيافة.

قيل: هي ما ينحر من النهب قبل القسمة وأجيل السهام، فقال له دريد أخوه: لا تفعل فان القوم في طلبك، فأبى ولج وأقام ونحر البقيعة وبات وقد أقعد له رجلاً ربيئاً<sup>(١)</sup>، فقال له عبدالله: أنظر ما ذا ترى، فقال: أرى خيلاً عليها رجال كأنهم صبيان رماحهم بين آذان خيولهم.

فقال: هذه فراد<sup>(١)</sup> فالتقى القوم وهجموا عليه، فطعن عبدالله فاستغاث بأخيه دريد فنهنه عن القوم حتى طعن هو أيضاً وضرع وقتل عبدالله، وحال الليل بين القوم فنجأ دريد برأسه بعد جراحات وطعنات حصلت له.

إذا عرفت هذا فاعلم أنه عليه السلام شبه هيئة نفسه في نصحه لهم ونهيه

(١) كذا في الأصل.

عن الحكومة ومخالفة أمره، بهيئة نصح دريد أخاه ونهيه عن الإقامة بمنعرج اللوى ومخالفته نصحه، ووجه الشبه: اشتراكهما في إصابة الناصح في نصيحته واستلزام المخالفة الندامة والهلاك ، وهو عقلي.

ثم اعلم ان نسبته عليه السلام دريدبن الصمة إلى هوازن مجازية لعلاقة الاتصال، فان دريدبن الصمة من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وله نظير في القرآن وهو قوله تعالى: «واذكر اخا عاد» ، بالنسبة إلى عاد كدريد بالنسبة إلى هوازن.

### البديع

بين الحسرة والندامة: المتطرف، وبين الجفاة والعصاة: المتوازي والترصيع، وبين نصحه وقده: المتوازي، وفيه ارسال المثل في موضعين.

### الفحوى

روي: أن امارات الغلبة ليلة الهيرير لما لاحت على أهل الشام وعانينا الهلاك استشار معاوية عمروبن العاص<sup>(١)</sup> في كيفية الخلاص، فقال عمرو: ان رجالك لا تقوم لرجاله، لست مثله، انه يقابلك على أمر وأنت تقابله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، أهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليك ان ظفرهم، ولكن ألق إلى القوم أمراً ان قبلوه اختلفوا وان ردّوه اختلفوا، دعهم إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم، فانك بالغ به حاجتك، واني لم ازل اؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه، فقبل معاوية ذلك .

(١) عمروبن العاص القرشي؛ كان من دهاة العرب، وكان في الجاهلية جزاراً وذا مكانة عالية في فريش لشهرته بالدهاء والكيد والمكر، وهو الذي فتح مصر في ايام عمر بن الخطاب، وكان شديد الحب لمصر حتى أنه باع دينه واتبع معاوية لولاية مصر، وهو الذي مهّد الخلافة لمعاوية، وأخباره مفصلة معروفة، وقصته مع أبي موسى الأشعري مشهورة، مات سنة ٤٣.

فلما أصبحوا رفعوا المصاحف على أطراف الرماح وكان عددها خمسمائة مصحف، ورفعوا مصحف المسجد الأعظم على ثلاثة رماح تمسكها غيره ورهط، ونادوا بأجمعهم: الله معشر العرب في النساء والبسات، الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم، فقال عليه السلام: اللهم انك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق المبين، وحينئذ اختلف أصحابه.

فقاتل طائفة: القتال، وقال أكثرهم: المحاكمة إلى الكتاب فلا نخل الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب، وتنادوا من كل جانب: الموادة، فقال عليه السلام في جوابهم: أيها الناس! اني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن.

إني أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً، فكانوا شر صغار وشر رجال؛ الحكم، انها كلمة حق يراد بها باطل، انهم ما رفعوها لأنهم يعلمونها ولكنها الخديعة والمكيذة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق بقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر القوم الظالمين.

فجاء عشرون ألفاً من أصحابه ونادوا باسمه دون أمير المؤمنين: اجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت والا قتلناك كما قتلنا عثمان، فقال عليه السلام: ويحكم أنا اول من أجاب كتاب الله وأول من دعا اليه فكيف لا أقبله، وإنما قاتلتهم بحكم القرآن، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم وليس العمل يريدون، فقالوا: ابعث إلى الاشرىأتيك، فقد كان الاشرى صبيحة ليلة الهريز قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله ولاح له الظفر.

فبعث اليه، فرجع على كره منه، ووقع بينه وبين من أجاب إلى الحكومة من أصحاب علي عليه السلام مجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب، وتنادوا من كل جانب: رضي أمير المؤمنين بالتحكيم، كتبوا عهداً على الرضا به، والتقى أبو



موسى الأشعري<sup>(١)</sup> المنصوب من قبله عليه السلام وعمرو بن العاص المنصوب من قبل معاوية وله حكما في أمر الناس<sup>(٢)</sup>.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكان به، فلما تمت خدعة عمرو لأبي موسى وبلغه عليه السلام ذلك، اغتم له غمماً شديداً وقام فخطب الناس، وقال: الحمد لله إلى آخره، وروي: أنه.

قال بعد التمثيل ببيت دريد بن الصمة: الا أن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب وأحييا ما أمات، واتبع كل واحد منها هواه، وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية، واختلفا فيما حكما، ولم يرشدا لله، فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا في معسكرهم يوم كذا، وسنشير إلى تمام القصة فيما بعد هذا إن شاء الله.

إذا عرفت هذا فلنرجع إلى كلامه عليه السلام، قوله الحمد لله إلى الجليل: اشارة منه عليه السلام إلى أن حمده لله لا يختلف في حالتي البأساء والضراء ولا يتفاوت، والحمد عند الكروب الملمة والخطوب المدهمة من الرتب العلية والمقامات السنية للعارفين.

الشرط المذكور يؤذن بوقوع الخطب الفادح الذي هو أمر الحكيم. قوله ليس معه اله غيره: تأكيد لما تدل عليه كلمة التوحيد بالتزام وتقرير لمقتضاه. قوله أما بعد إلى التدامة: اعلم أن وجوب قول الناصح مشروط بأن يكون الناصح موصوفاً بصفات ثلاث:

الاولى: أن يكون شقيقاً ليحس شفقته على التدبر في أحوال من يريد نصحه واختيار ما هو الأفضل له بعد التروي والاجتهاد الوافر فيه، فتي لم يكن

(١) عبدالله بن قيس أبو موسى الأشعري، كان والياً على البصرة والكوفة، وكان يخذل أهل الكوفة عن حرب الجمل في نصره أمير المؤمنين، وكتب إليه: اعتزل عملنا يابن الحائذ مذموماً مدحوراً، وخصته في أمر التحكيم واجتماعه مع عمرو بن العاص في دومة الجندل معروفة. (٢) كذا في الاصل.

شفيقاً لم يقل إلا من بادي الرأي، وربما كان خطباً مفسداً لحالة لا مصلحاً .  
 الثانية: أن يكون عالماً بمصالحه في المعاش والمعاد، فان الجاهل لا يعرف  
 وجه المصلحة، ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: استرشدوا العاقل ترشدوا  
 ولا تعصوه فتندموا.

الثالثة: أن تكون له تجربة بأمر الدنيا، وذلك لأن كثيراً من أمور الناس  
 لا يحصل الوقوف على جياهاها الا بممارسات طويلة وتجربات كثيرة، واذا كان  
 المشير الناصح موصوفاً بالصفات المذكورة كانت نصيحته في غالب الأحوال مجلبة  
 السرور لانتظام حال المستشير وكانت نصيحته معصيتها والخروج عن مقتضاها  
 مستلزماً للحسرة معقبة للندامة بالضرورة.

ولما بين على سبيل العموم أن معصية المناصح الموصوف تورث الحسرة  
 وتعقب الندامة، عقب ذلك ببيان أنه المشير الناصح الموصوف، وأنه قد أظهر لهم  
 من خلاصة الرأي ما هو الأنفع لهم، فلم يقبلوه وأعرضوا عنه خارجين عن طاعته،  
 فلذا جربتهم الندامة وأصابتهم الحسرة. قال: وقد كنت إلى رأيي: ثم لم يقنع بما ذكر  
 أولاً ونسب بالمثل المذكور على الوجه الذي عرفته، وقال: لو كان يطاع لقصير أمر.

قوله فأبيتم: اشارة إلى استثناء نقيض المقدم للممتصلة التي دل عليها لو  
 كان، تقديرها: لو أطمعتموني فيما أمرتكم به ومحضت لكم من النصيحة لا سترحتم  
 من التعب والندامة والحسرة، ولكن لم تطيعوني وأبيتم علي إباء من خالف الحق  
 وجهاً المشير الناصح وفارق الصديق ونقض العهد وخرج عن الطاعة، حتى طرأ  
 الشك في ذهن الناصح أن نصحه هل كان صواباً أو خطأً لملازمتكم عن قبول  
 الرأي السديد.

فان المشير بالرأي الصواب إذا كثر مخالفوه فيه عرض لذهنه شك في رأيه،  
 ذلك لأن الرأي الصواب إجتهادي حصل له بامارات مغلبة لظنه عليه، فاذا اجتمع  
 المخالفون عليه حصلت له امارات الخلافة.

قال بعض الشارحين: أراد به المبالغة لا وقوع الارتياب، لأنه منزه عن أن يشك في رأيه الصائب، وهو جيد جداً، والباقي معلوم مما سلف في البيان، والله أعلم بحقيقة الحال.

\* \* \*

### ٣٥- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (في تخويف أهل النهروان)

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُضْبِحُوا صَرَغِي بِأَثْنَاءِ هَذَا الشَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانَ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحْتُ بِكُمْ الدَّاءَ، وَأَخْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارَ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُتَابِعِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخْفَاءِ النَّهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَخْلَامِ وَلَمْ آتِ- لَا أَبَالَكُمْ- بُجْرًا<sup>(١)</sup>، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا.

أقول: الخطاب للخوارج الذين قتلهم عليه السلام بالنهروان، وقد كان القضاء الإلهي.

#### اللغة

النذير: المخبر عن الشيء المخوف، ضد البشير وهو المخبر عن الشيء المفرح، والنذير والمنذر بمعنى.

يقال أصبح الطين خزفاً: أي صار وهو المراد هنا، ويحتمل أن يكون من الصباح وهو بعيد.

صرعى: جمع صرعان كسكران وهو من صرعته صرعاً وصرعاً، الفتح لتمي

(١) في ن وع: لا ابالكم عرا وفي ر: وروي غراً وفي ك: ويروي نكراً او هجرأ.

والكسر لقيس أي أوقعته فوقه.

الأثناء: المعاطف جمع ثني بكسر الثاء وسكون النون وهو المعطف، والثني العطف، يقال: ثنى الزمام إذا عطفه، وما يتعطف عليه مرتين فهو الثناء، وفي الخبر: لا ثناء في الصدقة؛ أي لا يعار ولا يتعطف عليها في السنة مرتين.

الأهضام: بطون من الأرض مطمئنة وهي مكاسر في الأرض واحدها هضم.

الغائط: المطمئن من الأرض الواسع غوط وأغواط وغيطات .

البينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة.

السلطان: الحجة القاهرة وكل ما غلب قهره فهو سلطان، وسميت الحجة سلطاناً لما للحق من الهجوم على الباطل، غير أن أكثر تسلطها على أهل العلم والحكمة من المؤمنين.

طوّحه وطوّح به: أي توّهه وذهب به ههنا وههنا، وطوّحته الطوائح: أي قذفته القوادف.

احتبلكم المقدار: أي اصطادكم المقدار وأوقعكم القدر بالحباله وهي مصيدة يتخذها الصائد من الحبل، يقال احتبله أي اصطاده.

والأخفاء: جمع خفيف كأشداء جمع شديد، والخفيف ضد الثقيل، يقال: فلان خفيف إذا كان فيه طيش، وثقيل إذا كان فيه وقار، يقال: خفيف ذمّاً، وثقيل مدحاً.

السفه: خفة في البدن، ومنه قيل: نعم سفه كثير الاضطراب، وثوب سفه رديء النسيج، استعمل في خفة النفس ولتقصان العقل، وفي الامور الدنيوية والأخروية، والسفهاء جمع سفه.

الأحلام: جمع حلم وهو ضبط النفس عن هيجان الغضب.

لا أبالكم: كلمة جرت في لسان العرب.

قال الجوهري: يقال للمدح وقال غيره للذم...<sup>(١)</sup>، مستلزم لنفي العشيرة قيل إنه...<sup>(٢)</sup>، أي لا يكن لكم اب يريكمم ويظهر نسبكم ويدفع...<sup>(٣)</sup>، شرفاً وافتخاراً، وقيل: تعريض لا من نكاح، والأولى ان يكون كلمة يقال ومعرض من التوبيخ والغضب.

في بجرا: ثلاث روايات: إحداها: بجرا بضم الباء وسكون الجيم وهو أنه المنكر الخارج عن العهود، قال الجوهري البُجْرُ الشرُّ والأمر العظيم قال الراجز:  
أرمي عليها وهي شيء بجر والقوس فيها وتر حجرُ  
أي ذاهبة، قولهم: افضيت اليه بعجري وبجري أي يعيوني كلها ظاهرها وباطنها، والعجر ما تعقد في الجسد الظاهر من العروق، والبجر عقد في باطن الجسد تخرج كهيئة الغدد.

الثانية: هجرأ بالهاء المضمومة وسكون الجيم وهو الاسم من الاهجار وهو الافحاش في المنطق والحنا، ويقال أيضا: الهجر اذا اكثر الكلام فيما لا ينبغي.  
الثالثة: العرب بضم العين وتشديد الراء المهملة: قروح مخرج بالابل متفرقة في مشافرها وقوائمها، يسيل منها مثل الماء الأصفر فتكون الصحاح لثلا تعديها المراض، تقول منه عرت الابل فهي معرورة، والأولى أشهر. الضر: بالضم الهزال وسوء الحال؛ اما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، واما في بدنه لعدم جارحة ونقص، واما في حالة ظاهرة من قلة مال أو جاه.

### الاعراب

أن في أن تصبوحوا مصدرية أي تجعل الفعل المستقبل الداخلة هي عليه في تقدير المصدر، أي: اصباحكم.

الواو في وأنتم: للحال والعامل فيه صرفت.  
وأخفاء الهام: نعت لمعشر، قيل العرب تضيف الشيء الى ضده اثباتاً  
للمضاف ونفياً للمضاف اليه، وبجراً مفعول آت، أصله أتى فسقطت الياء بلم  
الجازمة.

فأنا نذير لكم: يحتمل أن يكون تقديم أنا لتقوي الحكم، وان يكون  
للتخصيص والحصص للإفراد، على تقدير تنزيلهم منزلة المنكرين، وهو أقرب، قد  
طوّحت قطع ليدل على الاستيناف الدال على الجواب عن السؤال المقدر عن كمية  
هذا الاخبار، وجاء بالفعل الماضي ليؤذن بأن المخبر عنه أمر كان وقع للحكم  
الاهلي به، وبقد ليؤذن بالتقريب، وإنما أتى بالواو في قوله وأنتم معاشر: لكونه جملة  
اسمية غير جارية على أصل الحاصل، وأن كانت جارية على نهجها لكونها مثبتة.

### البيان

في طوحت بكم الدار: الأولى أن يكون فيه مجاز في التركيب، اما في  
الإفراد فلأنه عليه السلام أطلق الدار وأراد الدنيا على سبيل الاستعارة التصريحية  
باشراكها في محل القرار، فيكون غير مستعمل في موضوعها، أما في التركيب فلأنه  
اسند طوحت الى الدار مع أن المطوح هو أتباع أهوائهم الباطلة وآرائهم الفاسدة،  
باعتبار أن منشأها هو تحصيل الدنيا، فيكون من باب اطلاق السبب واردة  
المسبب، وفي احتيلكم المقدار استعارة مكنى بها مرشحة تخيلية مستلزمة لتشبيهه  
القدر الاهلي وهو معقول، بالصائد وهو محسوس.

ووجه الشبه: اشراكها في تحصيل المطلوب على غفلة منه، وباسناد  
الاحتيال اليه رشحها، ويحتمل أن يكون استعارة تبعية مستدعية لتشبيهه ايقاع  
القدر اياهم في الواقعة التي كتبها الله لهم بالقلم الاهلي، وهو معقول، بايقاع الصائد  
الصيد في الحباله التي هيأها له من غير شعور له بها، وهو محسوس، ووجه الشبه:

اشترآكها في القصد الى المطلوب مع غفلة عنه، وهو معقول. خفة الهام: كناية عن رذيلة الطيش، فان من لوازمه خفة، يقال: فلان خفيف الهام اذا كان طياشاً.

### البديع

بين الدار والمقدار: المطرف كما بين الهام واحلام.  
وبين بجرأً وضراً: المتوازي.

### الفحوى

اعلم أنه عليه السلام خاطب بهذه الكلمات الخوارج الذين قتلهم بالنهروان<sup>(١)</sup>، وغرضه التعريض لقومهم بأن يقع بهم الهلاك وهم على غير بينة ولا حجة غالبية يحتجون بها على حسب دعواهم، كما وقع بالخوارج وحرموا من سعادة الدارين، وقد كان القضاء الالهي قد سبق لهم بالخروج على ما ينسب عنده قوله عليه السلام: واحتبلكم المقدار، ويؤيده ما روي في صحيح الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسماً اذ جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال: اعدل يا محمد فانك لم تعدل.

فقال صلى الله عليه وآله: ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل، فقام عمر وقال: يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه، فقال: دعه يستخرج من صيصي هذا قوم يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يخرجون على فرقة من الناس يحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، وصومكم في جنب صومهم، يقرأون القرآن، فيهم رجل اسود مخدع اليد احدى ثدييه كأنها ثدي امرأة، يقتلهم أولى الفريقين بالحق.

(١) النهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي كان بها وقعة لأمر المؤمنين عليه السلام مع الخوارج مشهورة وهي الآن خراب، وكان سبب خرابها اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضاً في ايام السلجوقية، وكان أيضاً في ممر العساكر فجلا عنها أهلها واستمر خرابها، وقد استشام الملوك أيضاً من تجديد حفر نهريها.

روي: أنه عليه السلام لما قتلهم طلب ذا الثدية طلباً شديداً فلم يجده، فجعل يقول: والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وإنه لفي القوم، فلم يترك يطلبه حتى وجده في وهدة. من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج أليد كأنها ثدي في صدره، وعليها شعرات كسبال الهرة، فكبر عليه السلام وكبر الناس معه. وقد كنت نهيتكم الى المنابذين: اشارة الى الاحتجاج عليهم على وجه الالزام، تقريره لائح من أن يكون الحق هو طلب الحكومة أو عدمه.

فان كان الاول فلم خالفتموني الآن اذا اخترتها وعهدت عليها وسكت عن هذا القسم لظهوره، وان كان الحق هو الثاني فقد أبيت بمقتضاه اولاً ونهيتكم عنها فلم تقبلوا مني وأيتم إباء المخالفين المنابذين، حتى صرفت رأي الصواب المستبد الى الحق المحض الى ما ذهب اليه هواكم من الحكومة، وعلى التبعة لكم والوبال عليكم والفساد منكم.

ثم نسبهم بقوله الى الأحلام الى رذيلتي الطيش والسفاهة المقابلتين للثبات والحلم الداخلين تحت ملكه بالشجاعة، ثم اعتذر منهم ونفى ما نسبوا اليه عنه عليه السلام وقال: لم آت اي ما جئت بأمر عجيب ولا شر منكم، ولا أردت بكم سوء حال، فلا يكون الحق معكم في نسبتكم الأمر القبيح الي.



### ٣٦- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

#### يجرى مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُّوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا<sup>(١)</sup>،  
(وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَمُوا)<sup>(٢)</sup> وَمَضَيْتُ بِسُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ  
أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ قَوْتًا، فَطَرْتُ<sup>(٣)</sup> بَعِنَانِهَا، وَأَسْتَبَدَّدْتُ  
بِرِهَانِهَا، كَالْجَبِيلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ: لَمْ  
يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ.

الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي  
ضَعِيفٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ<sup>(٤)</sup>، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ  
أَمْرَهُ، أُنْتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا  
أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَتَنْظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا  
طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بِنِعْتِي، وَإِذَا أَلْمِيثَاقُ فِي عُقُوبِي لِغَيْرِي.

#### اللغة

الفشل: ضعف مع جبن، قال الله تعالى: حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر،  
وتفشل الماء: أي سال، والأفشل: الرجل الضعيف الجبان.

تعتع الرجل إذا تردّد في الكلام من عتي وحصر، وكلّ من كره شيئاً  
فاضطرب فيه وتردّد فقد تعتع، المكره على الشيء والمتردّد فيه متعتع، وفي الخبر: حتى  
يؤخذ حقه غير متعتع، ووقع القوم في تعاتع أي في أراجيف وتخليط، وتعتعت الرجل

(١) في ش: وتطلعت حين وفي ن ول وف: حين تعتموا.

(٢) ساقطة عن ف ون ول وش وفي ر: روي قطعت وتطلعت حتى تعتموا.

(٣) في ك ور: فطرت لعنانها وروي فظفرت بعنانها.

(٤) في ش: قضاءه.

إذا أقلتته.

تطلعت: أي ظهرت ظهوراً بالغاً من التطلع التعرف.

تقبّعوا: أي تقبّضوا من قبع القنفذ إذا ادخل رأسه، وفي أكثر النسخ ما يوجد. تعتوامع تطلقت .

فاعلم خفض الصوت: عبارة عن غصّه، يقال: خفّض عليك القول، وخفّض عليك بالأمر: أي هوّن.

الصوت: هو الهواء المنضغظ عن فرع<sup>(١)</sup>، جسمين وذلك ضربان مجرّد عن تنفس فسي<sup>(١)</sup>، كالصوت الممتد ومتنفّس بصورة ما، فالمتنفّس ضربان: اختياري كما يكون من الانسان، وغير اختياري كما يكون من الحيوانات والجمادات، والاختياري: اما أن يكون بضرب اليد كصوت العود وما يجري مجراه، أو بضرب الفم وهو اما نطق او غير نطق، والنطق اما مفيد أو غير مفيد، والمفيد إما مفرد أو مركب:

والصيت في الأصل: انتشار الصوت، ثم خصّ في العرف بالذكر الجميل.

ألفوت: السبق، ولا يقال الا اذا سبق سبقاً بعيداً، والافيات السبق الى الشيء دون ائتمار من يؤتمر، يقال: فلان لا يفات على أمره أي لا يعمل شيء دون أمره، والافوت أيضاً فرجة بين اصبعين والجمع أفوات، وقرينة أعلاهم عيّنت الأول للمراد.

استبّد فلان بكذا، أي تفرّد به، أصله من التبّد وهو التفرّق والتفرّد والانفراد عن الشيء: « فرقه عنه وبعده منه، ولا بدّ من كذا أي لا يمكن الانفراد عنه.

الرهن: ما يوضع وثيقة للدين، والرهان مثله لكن اختصّ بما يوضع

للخطر

(١) كذا في الاصل.

المهمز: عيب يؤخذ على المرء أخذاً شديداً، والهماز الذي يهمز في قفا أخيه بعيه، وهمز في الكلام اذا تحير فيه وكان لسانه في ضغطة.  
 المغمز: العيب الذي يشنع عليه، والغمز: اشاعة العيب، وغمز بحفنه:  
 أشار  
 اتراني بضم التاء: أي أتظني، والباقي معلوم.

### الاعراب

صوتاً وفوتاً: منصوبان على التمييز، والضمير في بعناها ورهانها للحرب، والأولى أن يكون للفضائل وان لم يجرها ذكر، لأن سياق الكلام يشعر بذكرها، كالجبل متعلق بحال محذوفة من الفاعل تقديره: واستبددت ثابتاً كالجبل، اذا في قوله عليه السلام فإذا، واذا: للمفاجأة.

### المعاني

في اشتمال كنت أخفضهم صوتاً وأعلامهم فوتاً على الاجمال والتفصيل لا يحتاج الى التقرير.

الفاء في فطرت: للسببية الدالة على كونه اخفضهم صوتاً علة لاشراعه الى الجهاد والحرب أو الفضيلة، والأولى أن تكون فصيحة مفصحة عن محذوف تقديره: تسابقنا وشرعنا في إحراز الفضائل فطرت بعناها، ونفحات الایجاز تفوح من صفحات كلامه عليه السلام، انما قطع لم يكن لأحد عما قبله ليؤذن بعله استبداده برهانها، وقطع الدليل عندي ليكون كالبيان للسابق مع اشتماله على بيان الفضيلة، ولوقلنا: انما قطع الأول ليؤذن بعصمته.

والثاني ليؤذن بعدالته المستلزمة لوجود العلم والجسم، وليعلم منها علة استبداده، لكان في غاية اللطافة ونهاية النفاسة، لا يشقّ غباره إلا ذو الذوق السليم

المتدرّب بعلم المعاني، وقطع رضيّنا عن الله عما قبله للاعلام بأنه مع كمال طهارة نفسه ووفور علمه اللذين هما من شرائط الامام بالحق، كان مسد المتوكّلين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وليس له باستبداده تحصيل الأعلّاق الدنيوية التي تتنافس الطبائع فيها، ويجعل أكثر الناس القيام بالإمامة ذرائع اليها، أتراني: استفهام عن حصول الظن فيه بالكذب على رسوله على سبيل الإنكار، ووالله لأنّنا أورد لسني الإنكار وردّه من خطئه الى الصواب.

الفاء في فلا: الأولى أن تكون فصيحة لأنّها تفصح عن محذوف هو كبرى القياس، الضمير تقديره: لأنّنا أول من صدّقه، وكل من كان كذلك فلا يكون أول من كذب عليه بالضرورة، فينتجان: فلا أكون أول من كذب عليه.

### البيان

فقدت بالأمر: كناية عن الشجاعة، فإن من لوازمها القيام بالحرب. ونطقت كناية عن الفصاحة المستعملة<sup>(١)</sup> للعلم، فإن مثله عليه السلام ان لم ينطق فالنطق من لوازم العلم.

والتعمّعة: كناية عن جهلهم لما امر. في تطلّعت: استعارة تبعية مستدعية لتشبيه هيئة اطلاع العقل على الأمور الكلية المعقولة، وهي معقولة، بهيئة تطلّع الانسان على الأمور المحسوسة، وهي محسوسة.

وجه الشبه: أن العقل في إدراك الأمور الكلية المنتزعة من الأمور المحسوسة يحتاج إلى إتمام الفكر الذي هو عين العقل بالحقيقة وتحديقه نحو الأمور المعقولة وارسال المتخيلة في التفصيل والتركيب، كما ان المتطلع على الأمر المحسوس يحتاج إلى تناول العنق ومدّ البصر ونحوه، وهو عقلي.

(١) في الاصل: المستعملة.

وفي تقبّعوا: استعارة أيضاً تبعية مستدعية لتشبيه هيئة تصوّر فكرهم عن إدراك الأشياء وعجزهم عن الإحاطة علماً بالحقائق، وهي معقولة، بهيئة إدخال القنفذ رأسه وستره عن الغير، وهي محسوسة.

وجه الشبه: اشتراكهما في العجز والاختفاء، وهو عقلي، وعلى هذا تكون الاستعارتان تصرّيحيتين، ويحتمل أن تكونا استعارتين مكتى بهما عن إثبات العلم بالمعقولات لنفسه والجهل لغيره، الأولى: مستدعية لتشبيه نفسه عليه السلام بالتطلع، ووجه الشبه: اشتراكهما في تحمّل اعباء التحصيل والتدبّر على ما عرفت، وهو عقلي، ويكون التطلع قرينة صادقة.

الثانية: مستدعية لتشبيههم بالقنفذ، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في العجز عن المقاومة، وهو عقلي، وهذان التشبيهان من تشبيه المفرد بالمفرد، والأولان من تشبيه المركّب بالمركّب.

ومضيت بنور الله: كناية عن علمه بطريق الحق والصراط المستقيم والسلوك إلى الله تعالى.

قوله كنت أخفضهم صوتاً: كناية عن الثبات في الأمور وتصميم العزم على فعل ما ينبغي مع قطع النظر عن الالتفات إلى الموانع، لما عرفت أن خفض الصوت من شعار الثابتة قلوبهم على الحق.

قوله فطرت فيه: استعارة تبعية تصرّحية مستدعية لتشبيه سبقه العقلي، وهو معقول، بطيران الطائر، وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في السرعة.

وفي بعانها: استعارة تخيلية مكنى بها مستدعية لتشبيه الفضائل النفسانية بالجبل، ووجه الشبه: اشتراكهما في توجّه النفوس اليها، يعني: كما أن جبل الحليه<sup>(١)</sup> مما تسعى النفس في تحصيله، كذلك الفضائل مما تبعث النفوس على اقتنائها وكذا الرهان. قوله كالجبل: مشتمل على تشبيه نفسه عليه السلام بالجبل،

وهما محسوسان، ووجه الشبه؛ ما أشار إليه بقوله: لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف.

يعني: كما أن الجبل لا تحركه الرياح الشديدة ولا تزيله لغاية ثباته، كذلك لا تحركني صدمات الأهواء الباطلة والآراء المبدعة لغاية ثباتي على الحق، وهو تشبيه قد ذكر المشبه وحرف التشبيه. قوله لم يكن لأحد إلى مغمز: كناية عن عفته عليه السلام وعصمته.

قوله الذليل إلى منه: كناية عن عدالته وهو ظاهر.

قوله رضيينا إلى أمره: كناية عن حكمته التي هي عرفانه بمجقائق الأمور وبذات الله تعالى وصفاته.

### البديع

راعى عليه السلام في فقمت إلى وقفوا: المقابلة، حيث قابل الشجاعة بالجن، والفصاحة بالعي، وكبر الهمّة بالقصور، والعلم بالتحير والجهل، وبين صوتاً وفوتاً: المتوازي والترصيع، كما بين القواصف والعواصف ومهمز ومغمز، وفي قوله الذليل عندي عزيز والقوي عندي ضعيف: المطابقة، والباقي ظاهر.

### الفحوى

اعلم أن بعض الشارحين قال بهذا الفصل فيه فصول أربعة، التقطها السيد الرضي رضي الله عنه من كلام له طويل قاله بعد وقعة النهروان، ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله، اعلم أنه عليه السلام أثبت لنفسه امهات الفضائل النفسانية التي بها يستعد الشخص للرياستين الدنيوية والأخروية، وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعلم ولمقابلته الرذائل، وأثبت لنفسه أيضاً بعض الفضائل الداخلة تحت المذكورة.

قوله فقمت بالأمر حين فشلوا: إشارة إلى اثبات الشجاعة لنفسه حين فشلوا، أي: قت بأمر الله تعالى بين يدي رسول الله وبعده في الحروب والوقائع الصعبة التي عجزوا عنها وفشلوا فيها.

قوله ونطقت حين تعتوا: إشارة إلى اثبات ملكة الفصاحة لنفسه التي هي فضيلة داخلية تحت العلم، واثبات رذيلة العي لهم التي هي طرف التفریط منها، يعني: نطقت في القضايا المهمة والحوادث المشكّلة حين عتوا عنها.

قوله تطلّعت حين تقبّعوا: إشارة إلى اثبات فضيلة كبراهمة في تحصيل المعارف الإلهية التي هي فضيلة داخلية تحت ملكة الشجاعة على ما عرفت، واثبات رذيلة صغرة الهمة وقصورها لهم، والمعنى ظاهر، قوله ومضيت بنور الله حين وقفوا: إشارة إلى اثبات فصيح العلم لنفسه والجهل لهم، يعني: سلكت سبيل الله مستعيناً بنور الله تعالى الذي هو لا يضلّ من يستعين به، حين وقفوا عن السلوك حائرين جاهلين بالقصد وكيفية السلوك .

قوله وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم: أي كنت أشدهم ثباتاً وأربطهم قلباً على فعل ما ينبغي للانسان، وأسبقهم إلى درجات الكمال ومراتب الجلال واحراز السعادات منهم، وذلك كأنه نتيجة لما تقدّم.

قوله فطرت إلى رهانها: أي أشرعت في إحراز الفضائل النفسانية وتفرّدت بمواصلها التي يستبق الصحابة بها إلى نيل رضوان الله تعالى، وهذا إشارة إلى سبقه عليهم في الفضائل سبقاً لا يشقّ غباره.

قوله كالجليل إلى العواصف: إشارة إلى ثباته على قانون الطريقة ومقتضى الأوامر الإلهية. قوله لم يكن لأحد في مهمز: أي لم يكن لأحد على الإطلاق في أن يعيبي وأن يؤاخذ على نفسي صغيرة كانت أو كبيرة، لأني معصوم لا أقصد إلى فعل قبيح أصلاً، وهو إشارة إلى اثبات فضيلة العفة النفسية.

قوله الذليل إلى منه: إشارة إلى اثبات فضيلة العدالة لنفسه، يعني: أن

الذليل الذي لا يلتفت إليه أكثر الناس لمهاتته عندي عزيز، أي ممن اعتني بشأنه واهتم بأمر ظلامته، حتى اخبر حاله واقبض الحق له من الظالم، والقوي عندي ضعيف أي: من كان ظالماً لقوته أضعفه وأقهره تحت حلمي الجاري على قانون العدالة حتى أدفع ظلمه عن الناس وأخذ الحق الذي كان لغيره وفي يده منه.

فان قيل: ذكر الغائبين يؤذن بأن الذليل عنده بعد ايصال حقه المأخوذ من القوي اليه لا يكون كالقوي، بل التفاته إلى القوي أولى وهو ليس من العدل، قلنا لما كان الغرض من النظر بالمساواة بين الخلق ليس إلا لدفع الظلّامة واقرار كل شيء في مركزه، لم يكن ترجيحه للأقوى بعد أخذ الحق منه بسبب آخر مختلفاً لقاعدة العدل، على أنّ المفهوم انما يدل على أحد أمرين:

أحدهما: التساوي بين القويّ والذليل وهو مقتضى العدل، والآخر: ترجيح القوي على الذليل وذلك ليس من مقتضى العدل، إذا كان الترجيح من جهة استيلائه وظلمه والرضا بكونه ظالماً، أما إذا كان من جهة أخرى فلا يدلّ المفهوم على هذا القسم بعينه، لأن العلم لا دلالة له على الأفراد مطلقاً، قوله رضينا إلى أمره: إشارة إلى اثبات الرضا بقضائه والتسليم لأمره المستلزمين للوصول إلى لبّ العرفان ونقاوة الإيمان.

اعلم أنّ ههنا نكتة لابّدة من الإشارة إليها وهي: أنه قال عليه السلام رضينا قضاءه ولم يقل رضينا بقضائه، وسلمنا لله أمره ولم يقل سلمنا إلى الله، وذلك لأن معنى الرضا بالشيء طمأنينة النفس على المكروه، فان كان راضياً بالشيء كان صابراً أي حابساً نفسه على المكروه، ومعنى رضاه اختياره محبوباً عنده، ولا يصير القضاء محبوباً عند أحد إلا إذا كان عارفاً بأن لا مؤثر في الوجود إلا الله، والكل مسوون<sup>(١)</sup> تحت أمره واصلاً إلى الدرجة الخامسة من الدين، ولأن معنى التسليم إلى الله أن يقلّد الأمر ثم يخضعه عن رقبته ويفوضه إلى الله تعالى.



ومعنى التسليم لله: أن لا يقلد الأمر أصلاً، بل كان من مطلع أمره وبدء عمره لا يرى لنفسه ولا لأحد من الخلق أمراً، ولم يكن فرق بين أن يقول المرء فوِّضت أمري إلى الله وبين أن يقول لله الأمر من قبل ومن بعد، فالمرء في المقام الأول أثبت الأمر لنفسه ثم فوِّضه إلى الله تعالى، وفي المقام الثاني لا يثبت لنفسه أمراً أصلاً، ولما كان أمير المؤمنين سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أنزل نفسه في مقام الواصلين إلى درجة العرفان القارعين باب الله الأعظم، وأخبر عما هو مقامه في تسليمه ورضاه وهو فوق المقامات كلها.

وإليه أشار تعالى بقوله: ورضوان من الله أكبر، وأشار الرسول صلوات الله عليه وآله: الرضا باب الله الأعظم، قوله أتراني أكذب على رسول الله: إشارة إلى الإنكار على مخصوص قد تفرّس فيهم عليه السلام، أنه ينسبونه عليه السلام فيما يخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أخبار الملاحم في الأمور المستقبلية إلى الكذب، ومنهم من كان يواجهه بذلك.

روي أنه لما قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا أنبأتكم بناعقها وسائقها، فقام إليه أنس النخعي فقال: أخبرني كم في لحيتي ورأسي طاقة شعر، فقال عليه السلام: والله لقد حدثني حبيبي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وأن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وإن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله، وكان ابنه سنان بن أنس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلاً، قوله والله إلى عليه: إشارة إلى تقرير حجة في ابطال ما نسبوه إليه، وتقريره قد عرفت في المعاني، قوله فنظرت إلى لغيري: للشارحين فيه أقوال:

الأول: قال بعض الشارحين: هذا الكلام مقطوع عما قبله مورد لبيان ما يلزمه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من أن لا ينازع في أمر الخلافة، بل ان حصل له بالمدارة والا فيسكت عنها، يعني: فنظرت في أمري بالنسبة إلى الخلافة،

فاذا طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما أمرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم، فلم أتمكن من المنازعة، وإذا الميثاق أي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وعده التي بعدم المنازعة في عنقي لغيري، أي إذا كان يستقر لغيري.

الثاني: بمعنى طاعتي قد سبقت بيعتي: مثل مامر ولكن معنى وإذا الميثاق في عنقي لغيري؛ أي ميثاق القوم، وعهدي معهم بالرضا بأبي بكر قد لزمني، فلم أتمكن من المخالفة والقيام بالطلب.

الثالث: قال بعضهم: انه كلام سبق لبيان تبرمه وتضجره من ثقل أعباء الخلافة وتحمل مداراة الخلق في اختلاف أهوائهم، ويكون المعنى: فنظرت في أمري بعد القيام للخلافة والتلبس بها، فاذا طاعتي أي طاعة الخلق إلي وإطباقتهم قد سبقت بيعتي أي بيعتهم لي في هذا الوقت، إذ كان الواجب عليهم بمقتضى ما جرى في يوم الغدير أن يدخلوا تحت طاعتي بعد الوفاة ولم يؤخروا البيعة لي إلى هذا الزمان. قوله وإذا الميثاق: أي ميثاقهم قد صار في عنقي فلم أجد بداً من القيام بأمرهم، ولم يسعني عند الله إلا النهوض بأمرهم، ولولا بيعتهم وميثاقهم لتركته، كما قال في الشقشقية: لولا حضور الحاضر الى لسقيت آخرها بكأس أولها، والأول أشهر بين الشارحين، الثاني أوفق لكلامه وأنسب بالمقام، فهنا احتمال آخر جيد، وهو أن يكون الكلام منساقاً للتعجب من حاله.

معناه: فنظرت في حالي فاذا طاعتي كانت واجبة على الخلق قبل ان يبايعوني، لأنهم قد بايعوني بعد ثلاثة وكان الواجب عليهم بيعتهم معي حين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع هذه الحالة فبيعة غيري في عنقي وهو مما يقتضى منه العجب، إذ الحال يقتضي أن أكون مطاعاً وقد انعكس الحال فصرت مطيعاً، وما مثل هذا إلا من عكوس أفعال الدهر، وهو لطيف.

### ٣٧- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَّائُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ<sup>(١)</sup> الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنْ أَلَمَاتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

#### اللغة

الشبهة: هو أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى، والمشابهة: المماثلة.  
اليقين: هو سكون القلب مع ثبات الحلم، وهو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية.

السمت: الطريق، تقول منه سمت يسمت بالضم القصد وهيئة أهل الخير يقال: ما أحسن سمته أي هديه، والسير بالظن والحدس، والمراد هنا الأول.

الهداية والهدى: في أصل اللغة واحد، لكن الهدى قد خصّ إذ أُطلق بالشرع المطهر، وكذا قال تعالى: «أولئك على هدى من ربهم» و«هدى للمتقين».

العدو: التجاوز ومنافاة الإلتئام، فان كان بالقلب يقال له العداوة والمعاداة، وان كان بالمشي يقال له العدو، وان كان بالاخلاق في العدالة يقال العدوان، وان كان في اجزاء الموضع يقال له العدواء، يقال مكان ذو عدواء: أي غير متلائم الأجزاء، فن المعاداة يقال: رجل عدو وقوم عدو وجمعه عدى واعداء.  
الدعاء: كالنداء، يقال دعوت فلاناً أي صحت، وأيضاً واحد الأدعية.

(١) في ض وح وب: فدعاؤهم فيها الضلال.

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية.  
 العمى: يقال لمن افتقد بصره أو بصيرته، وعلى الأول يقال أعمى وعمّ،  
 وعلى الثاني المعمي في الأكثر.  
 البقاء: ثبات الشيء على حاله الأول، ويضاده الفناء، والباقي على  
 ضربين: باق بنفسه وهو الله تعالى، وباق بغيره وهو ما عداه تعالى ويصح عليه  
 الفناء.

### الاعراب

إضافة السميت إلى الهدى: من إضافة المصدر إلى المفعول، تقديره: قصدهم  
 الهدى في أول الأمر، فاعل ينجو من خافه والضمير فيه للفوت، وأعطيت يقتضي  
 مفعولين: الأول منها هنا هو: من أحبه، وكذا اقيم مقام الفاعل، والثاني: البقاء.

### المعاني

انما سميت: فيه القصر للإفراد على تنزيل المخاطبين منزلة من تصور لعله  
 تسميتها لشيء آخر غير ما ذكره عليه السلام، ان لم يكن الخطاب للمشاركين،  
 واشتمالاً أما على الإختصار أمرين قد كشف القناع عنه في أول الكتاب إن  
 قدرنا اليقين وسمت الهدى: مبتدأ، ففي كل منها الحصر للقلب لا يدرك شأوه إلا  
 ذو الذوق السليم والطبع المستقيم، وهو أول من تقديرهما خبراً، ولذا دعاؤهم  
 الضلال ودليلهم العمى.

### البيان

ليس فيه شيء منه يحتاج إلى تدقيق نظر.

## البديع

فيه من المقابلة؛ حيث قابل الهدى بالضلال، واليقين بالعمى، والموت بالبقاء، وبين الهدى والعمى: المتوازي.

## الفحوى

اعلم أنه عليه السلام رتب في هذا الكلام ثلاثة مقاصد: الأول: في بيان سبب تسمية الشبهة شبهة، اعلم أن ما قاله عليه السلام حق في السبب، وذلك لأن الشبهة عبارة عما يشابه الحق إما في صورته أو في مادته أو فيها معاً لا غير. قوله لأنها تشبه الحق: يشمل الاقسام، الثاني في بيان الناس بالنسبة إلى البعض<sup>(١)</sup> عن عهدها.

اعلم أن الناس اما أولياء الله أو أعداؤه، أما أولياؤه تعالى: فلما كانت صفائح نفوسهم منورة بنور العلم بالله وصفاته وطريق الحق، مستضيئة بنور النبوة في سلوك الصراط المستقيم، كان ذلك اليقين مخلص أذهانهم عن غمرات الشبهات، وحافظها عن الوقوع في مهاوي الجهالات، به يفرقون بين الحق والباطل، كما قال تعالى: «يسعى نورهم بين أيديهم<sup>(٢)</sup>»، ودليلهم إلى ما هو الحق قصدهم إلى سلوك الشرع المقدس، فلم يدفعوا في مضائق الشبهة منغمرين.

وأما أعداؤه فليس دعاؤهم إلى ما يدعون به إلا ضلالاً عن الطريق القويم، وإضلالاً للخلق عن النهج المستقيم، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال<sup>(٣)</sup>»، وقوله تعالى: «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور<sup>(٤)</sup>»، وليس لهم دليل يتبعون إلا الغي فيسوقهم إلى الردى والهلاك، على ما ينبئ عنه قوله تعالى الذي هو طمس لأبصار بصائرهم عن مطالعة نور الحق يهدون

(٣) الرعد: ١٤.

(٤) النور: ٤٠.

(١) كذا في الأصل.

(٢) الحديد: ١٢.

إلى النار.

الثالث: في بيان المبادرة إلى الموت وان ما يجري في عالم الكون والفساد ليس بحسب اشتهاؤ النفس. قوله فهل ينجو من الموت من خافه: إشارة إلى أن الخوف من الموت لم ينفعه بل لا بد وأن يفرغ لعمل الآخرة ولا يلتفت إلى نزول الموت، فانه أمر ضروري لا بد منه على ما ينبئ عنه قوله تعالى:

«قل إن الموت الذي تفرّون منه فانه ملائكم<sup>(١)</sup>»، وقوله: «أينا تكونوا يدركم<sup>(٢)</sup>»، والخوف منه لا يجدي إلّا صرفه عن الإقبال إلى الله بالكلية وتحتة دقيقة: وهي أن من لم يخف الموت يكون له منه نجاة، وهكذا أمر من لم يخف الموت في سبيل الله تعالى.

فجاهد حتى قتل فقد نجا من الموت إذ حصلت له الحياة الباقية، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء»، قوله: ولا يعطى البقاء من أحبّه إشارة إلى أن محبة البقاء لا تنفعه بل تضرّه، لأنها تلهيه عن الاشتغال بالعبادة وتورطه في المعاصي واقتناء اللذات، وتحتة دقيقة وهي: ان من لم يحب البقاء في الدنيا اختصّ بالبقاء في الآخرة، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة<sup>(٣)</sup>».

ومن أحبّه في الدنيا حرم عن البقاء في الآخرة كالكفّار الذين أحبّوا البقاء، وقد حكى عنهم تعالى وواحدهم «لويعمّر ألف سنة»، وحرّموا من البقاء في الآخرة، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «وما هو بمزحزحه من العذاب<sup>(٤)</sup>»، والحاصل أن العامل بعمل الآخرة ينبغي أن لا يلتفت لا إلى الفناء ولا إلى البقاء في الدنيا أيّا كان كل منهما، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من تنمة السابق، ويكون معناه: فكن من أولياء الله ولا تعص الله ورسوله حتى تخاف من هجوم الموت.

(٣) التوبة: ١١١.

(١) الجمعة: ٨.

(٤) البقرة: ٩٦.

(٢) النساء: ٧٨.

فان العاصي لا ينجو من الموت لخوفه من عصيانه، فقد ذكر المسبب وهو الخوف من الموت وأراد السبب وهو العصيان، ولا يركن إلى الدنيا بالكلية فينخرط في سلك المحيين للدنيا المتهالكين عليها، فان محبتها لا تنفعك ولا توصلك إلى المقصود، بل ربما تمنعك ولا توصلك إلى المقصود، بل ربما تمنعك عن البقاء في الآخرة، وهو احتمال جيد.

\* \* \*

### ٣٨- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَالِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ، أَقَوْمٌ فِيكُمْ مُسْتَضْرِحًا، وَأَنَادِيكُمْ مُتَفَوِّثًا، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَن عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ.

فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ نَارًا، وَلَا يُبْلِغُ بِكُمْ مَرَامًا؛ دَعَوْنَكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَى، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَانِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّهَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ).

### اللغة

منيت: أي ابتليت.

أحمشت الرجل: إذا اغضبته، وكذلك التحميش، والاسم: الحمشة مثل الحمشة مقلوب منه، واحتمش واستحمش: أي التهب غضباً.

قال الجوهري: المستصرخ: المستغيث، قيل: هو أن يقول الرجل واغوثاه،

وهو قريب منه معنى غَوَّث الرجل وتغوث إذا قال واغوثاه، والاسم الغوث والغواث والغواث.

كشفت الشيء فانكشف وتكشّف: أي أظهرته فظهر.

أساء يسوء سوء ومساءة ومساينة: نقيض سرّه، والاسم السوء بالضم.

الثار والثورة: الدخل؛ أي الحقد، رام يروم روماً ومراماً: أي طلب.

الجرجرة: صوت يردّده البعير في حنجرتة.

قال الأغلب: جرجر في حنجرة كالحب.

فهو بعير جرجار، كما يقول: ثرثر الرجل فهو ثرثار. بعير أسرّ: إذا كانت

بكركرته دبيرة بين السرر، قال الشاعر:

ان جنبي عن الفراش لناب      كتجاني الاسرّ فوق الظراب

وهي جمع ظرب بكسر الراء وهي الروابي الصغار

السرر يأخذ بالبعير في سرمه.

النضو: البعير الذي أصابه الهزال من تعب السير الأدبر: البعير الذي به

دبروهي القروح التي في ظهره، والباقي ظاهر.

### الاعراب

قد أضاف المصدر إلى الفاعل في قوله ينصركم ومفعوله ربكم وكذا نصب،

وذلك مثل قولنا دق القصار الثوب، مستصرخاً ومتغوثناً منصوبان على الحال من

الفاعل، الواو في وهم ينظرون للحال أيضاً.

### المعاني

استفهم عن نفي الدين الذي يجمعكم في قوله أما دين على سبيل<sup>(١)</sup>



متفوئاً.

وأشار بقوله: فلا تسمعون إلى أمراً إلى سوء معاملتهم وخروجهم عن قانون المروة والحمية والدين، وتعييرهم بما رضوا به من الذلّة، وتوبيخهم على ما كانوا عليه من الانقياد للخصوم والإذعان لطالبيهم، وبقوله: فما يدرك إلى مرام توبيخهم على ما عاملوا معه ونفي الرجولية عنهم.

فان من لم يحصل بمده مطلوب فهو من ليس له خلاق من المروة التي قامت الرجولية بها، كل هذا لحثهم على القيام وزجرهم عن التقاعد، إذ من شان طباع العرب أن يثور بمثل هذه الأقوال.

قوله دعوتكم إلى الأدبر: اشارة إلى غاية تضجرهم من ثقل ما يدعوهم إليه ونهاية تشاقلهم، وأراد عليه السلام باخوانكم مالك بن كعب<sup>(١)</sup> مع أصحابه، ويحتمل أن يكون المراد بهم العموم وهو أكد.

ثم عقب ذلك بوصف من خرج منهم بالتصغير والضعف والجن، وقال: ثم إلى وهم ينظرون، وقد عرفت التشبيه فيه، والله أعلم.

\* \* \*

(١) مالك بن كعب الأنصاري؛ مختلف في اسمه، والصواب كعب بن مالك: صحابي روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، روى عنه عبد الله بن كعب.

٣٩- وَمَنْ كَلَامَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله؛ قال عليه السلام  
كَلِمَةٌ حَتَّى يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ<sup>(١)</sup>!! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ،  
وَلَكِنْ هَوْلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ<sup>(٢)</sup>، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ،  
يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا  
الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيَقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوَّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ،  
وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.  
وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:  
حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال: - أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ؛ وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ  
فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيئَتُهُ.

### الإعراب

في امرته عائد إلى الأمير من حيث هو لا إلى البر مطلقاً، لأن الكافر لا  
يتمكن في امرته من الاستمتاع، ولا إلى الفاجر وإن قال به بعض شارحين، لأن  
المؤمن لا يتمكن في امرته من العمل، وكذا الضمائر المحرورة كلها عائدة إليه  
مطلقاً.

### المعاني

قد حذف المشبه إليه من الجملة الأولى تعويلاً على القرائن الحالية  
الشاهدة، وبناء على أن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء، واشتمال الكلام على  
الإيجاز أوضح من البيان.

(١) في ض وب: يراد بها الباطل.

(٢) في ض وب: لا امرأة إلا لله.

## البيان

ليس فيه شيء منه يحتاج إلى زيادة فكر.

## البديع

راعى في أكثر الكلمات: المقابلة، وفي التقى والشقى: المتوازي والترصيع، وبين مدته ومنيته: المطرف.

## الفحوى

اعلم أنه عليه السلام ردّ على أصحابه أولاً الذين تمكّنت في سويدوات قلوبهم حقيقة دعوة أصحاب معاوية إلى كتاب الله، وقال: كلمة حق يراد بها باطل، أي: قولهم لا حكم إلا لله كلمة حق، ولكن ليس مقصودهم كتاب الله بل غرض آخر باطل، وهو اطفاء نائرة الحرب عنهم وتشتت كلمتهم وشقّ عصاكم مما ينخرط في سلك الباطل، ثم بقوله: نعم لا حكم إلا لله صدق قولهم لكن لا من حيث انه صدر عنهم، ودالّ على القصر للإفراد لأنه من هذه الحيثية يستلزم أن تكون الأحكام كلّها منصوطة دلّ عليها ألفاظ كتاب الله وليس كذلك.

فان البر<sup>(١)</sup> أحكام الفروع مأخوذة من الأخبار النبوية منتزعة منها بحسب الاجتهاد وشرائطها لمن كان أهلاً لذلك من أنها أحكام الله، بل من حيث أنّ في نفس الأمر جميع الأحكام راجع إلى حكمه تعالى، ولما اعتقدت الخوارج أنه لم يصح التعويل على حكم لم يؤخذ بعينه في كتاب الله تعالى، ولا يجوز امتثاله ولا العمل به، وهذا الاعتقاد يستلزم نفي الإمرة، لأن استنباط الأحكام الجزئية والنظر في تدبير مصالح الرعية مفوض إلى رأي الأمير، ونفي اللزوم يستلزم نفي الملزوم.

قال نعم لا حكم إلا لله: ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة ثم كذب قولهم لا

(١) كذا في الأصل.

أمره بقوله: وأنه لابد للناس من أمير برّ أو فاجر، وحاصل الكلام يرجع إلى أن كلامهم في تقرير شرطية متصلة لازمها باطل فيكون باطلاً، تقريره: كلما ثبت قولهم لا حكم إلا لله كما اعتقدوه ثبت انتفاء الامرة بالكلية، ولكن اللازم باطل لأن نقيضه صادق، وهو أنه لابد للناس من أمير برّ أو فاجر، والدليل على هذا أن الانسان خلقت فيه النفس الأمانة بالسوء والقوة الغضبية الداعية إلى تفرق الأهواء والهرج والمرج.

فلولا بين الخلق سلطان قاهر يردعهم عن إثارة الفتن ويألف بهيئة القلوب ويسكن بسطوته اختلاف الأهواء لاختلف نظام الخلق في معاشهم، وقد ألم المتنبّي<sup>(١)</sup> إلى هذا المعنى حيث قال:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم  
والظلم من شيم النفوس فان تجذ ذاعنة فلعللة لا يظلم

وقد روي: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم في الآخرة، وروي بالرجل الفاجر، وقول الحكماء: الأنسان مدني بالطبع مستلزم لوجود الأمير على ما بيّننا قوله يعمل في امرته المؤمن؛ اي المؤمن يعمل في امرة الأمير من حيث إنه برّ عمله على مقتضى أوامر الله ونواهيته، والكافر يطلب التمتع بانهماكه في اللذات الحاضرة والإعراض عن الله تعالى بالكلية في امرة الآخر من حيث إنه فاجر.

قوله يجمع به إلى القوي: إشارة إلى فوائد وجود الأمير برّاً كان او فاجراً.

قوله حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر: اشارة إلى الغاية من الإمارة،

أي: الغاية من الأمور المذكورة الباقية ببقاء الأمير ان يستريح برّ مؤمن بوجودها

(١) أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي: الشاعر المشهور ولد بالكوفة سنة ٣٠٢ وقدم الشام في حال صباه، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها؛ وأكثر المقام بالبادية، وطلب علم العربية حتى بلغ الغاية التي فاق أهل عصره وعلى شعراء وقته، واتصل بالأمير سيف الدولة وكان يتحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام، قتل سنة ٣٥٤.

ويستراح من فاجر أي من ظلمه، وقيل: معناه ان هذه الفوائد لا تزال باقية ببقاء الأمير برأ كان أو فاجراً، حتى يستريح البرجموته ويستراح الفاجر بموته أو بعزله، وهو احتمال جيد، والمذكور في الرواية الثانية معلوم مما ذكرنا، وبالله التوفيق والعصمة.

\* \* \*

#### ٤٠- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصَّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ. وَمَا يَغْدِرُ<sup>(١)</sup> مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ. وَلَقَدْ أَضْبَحْنَا فِي زَمَانِ<sup>(٢)</sup>، أَتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحَيْلَةِ، مَا لَهُمْ؟ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ بَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَجَهَ الْحَيْلَةَ وَذَوْنَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَبَدَعَهَا رَأَى عَيْنِ<sup>(٣)</sup> بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهَزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيحَةَ لَهُ فِي الدِّينِ.

#### اللغة

الجنة: الترس، وإنما سمي بها لأنه يستر القاعد خلفه عن ضرب العدو من جن أي ستر.  
أوقى: أفضل التفضيل من الوقاية وهي: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف.  
الغدر: الإحلال بالشيء وتركه، ثم شاع في ترك العهد، ومنه قيل: فلان غادر وجمعه غدرة، وغدار: كثير الغدر.

(١) في ض: ولا يغدر.

(٢) في ض وب وج: في زمان قد اتخذ.

(٣) في م وش: فبدعها رأي العين.

الكيس: خلاف الحمق، وفي الحقيقة عبارة عن الفطنة والذكاء وجودة الرأي في استخراج المصالح.

الحيلة: ما يتوصل به إلى حالة في خفية، وأكثر استعماله فيما تعاطيه حيث. الحول: بتشديد الواو الرجل البصير بتحويل الأمور. القلب: الكثير الثقلب، يقال حول قلب لمن كان عارفاً بتقلبات الأمور وكيفية الخروج منها.

ودع يدع: أي ترك، لا يقال ودعه وإنما يقال تركه، ولا وادع بل تارك، قال الجوهري: وقد أميت ماضيه فاعلم.

دع ذا: أي أتركه.

انتهزت الفرصة ينتهزها انتهازاً: أي اغتتمتها، الفرصة: الشرب والنوبة.

الحرىجة: اسم من التخرج وهو التأثم والتحرز من الحرج وهو الاثم.

### الاعراب

الضمير في منه عائد إلى الوفاء أتخذ مفعولين: اولهما الغدر والآخر كيساً، الضمير في نسبهم إلى أكثر أهله وفي فيه إلى الزمان، في دونه روايتان:

احداهما: بضمير التأنيث العائد إلى الحيلة وهي الأصح.

والثانية: بضمير التذكير العائد إلى وجه الحيلة وهي محتملة، ونهيه عطف على الله تعالى، والضمير المنصوب في فيدعها للحيلة، والمرفوع للحول القلب، ورأي العين متعلق بحال محذوفة، أي: حال كونها مرثية رأي العين.

### المعاني

تصدير الجملة الأولى بأن، وتعقيها بالجملة الثانية دليل على أنّ الكلام مع المنكرين، وشدة اهتمامه عليه السلام باثبات فضيلة الوفاء، ما لم استفهام على

سبيل الإنكار والتوبيخ عن خوضهم في حاله عليه السلام، الفاء في فيدعها للسببية الدالة على أن المانع من الله سبب لتركه عليه السلام الحيلة، ولتكون تقديره هو يدعها يدل على استمراره في الترك .

### البيان

في إن الوفاء توأم الصدق: استعارة تصريحية تخيلية مستدعية لتشبيه الوفاء وهو معقول، بالتوأم وهو الولد المقارن لولد آخر وهو محسوس، ووجه الشبه: أن الوفاء يقارن للصدق تحت أم من أمهات الفضائل النفسانية وهي العفة، كما أن التوأم مقارن لآخر في بطن واحد من أمها، وتخيل أنه من أفراد التوأم وإلا لم يصح إطلاقه عليه، والباقي ليس فيه شيء مشكل.

### البديع

ليس فيه شيء زائد.

### الفحوى

قوله إنّ الوفاء توأم الصدق: إشارة إلى أن الوفاء الذي هو ملكة نفسانية من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه، والصدق الذي هو ملكة تحصل عن لزوم الأقوال المطابقة للواقع متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، داخلاً تحت ملكة العفة، يلزم الغدر الذي هو رذيلة في مقابلة الوفاء، والكذب الذي هو رذيلة في مقابلة الصدق، ودخولها تحت رذيلة الفجور، وقد أشبعنا الكلام في هذا المقام في القاعدة الثالثة.

ثم حثّ الناس بلزوم الوفاء وجعله شعاراً لنفسه وقال:  
لا أعلم جنة أوق منه: أما في الدنيا فلأنه يستر المرء من لحوق السب والعار

اللازمين من الغدر، الملتظحين بعدم توجه النفس، وأما في الآخرة فلأنه يستر المرء من عذاب الله تعالى و يقربه إلى نيل الأجر العظيم، على ما ينبىء عنه قوله تعالى: «ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»<sup>(١)</sup>، ثم نبه بقوله:

ما يغدر من علم كيف المرجع: على أنّ الغدر لا يأتي إلا من جهل بكيفية المرجع إلى الله تعالى ومنازل السفر إلى الله تعالى، والوفاء انما يأتي ممن كان عالماً بكيفية الرجوع إلى الله مطلعاً على أحوال الآخرة، فمن لم يوف وغدر كان لجهله بمواقع الأمور خصوصاً أحوال الغيب، ولن أوفى كان لكونه من الموقنين بالله. وهذا توبيخ عظيم للغادرين، وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.

قوله ولقد إلى كيساً: إشارة إلى أننا قد أصبحنا في زمان لا يعرف الشريعة.

\* \* \*

(١) الفتح: ١٠.

\* بقية شرح الخطبة ساقط في الأصل.



## ٤١- وَمَنْ كَلَامَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ. أَلَا، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ <sup>(١)</sup> حَذَاءً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ أَصْطَبَّهَا <sup>(٢)</sup> صَابُهَا، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَثُونٌ، فَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا أُنْبَاءَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ <sup>(٣)</sup> وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَعَدَا حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ.

اللغة\*

### الاعراب

اثنان: صفة لموصوف محذوف وهو خصلتان، وقد روي أنه عليه السلام

قال:

إِنَّ أَشَدَّ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَصْلَتَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ: فَمَا اتِّبَاعُ

الهوى فإنه يعدل عن الحق.

اصطَبَّهَا صَابُهَا: نعت لصبابه، والأولى أن يكون صلة لموصول محذوف

تقديره بصبابه إلا بالتي اصطبها صابها، وحذاء حال، اليوم: اسم ان، وعمل: قام

مقام الخبر استعمالاً للمضاف إليه مقام المضاف، تقديره: إن اليوم يوم عمل،

ويحتمل أن يكون الاسم ضمير الشأن، وقد حذف العلم به، واليوم مبتدأ عمل

خبره، والجملة في محل الرفع على أنها الخبر.

(١) في م ون: قد ولت جذاء بالجم في ر: قد ولت حذاء وبخط الرضي على حاشية الاصل: الحذاء بالحاء.

(٢) في م: اصطَبَّهَا صَابُهَا.

(٣) في م: فان لكل ولد.

\* اللغة وشرح نصف الخبطة تقريباً ساقط في الأصل.

### المعاني

في إن أخوف إلى الأمل: خواص إحداها: كونه مصدر بأن ليؤذن بأن المقام مقام إنكار.

ثانيها: جعل اثنان خبراً ثم بيانه ليؤذن بالإجمال والتفصيل الموقعين للكلام في النفس أفضل ايقاع.

ثالثها: إيراد أفعال التفضيل مضافاً إلى الشيء الذي يخاف منه عليه السلام تأكيداً للمعنى واشتمالاً على الإيجاز، وقد أوقفناك عليه غير مرة.

الفاء في فلم: فصيحة تقديره الكلام ولب<sup>(١)</sup> حال كونها سريعة وقد مسى المرها فلم<sup>(١)</sup>، وفي فلم يبق منها إلى صابها القصر للقلب، وإنما جعل قوله عمل نفس الخبر ايذاناً بأن الدنيا ما تكون إلا للعمل وليس منها غرض سواه، وهكذا بيان كل شيء منه غرض مقصود، فإذا فقد ذلك الغرض منه فيصح سلب الاسم عن ذلك الشيء، كما أن الفرس إذا لم يأت منه العدو يصح أن يقال أنه ليس بفرس، وفي اشتمال هذا التركيب على الإيجاز لا يحتاج إلى بيان.

### البيان

في الآ صباية: استعارة تصريحية تخيلية مستدعية لتشبيه الدنيا بالقياس إلى كل شخص وهي معقولة، بالبقية من الماء في الاناء وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكها في القلة وهي معقولة، وتخيل أنها من أفراد الصباية والا لم يصح جعلها خبراً عنها.

ثم لم يقنع بهذا وشبهها بعد جعلها فرداً من أفرادها بصباية إلا بالتصاها صابها، ووجه الشبه: اشتراكها في غاية القلة. ولكل منها بنون: استعارتان مكنتها، الأولى: تخيلية مستدعية لتشبيه الدنيا والآخرة بالأمر، ووجه الشبه: أنها

مقصد الناس واصلان للنافع، كما أن الأم مقصد الأولاد ومحل منفعتهم، وهو عقلي.

الثانية: تصريحية تخيلية مستدعية لتشبيه الناس بالبنتين وهما محسوسان، ووجه الشبه: أن بعضهم يميل بالطبع إلى الدنيا ويطلب المنافع منها، وبعضهم يميل عن الدنيا ويرغب إلى الآخرة، ويتصور أن السعادة الأبدية والمنفعة الباقية ليستا حاصلتين إلا من الآخرة، كما أن البنين يميلون بالطبع إلى الأمهات أو بحسب تصورهم أن منافعهم لا تتأق إلا منهن وهو عقلي، والباقي واضح، واليوم: كناية عن البقاء في الدنيا لأنه حاضر، وغداً: كناية عن القيامة لأنها آتية.

### البديع

في هذا الفصل قد راعى المقابلة؛ حيث قابل أولاً: الدنيا بالآخرة، ثم التولية بالاقبال، وثانياً: في قوله إن اليوم إلى ولا عمل: حيث قابل اليوم بغد، أو العمل بلا عمل، والحساب بلا حساب.

### الفحوى

اعلم أن غرضه عليه السلام من ايراد هذه الخطبة والقائها إلى الناس أن يعرفوا الموانع التي تمنع السالكين في سبيل الله عن السلوك إلى الله تعالى، فيقظونها ليكون السلوك لهم اسهل وأيسر، ولما كانت القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها مطالعة أنوار كبريائه ومجاورة الملاء الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

كان اتباع النفس الأمارة بالسوء في سوء لها الطبيعية وبها لكنها على اللذات الحاضرة الفانية اسد حادت له عن القصد إلى المقصد الأعلى وأعظم صاد له عن التوجه إلى الحق، وكذا رتب الله تعالى استحقاق أن ينزل في حضيض جهنم على من انهمك في أسباب الدنيا وآثر الحياة الفانية على الحياة الباقية السرمدية.

قال تعالى: «فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى»، ورتب استحقاق الترقى في منازل الجنة ودرجاتها على الانهى<sup>(١)</sup> النفس الأمانة بالسوء عن الهوى، وقال: «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى<sup>(٢)</sup>»، وأدرج رسول الله صلى الله عليه وآله اتباع الهوى في المهلكات: شح مطاع واتباع الهوى واعجاب المرء بنفسه، وبالْحَقِيقَةُ المهلك ليس إلا واحد وهو اتباع الهوى.

إذ الشح المطاع انما يلزم من اتباع النفس الأمانة في محبتها الشديدة لأغراض الدنيا، وكذا الاعجاب وذلك لأن من عرف نفسه وترقى من حضيض الامارة إلى أوج الاطمئنان لا يحوم حول ساحة قلبه شائبة النظر إلى نفسه فضلاً عن الاعجاب، وفي موضع آخر يجعل حب الدنيا أصل كل مانع ضارّ، وقال عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة، كان أخوف ما يخاف على الطريق من الأمور التي قصد السالك عن سلوك سبيل الحق اتباع الهوى.

وأما الأمل لكونه أيضاً عبارة عن توقع الأمور المحبوبة من اللذات الفانية، يستلزم ملاحظة النفس اياها وهي تستلزم اينفاس<sup>(٣)</sup> لوح النفس بها فيسود فلا يقل نفوس أحوال الآخرة، ولو كانت تزول عنه لغلبة المتوقعات، هذا هو المعنى بقوله فينسي الآخرة، وكذا حثّ الرسول عليه السلام على قطع الأمل وقال لعبدالله بن عمر: إذا أصبحت فلا تتحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تتحدث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، فانك يا عبدالله لا تدري ما صمك...<sup>(٤)</sup> غداً.

(١) كذا في الأصل.

(٢) النازعات: ٤١.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) بياض في الأصل.

قال أبو سعيد الخدري<sup>(١)</sup>: اشترى أسامة بن زيد<sup>(٢)</sup> وليدة بمائة دينار إلى شهر، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر، إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفرتي لا تلتقيان حتى يقبض الله روعي، ولا رفعت طرفي وظننت أي واضعه حتى اقبض، ولا لقيت لقمة إلا ظننت أني لا اسيغها حتى أغص بها من الموت، ثم قال: يا بني آدم إن كنتم تعقلون تعدوا أنفسكم من الموت، والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

وقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: أكلكم يجب أن يدخل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: قصروا من الأمل، وثبتوا آجالكم بين أنصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء. والأخبار في ذلك كثيرة، ولما كان امير المؤمنين عليه السلام هو المرشد للخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحق وسلوك سبيل الآخرة، والمتولي لصلاح حالهم، نسب الخوف إلى نفسه عليه السلام ثم التفت عن السبب الضار إلى قطع الآمال، ونقرهم عما يأملونه من الدنيا، ورغبهم إلى ما يفرون منه وهو الآخرة.

قال: ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء، قوله: فلم يبق منها اشارة إلى أن الأمر ليس على ما تأمركم به انفسكم من البقاء باللذات الدنيوية، بل ليس الباقي بالنسبة إلى كل فرد من أفراد الانسان، إلى أن لكل واحد من الدنيا والآخرة أهلاً يميلون إليه مثل الابناء إلى آبائهم وامهاتهم، فمنعهم من نصرهم الله تعالى...<sup>(٣)</sup>

(١) سعد بن مالك بن سنان الخزرجي؛ كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قيل: لم يكن أحد من أحداث الصحابة افقه من أبي سعيد، وكان من الحفاظ الكثيرين والعلماء العقلاء، وكان أبوه مالك استشهد يوم أحد.

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي؛ مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يسمى حب رسول الله، استعمله النبي صلى الله عليه وآله على المهاجرين والأنصار وهو ابن ثمانى عشرة سنة، وكان أسامة بن زيد منصراً عن علي عليه السلام ولم يبايعه، وتوفى سنة ٥٤ هـ.

(٣) كذا بياض في الأصل.

الدنيا بمنافع الآخرة وهتك الأستار بين أبصار بصائرهم، فالوا إلى الآخرة معرضين عن اللذات الفانية، ففازوا بالسعادة الأبدية والكرامة السرمدية.

منهم من أسرتهم أنفسهم الأمانة واستولى عليهم الهوى، فانهمكوا في استيفاء اللذات الحاضرة التي هي بالحقيقة آلام روحانية لا يكون لهم شعورها لأصابتهم الحذر<sup>(١)</sup>، فبعدوا عن النعم المقيم والسرور الدائم الجسم، أولئك الذين أنزلوا أنفسهم من معارج الملكوت بمدارج...<sup>(٢)</sup> الهيات الردية إلى مهاوي الهلاك والبعث عن ملاحظة أنوار كبرياته، ولما كان حال الأولين يؤول إلى الفوز بدرجات الجنات، وحال الآخرين يرجع إلى الهوى في مهاوي الدركات، أمر الناس عليه السلام بالانخراط في سلك الأولين ونهاهم عن الإدخال في الآخرين.

قال: فكونوا من أبناء الدنيا ولا تكونوا من أبناء الآخرة، وأشار بقوله: فان كلاً إلى القيامة إلى أبناء الآخرة المقبلين إليها، إذا قامت القيامة يلحقون بمقاصدهم التي توجهوا إليها من الالتذاذ باللذات الدائمة والابتهاج بمطالعة أنوار كبرياته، لحوق الولد بأمه بعد المفارقة بينها، وأما أبناء الدنيا فلا تفرسهم لما كانت مستغرقة في محبتها معرضة عن الآخرة، كانت يوم القيامة ملحقة بالدنيا مغلولة لسلاسل الهيئات البدنية والملكات الرديئة التي لشبتها<sup>(٢)</sup> بينها وبين الالتذاذ باللذات الباقية.

فهم كالأولاد وقعت بينهم وبين أمهاتهم المفارقة في موضع لا يكون لهم أنس ولا لهم لذة، وأي عاقل يرضى لنفسه أن ينزل نفسه في مقام الحسرة والندامة ويبعدها عن الكرامة والسعادة، فمن كان له أدنى تمييز بين اللذات الباقية والفانية لا يرضى بذلك، ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

ثم نبههم على الطريق الموصل للكون من أبناء الآخرة وهو العمل، وأمرهم بلزومه قبل أن يجيء وقت امكانه، وقال: ان اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب

(٢) كذا بياض في الأصل.

(١) كذا في الأصل.

ولا عمل، فن أراد أن يكون من أبناء الآخرة فليعمل لها أوان إمكانه، فانه إذا ضاعت الفرصة أصابت الغصة، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: اضاعة الفرصة غصة، اللهم وفقنا لما تحب وترضى.

\* \* \*

## ٤٢- وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلَامُ

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جريابن عبد الله البجلي إلى معاوية

إِنَّ أَسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِيغْلَاقُ لِلشَّامِ، وَصَرْفُ لِأَهْلِيهِ عَنِ خَيْرِ إِنْ أَرَادُوهُ. وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً. وَالرَّأْيُ <sup>(١)</sup> مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرُودُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَتُهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ، وَبَطَّنَتُهُ، فَلَمْ أَرَلِي <sup>(٢)</sup> إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ (بما جاء محمد صلى الله عليه وآله <sup>(٣)</sup>)، إِنَّهُ قَدْ كَمَانَ عَلَى النَّبَاسِ وَإِلِ أَحَدَتْ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالاً، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا.

### اللغة

الاستعداد للأمر: التهيؤ له.

خدعه يخدعه خدعاً وخدعاً أيضاً مثل سحره سحراً: أي ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، فهو خادع وذاك مخدوع.

(١) في ض وب ون: والرأي عندي مع الأناة.

(٢) في ن: فلم أر إلا القتال وفي ح: فلم أرفيه إلا القتال.

(٣) ساقطة من ض وب ول وش وفي ن: بما انزل على محمد وفي ع بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وآله.

الأناة: الاسم من التآني والرفق.

أرود في السيراروإداً ومروداً: أي رفق، وقولهم فلان يمشي على رود أي على مهل.

الكره والكره: واحد كالضعف والضعف، قيل: الكره المشقة التي تنال الانسان من خارج مما تحمل عليه باكرهه، والكره ما يناله من ذاته وذلك ما يعاف من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد اني اريده واکرهه، بمعنى: اني أريده بالطبع واکرهه من حيث العقل أو الشرع، أو بالعكس.

أراد عليه السلام بنفي الكره هنا من حيث العقل والشرع. قلبت الشيء: أي صرفته عن وجه الى وجه فانقلب أي انصرف. أحدث: أي أوجد شيئاً لم يكن، وفي أحداثاً روايتان: إحداهما: كسر الهمزة على أنه مصدر أتى به للتوكيد.

والثانية: فتحها على أنه جمع حدث.

أوجد: يحتمل أن يكون من وجد عليه أي غضب موجدة أي أغضبهم، وأن يكون من وجد لي أحزن وهداً أي أحزهم، وقيل معناه: جعلهم واجدين فيه مقالاً للتشيع، وهو محتمل.

نقمت الشيء ونقمته: اذا انكرته اما بلسان أو عقوبة، قال الله تعالى: «وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله»، وقد وجد بخط الرضي رضي الله عنه نقموا بكسر القاف وهو صحيح.

### الاعراب

استعدادي: في محل النصب على أنه اسم ان، وخبره اغلاق للشام. الواو في وجريز: للحال، مخدوعاً: نصب على الحال من الضمير المستكن



في يقيم العائد الى جرير، والعامل فيه يقيم اصل.  
 فلم أر لي: من رأى يرى، سقطت البياء بلم الجازمة، الضمير في أنه: عائد  
 الى عثمان وهو اسم ان، ووال كقاضٍ سقطت البياء في الرفع وهو اسم كان، وعلى  
 الامة خبره، والمجموع في محل الرفع على أنه خبر ان.  
 وأحدث أحداثاً: يحتمل أن يكون نعتاً لوال وهو الاولى، وأن يكون جملة  
 مستأنفة مقالاً على التفسير الذي اوردناه تمييز، وعلى ما قيل مفعول لاسم الفاعل  
 المقدر.

### المعاني

تصدير الجملة الأولى بأن المحققة يؤذن بان الكلام في مقام انكار المخاطبين  
 ليردّهم الى ما هو الصواب عنده، وانما وقعت الحالة بين الاسم والخبر لكونها الهم،  
 وانما جاء بالواو لكون الجملة وان كانت واردة على نهج الحال غير واردة على أصلها  
 لكونها اسمية، ولكن اورد لنفي ما اعتقدوه وحكموا به من أن الاستعداد صواب،  
 واثبات ما هو الحق وهو تأخير الاستعداد الى أن ينقضي الوقت المضروب، ومخدوعاً  
 لكونه واردة على أصل الحال ونهجها عري عن الواو وغيره من الروابط، وهنا القصر  
 للإفراد على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين له المعتقدين ان اقامته يمكن أن تكون  
 لغيرهما.

والحاصل أنه عليه السلام قصر حاله في وقت الاقامة على أحد الأمرين:  
 يعني علة اقامته لا تكون الآ الخداع أو العصيان لأمرى، الفاء في فارودوا: لربط  
 الجملة الطلبية بالخبرية الاسمية ظاهر، أو لافادة أن مضمون الجملة السابقة سبب  
 للإمهال والتأخير، وفي فلم أر لي الآ: القصر للإفراد، وفيه من الايجاز ما يشقّ غباره  
 ولا يدرك شأوه، الفاء في فقالوا: للسببية الدالة على أن السابق علة لقولهم، وايراد  
 ثم يؤذن ان بين القول والنقسم تراخياً، والفاء في فغيروا: من أفصح الفاءات،

والباقى واضح من القواعد السالفة.

### البيان

في لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه: استعارة مكنى بها عن التفكير والتدبر في حاله عليه السلام مع معاوية وأهل الشام، مستدعية لتشبيه الأمر الذي هو عبارة المخالفة بينه عليه السلام وبين معاوية في الخلافة وهو معقول، بالحيوان الشموس الذي يحتاج الانسان في سوقه الى المقصد الى تعب وضرب له وهو محسوس، ووجه الشبه: اشتراكهما في احتياج سائقهما الى التعب وهو عقلي، ولتخييل أن الأمر من أفراد الحيوان، والآلم يصح اسناد الانف والعين اللتين من خواص الحيوان اليه.

وذلك مثل قولهم: مخالب المنية قد نشبت، ثم في ضربت: أيضاً استعارة تبعية تصريحية مستدعية لتشبيه قصده عليه السلام الرأي الصائب بواسطة إحالة الفكر وإتباعه، بقصد السابق عدول الحيوان الشموس عن غير الجادة اليها بواسطة ضرب العين والانف اللتين هما أعز أعضاء البدن، وموقعاً الضرب عند التوجه الى غيرها، ووجه الشبه: اشتراكهما في الافتقار الى معين وهو عقلي، وكنتى بظاهر هذا الأمر وباطنه عن وجوه الرأي فيه من الأصلح الخافي على الاكثر والصالح والفاقد والأفسد، والباقي ليس فيه شيء زائد.

### البديع

بين عينه وظهره: المتوازي، والباقي ظاهر.

### الفحوى

اعلم أنه قد غلب على ظن كثير من الصحابة بعد أن بايعوا علياً

عليه السلام أن معاوية لا يدخل في بيعتهم بواسطة إمارات لاحت على صفحات أحواله، وكذا أشاروا الى اميرالمؤمنين عليه السلام حين أرسل جرير بن عبدالله البجلي<sup>(١)</sup> الى الشام بالاستعداد للحرب، روي: أن جريراً قال حين تعين بيعته<sup>(٢)</sup>، والله يا أميرالمؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئاً، وما أطمع لك في معاوية، فقال عليه السلام: قصدي حجة اقيمها، فكتب عليه السلام معه:

أما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتمك وأنت بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا ابابكر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرده، وانما الشورى للمهاجرين والانصار إذا اجتمعوا على رجل فسموه اماماً كان ذلك رضا، فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه الى ما خرج منه، فان أبي قاتلوه على غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً.

ان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، فكان نقضها كردتها، فجاهدا على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون: فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فان أحب الأمور اليّ فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء، فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك، وقد اكثر في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم اليّ أحملك واياهم على كتاب الله.

واما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري إن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، واعلم انك من الطلقاء الذين لا يتحلّى لهم الخلافة، ولا يعرض فيهم الشورى، وقد ارسلت اليك جرير بن عبدالله وهو من أهل الايمان والهجرة فبايع، ولا قوة الا بالله، فكتب اليه معاوية جواباً عن

(١) جرير بن عبدالله بن جابر ابو عبدالله البجلي؛ أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأربعين يوماً، وكان حسن الصورة، وكان له في الحروب بالقادسية وغيرها اثر عظيم، وجعله عمر بن الخطاب على بجيلة، أرسله علي عليه السلام الى معاوية لأخذ البيعة، وطال مقامه بدمشق الى ان استدعاه علي الى الكوفة، ولما ورد الكوفة ترك علياً عليه السلام واقام بقرقيسا ومات بها في سنة ٥١ .

(٢) كذا في الأصل.

خطابه:

أما بعد ولعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنك أغريت بعثمان وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلاقالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ما حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير لأنها بايعاك ولم أبأيعك، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، لأنهم أطاعوك ولم يطعك أهل الشام، وأما شركك في الاسلام وقربتك من النبي عليه السلام ومن قريش فلست ادفعه.

وروي: أن الكتاب الذي كتبه عليه السلام الى معاوية صورته هكذا: أني قد عزلتك ففوض الأمر الى جرير والسلام، ثم قال لجرير: صن نفسك عن خداعه، فان سلم اليك الأمر وتوجه الي فأقم أنت بالشام، وان تعلل بشيء فارجع، فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تعلل بمشاوره أهل الشام وغيرها، فرجع، فكتب معاوية في اثر كتاب علي عليه السلام: من ولاك حتى تعزلي والسلام.

قوله: ان الى ان ارادوه إشارة الى أن أهل الشام في حال كون جرير عندهم في حالة الكفر بين الموافقة والمخالفة في أن<sup>(١)</sup>، أصلح وأوفق لنظام حالهم، وربما استقر رأيهم الى الموافقة، وان لم يستقر رأي جميعهم فرمما يستقر رأي بعضهم، فلو اشتغلنا في تلك الحال بالحال باستعداد لحرهم لبلغهم ذلك، قصروا عن الموافقة واحتاجوا الى التأهب والاستعداد للحرب أيضاً، فيصير استعدادنا للحرب سبباً لغلق الشام بالكلية وردّهم عن الخير الذي أرادوه الى ما هو باطل، فلا يكون الاستعداد في هذا الوقت مناسباً لحالنا.

قوله ولكن أبى عاصياً: إشارة إلى اني قد عينت فيه وقتاً يتصل بنا فيه لا يمكن تخلفه الا لأحد مانعين من موانع الاختيار: أحدهما: من قبلهم وهو خداعهم،

(١) كذا في الأصل.

والآخر: من قبل جرير وهو عصيان أمري ومخالفة منه، وكلا الأمرين يتجليان عن قريب، وانما قيدنا بالموانع الاختيارية لئلا يبطل الحصر بالموت أو المرض وغيرهما.

قوله والرأي مع الأناة: إشارة الى أن الرأي الحق انما بينا من التأيي في الأمور والتفكر في اختيار أصلحها، والى هذا أشار الرسول صلى الله عليه وآله: الأناة من الرحمن والعجلة من الشيطان، واذا كان الرأي الصائب أن يكون بعد تأن وتفكر فأخروا الاستعداد ولا تعجلوا في الظاهر، ثم بيّن بقوله: ولا أكره لكم الإعداد، وان المأمور به ليس التأخير من حيث الصورة الظاهرة التي يدركها كل أحد، وأن اعداد أنفسهم للحرب ان احتجنا اليها مما لا ينكر في العقل والشرع.

قال بعض الشارحين: انما نبه به على أمرين: أحدهما: أنه ينبغي لهم ان يكونوا على يقظة من هذا الأمر حتى يكونوا حال اشارته عليه السلام إليهم قريين من الاستعداد، الثاني: لا يتوهم أحد فيهم الضعف والعجز عن مقاومة أهل الشام، وقال ابن أبي الحديد: فان قيل كيف يمكن الجمع بين قوله ان استعدادي الى أن أرادوه المقتضي للنهي عن الاستعداد وكرهته له.

قوله: ولا اكره لكم الاعداد: المقتضي لنفي الكراهية، قلنا: الأول محمول على الاستعداد بالظاهر، والثاني: محمول على التهيؤ بالباطن، فلا يناقض، ولو قلنا: إنه عليه السلام بيّن أولاً ان اظهار الاستعداد للحرب اغلاق للشام بالكلية، وثانياً نبههم على أنه عليه السلام لا يكره لهم توطين نفوسهم على الحرب ان احتجت، لكان جيداً.

قوله وقلّبت الى بطنه: إشارة الى إحالة الفكر في الافراد التي يمكن أن يتعلّق بها الرأي، والمبالغة في التفتيش عما هو الاصلح والأوفق بحسب ما يقتضيه العقل أو الشرع.

قوله فلم الى الكفر: إشارة الى تعيين ما استقر عليه رأيه من الأمور الممكنة بعد التصفّح الكثير والتقليب الوافر وهو قتالهم، وذلك لأنه إن لم يحضره لزمه ترك

قتلهم وهو مستلزم لكفره عليه السلام بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله على ما صرح به في موضع آخر وقال: أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله، وذلك محال أن يتعلق اختياره فتعين له قتلهم.

وحاصل الأمر أن خلاصة رأبي رجعت الى أحد أمرين: إما قتلهم أو تركه المستلزم للكفر، والثاني محال اختياره، فتعين الأول، وإنما قلنا: باستلزام تركه الجحود لأنه عليه السلام قد أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فلو ترك المأمور به لكان لا يكون الا لعدم اعتقاده عليه، به جلّ جنابه المقدس عنه وهو مستلزم للكفر، قوله: إنه كان الى آخره إشارة الى ما تصوّر معاوية في حقي وجعله سبباً لعصيانه عن أمري من نسبي الى دم عثمان غير مطابق للواقع.

بل ليس الحامل للناس على القتل الا منه، وذلك لأنه وإلّ للامة، ومن شأن الوالي قسط قساطر العدل وقمع الأباطيل، وعدم ترجيح أقاربه بمجرد القرابة على بعض أفضل منهم، وأحدث أحداثاً في الدين ما أحدثها رسول الله صلى الله عليه وآله ولا الشيخان المقدمان عليه، وجعل للناس بتلك الأحداث ذريعة الى القول عليه، فقالوا ما قالوا، ثم أنكروا عليه باللسان والعقوبة، فغيروه عما كان عليه من الوجود وأزالوه، وأما الأحداث التي نقلت عنه كثيرة، ولكن المشهور منها بين أرباب التواريخ عشرة:

الأول: تفويض امور المسلمين الى من لا يستأهل لها من الفساق رعاية لمجرد القرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة<sup>(١)</sup>، حتى بدا منه التظاهر بشرب

(١) الوليد بن عقبة بن ابي معيط الاموي؛ اخو عثمان لأمه، قال ابن ماكولا: رأى الوليد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل صغير، وقوله عز وجل: ان جاءكم فاسق نبأ نزل فيه، ولاء عثمان الكوفة، كان الوليد شريب خمر، صلى الوليد باهل الكوفة صلاة الصبح اربع ركعات ثم التفت اليهم فقال: ازيدكم، فشهدوا عليه عند عثمان بأنه شرب الخمر وتقيأها، وقال لعلي: اقم عليه الحد، فأمر عبدالله بن جعفر فجلده اربعين، وبعد مقتل عثمان اعتزل، وقيل: شهد صفين مع معاوية، واقام بالرقعة حتى توفي بها.

الخمر، وسعيد بن العاص<sup>(١)</sup>، الذي أخرجهم أهل الكوفة منها بوساطة اقدمه على الامور الخارجة عن نظام الشرع المقدس، وعبدالله بن أبي سرح الذي فوض اليه مصر وظلم أهلها وتظلموا منه، ولأجل كثرة ظلمه كثر الجمع عليه وشددوا الحصار عليه.

الثاني: التفاته الى الحكم بن<sup>(٢)</sup> أبي العاص وردّه الى المدينة بعد طرده رسول الله صلى الله عليه وآله منها وامتناع الشيخين عن رده، فهو مخالف فيه ستة الرسول وسيرة الشيخين.

الثالث: أنه تخصص أقربه بالتوسع في أموال المسلمين من غير استحقاق، وقد روي: أنه دفع الى أربعة نفر من قريش زوجهم بيناته أربع مائة ألف دينار، وقد روي أيضاً: أنه اعطى مروان بن الحكم مائة ألف دينار، وذلك مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده من الخلفاء.

الرابع: أنه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول صلى الله عليه وآله بينهم في الماء والكلاء.

الخامس: أنه قد سوى بين المقابلة وغيرها في اعطاء المال من بيت المال، وذلك غير جائز في الدين.

السادس: أنه ضرب عبدالله<sup>(٣)</sup> بن مسعود وهو من أكابر الصحابة

(١) سعيد بن العاص القرشي الاموي؛ ولد سنة احدى، وقتل ابوه العاص يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب، استعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد بن عتبة، ولما قتل عثمان لزم بيته فلم يشهد الجمل ولا صفين، ثم ولي المدينة لمعاوية، وله اخبار مذكورة في كتب الرجال.

(٢) الحكم بن ابي العاص الاموي؛ ابو مروان بن الحكم، عم عثمان بن عفان، قال جبير بن مطعم: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله فمّر الحكم بن ابي العاص فقال النبي: ويل لامتي بما في صلب هذا، وهو طريد رسول الله، نفاه من المدينة الى الطائف وخرج معه ابنه مروان، فلما ولي عثمان الخلافة رده الى المدينة وجعل مروان حاجباً له، قالت عائشة: يا مروان اشهد ان رسول الله لعن اباك وانت في صلبه، وقد روي في لعنه ونفيه احاديث كثيرة فليراجع.

(٣) عبدالله بن مسعود الهذلي؛ كان اسلامه قديماً، وهو اول من جهر بالقرآن بكمة، وهاجر المهجرتين وصل

وأساطينهم حتى كسر بعض أضلاعه.

السابع: أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت<sup>(١)</sup>، وأحرق المصاحف وأبطل ما لا شك في آية من القرآن، وذلك مخالف لفعل النبي صلى الله عليه وآله والخلفاء من بعده.

الثامن: أنه أقدم على عمار بن<sup>(٢)</sup> ياسر بالضرب مع كونه من أعاضم الصحابة، وعلمه بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عمار جلدة ما بين عيني، تقتله الفئة الباغية لا أنالها الله شفاعتي، حتى أصابه الفتق.

التاسع: اقدمه على<sup>(٣)</sup> ابي ذر بكسر العر ض مع علمه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله أثنى عليه وقال: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

العاشر: أنه عطل الحد الواجب على عبيد الله بن عمر حيث قتل الهرمزان بمجرد تهمة أنه امرأ لؤلؤة بقتل ابيه، وقد كان علي عليه السلام يطلبه بذلك، فهذه هي الاحداث المستفيضة والمطاعن المشهورة، وقد اجيب عن هذه الاحداث

---

القبليين، وشهد بدماء واحد والخندق وبيعة الرضوان، وهو الذي اجهر على ابي جهل وشهد له رسول الله بالجنة، وله اخبار كثيرة مذكورة في كتب الرجال، توفي ابن مسعود بالمدينة سنة ٣٢.

(١) زيد بن ثابت الانصاري الخزرجي؛ كان عمره لما قدم رسول الله صلى الله عليه المدينة احدى عشرة سنة، واستصغره رسول الله يوم بدر فرده، وشهد احدى الخندق، وكان ينقل التراب، فقال رسول الله: نعم الغلام، وكان معه راية بني النبحاريوم تبوك، وكان يكتب لرسول الله، توفي سنة ٤٥.

(٢) عمار بن ياسر المذحجي ابي اليقظان؛ وهو من السابقين الأولين الى الاسلام، وامه سمية: اول من استشهد في سبيل الله، وهو وابوه وامه من السابقين، مر رسول الله بعمار وأبيه وهم يمدّبون بالأبطح في رمضان مكة فيقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة، فضائله كثيرة ومناقبه مشهورة، استشهد في صفين رضوان الله عليه.

(٣) جندب بن جنادة ابو ذر الغفاري؛ اسلم والنبي صلى الله عليه وآله بمكة اول الاسلام، فكان رابع اربعة، وهو اول من حيا رسول الله بتحية الاسلام، وبايع رسول الله على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى ان يقول الحق وان كان مرأاً وقال رسول الله: ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق من ابي ذر، نفاه عثمان الى الربرة ومات بها، وله اخبار كثيرة وفضائل مشهورة.



بأجوبة... (١) مذكورة في الكتب المصنفة في هذا القسم، وإنما ذكرناها ليعلم معنى قوله: احدث أحداثاً، والله اعلم بحقيقة الحال.

\* \* \*

### ٤٣- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام:-

قَبِحَ اللَّهُ مَصْقَلَةً فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ<sup>(٢)</sup>، وَقَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَا دِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَتْهُ، وَلَا صَدَّقَ وَأَصْفَهُ حَتَّى بَكَتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لِأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَأَنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ<sup>(٣)</sup>.

### اللغة

هرب: أي فر.

خاس به يخوس ويخيس: أي غدر به، يقال خاس فلان بالعهد: أي نكث، وقولهم خاس البيع والطعام من خاست الجيفة: أي أروحت؛ أي كأنه كسد حتى فسد.

قبحه الله: أي نحاه من الخير فهو من المقبوحين.

مصقلة هذا كان عاملاً لأمر المؤمنين عليه السلام على أردشير خرة<sup>(٤)</sup>،

(١) كذا بياض في الأصل.

(٢) في ب: فعل السادات.

(٣) في م وحاشية ف: جماله مؤفوره.

(٤) اردشير خره من اجل كور فارس، ومعناه: بهاء اردشير، و اردشير من ملوك فارس، واكثرها تمتد على البحر،

وبنو ناجية : قبيلة نسبوا أنفسهم الى سامة بن لوي بن غالب ، فدفعتم قريش عن هذا النسب وسمّتهم بني ناجية وهو اسم امرأة سامة .

ساد قومهم يسودهم : سيادة وسؤوداً أو سيدودة فهو سيدهم سادة .

تقديره فعلة بالتحريك لأن تقدير سيد فعيل مثل سري وسراة ولا نظير لهما ، يدل على ذلك أنه يجمع على سيائد بالهمزة مثل تبيع وتباع ، وقال أهل البصرة : تقديره سيد فيعمل وجمع على فعلة ، كأنهم جمعوا أسايد مثل قادة وقائد وذائد وذادة ، وقالوا : انما جمعت العرب الجيد والسيد على جيائد وسيائد بالهمزة على غير قياس ، لأن جمع فيعمل فياعل بلاهمز .

التبكييت : كالتقريع والتعنيف ، وبكته بالحجة : أي غلبه ، في وفوره روايتان : احدهما بالواو : وهو مصدر وفر الشيء بنفسه أي تمّ ، ومعناه التام أراد به تمام ما كان عليه ، الثانية : موفورة ، والموفور الشيء التام ، والأولى أصح ، وفي بعض الروايات : لو أقام أخذنا تماماً قدرنا على أخذه منه ، فان اعسر انظرناه ، وان عجز لم نأخذه بشيء .

## الاعراب

ظاهر.

## المعاني

انما قطع فعل ليؤذن بتعليل استحقاقه الدعاء عليه بالبعد عن الخين والباقي

ظاهر.



شديدة الحر كثيرة الثمار، قصبها سيراف، قال الاصطخري: اردشير خرة تلي كورة اصطخر في العظم، ومدينتها جور

## البيان

ليس فيه شيء يحتاج الى بيان.

## البديع

راعى المقابلة: حيث قابل السادة بالعبيد، والانطاق بالاسكات، والتصديق بالتبكيث، أسكته وبكته المتوازي، وبين ميسوره وموفوره: الطرف .

## الفحوى

اعلم أن في كيفية قصة مصقلة روايات: احداها: روي أن أمير المؤمنين عليه السلام وجّه معقل بن قيس الرياحي الى المرتدين بسيف البحر، فقتل المقاتلة وسبي الذرية، وأقبل فنزل أردشير خرة وبها مصقلة بن هبيرة الشيباني، صاح السبي: امن علينا، فاشتراهم مصقلة بثلاثمائة ألف وأعتقهم، وأدى مائتي الف ثم هرب إلى معاوية، فقال عليه السلام ذلك وأنفذ العتق، فقال مصقلة شعراً:

تركت نساء الحي بكر بن وائل \* واعتقت سبياً من لؤي بن غالب  
وفارقت خير الناس بعد محمد \* لسال قليل لا محالة ذاهب

الثانية: روي أن مصقلة بن هبيرة اشترى سبياً من بني ناجية بألف ألف درهم، وهم النصرارى وقد ارتدوا، ولم يف ماله بذلك، وطالبه أمير المؤمنين به، وكان عاملاً من جهة أمير المؤمنين عليه السلام على المدائن، ثم على الانبار، فدخل مصقلة على أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما ضرّك لو كانت هذه التكرمة منك وان مالي لا يفي بذلك، وان عثمان بن عفان كان يهب للاشعث بن قيس<sup>(١)</sup> كل

(١) الأشعث بن قيس الكندي ابو محمد؛ وقد الى النبي صلى الله عليه وآله سنة عشر في وفد كندة فاسلموا، وكان الاشعث ارتد بعد النبي، فسير ابو بكر الجنود الى اليمن فأخذوا الاشعث اسيراً، فاطلقه ابو بكر وزوجه اخته، وشهد

سنة من مال أذربيجان مائة ألف درهم، وأنا أشرف من الأشعث وأجود منه .  
فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا حظ في هذا المال، والمال للمسلمين  
فلا بد من أدائه، فقال مصقلة: أمهلني فأمهله أمير المؤمنين عليه السلام عشرة أيام ففرّ  
الى الشام، فأمر أمير المؤمنين بتخريب داره بالمدينة، فبنى معاوية له داراً بدمشق  
وأكرمه وأنعم عليه، فقال عليه السلام ذلك .

الثالث: روي ان الحرث أحد بني ناجية شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام  
صقّين، ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم، فخرج هو وأصحابه  
الى المدائن مفارقاً لعلي عليه السلام، فوجه اليهم معقل بن قيس في ألني فارس من  
البصرة، ولم يزل يتبعهم بالمسكر حتى ألحقوهم بساحل فارس وكانت جماعة كثيرة  
من قوم الحرث، وكان فيهم من أسلم من النصرانية، فلما رأوا ذلك الاختلاف  
ارتدوا واجتمعوا عليه، فاستولى معقل عليهم بقتل الحرث وجماعة منهم، وسبا من  
كان ادرك منهم، وسبا من الرجال والنساء ممن كان مسلماً اخذ بيعته وخلقى  
سبيله، واحتمل الباقي من النصارى وعبائهم معه وكانوا خمسمائة نفر مروا  
بمصقلة .

فاستغاث اليه الرجال وطلبوا منه أن يعتقهم، فبعث الى معقل بن قيس  
فابتاعهم منه بخمسمائة ألف درهم، ثم وعده أن يحتمل المال في أوقات  
مخصوصة، فلما قدم معقل على أمير المؤمنين عليه السلام واخبره القصة وشكر سعيه  
وانتظر المال من يد مصقلة فأبطأ به، فكتب اليه باستعماله أو بقدومه عليه، فلما  
قرأ كتابه قدم عليه عليه السلام وهو بالكوفة فسكت عنه اياماً ثم طالبه بالمال، فأوفى  
منه مائة ألف درهم وعجز عن الباقي، وخاف فلحق بمعاوية، فبلغ ذلك علياً  
عليه السلام فقال الفضل والتباين بين الروايات أبين من أن يحتاج الى بيان (١) .

الأشعث اليرموك والقادسية وناوند، ثم سكن الكوفة وشهد صقّين مع علي عليه السلام ولكن كان منافقاً، والزم  
علياً على التحكيم، وابنته جمعة سقت الحسن بن علي، وابنه محمد بن الأشعث شرك في قتل الحسين.  
(١) كذا.

اعلم أنه عليه السلام بعد الدعاء عليه بالبعد عن الخير أشار إليه بقوله: فعل إلى العبيد إلا أنه قد أخطأ خطأ تاماً حيث أقدم على شرّي السبي وعتقهم أسوة بالسادة ذوي المروة والحمة، ثم هرب إلى الشام وأتى بخصلة من خصال العبيد وهي الفرار، ثم أنه عليه السلام أكد بيان خطئه بمثلين: أحدهما أشار إليه بقوله: فما انطق مادحه حتى أسكته أي: أنه ما انطق مادحه بالاقدم على شرّي الاسارى واعتاقهم حتى جعل إسكاته مقروناً بإنطاقه بهربه إلى الشام.

والحاصل ان احراز الفضيلة انما يكون باتمام أسبابها، فاذا حصل بعضها صدق على من حصله أنه قد فعل فعلاً استحق به المدح، واذا قصر في الباقي حتى استولت عليه الرذيلة صدق على المقصر انه قد فعل فعلاً ثانياً أسكت مادحه عن مدحه بسبب الفعل الأول، وهذا مثل قولهم: ما اجتمعوا حتى تفرقوا، أي ان اتصال افتراقهم باجتماعهم في أسرع زمان، ويحتمل ان يكون معناه: فما انطق مادحه بالإتيان بالفعل الجميل حتى أتى بفعل قبيح أسكته عن مدحه، يعني: أنه جمع بين فضيلة ورذيلة في أسرع اوقات.

الثاني أشار إليه بقوله: ولا صدق واصفه حتى بكتته.

أي ما صدق قول واصفه المبني عن الخصال الحميدة حتى جاء برذيلة منعتة عن وصفه بالخير، وهو قريب مما قلنا، قوله: لو أقام إلى وفوره إشارة إلى تعيين طريق آخره غير طريق الفرار، وهو أنه لو أقام عندنا لأخذنا ما قدر عليه ونيسر له وانتظرنا بماله بلوغه إلى التمام، اقتفاء لمقتضى قوله تعالى: وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، وهذه الرواية أشهر ما أوردناه مبنياً على الروايات، وبالله الحول والقوة.

### ٤٤- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْشُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوعٍ مِنْ نِعْمَتِهِ،  
وَلَا مَا يُوسِي مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ  
مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالذُّنْيَا دَارٌ مُنِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَلَا أَهْلِيهَا  
مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَضْرَاءُ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ عَجَلْتُ لِلطَّالِبِ، وَالتَّبَسَّتْ  
بِقَلْبِ النَّاطِرِ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلَا  
تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

#### اللغة

القنوط: اليأس من الخير، وقد يقنط قنوطاً مثل يجلس جلوساً، وكذلك  
قنط يقنط مثل قعد يقعد فهو قانط، وفيه لغة ثالثة: قنط يقنط قنطاً مثل تعب يتعب  
تعباً وقنطة فهو قنط، قال الأخفش: وأما قنط يقنط بالفتح فيها، وقنط بالكسر  
فيها فانما هو على الجمع بين اللغتين.

اليأس: انتفاء الطمع، وقد يش من الشيء ييأس يأساً، وفيه لغة أخرى:  
يشش ييشس بالكسر فيها وهو شاذ.

الغفر: أصل اللغة هو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس، ومنه قيل:  
اغفر ثوبك في الوعاء واصبغ...<sup>(١)</sup> فانه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله  
تعالى: هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب ذلك بالمقال  
والفعال.

نكفت من ذلك الأمر نكفاً واستنكفت منه: أنفت، وأصله من نكفت  
الشيء: نحتيته، ومن النكف وهو تنحية الدمع عن الخد بالإصبع، لا تبرح فيه

(١) في ض: حلوة خضراء وفي ش: حلوة خضراء قد عجلت.

(١) كذا بياض في الأصل.

روایتان: الفتح والضم، والفتح أولى.

يقال برح بالمكان يبرح براحاً: أي زال عنه وصار إلى البراح وهو المتسع من الأرض لا زرع فيها ولا شجر، ومن قال أن الضم أولى لأنه من برح يبرح أي جاء بالعجب فقد جاء بالعجب، لأنه بعد صحبته لا يناسب المقام، ويريد أن البراح كثيراً ما يستعمل في الزوال.

قولهم لا أبرح أفعال كذا: أي لا زال أفعله، وذلك لأن نفي الزوال اثبات. الفقد: عدم الشيء بعد وجوده أخص من العدم لأنه يقال فيما وجد ثم عدم، وفي ما لم يوجد أصلاً. مني: أي قدر.

الجللاء بالمد: الخروج عن الوطن. التبست: أي اختلطت ومزجت. الكفاف: القوت؛ وهو ما كفت عن اليأس: أي اغنى، وفي الخبر: اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً.

البلاغ: الكفاف والكفاية، ومنه قول الراجز:  
ترج من دنياك بالبلاغ.

### الأعراب

غير: حال من الله ويكون بمعنى لا، كما في قوله تعالى: «فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد»، والعامل فيه المصدر وهو الحمد، والمنفيات الثلاثة بعده أيضاً في محل نصب على الحال، والباقي ظاهر.

### المعاني

لما كان الحال في التحقيق ما بعد غير كانت جارية على أصلها ونهجها معاً، وإنما أتى بالأحوال الأربعة ليؤذن بتعليل استحقاقه الحمد، ثم تكريره باعتبار وصفين آخرين في قالب الموصول والصلة دليل باهر على أن استحقاقه مسبب بعدم

زوال رحمته، وعدم فقدان نعمته، وانه في غاية العظمة، وانما نكر راحة ونعمة ليؤذن بعموم افرادهما أي: انه هو الذي لا يزول منه فرد من افراد الرحمة، ولا يفقد له فرد من أفراد النعمة، وشخص من أشخاصها، يعني: هو الآتي بجميع أشخاصها، وذلك لأن النكرة في سياق النفي تدلّ على العموم، وانما نكر دار ليؤذن بتحقيرها من أول الأمر.

ثم أتى بوصفه لينزجر السامع منها إذا رجع عقله وعلم أن الفاني لا يركن اليه العاقل، في قوله: وهي حلوة خضرة خواص: احداها: ذكر المسند إليه مضمراً ليؤذن بالاهتمام بشأنها، لتقرر صورتها في ذهن السامع، وبالاختصار المطلوب للبلغاء، الثانية: ايراد المسند نكرة ليؤذن بتحقيرها: أي ليست حلاوتها لغاية حقارتها مما تبقى زماناً كثيراً، وهذا قد أشار إليه على سبيل المطابقة بقوله: وقد عجلت للطالب، ولا خضربها: أي طراوتها مما لا يلتفت اليها العاقل لحقارتها.

الثالث: إيراد المعنى المراد في الجملة الاسمية ليدلّ على الاستقرار والثبوت، الفاء في فارتحلوا تقديره: إذا كان حال الدنيا كذلك فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد والأحمال، حيث ذكر ما موصولة وجعل الجار مع مجروره صلة له ليدلّ على أن شيئاً ما في حضرتكم يكون أحسن كل شيء يصلح أن يكون في صحبة المرتحلين و...<sup>(١)</sup> التفصيل حيث بين بقوله من الزاد واشتماله على الإيجاز واضح، والباقي واضح.

### (البيان)

في وهي حلوة خضرة: يحتمل أن يكون من باب اطلاق الجزء على الكل، وأن يكون استعارة مستدعية لتشبيه الدنيا بالمشتمل على الحلاوة والخضرة، ووجه الشبه: أن الدنيا تميل إليها كل نفس ميلها إلى الشيء الحلو، ويعلق بها كلّ نظر

(١) كذا بياض في الأصل.



تعلقه بالأشياء الخضرة الطرية وهو عقلي، وهي جيدة.

في فارتحلوا: استعارة تصريحية تخيلية مستدعية بالحقيقة لتشبهات ثلاثة:

أ- تشبيه الدنيا بالمنزل الذي يرتحل منه المسافر، ووجه الشبه: اشتراكهما في ضرورة المفارقة عنها.

ب- تشبيه الآخرة بل معرفة الله تعالى، وهي معقولة، بالمقصد للمسافر وهو حسي، ووجه الشبه: أنها مقصد الخلائق بمقتضى أمر الله تعالى، كما أن المقصد مطلب المسافر ومقطع سفره، وهو عقلي.

ج- تشبيه هيئة قطع منازل المعرفة بعدم العقل المحوج للمفارقة عن المنازل التي ينزل فيها في أيام القطع، وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في السر وعدم التطول في المنزل وهو عقلي، وقد رشح تلك الاستعارة بذكر الزاد واستعارته عن التقوى، وقد عرفت وجهها فيما قبل، وكفى بما بحضرتكم عن الأعمال الصالحة التي يقدر الانسان عليها، إذ الحضور من لوازم القدرة.

### البديع

راعى بين القرائن الاربع الأول: المتوازي، وبين رحمة ونعمة: المتوازي والترصيع، كما بين الفناء والجللاء، وبين الطالب والناظر: المتوازن، كما بين الكفاف والبلاغ، وفي قوله حلوة خضرة الجمع.

### الفحوى

اعلم أنه عليه السلام نبه على استحقاقه الحمد المطلق والثناء باعتبار أحوال أربعة ووصفين:

الأولى أشار إليها بقوله: غير مقنوط من رحمته، وهي حالة مأخوذة من قوله

تعالى: «ورحمتي وسعت كل شيء»<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: «ولا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون»، وإذا حَقَّق العبد أن الله مما لا يجوز أن يحصل القنوط من رحمة، بناءً على أنها شاملة لجميع أفراد الخلق بحيث لا يمكن الخلو منها، لأن الجميع مسند إلى قدرته وهي حافظة للكل، وانه رحمة أجل الحفظ ظفر إلى<sup>(٢)</sup> الساء عليه ومقابلة رحمة العامة الشاملة له التي لا تزول عنه بحال ما يكون في وسعه من الحمد على جميل ذاته، ومن عمى إِبصار بصيرته عن هذا المقام حصل له اليأس من رحمة، فأولئك هم الخاسرون الآيسون من روحه.

الثانية أشار إليها بقوله: ولا مخلو من نعمته، وهي مأخوذة من قوله تعالى: «وما بكم من نعمة فن الله»<sup>(٣)</sup>، وهذه أيضاً مما تحث الحامد على حمده، وذلك لأن العبد إذا رجع عقله وتصوراته مسخر تحت قدرته قائم بها يحتاج إليها لكونه ممكناً محتاج إلى سبب وفيض يفيض عليه لحظة فلحظة، استلزم ذلك وجوب تصريحه بلسان حاله أو مقاله بالثناء المطلق.

والحمد اللائق به، والعلم بأن كل ممكن لا يكون خالياً من فيضه ونعمه، وكذا ينبى لسان حاله عن الثناء عليه، وإليه اشار تعالى بقوله: «وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»<sup>(٤)</sup>.

الثالث أشار إليها بقوله: ولا مأبوس من مغفرته، وهي مأخوذة من قوله تعالى: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً»<sup>(٥)</sup>، ومن قوله تعالى: «وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»<sup>(٦)</sup>، دالة على أن مغفرته شاملة لكل من كان له مثل إلى جناب الله الرفيع.

(٤) الاسراء: ٤٤.

(١) الاعراف: ١٥٦.

(٥) الزمر: ٥٣.

(٢) كذا في الأصل.

(٦) الرعد: ٦.

(٣) النحل: ٥٣.

لكن قد استهوته الشياطين وأوقعته في مهاوي الهوى، بحيث لا تبق له قوة المقاومة مع هواه بأن يخلصه في العافية عن البقاء في تلك الهاوية، وإليه أشار الرسول صلى الله عليه وآله: من قال لا إله إلا الله فقد دخل الجنة، فاذا لاحظ العبد هذه الحالة جذبته إلى الاعتراف بعموم احسانه المستلزم لأن... (١) لسان حاله أو مقاله بالثناء المطلق عليه.

الرابعة أشار إليها بقوله: ولا مستنكف عن عبادته، وهي مأخوذة من قوله تعالى: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون» (٢)، وكونه تعالى بهذه الصفة يستلزم الاعتراف بأنه المستحق للتعظيم والثناء عليه، وانه الكامل المطلق الذي خلا بالكلية عن جهة النقصان، وأما الوصفان الآخران: فأشار إلى الأول منها بقوله: الذي لا تبرح له رحمة؛ أي أنه الذي لا تزول منه رحمة، بل رحمة دائمة باقية بقاء الملوين بل بقاء الذات.

وإلى ثانيهما بقوله: ولا تفقد له نعمة؛ يعني الذي لا يعدم النعمة التي أفاضها على أحد من خلقه ما دام استعداده باقياً، وهو وصف له تعالى بأنه لا ييخل في افاضة نعمته إذا كان القابل مستعداً لقبولها، وبينه وبين قوله: ولا يخلو من نعمته فرق، إذ ذاك دال على شمول نعمته، وهذا على عدم زوال نعمته بعد وجودها عند وجود استعداد القابل.

ثم أردف ذلك بالتشبيه على معايب الدنيا ومثالبها لئلا يركن إليها الطالب ويتخلف بركونه عن قطع العقبات الكؤودة في طريق الآخرة، فيبقى في حكمة الذل اسيراً وعن لذة العزة غراً غريراً، وقال: الدنيا إلى الجلاء: أي الدنيا دار قد وجب لها الفناء في العاقبة، على ما ينبى عنه قوله تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه» (٣)، وقد رآه أهلها المنهمكين على لذاتها وغيرهم الخروج

(١) كذا بياض. (٢) القصص: ٨٨. (٣) النساء: ١٧٢.

عنها، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت»<sup>(١)</sup>، وكل شيء مآله في الفناء لا يحسن من العاقل لو كان باقياً أن يوطن نفسه على حبه، خصوصاً إذا كان هو أيضاً في مدرج الفناء بحيث لا يمضي عليه إلا ويتوقع الخروج منها، ثم أشار أن لذاتها مع كونها على صدر الفناء ليست مما كان للعقول بها التذاذ، بل لا تجد بها لذة إلا الحسن الظاهر، وذكر من متعلقات الحواس جهتين:

أحدهما: منسوبة إلى القوة الذائقة وهي حلاوتها، والأخرى: إلى القوة الباصرة وهي خضرتها، لأنهما هما العظميان، وكل ما ليس للعقل به التذاذ فكيف يصح للعاقل أن يتبع عقله حواسه، ويعرض وجه عقله بالكلية عن القبلة الحقيقية التي هي ملاذ العقول، ثم نبه بقوله: قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر على أن لذاتها مع كونها حسية ليست باقية أو بطيئة بل ربما لا تبقى ساعة، وأن من طلبها فقد أوتي إياها حتى تعلقت بقلبه محبته، ثم عجلت له ولزمه مفارقتها عنها غير منتفع بها.

وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً»<sup>(٢)</sup>، وإنما خصّ الناظر بالذكر لأن الخضرة التي توجه القلوب إليها هي حظ النظر، ثم لما نبه على معايها أمر بالارتحال عنها وقال: فارتحلوا منها إلى الزاد، يعني: إذا كان حال الدنيا هكذا فلا يجوز للعاقل أن يترك التوجه إلى المقصد الذي يطابق العقل والشرع على سلوك الطريق المسلوك إليه، ويوطن قلبه على المقام.

بل لا بد له من أن يجعل العقل والشرع دليلين ويقتدي بهما في قطع العقبات الشاقة التي في الطريق المسلوك إلى المقصود الذي هو الوصول إلى

(١) الأنبياء: ٣٥.

(٢) الاسراء: ١٨.

حضرة الله ومطالعة أنوار كبريائه، ويرتحل أولاً من علائق الدنيا التي هي أول منزل من منازلها ولكن مطلقاً، بل لا بد معه من مصاحبة أحسن ما يحتاج إليه في قطع الطريق وهو الأعمال الصالحة، بل التقوى، على ما دل عليه قوله تعالى: «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى<sup>(١)</sup>»، كما هودأب المرتحل عن أول منازل سفره، فانه يرتحل مصاحباً للزاد المحتاج إليه.

ثم نبه بقوله: ولا تسألوا إلى الآخر على أن البدن الذي هو مركب نفسه لا بد له أيضاً من زاد يتقوى به على قطع المراحل، ولكن لا يجوز أن يأخذ أكثر مما يحتاج إليه، فانه يشقل الظهر ويمنعه عن قطع المنازل، كما ان الراكب لو حمل أكثر مما يطيق أن يحمله لثقل ظهره وعجز عن السير، وبقي في الطريق محبوساً عن الوصول إلى المقصد منكوساً، ومن هذا النهي يعلم أن ما يحتاج إليه المرء في المطعم والملبس والمسكن الضرورية ليس من الدنيا التي تطابقت الأخبار والآثار على ذمها فاعلم، والله أعلم بحقيقة الحال.

\* \* \*

## ٤٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند عزمه على المسير إلى الشام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُتَقَلِّبِ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ<sup>(٢)</sup> وَالْمَالِ (وَالْوَلَدِ)<sup>(٣)</sup>. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا، وَالْمُسْتَضْحَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا.

(٣) ساقطة عن ن وف وب وش.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) في ب: وسوء المنظر في النفس.

### اللغة

وعشاء السفر: مشقته، وهو من الوعث وهو المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الاقدام، ويشقّ على من يمشي فيه، أوعث القوم: أي وقعوا في الوعث. الكآبة: سوء الحال والانكسار من الحزن، وقد كئب الرجل يكأب كآبة وكآبة مثل رافة ورافة فهو كئب، وامرأة كئيبة أيضاً، والمنقلب: المرجع. الخليفة: السلطان الأعظم في الأصل، والجمع الخلائف على الأصل، مثل كريمة وكرائم، وخلفاء: نظراء، إلا أنّ الهاء فيه غير معتبر، لأنه لا يقع الآ على مذكر فيكون كظريف، ويقال خلف فلان فلاناً إذا كان خليفة، واستخلفه أي جعله، فالمستخلف هو الذي جعل خليفة، كما أن المستصحب هو الذي جعل صاحباً.

### الاعراب

الضمير في لا تجمعها: للصحبة والخلافة الدال عليهما الصاحب والخليفة، والباقي ظاهر.

### المعاني

تشم من أنت الصاحب في السفر رائحة القصر للإفراد، وكذا من أنت الخليفة في الأهل اللام في الصاحب والخليفة للحقيقة، أي: أنت الصاحب الحقيقة... (١) الذي لا يصحّ اطلاق الصاحب بالحقيقة الآ عليك، وأنت الخليفة الذي يجب أن يعول عليه، لأنه المتحقق في الخلافة، وتكرير أنت يؤذن بالاهتمام بشأنه.

(١) كذا بياض في الأصل.

## البيان

ظاهر ليس فيه شيء زائد.

## البديع

ظاهر.

## الفحوى

روي: أنه عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب، اعلم أن مقصوده عليه السلام من هذا الدعاء التجاء إلى الله في خلاص نفسه من الشدائد العارضة في أثناء السفر العائقة عن قطع المراحل والمنازل وعمما تسوء الحال...<sup>(١)</sup> المرجع من إصابة الحزن على الأمر الفاتت والمعلولية وسلامتها في الأحوال المقوية لها على الوصول إلى المقصود، وبدأ بالنفس لأنها أم الباب ثم ما يتعلّق به من الأهل والمال والولد.

ثم اعترف بأنّ عنايته هي الأصل دون عناية غيره تعالى، وإن رعايته وحفظه هي الأصل دون رعاية غيره، وقال: اللهم أنت الصاحب أي أنت الذي تنظر بنظر العناية إلى السالكين في طريقك، وأنت الذي تراعي أمورهم وتحفظها عن أن يتطرق إليها فساد، ثم نبّه بقوله: ولا يجمعها غيرك على أنه تعالى بريء من الجهات والمكان، عالم بالمشهد والمغيب، إذ من المحال أن يكون ذو الجهة من الأجسام في حال واحدة مستخلفاً مستصحباً، على ما أشار إليه بقوله: لأنّ المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً، والله أعلم.

\* \* \*

(١) كذا بياض في الأصل.

## ٤٦- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

### في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَيْدِيمِ الْعُكَاظِيَّ، تُغَرِّكِينَ  
بِالنَّوْازِلِ، وَتُرَكِّبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَأَنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءَ إِلَّا  
أَبْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

### اللفظة

العكاظي: منسوب إلى عكاظ؛ وهو اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا  
يجتمعون بها في كل سنة فيقيمون شهراً، وبيتاعون ويتناشدون شعراً ويتفاخرون،  
قال أبو ذؤيب:

إذا بنى القباب على عكاظ \* وقام البيع واجتمع الالوف

أي بعكاظ، فلما جاء الاسلام هدم ذلك.

عركت الشيء: أعركه عركاً دلكته.

النوازل: جمع نازلة وهي الشدة الحادثة من المصيبة.

الزلازل: الشدائد.

الجبّار: في صفة الانسان يقال لمن يجبر بقصه<sup>(١)</sup> بادعاء منزلة من

المعالي لا يستحقها، وهذا لا يقال الآ على سبيل الذم، وكثر استعماله في

الحاكم الظاهر الظلم، وقد قال الجوهري: الجبّار الذي يقتل على الغضب.

أما في وصفه تعالى نحو الجبار المتكبر فقد اختلفوا في سبب وصفه به،

قيل: سمي بذلك لأنه هو الذي يجبر الناس بفائض نعمه، من قولهم: جبرت

الفقير، وقيل: لأنه يجبر الناس على حسب ما يريد، وقد رده لفظاً ومعنى، أما

لفظاً: فلأن وزن فعال لا ينبي من اجبرت، ومن قال انه من الجبر الذي بمعنى



القهر المجرد كما في قوله عليه السلام: لا جبر ولا تفويض، لا من لفظ الإيجاب فقد أخطأ، يعني لأنه يستلزم الجبر المنفي، اما معنى فلانه يستلزم رفع التكاليف السمعية كلها وابطال أحكام الكتب السماوية.

قال بعض المحققين: ان الله تعالى أجبر الناس على أشياء لا انفكك لهم منها حسب ما تقتضيه الحكمة البالغة الالهية، لا على ما يتوهمه الغواة الجهلة، وذلك كما كراهمهم على المرض والموت والبعث، وسخر كلاً منهم لصناعة يتعاطاها، وطريقة من الأخلاق والأعمال يتحراها، وجعله مجبراً في صورة مختير، فإما راض بصنعتة لا يبغني عنها حولا، واما كاره لها يكابدها مع كراهية لها كأنه لا يجد عنها بدلاً.

ومن ثم قال تعالى: «كل حزب بما لديهم فرحون»، وقال تعالى أيضاً: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا<sup>(١)</sup>»، وعلى هذا الحد وصف بالقاهر والقهار، وهو لا يقهر الآ على ما تقتضي الحكمة أن يقهر عليه، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: يا باري المسموكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، وهو تحقيق حسن جداً يدفع ما ذهب إليه المجبرة الغواة.

قال ابن قتيبة: هو من جبرت العظم، فانه أجبر القلوب على فطرتها من المعرفة وهو ذكر لبعض ما حققناه ...<sup>(٢)</sup>.

السوء: اسم لكل ما يوقع الانسان في الغم من الأمور الدنيوية أو الأخروية، والأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال وفقد حميم.

(١) الزخرف: ٢٢.

(٢) كذا بياض في الاصل.

## الاعراب

بك هو خبر كأنّ، واسمه الراجع إلى نفس المتكلم، وتركيبين وتعريكين في موضع النصب على الحال، تقدير الخطاب: كأنّي حاضر بك حال كونك مما تعرك بالنوازل وتركب بالزلازل، والباقي ظاهر.

## المعاني

إنما لم يجيئ بالواو في صدر تمدين وما بعده من الجمل التي في محل النصب على الحال، لكونها واردة على أصلها ونهجها معاً، وذلك نحو جاء زيد يسرع أو يتكلم، في اني لا أعلم إلى آخره خواص:

إحداها: تصدير الجملة بأن واللام ليؤذن بأن الكلام قد أجراه عليه السلام في مقام الإنكار، كأنّه نزل الكوفة منزلة من يفهم الكلام وهو منكر لمضمون ما ألقى إليه ليقرر مضمونه في قلوب المنكرين.

الثانية: جعل الخبر لأعلم ليؤذن بحصول علمه له في الحال على سبيل الاستمرار، إذ اللام مخلصه للحال، كما في قوله تعالى: إني ليحزنني، وتقديم المسند إليه دليل الاستمرار، نحو قوله تعالى: الله يستهزئ.

الثالثة: جعل المعلوم مصدرأ بأن مع ضمير الشأن ليؤذن بالتحقيق وبالإجمال والتفصيل لما عرفت في المقصد الاول من القاعدة الثانية.

الرابعة: إيراد فاعل أراد ومفعوله منكرأ ليدل على العموم.

الخامسة: إيراد الكلام على وجه يفيد القصر (١) أكثر من المذكور منها،

والله أعلم.

\* \* \*

## ٤٧- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند المسير إلى الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرِ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافِي الْإِفْضَالِ.  
أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدَّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ<sup>(١)</sup> رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّظْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوَطِّنِينَ أَكْتَنَافَ دَجَلَةَ، فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال الشريف: أقول: يعني عليه السلام بالملطاط السميت الذي أمرهم بنزوله وهو شاطئ الفرات، ويقال ذلك لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض، ويعني بالنظفة ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وأعجبها<sup>(٢)</sup>.

وثانياً: كررا الحمد مقيت<sup>(٣)</sup> بظهور النجم وخفوقه تنبيهاً على أن فيها مع ضروب الآلاء وصنوف النعماء وبها يستحق أن يحمد، وقد أشبعنا الكلام فيه في أول الخطبة.

وثالثاً: ذكر الحمد لله في حال كون إنعامه على الخلائق غير مفقود بل هو دائم الفيض، وكون إفضاله مما لا يمكن أن يقاس بل بجراء، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها»<sup>(٤)</sup>، وأشار إليه وقال: الحمد لله إلى الافضال، وقد سبقت الإشارة إلى هذا المقام.

فأما قوله أما بعد إلى آخره فعنناه: أما بعد حمد الله تعالى قد بعثت أي

(١) في ب: وقد اردت أن اقطع.

(٢) سقطت الخطبة وشرح اللغات والاعراب في الاصل .

(٣) كذا.

(٤) النحل: ١٨.

ارسلت مقدمتي للجيش، وهو زياد بن النصر وشريح بن هانئ في اثني عشر ألف فارس، وأمرتهم ان يلزموا شاطىء الفرات ولا ينحرفوا عن سمته حتى يأتيهم أمري فيما هو المصلحة لهم، فامتثلوا أمره واخذوا شاطئها من قبل البرمما يلي الكوفة حتى بلغوا غايات.

قد رأيت: أي قد اقتضى رأيي أن أقطع هذه النطفة.

أي أعبّر هذا الفرات إلى جماعة قليلة منكم قد اتخذوا أوطانهم جوانب دجلة، وأشار إلى أهل المدائن، فاقمهم معكم ليتوجهوا ناصرين لكم إلى عدوكم، وأجعلهم من امداد القوة لكم، أي: أقويكم بهم وبمدهم، وروي أنه لما بلغهم أنه عليه السلام سار على طريق الجزيرة وأن<sup>(١)</sup> معاوية خرج في عمومه لاستقباله، كرهوا أن يلقوهم وبينهم وبين عليّ الفرات مع قلة عددهم، فرجعوا حتى عبروا الفرات من هيت<sup>(٢)</sup> ولحقوا به، فصوب آراءهم في الرجوع إليه، والله أعلم.

\* \* \*

(١) كذا في الاصل .

(٢) هيت بالكسر: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

### ٤٨ - وَمِنْ حُظْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ <sup>(١)</sup> خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَذَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ  
الظُّهُورِ، وَأَمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ؛ فَلَا <sup>(٢)</sup> عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ،  
وَلَا قَلْبَ مَنْ أَنْبَتَهُ يُبْصِرُهُ: سَبَقَ فِي الْعُلُوفِ شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ.  
وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوفِ شَيْءٌ أَقْرَبَ مِنْهُ. فَلَا أَسْتَعْلَاؤُهُ بِأَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ  
مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ.  
لَمْ يُظْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَخْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَخْجُبْهَا عَنْ  
وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِفْرَاقِ قَلْبِ  
ذِي الْجُحُودِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْبَهُونَ بِهِ، وَالْجَاحِدُونَ لَهُ -  
عُلُوقًا كَبِيرًا.

#### اللغة

بطنت الوادي: أي دخلته، وبطنت الأمر: أي عرفت باطنه، ومنه الباطن  
في أسماء الله عزّ وعلا. الأمر: الشأن، وجمعه امور.  
دنوت منه دنوًا: أي قربت، فالدنوّ القرب بالذات أو بالحكم، وقد  
يستعمل في المكان والزمان والمنزلة.  
الجحود: الانتكار مع العلم، يقال جحده حقه وبجحه جحدًا وجحودًا.

#### الاعراب

به: متعلق بساواهم، والضمير في به لله تعالى تقديره: ولا قربه تعالى  
ساواهم بالله في المكان.

(١) في ك : فطن خفيات الامور.

(٢) في ك : ولا عين من لم يره.

### المعاني

إيراد الموصول مع صلته يؤذن بتعظيم من وجه الحمد اليه، وأتى بالموصول مشيراً اليه، وفي لا قربه ساواهم القلب، والتقدير: ولا قربه تعالى ساوى الله تعالى بالخلق في المكان الذي لهم، انما قطع سبق لعدم الربط بينه وبين ما قبله، لهذا وانما جاء بالفاء ليتم الربط بين الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والفعلية الدالة على التجدد، والله اعلم، وهذه الكلمات كأنها أعلام في الإيجاز والاختصار.

### البيان

ليس فيه شيء إلا أعلام الظهور: فانه استعارة تصريحية مستدعية لتشبيه آثاره الظاهرة الدالة على كمال قدرته بالأعلام المنصوبة في الطريق والحيس<sup>(١)</sup>، وهما محسوسان، ووجه الشبه: اشتراكهما في الهداية.

### البديع

راعى بين خفيات الامور وأعلام الظهور: من المحسنات المعنوية المقابلة؛ حيث قابل الظهور بالخفاء، ومن اللفظية المتوازي والترصيع، كما بين يبصره وتنكره، وبين سبق الى اقرب منه: المقابلة التامة؛ حيث قابل العلوب بالدنوّ، والأعلى بالاقرب، وكذا فيما بعده، وبين الوجود والجحود: المتوازي والترصيع، وفي سبق الى أعلى منه: ردّ العجز على الصدر، كما بين قرب الى أقرب منه، والله اعلم.

### الفحوى

اعلم أنه عليه السلام حمد الله تعالى في هذه الخطبة باعتبار اوصاف اجتمعت له تعالى مما لا يمكن اجتماعه لأحد من المخلوقات، قوله: الذي بطن

(١) كذا في الاصل.

خفيات الامور يحتمل معنيين: أحدهما: أنه دخل في بواطن الامور الخفية بحيث لا يمكن<sup>(١)</sup>، صار أخفى منها عند العقول، والدليل عليه ان طريق الادراك اما الحواس أو العقل، أما الحواس فلانه تعالى منزّه عن الجسمية والجهة، ولا شيء مما ليس بجسم ولا ذي جهة مما تدركه الحواس الظاهرة، ينتج أنه تعالى لا تدركه احدى الحواس.

اما العقل فلان ذاته تعالى منزها عن الحواس...<sup>(١)</sup> التراكيب، ولا شيء مما كان منزهاً عنها بمدرك للعقل، كما هو ينتج أنه تعالى لا يدركه العقل كما هو، واذا كان مما لا سبيل للعقل ولا لحس من الحواس إلى إدراكه مدخل، كان خفياً عندهما وأخفى الأمور الباطنة، لإمكان اطلاع العقل عليه ان لم يمكن اطلاع الحس عليها.

الثاني: أنه نفذ علمه في بواطن خفيات الامور بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، وقد سبق بيان أنه عالم ببواطن الامور وظواهرها. قوله: آثار صنعه الظاهرة في العالم بذاتها المحدثّة المحوجة اناباً<sup>(١)</sup>، الى الاستدلال بها على الانتهاء الى سبب واجب وجوده، غيره مفتقر الى آخر، والى هذا أشار القرآن الكريم بقوله: سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم.

اعلم أن للناس في اثبات واجب الوجود طريقين: أحدهما: الاستدلال بالآثار على المؤثر؛ وهذا طريق الملتين وسائر فرق المتكلمين، فانهم يشبتون أولاً حدوث الأجسام والأعراض ثم يستدلون بعوارضها واحدة فواحدة على صفاته تعالى، مثلاً يستدلون بابقائها وأحكامها على كون فاعلها عالماً حكيماً ويتخصص تعالى، فانه العالني بالمكانة وهي المنزلة لذاته، لأنه مبدأ كلّ موجود ومرجع كل شيء، واليه أشارت تعالى بقوله: كل شيء هالك الا وجهه، أي أولاً وأبداً كل شيء معدوم، لأن ما هو بصدد أن يعدم فليس له وجود حقيقي الا وجهه.

وبقوله: أله مع الله أي: ليس معه أزلاً وأبداً ما يطلق اسم الشيء عليه، فضلاً عن الألوهية، وهذه المكانة لا تليق إلا به تعالى لذاته، إذ لو كان اضافياً لكان لا يتصور إلا بالا...<sup>(١)</sup> وأنه عال حيث لا موجود الا هو، ولا نسبياً، أي يكون عالياً عن الشيء كما يقال: علا فلان عن الأفعال الخسيسة لثبوت علوه حين ما هو، وإذا كان كذلك كان سابقاً في العلو الذاتي على كل عال بحيث لا شيء أعلى منه، ولما كانت وجودات الكائنات ظلال وجوده تعالى، كان في القرب منها أقرب كل شيء، إذ لا يكون اقرب من وجوده، والكشف عن هذا المقام ربما يفضي الى طعن الطاعنين الذين ليس لهم فهم هذا المقام.  
قوله: فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه.

إشارة إلى ردّ حكم الوهم بأن استعلى على الأشياء كان بعداً عنها بقدر علوه بناء على أن حكمه لا يتعدى عن العلو المكاني والتخييلي، وتأكيده لسبقه في العلو العقلي، يعني: أن استعلاءه تعالى عليها بالعلوية أو بالذات لا يوجب بعده تعالى عن الخلق، بل يوجب القرب منها، قوله: ولا قربه ساواهم في المكان به؛ إشارة إلى ردّ الحكم الوهم بأن القريب من الشيء مساو له في المكان.

يعني: أن قربه تعالى لما كان بمعنى احاطته علماً لا يوجب المساواة بينه وبين الخلق في مكانهم، بل يوجب تنزهه عن المكان الذي اختصّ بهم، لأن من ساوى مكاناً في مكانه لا يمكن أن يساوي مكاناً آخر لاستحالة اجتماع الشيء في مكانين في آن واحدة. قوله: لم يطلع العقول على تحديد صفته يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه تعالى لم يطلع العقول المجردة على حصر صفاته وتحديداتها، أي على الوصول إلى نهايتها، وعلى تعريفها بالحد المركب من الأمر المشترك والمميز المعروف للماهية، إذ لا نهاية لما تعتبره عقولنا من النسب والاضافات إليه تعالى ولا احراها<sup>(٢)</sup>، حتى يكون حداً ونهاية لها.



الثاني: أنه تعالى لم يطلعها على شرح حقيقة ذاته لينزّهه عن الحد والحا<sup>(١)</sup>، التراكيب اللازمة له قوله: ولم يحجبها عن واجب معرفته؛ إشارة الى أنه تعالى مع كونه ممن لا اطلاع للعقول عليه، لم يحجب العقول عن معرفته الواجبة على كلّ مكلف وهي معرفته ببعض الاعتبارات، فانه قد نصب الآيات والإمارات لها، بها يستدلّ على وجود الصانع الحكيم، وقد أشار الى هذا المقام في القرآن في مواضع، فمنها قوله تعالى: إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف—الى—آيات لقوم يعقلون<sup>(٢)</sup>.

وقد أفاض على كل نفس قسطاس معرفته بحسب استعداد المقتضي له، قوله: فهو الى الجحود تأكيد لماسبق، أي أنه تعالى هو الذي يشهد لوجوده أعلام الوجود من الآيات الظاهرة التي نصبها الله تعالى أعلاماً لوجوده، يراها كل عاقل تبصر بصيرته على إقرار قلب ذي الانكار ببناء على اتباع أهوائه، فان قلب كل جاحد معترف بوجوب وجوده.

واليه أشار النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: كل مولود ولد على الفطرة فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه، وأشار تعالى بقوله: فطرة الله التي فطر الناس عليها<sup>(٣)</sup>، ولما كان الجحود على نوعين: أحدهما: على سبيل الالتزام؛ وذلك جحود المشبهين الذين يشبهون تعالى على وجه التشبيه وينفون على غير هذا الوجه، فأقارهم به على وجه التشبيه مستلزم لنفسه تعالى لا على هذا الوجه.

الثاني: على سبيل المطابقة والاختيار، وذلك جحود الصانع مطلقاً، فانهم ينكرون وجوده مطلقاً وان كانت قلوبهم معترفة به على سبيل الاضطراب، ولما كان الله تعالى منزهاً عن نوعي الجحود وقولي الفريقين نزّهه تعالى عنها، وقال: تعالى الله عما يقول الى آخره، شهادة العقول على وجود الصانع بين لا يدفع ومكشوف لا

(١) كذا. (٣) الروم: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٦٤.

يتتبع.

روي: أن زنديقاً دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع، فأعرض عليه السلام عنه ثم التفت إليه، فقال الزنديق: اني كنت مسافراً في البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الأمواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها، ولم تزل الأمواج تقلبها حتى قذفت منها الى الساحل وسلمت عليها، فقال له عليه السلام: أرايت الذي كان قبلك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم أمواج البحر فدعا إليه مخلصاً في التضرع له طالباً للنجاة منه، فهو إلهك، فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده، والله أعلم.

### اللطائف الرشيدية

سألت تلك الحضرة الرفيعة لا زالت فياضة عن تحقيق قوله عليه السلام: سبق في العلو إلى آخره عن واجب معرفته وعن أنّ التناقض يسبق منها إلى الافهام من حيث إن العلو في الغاية مما يناقض ظاهر الدنو في النهاية، فبأي يحمل يمكن المختص عنه<sup>(١)</sup>، ونفع الخلاص منه فأفاد أدام الله ظلال جلاله مرتجلاً: أنّ المراد من الكلمة الأولى بيان: أنا إذا اعتبرنا سلسلة الموجودات المرتبة وأخذنا النظر مترقياً منها درجة فدرجة، وجدنا واجب الوجود لذاته قد سبق في علو الرتبة إلى حيث انقطع به نظر الاعتبار وانتهى منه الإمكان المحوج لنظرنا إلى الترقى.

فلا يبقى شيء أعلى منه قدماً ولا أدنى منه مصعداً، وعن الكلمة الثانية بيان: أنا إذا أردنا أن نستدل على وجوده ما كان شيء أقرب إلينا من ذاته ووجوده، لانا إذا نظرنا إلى أنفسنا المحلاة بفنون غرائب الآيات وصنوف عجائب الدلالات، وجدناها محفوفة بغواشي الإمكان المطلع على مطالعة جمال الملك

الديان، من غير أن يرجع الى مشاهدة دلائل خارجية ووسائل ظاهرية، والى هذا المعنى أشار تعالى حيث قال: سزهرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم افلا يبصرون، عاجلاً الى نفس ظروف الآيات الدالة على وحدانيته ومقارها ومظاهر<sup>(١)</sup>. فمن فتح عين بصيرته وطالع مرآة نفسه وجد وجوده أقرب شيء إليه، ومن ثم انكر على الراقدين في مهود الغفلة المسندين ظهورهم الى مساند الطبيعة موبخاً اياهم وقال: أفلا تبصرون، وما قال النبي عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه إشارة الى هذا المعنى أيضاً، ورسم أدام الله ظلال جلاله هنا أن مراده عليه السلام من هذا الخبر ليس ان من اطلع على كنه حقيقة نفسه اطلع على كنه حقيقة ذاته، فان الاطلاع مما يتعذر أو يتعسر، وكيف يمكن هذا ولا يمكن الاطلاع للعقول البشرية على كنه حقيقة ذاته المقدسة، على ما ينسب عن قوله تعالى: وما قدروا الله حق قدره<sup>(٢)</sup>.

فانه عليه السلام علق العرفان على العرفان، بل انما مراده عليه السلام منه بيان أن من أراد أن يعرف ربه فينبغي أن لا يغفل عن نفسه، طالباً عرفانه من الامور الخارجة عن نفسه، بل يوجه نظره الى نفسه التي هي أقرب الأشياء إليه، ويرتقي من مطالعة أسرار المودعة فيها الى مطالعة جمال كبريائه، فان كل من طالع نفسه وآيات الله الكامنة فيها وجدها مفتقرة الى مبدع أبدعها، وموجد غني قادر أوجدها بكمال قدرته.

فن هذا التقرير تمحّض أن مراده عليه السلام من سبقه في العلوّ الى أقصى الغاية: العلوّ في المكانة الثابت لكل مجرد من المجردات بالنسبة، لا العلوّ في المكان الذي يستدعي المقارنة بالأجسام والمقارنة بالأجرام، ومن دنوّه الى أعلى النهاية: الدنوّ بالأثر والإيجاد لا الدنوّ بالمكان المستدعي للمماسّة مع الأجرام السفلية المنافية للعلوّ في المكان، فانه دفع التناقض بهذا التحقيق الذي أفاده

ارتجالاً، والاشكال عن الكلمتين اللتين جعلها نتيجتين للكلمتين السابقتين.

وقوله: لم يطلع العقول على تحديد صفته؛

دليل على قصور العقول البشرية عن تحديد صفاته وحصرها، بناءً على أن صفاته تعالى لما كانت عبارة عن نسب واضافات تحدثها عقولنا، بالقياس الى افراد الماهيات الممكنة التي أفاض عليها الوجودات والاستعدادات، وكانت غير متناهية، كانت العقول قاصرة عن تحديدها لقصورها عن تصوّر مالا نهاية له، وقوله: ولم يحجبها عن واجب معرفته تنبيه على أن العقول وان خلقت قاصرة عن تحديد صفاته، لكنها غير محجوبة عما أوجبه عليها من معرفته.

لأنه تعالى قد مكّنها من الاستدلال بوجود الماهيات الممكنة على وجوب وجوده وأمر بها، حيث قال: بل انظروا ماذا في السموات والارض، وانظروا الى آثار رحمة الله، والقرآن الكريم مشحون بأمثال ما أوردناه، فهذا ما وصل الى فهمي من فحوى تقريره الشافي توضيحاً، الكافي تبييناً، أدام الله ظلال جلاله، والله يؤيد بفهم حقائق كلامه من يشاء.

\* \* \*

### ٤٩- وَمِنْ حُظْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِنَّمَا بَدَأُ وَفُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالُ رِجَالٍ عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُتَرَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ <sup>(١)</sup> أَنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤَخِّدُ مِنْ هَذَا ضِغْتٌ، وَمِنْ هَذَا ضِغْتٌ فَيُخْرِجَانِ <sup>(٢)</sup>! فَهَنَّالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَتَجَوَّأُ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْتَى.

### اللغة

بدأت بالشيء بدءاً: ابتدأت به، وبدأته: أي فعلته ابتداءً، والمبدأ من الشيء هو الذي منه يتركب أو منه يكون، وكذا البدء قد جاء بهذا المعنى وهو المراد هنا تولى العمل أي تقلد.

خلص الشيء: بالفتح في الماضي والضم في الغابر خصوصاً أي صار خالصاً، والخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه وخلص إليه الشيء أن وصل، وخلصته من كذا تخليصاً أي نجيته.

مزج الشراب: خلطه بغيره، ومزاج الشراب: ما يمتزج به، ومزاج البدن: ما ركب فيه من الطبائع، من الصحاح، وقد عرفت أنه عبارة عن الكيفية الحادثة من تفاعل الكيفيات الأربع بعد مزج صواحبها.

المرتاد: اسم فاعل من ارتداد ارتياداً أي طلبه، ومنه قوله عليه السلام: إذا

(١) في ب: خلص من الباطل.

(٢) في ب: فيخرجان.

بال احدكم فليرتد لبوله؛ أي ليطلب مكاناً ليناً ومنحدرأ.  
الضغث: قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس، وأضغاث أحلام: الرؤيا  
التي لا يصح تأويلها لاختلاطها، وضغث الحديد: خلطه.

### الاعراب

يخالف فيها كتاب الله: جملة وقعت نعتاً لاحكام، والضمير في عليها عائد  
الى الأحكام المبتدعة والاهواء المتبعة.

### المعاني

في انما بدء وقوع: القصر بطريق انما للافراد على تنزيل المخاطبين منزلة  
المتعدين أن مبدأه كما يكون بهذا يكون غيرها، ويخالف جاء به للتأكيد وزيادة  
التوضيح، واشتمال فلو أن الى المعاندين على الاختصار لأن كلاً من الشرطين  
صغرى من قياس حذف كبراه، والباقي ظاهر.

### البيان

في مزاج الحق: استعارة تصريحية: المستعار منه محسوس وهو خلط الماء  
بالشراب، والمستعار له معقول وهو اشتباه الحق بالباطل، لالتباس أحدهما بالآخر،  
ووجه الشبه: اشتراكها في عدم التمييز، وهو عقلي، وذكر خلص لترشيحها.  
وفي ضغث: أيضاً استعارة تصريحية: المستعار منه فيها محسوس وهو القبضة  
من الحشيش، والمستعار له فيها معقول وهو البعض من الحق والباطل، ووجه  
الشبه: اشتراكها في القلة بالنسبة الى ما هو كثير، وهو عقلي.

## البديع

بين تتبع وتبتدع: المتوازي والترصيع، ورعاية المقابلة بين الحق والباطل ظاهرة، والباقي ظاهر.

## الفحوى

اعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الفصل بقوله: إنما إلى دين الله إلى أن مبدأ وقوع الفتن المفضية إلى قطع سلسلة نظام العالم وفساده ليس إلا اتباع الآراء العاطلة، وابتداع الأحكام الباطلة المخالفة لأحكام الله الناطق بها كتاب الله، وذلك لما عرفت أن المقصود من وضع الشرائع وإنزال الكتب السماوية إنما هو ربط الأسباب المؤدية إلى عمارة العالم ونظامه، إذ لولاها لوقع الهرج والمرج في العالم...<sup>(١)</sup> إلى فساده وتبدد أحواله المستظمة.

فكلما اتبع رأي أو ابتدع حكم مخالف لكتاب الله وسنة رسوله لاختلفت قاعدة أحكامها، وبقدر تطرق الاختلال إليها يتطرق الفساد في العالم، وذلك إشارة إلى أن الفتن إنما هاجت بسبب اتباع آراء الغواة وابتداع أحكام الخوارج، ثم نبه على أن السبب لابتداع الآراء الباطلة واشتباه المقدمات الحقة بالمقدمات الباطلة يستعملها المبطلون في استعمال المجهولات، فقياسان قد حذف كثيرتها<sup>(٢)</sup>.

الأول: أشار إليه بقوله فلو أن الباطل إلى المرتادين وهو صغراه وكبراه، ولكن خفي عليهم الحق فينتج: لم يكن الباطل خالصاً من مزاج الماء، لأن استثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم، أما الصغرى: فلأن طالب الحق إذا كانت مقدمات الشبهة بيّنة غير مختلطة بالحق أدرك وجه فسادها بأدنى سعي، فلم يخف الطريق الموصل إلى الحق عليه، وأما الكبرى فيبيّنة بذاتها ولهذا قد حذفها.

الثاني: أشار إلى صغراه بقوله: إن الحق إذا خلص من لبس الباطل انقطعت

عنه ألسن المعاندين، وكبراه: لم تنقطع عنه ألسن المعاندين، فينتجان: فلم يكن الحق خالصاً من خلط الباطل لما مر، أما الصغرى: فلأن مقدمات المطلوب التي استعملها المبطلون لو كانت كلها حقّة مرتبة ترتيباً حقّاً خالية عن الغلط في مادتها أو صورتها، فكانت النتيجة منها حقّة لم يمكن للقائد أن يظعن عليها بالألسنة ولا أن يخالفها .

وأما الكبرى فواضحة، وقد أشار الى ما هو في معنى النتيجة بقوله: ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا فيمزجان، أي يؤخذ من الحق بعض ومن الباطل بعض ليخلطاً بحيث لا يستدي الى التمييز بينها الا الذي كحل الله بصيرته بمكحل الهداية، وغرضه عليه السلام من القياسين بيان: ان اتباع الآراء الباطلة واشتباها أحدهما بالآخر، ثم أشار بقوله هنالك الى أولياته: ان عند الإشتباه يستولي الشيطان على أولياته ويزين لهم اتباع الآراء الباطلة والاحكام الخارجة عن كتاب الله، بايرادها في صورة الحق ويغويهم.

قوله ينجو الذين سبقت منا الحسنی: اشارة الى أن من خصّصه الله بنظر عنايته، وفتح عين بصيرته المميزة بين المقدمات الحقّة والباطلة، ينجو من ظلمات الشبهات منسكاً بتوفيق الله تعالى، اولئك عنها مبعدون، والله أعلم.



## ٥٠- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين  
ومنعواهم الماء

قَدْ اسْتَظَعْمُوكُمْ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَيَّ مَذَلَّةً، وَتَأْخِيرَ مَحَلَّةٍ؛  
أُورُوا الشُّيُوفَ مِنَ الدَّمَاءِ تُرَوِّوا مِنَ الْمَاءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ  
مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُئْمَةً مِنْ  
الْفُؤَاةِ. وَعَمَّسَ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup> الْحَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ  
الْمَنِيَّةِ.

### اللغة

الشريعة: مشرعة الماء وهي مورد الشاربة.

استطعم: أي طلب أن يطعمه لمحلة المنزلة.

الريان: ضد العطشان، يقال: رويت من الماء بالكسر روى رياً وروى

مثل رضى، وارتويت وترويت كله بمعنى، ورويته تروية أي: جعلته رياناً.

اللمة: بضم وتخفيف الميم الجماعة القليلة، وقيل ما بين الثلاثة والعشرة.

الفؤاة: جمع غاؤ وهو العادل عن الصراط المستقيم.

عمس: بالتشديد والتخفيف أي أبهم وعمى، يقال ليل عماس: أي

مظلم لا يدرى من أين يؤتى له، ومنه قولهم جاء بأمر معمسات: أي مظلمة ملوثة  
عن جهتها.

النحور: جمع نحر، والنحر موضع القلادة من الصدر وهو المنحر.

الأغراض: جمع غرض وهو الهدف.

(١) في ع ول وشن: غمس عليهم.

### الاعراب

ترووا: مجزوم على أنه جواب الأمر، والموت: مبتدأ، وفي حياتكم خبره، تقديره: الموت ثبت في حياتكم، ومقهورين وقاهرين: حالان من مخاطبين، والعامل فيها الفعل المقدّر في الجملة الظرفية.

### المعاني

الفاء في فأقروا: لعطف الجملة الطلبية على الجملة الخبرية ظاهراً وباطناً جواب لشروط محذوف دلّ عليه سياق الكلام، يعني: إذا كانوا يستطيعون منكم القتال فأقروا أو روّوا، وأورده هنا للتخير، وقد نبه في أحد شقّي ما خبر فيه على أن من أطلق عليه اسم الرجل لا يصحّ ان يختار إلا القسم الثاني، فكأنه عليه السلام بهذا التخير اختبر أحوالهم ومبلغهم في الرجولية، وكذا الفاء في فالموت واللام فيه وفي الحياة للحقيقة و...<sup>(١)</sup> والحالان واردان على أصل الحال لكونها مشتقين ونهجها لكونها ثابتين، والباقي معلوم.

### البيان

في استطعموكم القتال: استعارة مكنى بها تخيلية مرشحة، المستعار منه فيها محسوس وهو الطعام، المستعار له معقول وهو القتال، ووجه الشبه: اشتراكهما في كونها مطلوباً لهم وهو عقلي، وقد رشّحها بذكر الاستطعام، ويحتمل أن يكون فيه استعارة تبعية تصرّحية مستدعية لتشبيه هيئة تجسّسهم بالقتال بمنعهم الماء عنهم وهي معقولة، بهيئة طلب الطعام بالقول المنبئ عنه وهي محسوسة. وجه الشبه: انهم يطلبون القتال بمنعهم الماء عنهم، كما أن الطالب للمأكول يطلبه بالقول، في روّوا السيوف من الدماء استعارتان مكنيتان: أحدهما

(١) كذا بياض في الأصل.

مستدعية لتشبيه السيوف وهي محسوسة، بالعطشى، ووجه الشبه: اشتراكها في الافتقار إلى التروية، ولتخييل أنها من أفرادهم، وإلا لم يصح تشبيه التروية إليها. الثانية مستدعية لتشبيه الدماء بالماء وهما محسوسان، ووجه الشبه: أن الدماء تكل السيوف وتجعلها غنية عن الحرب، كما أن الماء يجعل العطشان رياناً غنياً عن الماء، وهو معقول، وبذكر التروية رشحت الاستعارتان وحصلت القرينة عليها، فالموت مجاز عن الشدائد والأهوال التي تلحقهم من سقوط المنزلة والمذلة وما ضاهاهما من باب اطلاق الاسم المسبب وإرادة السبب، ويحتمل أن يكون المراد به موت النفس بترك الجهاد الذي هو مستلزم للحياة الطيبة، ويكون مجازاً من باب اسم المشابه على ما يشابهه.

في جعل نحورهم أغراض المنية: استعارة وتشبيه؛ أما الاستعارة: فهي استعارة مكنى بها تخيلية، المستعار منه فيها محسوس وهو الرأي، والمستعار له معقول وهو الموت، ووجه الشبه: اشتراكها في الإيذاء والإهلاك، يعني: كما أن الرامي بسهامه يؤدي المرمي ويهلكه، كذلك الموت بمقدماته من الأمراض الصعبة تؤذي الشخص المقصود بالإصابة وتشرفه على الهلاك، وهو معقول، وهي تستلزم تخيلاً أنه من أفراد المنية، وإلا لم يصح إضافة الأغراض إليه.

أما التشبيه: فهو تشبيه نحورهم بالأغراض التي يجعلها الرامي مقصد الرمي، وهما محسوسان، ووجه الشبه: أن نحورهم قد جعلوها في صدد أن تصيبها سهام المنية من الطعن والضرب والذبح وسائر وجوه القتل لغرض الرامي هدفاً لأن...<sup>(١)</sup> وهو معقول.

### البديع

راعى بين مذلة ومحلة: المتوازي والترصيع، وبين الدماء والماء: المطرف،

(١) كذا بياض في الأصل.

وفي فالموت إلى قاهرين: المقابلة؛ حيث قابل الحياة بالموت، والمقهور بالقاهر.

### الفحوى

اعلم أنه عليه السلام قد حث أصحابه على الجهاد في هذا الفصل لا يوجد البتة في كلام غيره، الأولى: أشار إليه بقوله: قد استطعموكم القتال؛ فانه يدل على أن قتالهم عند خصومهم في غاية السهولة، وذلك تعريض لعجزهم، إذ لو كانوا شجعاناً أبطالاً ما طلبوا منهم القتال بمنعمهم الماء عنهم، وتعبير لهم، ومثل هذا من أقوى الحوادث إلى القيام بالحرب.

الثانية: أشار إليها بقوله: فاقروا إلى الماء؛ يعني: إذا منعوا عنكم الماء وعدوكم من الضعفة والمساكين فأنتم مغيثون بين أمرين: اما ترك القتال وهو مستلزم للاقرار بالمدلة والعجز والانقياد للأعداء وتأخير المنزلة عن رتبة أهل الشرف، فأورد اللازم على صورة الأمر لتنزع نفوسهم عن التخاذل والتقاعد وتثور نائرة الرجولية في بواطنهم، أو القيام بالقتال كما هو شأن الأبطال، وأنه عليه السلام راعى في هذا التخيير لطائف:

أ- أنه أمر بالتخيير مع أن المقصود حثهم على القتال ليختبر أحوالهم وليتسلطف بهم في هديهم، ولا يكون أمراً على سبيل القطع، ولأنه علم من حالهم... (١) لا يختارون الترك.

ب- انه أورد اللازمين لترك القتال لينفر طباعهم عنه ويحرضهم على القتال.

ج- انه جعل ترويضهم من الماء مرتباً على تروية السيوف من الدماء، ليعلموا أن لا طريق لهم إلى الترويض إلا القتال، وهي من أقوى الحوادث لهم إلى القتال.

(١) كذا بياض في الأصل.

الثالثة : أشار إليها بقوله: فالموت إلى قاهرين؛ وهي جذب لهم إلى القتال بأقصى ما يمكن من البلاغة، وذلك لأنه صور لهم أولاً: ان الحياة الفانية الدنيوية التي تتطلبونها من ترك القتال مستلزماً لموتات متعاقبة حال كونكم مقهورين، فان المذلة والعجز والانقياد للعدو وتأخير المنزلة عن أهل الشرف اللازمة لكونكم مقهورين موتات متعاقبة عند أهل المروءة وأولي الأبواب.

إلى هذا أشار القرآن الكريم حيث قال: أموات غير أحياء، وإنّ الموت البدني الذي تقعون فيه إن كنتم قاهرين مستلزم للحياة الطيبة الباقية في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فلأنه يستلزم الذكر الجميل الذي هو أطيب حياة عند أولي الأبواب، أما في الآخرة فلأنه مستلزم للبقاء الأبدي والحياة السرمديّة، على ما ينبيء عنه قوله تعالى: «ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين<sup>(١)</sup>»، وقوله تعالى: «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون<sup>(٢)</sup>».

إذا كانت الحياة الفانية المطلوبة بترك القتال مستلزماً للموتات المتعاقبة، والموت البدني الذي يمكن أن يلحقهم لو قاموا بالقتال مستلزم للموت المستلزم للحياة السرمديّة، واجباً لا يعرض عنه إلا من لم يكن له نور، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور<sup>(٣)</sup>.

الرابعة: أشار إليها بقوله: ألا إلى الخبر؛ وهي: أنه عليه السلام قد نقر أصحابه عما كان معاوية عليه من كونه قائد غواة، ومن أرى أصحابه الباطل في صورة الحق، وليس عليهم الحق، وهما رذيلتان لازمتان للفجور وغلبة الهوى عليه، وعما كان أصحاب معاوية عليه من كونهم غواة عن الحق ضلالاً عن سبيل الحق، وقد انقادوا للباطل عن شبهة اعتقدوا حقيقتها، وهما رذيلتان أولاهما من لازم عدم

(٣) النور: ٤٠.

(١) آل عمران: ١٧٠.

(٢) البقرة: ١٥٤.

البصيرة والجهل، والأخرى من لازم الجهل المركب.

الخامسة: أشار إليها بقوله: حتى إلى المنية؛ وهي إشارة إلى تمكّنهم في الجهل المركب وغاية تلبّس الحق عليهم، وإلى أنهم قد جعلوا نفوسهم محافظة على الباطل الذي تصوّروا أنه حق في معرض التلف غير مبالين بالموت البدني، وغرضه عليه السلام تعبير أصحابه بالتخاذل والتقاعد عن الحرب.

ومن تأمل هذا الكلام الوجيز لفظاً العزيز معنى وفحوى، وسرّح نظره في رياض لطائفه، وحلّى جواد فكره في حدائق ظرائفه، وحدّق صدقاً في شقائق نكاته، وفتق أنوار أكمامه في أرجاء تراكيبه، علم يقيناً انه عليه السلام لم يدع لقوس البلاغة منزعاً إلا نزعها، ولا لغاية الفصاحة علماً إلا دفعه، والحمد لله الذي اطلعني على بعض لطائف كلامه عليه السلام، وجعلني من المتشبهين بأذيال عوارفه، والله أعلم.

\* \* \*

## ٥١- وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَأَذْنَتْ<sup>(١)</sup> بِإِنْقِضَاءِ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَذْبَرَتْ حَدَاءَ<sup>(٢)</sup>، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفِتَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَخْلُدُ بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا<sup>(٣)</sup> مَا كَانَ حُلُوءاً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءاً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَرَزَهَا الصَّدِيَانُ لَمْ يَنْتَفِعْ.

فَأَرْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّجِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا

(١) في ب: وأذنت بوداع.

(٢) في ز: الحداء بالخاء والجيم.

(٣) في ح: قد امرّ فيها ما كان.

الرَّوَالِ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ، وَلَا يَطْوِلَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ<sup>(١)</sup>، فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوَلَدِ الْعَجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدْيِ الْحَمَامِ، وَجَأَرْتُمْ جَوَارِ مُتَبَتِّلِ الرَّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، التَّمَّاسِ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي أَرْتِفَاعِ دَرَجَةِ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَشَهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجَوَلَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

وَاللَّهِ<sup>(٢)</sup> لَوِ انْمَأَثَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاثاً، وَسَأَلَتْ عُيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ، دَمًا، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةً، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ، أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ، وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

### اللغة

تصرمت: أي انقطعت.

آذنت: أي أعلمت.

تنكر معروفها: أي جهل خيرها.

الإدبار: ضد الإقبال، ويروى جذاء بالجيم فعناه منقطعة الدن، وبالحاء والذال المعجمة ومعناه سريعة الذهاب.

حفره يحفره حفزاً: أي دفعه من خلفه، والليل يحفر النهار أي يسوقه، وحفزه الريح أي طعنته.

السكان: جمع ساكن، كما أن القظان جمع قاطن وهو المقيم. الحداء: سوق الإبل بالحداء وهو الغناء. السملة: الماء القليل يبقى في أسفل الإناء وغيره مثل

(١) في ض روح: عليكم فيها الأبد.

(٢) في ش: وتا الله لواثانت.

الثملة والجمع سمل.

قال ابن أحر: مثل الوقائع في أنصافها السمل وسمول، عن الأصمعي، قال ذو الرمة<sup>(١)</sup>:

على حميريات كأن عيونها \* قلات الصفا لم يبق الاسموا  
واسمال عن أبي عمرو، وانشد: يترك اسمال الحياض يُتسا، والسملة  
بالضم مثل السملة.

الإداوة: الإناء.

المقلة: بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته ليعرف بها  
مقدار ما يسقى لكل واحد من الأشخاص.  
المتمزز: تمضض الشراب قليلاً قليلاً.

الصديان: العطشان. نفع الماء العطش ينقع نفعاً ونقوعاً: أي سكّنه، وفي  
المثل: الرشف أنقع، أي: ان الشراب الذي يترشّف قليلاً قليلاً أقطع للعطش،  
قال الخليل:

أزمنت على أمر فأنما مزع عليه إذا ثبت عليه عزمه.

قال الكسائي: يقال ازمنت الأمر ولا يقال أزمنت عليه، قال الأعشى:  
أزمنت من آل البلي ابتكاراً، وقال الفراء: أزمعت وأزمنت عليه بمعنى مثل أجمعت  
وأجمعت عليه رجل فلان.

ارتحل وترحل: بمعنى الإشخاص من منزل إلى آخر، والاسم الرحيل.  
المقدور: المقدر الذي لا بد من كونه.

الأمْد: الغاية كالمدى، يقال: ما أمْدك أي منتهى عمرك.

حَنّ يحنّ حنيناً: أي أنّ جزعاً على الفاتت.

(١) ذو الرمة الشاعر وهو غيلان العدوي، والرمة بالضم: قطعة من حبل بالية، ومنه قول علي عليه السلام يذم  
الدنيا: وأسبابها رمام أي بالية.



الوله: جمع واله؛ هو الذي ذهب عقله لفقد محبوب.

العجال: جمع عجول وهي الناقة التي فقدت ولدها.

هديل الحمام: صوته.

جأر الشور بجأر: أي صاح، والجؤار: الصوت، وجأر الرجل إلى الله أي

تضرع بالدعاء. المتبتل: المنقطع من الدنيا إلى الله.

يقال تبتل تبثلاً: إذا انقطع عن الدنيا إلى الله، وكذلك التبيل.

الرهبان: جمع راهب وهو المستعبد من النصارى خوفاً من الله تعالى وعذابه،

والرهبة وهو مع تحرّز واضطراب.

انماث الشيء: أي ذاب وتحلّل.

### الاعراب

أمرتها متعدياً ولازماً وهنا لازم، وما في ما كان موصولة.

ولو تميزها: جملة شرطية وقعت نعتاً لجرعة، والمقدور: نعتاً للدار، واللام

فيه بمعنى الذي.

الزوال: مرفوع على أنه معمول اسم المفعول، تقديره: التي قدر على أهلها

الزوال.

لو قد حننتم: جملة شرطية شرطها قد حننتم، وما عطف عليه إلى الأولاد،

والتماس: مفعول له، واحصتها كتبه: جملة وقعت نعتاً لسيثه، وجزؤها لكان قليلاً،

واسم كان ضمير راجع إلى المذكور. والله لو انماثت: أيضاً جملة شرطية شرطها لو

انماثت، وما عطف عليه إلى دماً، ودماً: تمييز، وما في الدنيا: للدوام والمدة، وما في

ما جزت: نافية، وأنعمه: منصوب على أنه مفعول جزت، وهده: أيضاً في محل

النصب على أنه معطوف على أنعمه.

## المعاني

انما أتى بالأفعال الماضية الدالة على الوقوع بعد الدنيا تنبيهاً على أن ما سيقع لا محالة كالواقع، وايداناً بأن المقارنة أمر ضروري لكل شخص، في فهي تحفز خاصيتان: إحداهما: ذكر المسند إليه مع أن القرينة المقالية مشعرة به ليؤذن بالاهتمام بشأنه وإنّ الحافز كأنه الدنيا دون غيرها.

الثانية: جعل المضارع خبراً مسنداً ليؤذن بالاستمرار والدوام، كما في قوله تعالى: «الله يستهزئ بهم».

ثم انه نقل من الفعل المضارع إلى الماضي المصدر بقدر ليؤذن بوقوع ما تكون العافية إليه، وفي فلم يبق: القصر للقلب على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين، يعني: ليس الأمر من الدنيا ما تصوّرتم من البقاء والدوام، بل الأمر بالعكس، وإيراد لوتمزّرها الصديان لم ينقع: وصفاً باكيد<sup>(١)</sup> للقله ويمسيراً لأحد التوين من التعظيم والتحقير عن الآخر، الفاء في فازمعاوا: للسببية المؤذنة بأنه إذا لم يبق من الدنيا إلا القليل فالازماع واجب، والأمر هنا يفيد الوجوب.

وهذه: في هذه الدار للتحقير، ووصفها أيضاً بقوله: المقدور على أهلها الزوال يشعر بالحثّ على الرحيل عنها لحقارتها بالنسبة إلى الدار المقدور على أهلها الثبات والبقاء، والنهي المشتمل على التون المشددة يفيد وجوب الانتهاء على أبلغ وجه، وتصدير الجملة الشرطية بالقسم البار واللام في جوابها دليلان على أن الكلام منساق في مقام الإنكار، واشتمال هاتين الشرطيتين على الإيجاز والمبالغة والإجمال والتفصيل، خصوصاً سالت عيونكم دماً على تعظيم شان أنعم الحق، كأنه علم في رأسه نار.

## البيان

في تصرّمت وآذنت وأدبرت استعارات قد عرفتها في الخطبة التي هي بعض منها، وهي: أما بعد فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع فلا يحتاج إلى اعادةها، في فهي تحفز بالفناء: استعارتان تخييليتان مكنتان :

احدهما: مستدعية لتشبيه الدنيا بالسائق، ووجه الشبه: ان الدنيا تسوق الإنسان إلى الآخرة بانقضاء عمره، كما أن السائق يسوق الدواب إلى المقصد، وهو عقلي، هذا ان جعلنا الحفز بمعنى السوق، أما إذا جعلناه بمعنى الطعن؛ فالمستعار منه فيها الطاعن وهو محسوس، والمستعار له فيها الدنيا وهي معقولة أو محسوسة، وجه الشبه: أن الدنيا تطعن سكانها بمصائبها وأحداثها المشابهة للرماح، كما أن الطاعن يطعن المطعون بالرماح، والحاصل اشتراكهما في الايذاء وتغيّر أحوال المقصود بالطعن، وهو عقلي.

الثانية: المستعار منه فيها محسوس؛ وهو آلات السوق من السوط وما شاكله، المستعار له معقول وهو الفناء، ووجه الشبه: أن الموت هو السبب الذي ينقل الإنسان من الدنيا إلى الآخرة، كما أن السوط هو الذي ينقل الإبل ويحتمها على الانتقال من موضع إلى آخر وهو معقول، ويحفّز قرينة الاولى، والباقي بالفناء قرينة<sup>(١)</sup> الثالثة، وفي تحذو بالموت جيرانها: أيضاً استعارتان تخييليتان مكنتان: المستعار منه فيها محسوس وهو الحادي، والمستعار له الدنيا، ووجه الشبه: أن الدنيا تقرب سكانها إلى المقصد الأصلي الذي هو دار الآخرة، كما أن الحادي يقرب الإبل الى المقصد الذي وجهها اليه، وهو عقلي.

الثالثة: المستعار منه فيها محسوس بحسن السمع وهو الحذاء، والمستعار له معقول وهو الموت، ووجه الشبه ما ذكرنا آنفاً، وهو معقول، في أمر منها ما كان

(١) كذا في الأصل.

حلولاً: استعارة مكنى بها تخيلية؛ المستعار منه فيها محسوس، وهو المطعوم القابل للحلاوة والمرارة على سبيل البدل، والمستعار له فيها معقول، وهو أحوال الدنيا القابلة لوجهي ما يلدّ ويؤلم على سبيل البدل.

وجه الشبه: اشتراكهما في صلاحية الالذاذ والإيلام وهو معقول، وفي كدر منها: أيضاً استعارة مكنى بها؛ المستعار منه فيها محسوس؛ وهو الماء القابل للصفاء والكدورة، والمستعار له معقول؛ وهو أحوال الدنيا العارضة بالشخص، ووجه الشبه ما ذكرنا، وقرينة الأولى: ذكر الامرار والحلو، والثانية: ذكر الكدورة والصفو. في لم يبق منها الاسملة إلى لم ينقع: استعارتان وتشبيهان، أما الأولى: فهي تخيلية تصريحية مستدعية لتشبيه الباقي من الدنيا بالنسبة إلى كل شخص وهو معقول، ببقية الإناء وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في القلة.

أما التشبيه الأول: فهو تشبيه الباقي بعد تخيله فرداً من أفراد السملة ببقية الماء في المطهرة، وهي محسوسة، ووجه الشبه: اشتراكهما في غاية القلة وعدم الانتفاع، يعني: كما أن البقية في المطهرة لا تدفع عطش العطشان ولا تصلح للانتفاع، كذلك الباقي من الدنيا لا يدفع حرص الطالب المتعطش إليها، ولا يصلح للانتفاع، أما الاستعارة الثانية: فهي أيضاً تصريحية؛ المستعار منه فيها محسوس وهي الجرعة، والمستعار له معقول وهو الباقي من الدنيا، ووجه الشبه: اشتراكهما في القلة.

أما التشبيه الثاني: فهو تشبيه الباقي بعد جعله فرداً من أفراد الجرعة، بجرعة المقلّة، ووجه الشبه اشار اليه بقوله: لو تمزّزها الصديان لم ينقع، يعني: كما أن جرعة المقلّة لو تمصّضها العطشان لم يسكن عطشه به، كذلك الباقي لو ظفر به الطالب للدنيا المتعطش إليها لم يسكن ولعه إليها به. في قد حننتم حنين الوله: قد شبه أنينهم وتضرّعهم إلى الله بحنين الذي ذهب عقله لفقد محبوب، والناقة التي فقدت ولدها، ووجه الشبه: اشتراكهما في الشدة والعامّة.

في قد جأرتم: قد شبه تضرّعهم إلى الله بالدعاء، بتضرّع المنقطعين عن

الدنيا إلى الله من الرهبان، ووجه الشبه: اشتراكها أيضاً في الكمال، وإنما خصّ الرهبان بالذكر لأنهم أشد المتعبدين تضرعاً. في انمائت قلوبكم انميائاً: كناية عن الخوف الغالب البالغ إلى النهاية، فإن من بلغ خوفه النهاية يقال ان قلبه قد ذاب خوفاً. في سالت عيونكم دماً: المجاز من باب اطلاق السبب القابل واردة المسبب، إذ السائل الذي هو الدمع انما يجري من العيون، وكناية عن الاعتراف بغاية التقصير ونهاية الخوف من الله تعالى.

### البديع

راعى بين انقضاء وحذاء: المطرف، كما بين سگانها وجيرانها، ولو اعتبرنا المسدد لكان المتوازي، وبين حلولاً وصفوا: المتوازي.  
في قوله أمر إلى صفواً: المقابلة؛ حيث قابل المرارة بالحلاوة، والكدورة بالصفو، وفي فلم يبق إلى لم ينقع: مراعاة النظير؛ حيث أتى بجميع أوصاف الماء، وبين الأمل والأمد: المتوازن، في قوله فيما أرجو إلى عقابه: المقابلة؛ حيث قابل الرجاء بالخوف، والثواب بالعقاب، كما في رغبة منه أورهبه، الباقي ليس فيه شيء طائل.

### الفحوى

اعلم أنه عليه السلام بنى هذا الفصل على التنبيه على التنفير عن الدنيا، بتحقيقها في أعين المخاطبين، والأمر بالرحيل عنها، والنهي عن الركون إليها، وعلى تعظيم ثواب الله، وما ينبغي أن يرجى منه ويلتفت إليه، مما أعد الله للمحسنين من عبادته، ولا يعلمه إلا من خرقت سحاب وجهه الستور الحائلة بينه وبين بصيرته مثل أمير المؤمنين، ووبيل عقابه المعد لمن تمرّد عن طاعته، وخلع ربة الانقياد لأوامره عن رقبته، وعلى أنّ العبد وان بذل مجهوده وأفنى طاقته في جزاء ما أفاض

تعالى عليه من أنعمه العظام، لا يقدر أن يقابلها بما يليق بها، فهنا مقاصد ثلاثة:  
 الأول: في التنفير عن الدنيا وتحقيرها، قوله: ألا وإن الدنيا قد تصرمت؛ أي قد انقضت أحوالها الحاضرة لكل شخص في كل حين، وأذنت بانقضاء؛ أي لسان حالها قد أعرب بأنها لا تبقى لأحد، وتنگر معروفها؛ أي تغير ما كان معروفاً منها إلى مجهول، يعني: إذا وجد الإنسان لذة من لذاتها ملائمة لطبعه، من أمن وصحة و فراغ وجاه ومال وولد، وأنس بها وألفها بحيث كأنها صديق من أصدقائه، تزول عن قريب وتصير مجهولة منكرة بعد ان كانت معروفة، وأدبرت حذاء؛ أي ولت الحال كونها قد انقطعت عن كل شيء، وقطعت تعلقها عن كل موجود، مسرعة بحيث لا يمكن لأحد أن يلحقها.

قوله فهي تحفز بالفناء سكانها: أي فالدنيا من شأنها أن تسوق الساكنين بها على سبيل الاستمرار بالفناء إلى دار الآخرة التي هي المقصد الأصلي، وتحدو بالموت جيرانها؛ أي تسوق بالحذاء وتحث جيرانها على قطع المنازل إلى الوصول إلى الموت الذي هو آخر منزل من منازل الدنيا، قوله وقد أمر إلى صفواً: أي قد تبدلت لذاتها فصارت آلاماً، يعني: أن الأحوال التي يجدها الإنسان لذيدة في بعض الأوقات، صافية حلوة خالية عن شوائب العوارض الكربة المنغصة معرة عن...<sup>(١)</sup> الأمراض تبدلت وتغيرت، وما من شخص إلا وتصدق عليه أن لذته قد أعقبت الماء، إما من شباب تبدل بكبر، أو فرح تبدل بغم، أو صحة تبدلت بمرض، أو فراغ تبدل بشغل.

قوله فلم يبق منها إلى لم ينقع: إشارة إلى تحقيرها بالنسبة إلى كل شخص، وتنفير الطباع عن الأُنس بها، فإن تمتع كل بالنسبة إلى بقائه فيها قصير، والالتذاذ بلذاتها بالقياس إلى عمره يسير، وقد عرفت وجه الاستعارتين والتشبيهين، ثم لما فرغ من أحوالها وتنفير الطباع عنها أمر بتصميم العزم والثبات على الانتقال عنها بالعقل،

(١) كذا بياض في الأصل.

وقال فازمعوا عباد الله: أي صمموا العزم على فطام النفوس عن شهواتها، والارتحال عنها بالالتفات إلى الله والإقبال إلى القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها، وقطع المراحل التي نصب الله عليها مناراً وأعلاماً واضحة.

قوله المقدور على أهلها الزوال: حث لهم على الإزماع، وذلك لأن المخاطب الذي له أدنى دراية إذا سمع هذا الوصف والأمر عرف أنه يفارق عنها بالاختيار، فهي تفارق عنه بالاضطرار، فلم تبق عنده الآ الحسرة والندامة، ثم أردف ذلك الأمر بالنهي عن أن يغلب عليهم الأمل في اقتناء لذاتها فانه المنسي للآخرة والعاش<sup>(١)</sup> العظيم عن عوائق الارتحال، وكذا خصصه بالذكر وبالنهي عن توهم طول الغاية التي هي الموت، فانه أيضاً يسود صفائح القلوب ويكثر الواح النفوس، على ما ينبئ عنه قوله تعالى: «فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون»، فيوقعه في الغفلة الموقعة الى مهاوي اتباع الهوى الذي يصد عن الحق، ولما كانا من أعظم العوائق على ما سبقت الإشارة إليها خصصهما بالذكر.

المقصد الثاني: في التنبيه على عظم ثواب الله تعالى وعقابه، اعلم أنه عليه السلام لما نقر طباع الناس عن الالفة بالدنيا بتحقيقها في أعينهم، وأمرهم بالارتحال عنها، ونهاهم عن طول الأمل وتوهم طول الحياة، عيّن لهم ما ينبغي أن يلتفتوا بخواطرمهم إليه، ويوجهوا وجوه قلوبهم إليه، وهو ثواب الله المعد للمحسنين، وأبدى لهم ما ينبغي أن يخشى منه وهو عقاب الله تعالى.

يعني: ليس المرجو ما تصوّرت من أسباب اللذات الدنيا...<sup>(١)</sup> تبلى الرهبان والزهد الحقيقي الذي...<sup>(١)</sup> من الأموال والأولاد بالكلية ورفضها عن ساحة القلب...<sup>(١)</sup> يجتمع ذلك من العبادة والزهد في أن يرفع لكم عنده درجة من درجات الجنان، أو يغفر لكم سيئة موصلة الى درك من دركات النيران، وقد أحصتها كتبه التي كتبها الحافظون على عبادته، وحفظها له الموكلون عن ضبط

الاحوال الجارية على العباد، لكان ذلك...<sup>(١)</sup> بالنسبة الى ما أرجوه لكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه قليلاً...<sup>(١)</sup> الذي يتوقع المتقرب اليه. من أن ترفع له درجة أقل بالنسبة الى ما رجوه، فينبغي أن يخلص بكليته الى الله لينال له هو أعظم مما يتصورا به...<sup>(١)</sup> له بالتقرب...<sup>(١)</sup> والذي يتوهم المتقرب اليه من العقاب المرتب على السيئة ويتوقع الخلاص منه بغفرانه منه، أقل بالنسبة الى ما اخاف عليه... فالواجب عليه أن نفر بكليته اليه لتخلصه من العقاب المخوف الذي هو أعظم مما توهمه، ولما كان الاطلاع على حقيقة ما أعدّه الله للمتقين المتقربين اليه من الثواب.

